



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاح لخضر (باتنة 1)



قسم اللغة والأدب العربي

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

العنوان:

آليات تيسير الدرس اللغوي العربي
في فكر تمام حسان

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغويات

إشراف الأستاذ الدكتور:

السعيد هادف

إعداد الطالبة:

إسمهان مصرع

اللجنة المناقشة:

| | | | | |
|--------------|-----------|------------------------|-----------------|----------------------|
| رئيسا | - بركة | المركز الجامعي | أستاذ | أ.د. الشريف ميهوبي |
| مشرفا ومقررا | - باتنة 1 | جامعة الحاح لخضر | أستاذ | أ.د. السعيد هادف |
| ممتحنا | - باتنة 1 | جامعة الحاح لخضر | أستاذ | أ.د. بلقاسم ليبارير |
| ممتحنا | - بسكرة | جامعة محمد خيضر | أستاذ محاضر (أ) | د. ليلي كادة |
| ممتحنا | - عنابة | جامعة باجي مختار | أستاذ | أ.د. خليفة صحراوي |
| ممتحنا | - سطيف 2 | جامعة محمد لمين دباغين | أستاذ | أ.د. صلاح الدين زرال |

السنة الجامعية: 2016-2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى روح الأستاذ الدكتور تمام حسان - رحمة الله عليه-

إلى من تغنى الشاعر بحبهم، فقال:

وَقَوْمِي وَإِنْ ضُنُّوا عَلَيَّ كِرَامٌ

بِلَادِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ

إلى من تجرعا المرّ كي يذيقاني العسل، إلى من كدحا كي أرتاح، إلى من شحذا عزيمتي وغرسا

فيّ بذرة حبّ العلم والمعرفة، إلى والديّ العزيزين - أمدّ الله في عمرهما-

إلى عزائي في هذه الدنيا، بلسمي وأمل غدي، فلذات كبدي: هشام، وسيم، ومحمد.

إلى أخواتي: حبيبة، مريم، هدى، ونيسة، سميرة.

إلى عائلتي

إلى كلّ من أحبّ ويحبّ أسمهان

إلى فرسان لغة الضّاد في كلّ مكان.

أهدي هذا العمل المتواضع

أسمهان مصرع

شكر وعرّفان

اللّهم لك الشّكر كما ينبغي لجلال وجهك الكريم، وعظيم سلطانتك يا أرحم الرّاحمين.

اللّهم لك الحمد حتّى ترضى، ولك الحمد عند الرّضا، ولك الحمد بعد الرّضا.

بعد حمد الله الذي وفّقني لإنجاز هذا العمل، أتوجّه بجزيل الشّكر إلى أستاذي الدّكتور:
السّعيد هادف على قبوله الإشراف على هذا البحث. وأخصّ بالذّكر والشّكر من جسّد معنى الأخوة
الحقّة، أخي الفاضل الأستاذ: خالد هدنة.

ولا أنسى من كانوا لي دعماً وسنداً، فلمنّ منّي خالص الشّكر والعرّفان، لا أخصّ بالذّكر
واحداً، حتّى لا أنسى أحداً.

كما لا يفوتني أن أشكر أسرة قسم اللّغة والأدب العربي بكلّية اللّغة والأدب العربي والفنون
بجامعة الحاج لخضر (باتنة1)، التي هيأت لي هذا الفضاء العلمي، وأتاحت لي فرصة الاجتماع
باللّجنة المناقشة التي أتقدّم إليها بشكر خاصّ على تكبّدها عناء قراءة هذا البحث من أجل
مناقشته.

مَقَامَةٌ

جعل الله حاضر الأمة العربية موصولاً بماضيها، وحمل أهلها أمانة الحفاظ على عروبة اللسان وفصاحة البيان، فسخر بعضهم جلّ وقته لخدمة لغة القرآن، التي تعدّ إرثاً عبر الزمان والمكان، ومن ذلك ما قدّمه تَمّام حسان من دراسات لغوية أثرت الدرس اللغوي العربي الحديث، وربطت تراث اللّغة العربية بالدرس اللساني الغربي المعاصر، موظفاً آليات علمية حديثة تبعث على إحياء خصائص اللسان العربي، وبثّ روح الحداثة فيه، وفق ما تقتضيه الضّرورة، رافعاً بذلك راية إكمال مسيرة التّيسير التي بدأها الأولون وتبناها الآخرون، فعمد تَمّام حسان إلى مراجعة مستويات اللّغة العربية كلّها مرتكزا على جملة من المبادئ التي استقاها من النظريات اللسانية القديمة والحديثة، العربية والغربية، ولذا ارتأيت البحث في الموضوع الموسوم:

آليات تيسير الدرس اللغوي العربي في فكر تَمّام حسان

وحاولت عبر مراحل البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي جهود تَمّام حسان لتيسير الدرس اللغوي العربي؟
- ما هي أهم الآليات التي اعتمدها في مسعاه التيسيري؟
- ما هي آراء النقاد في محاولته لتيسير الدرس اللغوي العربي؟
- هل حققت جهوده مفهوم التيسير المنشود؟

يهدف البحث - من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة - إلى الكشف عن أهم الآليات التي اعتمدها تَمّام حسان في مسعاه التيسيري للدرس اللغوي العربي، مع محاولة تقديم مقارنة نقدية لذلك.

وأهمّ الأسباب الداعية لاختيار الموضوع هو التّراث اللغوي الهام الذي دار حوله نقاش علمي في مجال التيسير اللغوي، ومحاولة معرفة طبيعة أفكار تَمّام حسان التي تضاربت الأقوال حولها بين معارض بل ومحذر من مجرد تصفّح كتبه، وبين مؤيد بل

ومدافع عن فكرة أنّ تَمَامَ حَسَانِ استطاع من خلال أعماله العلمية، أن يضيف على الدرس اللّغوي جدّة غير معهودة، وبيّتك أفكارا غير مسبوق إليها، ويشكّل قاعدة منهجية انطلق منها البحث اللّغوي العربي المعاصر، فحرّك بها ما كان ساكنا، وأحضر ما كان غائبا، وفتح لمن كان معه ومن جاء بعده آفاقا رحبة وفضاءات واسعة من أوجه التّفكير اللّغوي، وتحليل قضاياها المتشعبّة في نظرية لغوية تبعث في العقل اللّغوي فضل تأمل، وإعمال نظر، وطول تدبّر.

وتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على آليتي الوصف والتحليل، لدراسة فكر تَمَامَ حَسَانِ في مختلف المستويات اللّغوية ووصفا، واستخلاص أهم الآليات التي اعتمدها لتيسير الدرس اللّغوي العربي تحليلا، وعرض آراء النّقاد فيها.

وقد تطلّبت الإجابة عمّا سبق من التّساؤلات رسم الخطة الآتية:

الفصل التمهيدي: وفيه قراءة لمفاهيم الكلمات المفتاحية للبحث؛ بدءًا بالآليات لتبرير اختيار هذا المصطلح دون غيره من المصطلحات التي تتداخل مع الآلية في المفهوم كالوسيلة، والتقنية، والأداة. ثم تسليط الضوء على مصطلح التيسير مع الإشارة إلى التداخل الموجود بينه وبين غيره من المصطلحات التي شاعت في الدراسات اللّغوية، نحو: الإحياء، الإصلاح، الإيضاح، التّبسيط، والتّجديد، ثمّ تبيان حدود الدرس اللّغوي العربي، وتبرير انتقاء تسميته باللّغوي دون اللّساني، ليختم بمسح أفقي لفكر تَمَامَ حَسَانِ في مختلف المجالات: التّأليف، والبحوث والمقالات، والترجمة، مع التّركيز على روافده العلمية ومرجعياته الفكرية.

الفصل الأوّل: وفيه حديث عن جهود تَمَامَ حَسَانِ وأهم آليات تيسيره للدرس الصّوتي، نحو: آلية التّقابل المصطلحي بين الكلام واللّغة، بين الفونيتيك والفونولوجيا عامّة، وبين ما يندرج تحتها من مباحث فرعية.

الفصل الثاني: وخصّصته لجهود تَمّام حَسّان وآليات تيسيره للدرّس الصّرفي، وقد قسّم إلى ثمانية مباحث، تمّ الحديث في أولها عن دعائم النّظام الصّرفي عنده، وفي الثّاني عن ماهية المورفيم وأهميته. وبآلية التّقابل المصطلحي يميّز تَمّام حَسّان بين المورفيم، والباب، والعلامة. وفي المبحث الثّالث واعتمادا على آلية نقد القديم إلى جانب آلية التجديد المنهجي فيه سلّط الضّوء على أقسام الكلم. وفي المبحث الرّابع ميّز بين الصّيغة الصّرفية والميزان الصّرفي. وتمّ التّطرّق في المبحث الخامس إلى نظام الاشتقاق وأبعاده عند تَمّام حَسّان؛ وحوى المبحث السّادس اللّواصق أي الملحقات الصّرفية وفصل أنواعها ومعانيها، والمبحث ما قبل الأخير خُصّص للجدول التّصريفية والتّوزيع الصّرفي، ليُختتم الفصل بالمبحث الثّامن الذي فصل في أنواع الإدغام وأقسام كلّ نوع.

الفصل الثّالث: وعنوانه بجهود تَمّام حَسّان وآليات تيسيره للدرّس النّحوي، استُهلّ بالحديث عن التّوفيق المعرفي عند تَمّام حَسّان بين التّراث والحداثة، وعن آليات نقده للدرّس النّحوي من الجانب المنهجي، والجانب التّقني، والجانب التّعليمي والجانب التّأليفي. وكذا استخلاص هذه الآليات في ضوء نظرية تضافر القرائن كبديل عن نظرية العامل، وفيه أيضا حديث عن القرائن النّحوية بين التّأصيل والتّجديد، وقراءة في أوصاف النّظرية ومضمونها مع التّفصيل في ماهية كلّ قرينة نحوية.

الفصل الرّابع: وعنوانه جهود تَمّام حَسّان وآليات تيسيره للدرّسين المعجمي والدّلالي، ويحوي عشرة مباحث: في المبحث الأوّل حديث عن المعجم عند تَمّام حَسّان، يليه الثّاني بعنوان المعجم بين اللّغة والكلام، أمّا الثّالث فخصّصته للحديث عن تأثر تَمّام حَسّان بنظرية بلومفيلد في المعجم، وحوى المبحث الرّابع علاقة المعجم بالعلوم الأخرى، ورصدت في المبحث الخامس مأخذ المعجم العربي في نظر تَمّام حَسّان، وخصّصت المبحث السّادس للحديث عن وظائف المعجم وفي السّابع والثّامن حديث عن رأي تَمّام حَسّان في تشقيق المعنى، وانقسام هذا الأخير بين الإفراد والتّعدّد. وفي المبحث التّاسع

سلّطت الضّوء على منافذ اللّبس ووسائل أمنه في المعنى المعجمي والمعنى الدّلالي، وخصّص المبحث الأخير للحديث عن بعض نظريات دراسة المعنى.

وجمعتُ الخاتمة حوصلة ما تمّ عرضه في الفصول الأربعة، وبيان النّتائج المحصّل عليها وفق ما جاء من افتراضات في مقدّمة البحث.

تجدر الإشارة إلى وجود دراسات سابقة تناولت جهود تّمّام حسن اللّغوية عامّة والنّحوية خاصّة، فقد حظيت هذه الأخيرة باهتمام بعض الدّارسين، عرضاً ونقداً ونقضا؛ إذ نلّفي لها وجوداً في ثنايا العديد من الدّراسات المعاصرة، إلّا أنّ قلةً منها فقط خصّصت جهود تّمّام حسن بالدّراسة، وقد استأنست الباحثة ببعض ممّا يأتي:

1- اتّجاهات الدّراسات اللّغوية المعاصرة في مصر 1932-1985، للباحث: عبد

الرحمن العارف، جامعة أم القرى 1994م، وفيها تدرّج في المستويات اللّغوية المختلفة لرصد اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مختلف جوانبها اللّغوية في مصر خلال الفترة الممتدّة بين: 1932-1985، وقد كان فكر تّمّام حسن إحدى عيّنات الدّراسة.

2- آراء تّمّام حسن في نقد النّحو العربي، للباحث: عبد القادر مبارك، جامعة

تلمسان 2001م، وفيها حديث عن تكوين تّمّام حسن ومصادر ثقافته، وعن اللّغة بين الإبداع والنّقد، وعن التّيسير والتّجديد في المنهج والمسائل النّحوية.

3- جهود الدّكتور تّمّام حسن في الدّرس اللّغوي والنّحوي، للباحثة: فاطمة محمد

سليمان العليمات، جامعة آل البيت 2004م؛ التي حاولت أن تنظر في جهود تّمّام حسن اللّغوية والنّحوية في ضوء علمي اللّغة القديم والحديث، محاولة بيان ما يأتي:

- مدى إفادة تّمّام حسن من الدّراسات اللّغوية الحديثة.
- مدى اتّفاق نظريته لبعض القضايا مع نظرة القدماء ومن عاصروهم.
- مدى تجديده في الدّرس اللّغوي والنّحوي.

4- الفكر النّحوي عند تَمّام حَسّان - دراسة وصفية تحليلية- للباحث: عبد الله محمد عبد الله الدبيس، جامعة مؤتة 2008م؛ وفيها عرض لمنهج تَمّام حَسّان النّحوي خاصّة نظرية القرائن النّحوية والزّمن النّحوي، وكذا أصول النّحو العربي، كالسّماع والاستصحاب والقياس، مع محاولة استكناه مذهب تَمّام حَسّان النّحوي من خلال عرض بعض المسائل النّحوية وموقفه منها.

5- القضايا الدّلالية عند تَمّام حَسّان - قراءة في كتابي: اللّغة العربية معناها ومبناها والأصول، للباحث عبد الحليم معزوز، جامعة سطيف 2009م، وفيها حديث عن الأبعاد الدّلالية في الكتابين المذكورين أنفا من خلال مختلف مستويات اللّغة: الصّوتي، الصّرفي، النّحوي، المعجمي.

6- الفكر النّحوي عند تَمّام حَسّان - دراسة وصفية تحليلية- للباحث: مبروك بركات، جامعة ورقلة 2012م؛ وفيها مسح لجهود تَمّام حَسّان العلمية، وتسليط الضّوء على منهجه ومصادره، ودراسة بعض القضايا النّحوية كنظرية العامل الّتي استبدلها بنظرية القرائن النّحوية، وقد تناولها الباحث عرضاً ونقداً.

7- الدّراسات اللّغوية للقرآن الكريم عند تَمّام حَسّان، للباحث: لطيف محمد صالح نوري البرزنجي، جامعة السليمانية كوردستان 2012م، وفيها حديث عن نشاط تَمّام حَسّان العلمي ومذهبه النّحوي ومنهجه الوصفي خاصة في القرآن الكريم من خلال استكناه الخصائص الصّوتية والصّرفية، والخصائص النّحوية وظواهر لغوية أخرى.

والحقيقة أنّ جهود تَمّام حَسّان تحتاج إلى المزيد من الأبحاث والدّراسات الّتي من شأنها أن تلقي الضّوء على زوايا أخرى.

تنوّعت مصادر البحث ومراجعته بين أمّات الكتب القديمة منها والحديثة؛ فمن الأولى الكتاب لسبويه، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ومن الثّانية مدوّنة البحث المتمثّلة في مؤلّفات تَمّام حسان.

تمّ الاعتماد على مجموعة من المراجع، أهمّها: العربية وعلم اللّغة البنيوي لحلمي خليل، ونشأة الدّرس اللّغوي العربي الحديث «دراسة في النّشاط اللّساني» لفاطمة الهاشمي بكوش، اللّغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين لنادية رمضان التّجار، اللّسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية لمصطفى غلفان، المنوال النّحوي قراءة لسانية جديدة لعز الدين مجدوب، كتاب تذكاري تَمّام حسان رائدا لغويا، واتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر (1932-1985) لعبد الرّحمن العارف، وأقسام الكلام العربي من حيث الشّكل والوظيفة لفاضل مصطفى السّاقي.

من الصّعوبات التي واجهت البحث: ضخامة مدوّنة البحث وصعوبة الحصول على الجديد منها، خاصّة وأنّ تَمّام حسان في كتبه الصّادرة لاحقا عدل عن بعض الأفكار التي ذكرها في كتبه السّابقة، ممّا استدعى الإحاطة بالمدوّنة كاملة.

ولا يسعني في الأخير إلّا أن أتقدّم بجزيل الشّكر إلى الأستاذ الدّكتور: السّعيد هادف، الذي شرفني بإشرافه على هذا البحث مذ كان فكرة، كما لا يفوتني شكر أعضاء اللّجنة المناقشة لتحملهم عبء قراءته وتصويب هنّاته.

الفصل التمهيدي:

الكلمات المفتاحية قراءة في المفاهيم

قبل استقراء آليات تيسير الدرس اللغوي العربي في فكر تمام حسّان من خلال مختلف مؤلفاته، تجدر بنا الإشارة إلى مفاهيم الكلمات المكوّنة للعتبة الأولى للموضوع وهي العنوان؛ إذ تعدّ المفاتيح الأساسية التي تفتح آفاق البحث عن مختلف الآليات التي اعتمدها تمام حسّان للوصول إلى غايته المنشودة.

أولاً- الآليات The mechanisms:

جمع مفردة آلية، «ويطلق لفظ الآلية مجازاً على كلّ عملية يمكن أن يكون فيها جملة من المراحل المتعاقبة المتعلقة بعضها ببعض»⁽¹⁾.

يتداخل مصطلح الآلية مع بعض المصطلحات، نحو: الوسيلة، التقنية، الأداة، إلّا أنّ الآلية أعمّ وأشمل من حيث الدلالة؛ إذ تعني طريقة استخدام أدوات المنهج مع ضمان الالتزام بها؛ أي أنّها نظام يحكم أدوات المنهج ويرتّبها للوصول إلى الأهداف المسطرة.

بهذا يمكن القول آليات صناعة المنهج، وأدوات ترجمته؛ أي الطريقة العامة التي انبنى عليها المنهج أو نظامه العام، في حين أنّ الأدوات هي وحدات إجرائية لتطبيق النظام العام للمنهج، وكذا رسم حدوده المميّزة له عن غيره. وفي هذا البحث استخلاص لأهمّ آليات المنهج الوصفي التي اعتمدها تمام حسّان في تيسيره للدرس اللغوي العربي.

ثانياً- ماهية التيسير Facilitating:

قبل تسليط الضوء على المفتاح الثاني، تجدر بنا الإشارة إلى التداخل المصطلحي بين التيسير وغيره من المصطلحات التي شاعت في الدراسات اللغوية، نحو: الإحياء، الإصلاح، الإيضاح، التبسيط، التجديد وغيرها، فالدارسون «لم يتفقوا كلّ الاتفاق على

(1) جميل صليبا. المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية). ج1. الشركة العالمية للكتاب. بيروت لبنان. 1994م. ص27-28.

مدلولاتها، وثمة فرق بين مدلول كلّ مصطلح»⁽¹⁾. ويرى البعض أنّها «مصطلحات وإن اختلفت مدلولاتها اللغوية لكنّها تلتقي في مفاهيمها الاصطلاحية، وفي أغلب الأهداف التي تطمح في الوصول إليها»⁽²⁾.

هذا الاختلاف جعل معرفة مفاهيم هذه المصطلحات ضرورة ملحة، وهي أكثر ارتباطاً بالنحو لكثرة المساعي التيسيرية لهذا العلم خاصّة. وفيما يأتي ذكر لبعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1- الإحياء:

الإحياء في اللغة من مادة (حي): يرى صاحب القاموس المحيط «الحيّ ضدّ الميت ج أحياء... وأحياء جعله حيّاً»⁽³⁾ و«أحيا الله فلانا: جعله حيّاً، وأحيا الله الأرض: أخرج فيها الثّبات»⁽⁴⁾. أمّا في الاصطلاح فهو مصدر الفعل (أحيا)، و مدلول المصطلح يحمل بُعدين أحدهما إيجابي والآخر سلبي؛ والبعد الثّاني هو السّائد غالباً مرتبط بإعادة بعث ذلك الميت الجامد الذي شيّعت جنازته يوماً، وارتبط المصطلح بحذف بعض الأبواب التّحوية وإعادة النّظر في بعضها الآخر نحو: الحركة الإعرابية. وبدلّ الإحياء على ضرورة بعث النّحو من جديد، وترك الشّواهد التّقليدية من منطلق أنّ العصر غير العصر، والشّواهد غير الشّواهد⁽⁵⁾.

(1) حسن منديل حسن العكلي. محاولات التّيسير التّحوي الحديثة (دراسة وتصنيف و تطبيق). ط1. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. 2012. ص05. الخلاف التّحوي في ضوء محاولات التّيسير الحديثة. دار الضيّاء. عمان الأردن. 2006. ص79.

(2) هادي نهر. دراسات في اللّسانيات (ثمار التّجربة). عالم الكتب الحديث. الأردن. 2011. ص 241.

(3) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج4. باب: الياء. فصل: الحاء. دار العلم للجميع. بيروت لبنان. ص321-322.

(4) مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ج1. إخراج: إبراهيم مصطفى وغيره. ط2. (مادة: حي). الإدارة العامّة للمعجمات وإحياء التّراث. 1972م. ص 58.

(5) ينظر: خالد عبد الكريم بسندي. محاولات التّجديد والتّيسير في النّحو العربي (المصطلح والمنهج: نقد ورؤية). مجلة الخطاب التّقافي. ع03. الرياض. 2008. ص4-5.

أطلق مصطلح الإحياء لأول مرة عنواناً لكتاب إبراهيم مصطفى إحياء النحو عام 1937م، ينبع من دعوى صعوبة النحو العربي، أملاً من هذا أن يقربه من طالبه ليفهمه بعد أن أهملوه، ويخوضوا فيه بعد أن أعرضوا عنه. ومن ثمّ فهو يعرض من خلال كتابه علماً حياً لا ميتاً، حياً يبعث على طالبه تذوّقه واستصاغته، وهو من وراء هذا يحيي النحو لأنّه يبعث فيه الروح من جديد⁽¹⁾.

يُصرّح إبراهيم مصطفى عمّا يقصده بالإحياء بقوله: «أطمع أن أُغيّر منهج البحث النحوي للغة العربية، وأن أرفع على المتعلّمين إصر هذا النحو، و أبدأ لهم منه أصولاً سهلة يسيرة، تُقرّبهم من العربية، وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها»⁽²⁾، وذلك عن طريق تحديد الوظائف الدلالية لحركات الإعراب في الأسماء، وكذا إعادة تبويب النحو بإلغاء بعض الأبواب ودمج عدد منها في بعضها، مع إعطاء فهم جديد لبعضها الآخر⁽³⁾.

2- الإصلاح:

جاء في مادة (صلح): «الصلح ضدّ الفساد... وأصلحه ضدّ أفسده»⁽⁴⁾. أصلح في عمله وأمره أتى بما هو صالح ونافع، وأصلح الشيء أزال فساده⁽⁵⁾. أمّا في الاصطلاح فالإصلاح مصدر للفعل (أصلح)، ورأى من أطلق هذا المصطلح أنّ النّظام النّحوي يحتاج إلى إعادة بناء وفق التركيب المشترك لجميع الألسنة، كما ارتبط في نواح أخرى بتخليص النحو من الاختلاف والعبارات الغامضة⁽⁶⁾. كما يتناول عيوب وصعوبات النحو

(1) يُنظر: كلام طه حسين في مقدّمة كتاب: إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر. القاهرة. 1959. ص ع-س.

(2) إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. ص س.

(3) يُنظر: إبراهيم عمر سليمان زبيدة. حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث (دراسة تحليلية تقييمية). دار الكتب الوطنية. ط1. بنغازي ليبيا. 2004. ص 18.

(4) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج1. باب: الحاء. فصل: الصاد. ص235.

(5) مجمع اللّغة العربية. المعجم الوسيط. ج1. (مادة: صلح). ص539.

(6) ينظر: خالد بن عبد الكريم بسندي. محاولات التّجديد و التّيسير في النحو العربي. ص06.

العربي ومحاولة إصلاحها، بتشخيص الداء وتقديم علاج ناجع من شأنه أن يُيسر النَّحو على طالبه⁽¹⁾.

الإصلاح مصطلح غير مستحسن القول به، لأنَّ الإصلاح يكون لشيء فاسد والنَّحو العربي غير ذلك، ومع ذلك فقد ورد عنوانا لبعض من المحاولات نذكر منها: في إصلاح النَّحو العربي (دراسة نقدية) لعبد الوارث مبروك سعيد.

3- الإيضاح:

يقول الفيروزآبادي في مادة (وضَّح): «وضَّح الأمر وضوحا... وهو واضح ووضَّح واتَّضح وأوضح وتوضَّح بان»⁽²⁾. أمَّا في الاصطلاح فالإيضاح مصدر للفعل (أوضح)، ورأى من أطلق هذا المصطلح أنَّ النُّظام النَّحوي يحتاج إلى إيانة بعض أبوابه بإعادة توضيح ما الغامض فيها.

ورد هذا المصطلح في عنوان بعض من المحاولات نذكر منها: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، والإيضاح في علل النَّحو لأبي القاسم الزجاجي، والإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب.

4- التبسيط:

جاء في مادة (بسط): «بسطه نشره... والله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء يُوسِّعه... وكبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، أي كالدَّاعي الماء يومئ إليه ليُجيبه، والبساط بالكسر

(1) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد. في إصلاح النَّحو العربي (دراسة نقدية). ط1. دار القلم. 1985م. ص21.

(2) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج1. باب: الحاء. فصل: الواو. ص255.

ما بُسِّطَ جُ بُسِّطَ»⁽¹⁾. «وَبَسَّطَ الشَّيْءَ جَعَلَهُ بَسِيطًا لَا تَعْقِيدَ فِيهِ»⁽²⁾. أمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ فَالْتَّبْسِيطُ مَصْدَرُ الْفِعْلِ (بَسَّطَ)، وَالتَّبْسِيطُ يَأْتِي بَعْدَ الصَّعُوبَةِ وَالْعَسْرِ، وَيُرَادُفُ التَّذْلِيلَ⁽³⁾.

ورد مصطلح التبسيط عنوانا لبعض المقالات والمؤلفات يُذكر منها: مقال: تبسيط قواعد اللغة العربية لحسن الشَّريف، منشور في مجلَّة الهلال، أغسطس 1938م. وكتاب: تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساسي منطقي جديد لأنيس فريحة.

يتقاطع مصطلح التبسيط مع مصطلح التسهيل في الابتعاد عن أيّ تصنُّع أو تكلف. وقصد أنيس فريحة أن يكون التبسيط بديلا عن التيسير؛ إذ يتناول أساليب تدريس العربية دون المساس بجوهر اللغة، ودون الإخلال بحكم من أحكامها⁽⁴⁾.

من هنا يمكن القول إنَّ أنيس فريحة يُفرِّق بين التبسيط والتيسير في حين أنَّ الكثير من الدارسين يعدُّون مصطلح التبسيط مرادفا للتيسير والتسهيل الذي ورد عنوانا لكتاب ابن مالك تسهيل الفوائد وتقريب المقاصد.

5- التَّجْدِيدُ:

ورد في مادة (جَدَّ): «الْجِدُّ بِالْكَسْرِ...ضِدُّ الْبَلَى، جَدَّ يَجِدُّ فَهُوَ جَدِيدٌ، وَأَجَدَّهُ وَجَدَّدَهُ وَاسْتَجَدَّهُ صَيَّرَهُ جَدِيدًا»⁽⁵⁾. «جَدَّدَ الشَّيْءَ: صَيَّرَهُ جَدِيدًا، وَيُقَالُ: جَدَّدَ الْعَهْدَ، وَجَدَّدَ ثَوْبًا: لَبَسَهُ جَدِيدًا»⁽⁶⁾. وجاء في لسان العرب: «الْجِدَّةُ هِيَ نَقِيضُ الْبَلَى، وَيُقَالُ شَيْءٌ جَدِيدٌ، وَتَجَدَّدَ الشَّيْءُ صَارَ جَدِيدًا، وَجَدَّ الثَّوْبُ يَجِدُّ (بِالْكَسْرِ) صَارَ جَدِيدًا، وَالْجَدِيدُ مَا لَا عَهْدَ

(1) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج. باب: الطَّاء. فصل: الباء. ص 347.

(2) مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ج 1. مادة: بسط. ص 58.

(3) يُنظر: خالد بن عبد الكريم بسندي. محاولات التَّجْدِيدِ وَالتَّيْسِيرِ فِي النُّحُو الْعَرَبِيَّةِ. ص 06.

(4) حسن منديل حسن العكيلي. محاولات التَّيْسِيرِ النَّحْوِيَّ الْحَدِيثَةَ (دراسة وتصنيف و تطبيق). ص 81.

(5) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج 1. باب: الدَّال. فصل: الحيم. ص 281.

(6) مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ج 1. (مادة: جَدَّ). ص 1104.

لك به»⁽¹⁾. أمّا في الاصطلاح فالتّجديد مصدر الفعل (جدّد)، وهو «فكّ الحصار عن التّراث النّحوي ليعود طليقا بعد الأسر، وبعث الحياة في المنهج النّحوي، ليعود غصّنا طريا بعد الجفاف، في محاولة لإصلاحه وتجديده في ضوء ضوابطه الفطرية، دون المعالجة الكلامية والتّقسيمات المنطقية التي التّزمت الحدود والرّسوم في الإعراب وعلاماته وابتعدت عن النّحو في معانيه ومراميّه الأخرى»⁽²⁾.

التّجديد هو الإحياء وإعادة البعث من جديد لما هو قديم، وجعل هذا القديم حديثا جديدا. فالشّيء المجدّد كان في أوّل أمره موجودا، ولكن طرأ عليه ما يغيّره حتّى صار قديما، ومن ثمّ وجب تجديده وإعادة بعثه بما يلائم مستجدّات العصر دون الانسلاخ من القديم، والخروج عن أصالته، وذلك بمعالجة القضايا المستحدثة على اللّغة العربية التي شهدت تطوّرا في مختلف مستوياتها.

يشير إبراهيم عمر سليمان زبيدة إلى وجود محاولات تحمل عناوين: النّحو الجديد أو تجديد النّحو، وأنّ التّجديد جاء في إعادة صياغة أبواب النّحو دون المساس بمادّته كثيرا، وذلك بالتركيز على دمج بعض أبوابه، ويورد لتبيان المعنى الاصطلاحي ثلاث محاولات كانت من أوائل محاولات التّجديد هي:

- النّحو الجديد لعبد المتعال الصّعيدي؛ ففي سنة 1947م جمع أفكار رسالة أعدّها عام 1938م بعنوان: تيسير قواعد الإعراب لتطبع في كتاب النّحو الجديد سنة 1948م. ويشير مؤلّفه إلى أنّ عشاق التّجديد سيجدون في هذا الكتاب، تجديدا نحويا يطفّ بالنّحو من الجمود إلى طور فيه تجديد لم يصل إليه فيما طرأ عليه من أطوار، ولم يُر مثله منذ ألف سيبويه كتابه⁽³⁾.

(1) ابن منظور. لسان العرب. ج1. دار المعارف. (مادة: جدّ). ص 562-563.

(2) محمد حسين الصّغير. نحو التّجديد في دراسات الجوّاري. مطبعة المجمع العراقي. العراق. 1990م. ص 70.

(3) يُنظر: عبد المتعال الصّعيدي. النّحو الجديد. دار الفكر. ص 266. نقلا عن: إبراهيم عمر سليمان زبيدة. حركة

تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث (دراسة تحليلية تقويمية). ص 19.

- النحو الجديد ليعقوب عبد النبي(*)؛ وفي هذا الكتاب التزم المؤلف بعدم الإخلال بأي أصل من أصول العربية، ولا فرع من فروعها المطردة؛ إذ يهدف من تجديده إلى أن يتم إصلاح النحو من داخل النحو نفسه، ومن قواعد أصوله، فلا اختراع ولا ابتداع يخالف تركيب اللغة ولا أسلوبها ولا ضبط ألفاظها، وكان ذلك بجمع الأبواب المتشابهة كالمرفوعات والمنصوبات تحت باب واحد بقواعد محكمة ومختصرة(1).

- تجديد النحو لشوقي ضيف، يقول صاحب الكتاب: «كان نشري لكتاب الرد على النحاة، باعثاً لي منذ تحقيقه على التفكير في تجديد النحو، بعرضه عرضاً حديثاً على أسس قويمية، تُصقيّه وتروقه وتجعله داني القطوف للناشئة»(2).

هناك مؤلفات أخرى تحمل مصطلح التجديد نحو: تجديد النحو لعفيف دمشقية ومظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة حتى عام 1974م لياسين أبو الهيجاء، وتجديد دماء اللغة العربية لمحمد صبري راضي، الذي يقول في توطئة كتابه: «هذه دعوة إلى التجديد لا التبديل، لأنّ التبديل لا ينبغي إلاّ حيث فسدت الدماء فساداً لا رجاء بعده. ثمّ إنّ التبديل تخلّ عن الشّخصية، وتفرّط في الهوية، وإفراط على النفس باستسلامها غير المشروط لقهر دماء غريبة عليها لا تجري مجراها إلاّ في عروق ضامرة من جسد ضاو متهالك، وهيهات أن يقع ذلك موقعا من لغة ذات مجد مؤثّل كالعربية»(3).

(*) المحاولة لا تزال مخطوطة ومحفوظة لدى مجمع اللغة العربية، وهي تقع في ستّ كراسات؛ الأربعة الأولى ألّفت عام 1941م وتحمل اسم: إصلاح النحو، أمّا الكراسة الخامسة فتحمل اسم: النحو الجديد، وتمّ إنهاؤها عام 1942م. ولم يتم ذكر الكراسة السادسة. ينظر: إبراهيم عمر سليمان زبيدة. حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث. ص 20.

(1) إبراهيم عمر سليمان زبيدة. حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث. ص 20-21.

(2) شوقي ضيف. تجديد النحو. دار المعارف. ط 3. مصر. 1982م. ص 03.

(3) محمد صبري راضي. تجديد دماء اللغة العربية. مكتبة الثقافة الدينية. ط 1. القاهرة. 2006م. ص 05.

تجدر الإشارة إلى وجود فارق بين تجديد النحو والنحو الجديد، ذلك أنّ الأوّل منهما مرتبط بما سبق ذكره في مفهوم التّجديد، وهو الذي يرتبط بوجود قديم أُعيد بعثه، أمّا الثّاني منهما فيحمل معنى الإبداع لأوّل مرّة؛ أيّ الإتيان بما لم يُذكر تماما من قبل، فيعدّ بذلك عملية إبداعية أولى.

6- التّحديث:

أورد صاحب القاموس المحيط في مادّة (حَدَّثَ): أنّ «حدث حدثا وحدائثه نقيض قدّم، وتضمّ داله إذا ذُكر مع قدّم... والحديث الجديد»⁽¹⁾. وقد ورد هذا المصطلح في الرّتبة الأولى أو الثّانية في بعض المؤلّفات نحو: تحديث النّحو العربي، موضة أم ضرورة لأحمد خالد. وكذا في سبيل تيسير اللّغة العربيّة وتحديثها لفؤاد طرزي.

7- التّعريب:

ورد في مادّة (عَرَبَ) أنّ التّعريب: هو «تهذيب المنطق من اللّحن»⁽²⁾. والتّعريب مصطلح استخدمه علي الكسّار في كتابه المفتاح لتعريب النّحو وقصد به قلب القواعد القديمة، والمفاهيم المتعارف عليها في النّحو العربي، التي جرى اعتمادها وتدريسها في المدارس والمعاهد منذ زمن بعيد، ويعني أيضا حلّ الكثير من الإشكالات التي كانت ومازالت عاتقة في أذهان الطّلاب، ويقول حسن منديل العكيلي: «وهو قول لا نؤيّد»⁽³⁾. ويشير عمر رضا كحّالة على علي الكسّار أن يستبدل لفظة (تعريب) بلفظة (دراسة) ليصبح عنوان كتابه: المفتاح لدراسة النّحو⁽⁴⁾.

(1) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج1. باب: الثّاء. فصل: الحاء. ص164.

(2) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج1. باب: الباء. فصل: العين. ص102.

(3) حسن منديل حسن العكيلي. محاولات التّيسير النّحوي الحديثة (دراسة وتصنيف و تطبيق). ص06.

(4) ينظر: علي الكسّار. المفتاح لتعريب النّحو. ص17. نقلا عن: حسن منديل حسن العكيلي. محاولات التّيسير

النّحوي الحديثة (دراسة وتصنيف و تطبيق). ص06.

8- التطور:

ورد في القاموس المحيط في مادة (طور) أنّ الطور هو «التارة ج أطوار...بلغ في العلم أطوريه بفتحها»⁽¹⁾. والتطور هو التارة والحال، وجمعه الأطوار وهي الحالات المختلفة. وأمّات معجمات اللغة العربية تخلو من معنى التطور بعده دخيلاً مستجداً، وليس أصيلاً. والتطور في الاصطلاح هو التغيير المنتاب والمدرّوس من حال إلى حال، ومن شكل إلى شكل، وبعبارة أخرى التطور هو الاختلاف بين شكلين: سابق ولاحق مع التقدّم نحو الأفضل والأحسن⁽²⁾.

ورد مصطلح التطور في عناوين بعض المؤلفات نحو: تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة لطلال علامة، والتطور اللغوي (مظاهره وعمله وقوانينه) لرمضان عبد النّوّاب، وفي التطور اللغوي لعبد الصّبور شاهين، والتطور اللغوي التاريخي لإبراهيم السامرائي، وتطور الدرس التحوي لعون حسن.

9- التهذيب:

جاء في القاموس المحيط في مادة (هذب): هذب الشيء «يهذبُه هذباً قطعُه ونقاه وأخلصه وأصلحه»⁽³⁾. وهذب الكلام إذا خلّصه ممّا يشينه عند البلغاء. ويقال: هذب الكتاب لخصه وحذف ما فيه من إضافات مفخّمة وغير لازمة⁽⁴⁾.

للقوف على المعنى الاصطلاحي للتهذيب تجدر الإشارة إلى ما ذكره الأزهزي في معجمه تهذيب اللغة، إذ يقول: «وقد سمّيت كتابي هذا (تهذيب اللغة)؛ لأنّي قصدت بما

(1) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج2. باب: الزاء. فصل: الطاء. ص78.

(2) يُنظر: طلال علامة. تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة. دار الفكر اللبناني. ط1. 1993م. ص 13-14.

(3) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج1. باب: الباء. فصل: الهاء. ص139.

(4) مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ج2. (مادة: هذب). ص58.

جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيرها الغُتم عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ»⁽¹⁾.

من هنا يُمكن القول إنّ التهذيب هو التلخيص غير المخل بتخليص المادّة ممّا أُدخل عليها من زيادات غير لازمة تزيدها غموضاً.

ورد مصطلح التهذيب في بعض العناوين نحو: تهذيب التّوضيح في النّحو لمحمّد سالم علي وأحمد مصطفى المراغي، وهو شرح لأوضح المسالك لألفية ابن مالك، وتهذيب النّحو لعبد الحميد السيد طلب.

10- التيسير:

ورد في مادّة (يسر) أنّ «اليسر بالفتح، اللين والانتقياد. ويسرّ يبسر ويأسره لآينه واليسر السهل، وولده يسراً أي في سهولة، وقد أسرت ويسرت ويسرّ الرجل تيسيراً سهّلت ولادة إبله وغنمه، واليسر ضدّ العسر، وتيسر واستيسر تسهّل ويسره سهّله»⁽²⁾. و«يسرّ الشيء: سهّله وجعله يسيراً وميسوراً»⁽³⁾.

التيسير في الاصطلاح هو «تكييف النّحو والصّرف مع المقاييس التي تقتضيها التّربية الحديثة عن طريق تبسيط الصّور التي تعرض فيها القواعد على المتعلّمين، فعلى هذا ينحصر التيسير في كيفية تعليم النّحو لا في النّحو ذاته»⁽⁴⁾. فالتيسير نجده في النّحو التّعليمي أكثر من النّحو العلمي، فهو يهتم بكيفية عرض المادّة النّحوية، ولا يؤدّي

(1) الأزهري. تهذيب اللّغة. تح: عبد السلام هارون. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة. 1964م. المقدّمة ص16.

(2) الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج2. باب: الزاء. فصل: الباء. ص161-162.

(3) مجمع اللّغة العربية. المعجم الوسيط. ج2. (مادة: يسر). ص1104.

(4) عبد الرّحمان الحاج صالح. أثر اللّسانيات في النهوض بمدّرسي اللّغة العربية. مجلّة اللّسانيات. ع: 04. الجزائر. 1973م- 1974م. ص 22-23.

هذا إلى الاعتقاد «بأنه اختصار أو حذف للشروح والتعليقات، إنما هو عرض جديد لموضوعات النحو، يبسر للناشئين أخذها واستعابها وتمثلها»⁽¹⁾.

إن مصطلح التيسير أكثر شيوعاً من غيره من المصطلحات التي تتقاطع معه إلى حد ما نحو التبسيط، والتجديد، ولكن على الرغم من شيوع مصطلح التيسير «اختلفت وجهات النظر فيه؛ فمن الباحثين من جعله مقصوداً على تجديد النحو من الدخائل العقلية كالفلسفة، والمنطق، ونظرية العامل وغير ذلك، ومنهم من يراه تقريباً للنحو لمستويات الطلبة، وجعله بعضهم تغييراً في الأحكام والقواعد بحيث تحصل السهولة المطلوبة؛ إذ أن غاية التيسير: التسهيل، والقضاء على كل صعوبة وعسر، وهو يجب أن يمس التركيب والإعراب. وأوقفه آخرون على اختيار الأسهل من آراء القدماء، وتخليص النحو مما شابه من عسر في الفهم، وصعوبة في التعليم»⁽²⁾.

ورد مصطلح التيسير في عنوان العديد من المؤلفات اللغوية نحو: تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده وتيسيراته لغوية لشوقي ضيف، ونحو التيسير (دراسة ونقد منهجي) لأحمد عبد الستار الجواري، وتيسير البلاغة لأحمد مطلوب.

بعد تسليط الضوء على بعض المصطلحات التي تتداخل ومصطلح التيسير، تجدر الإشارة إلى أساس انتقاء مصطلح التيسير في هذا البحث دون غيره من المصطلحات، وذلك بالتدرج في الإجابة على جملة من التساؤلات التي تفرض نفسها بنفسها نحو:

- هل مات النحو العربي - وغيره من علوم العربية - حتى يُعاد إحياءه ويبعث من جديد؟
- وهل فسد حتى يصلح؟
- وهل هو أعجمي حتى يُعرب؟
- وهل أصبح متخلفاً حتى يتطور؟

(1) مهدي المخزومي. في النحو العربي نقد وتوجيه. دار الرائد العربي. بيروت لبنان. 1986م. ص15.

(2) هادي نهر. دراسات في اللسانيات (ثمار التجربة). عالم الكتب الحديث. الأردن. 2011م. ص241.

كلها أسئلة تجتمع على إجابة واحدة، وهي تبرئ النحو العربي - وغيره من علوم العربية- من الموت باستبعاد مصطلح الإحياء، ومن الفساد باستبعاد مصطلح الإصلاح، ومن العُجمة باستبعاد مصطلح التعريب، ومن التخلف باستبعاد مصطلح التطور.

أما عن بقية المصطلحات فهي متقاربة الدلالة فيما بينها، وينظر إليها من باب الترادف أحيانا، فيمكن أن يكون التيسير شاملا للتسهيل والتبسيط والإيضاح، وكلها تلتقي في «إعادة تصنيف القواعد النحوية [خاصة واللغوية عامة] في إطار وصف القدماء لها وبمصطلحاتهم وتقسيماتهم»⁽¹⁾.

يرد مصطلح التيسير مرادفا للتجديد في الكثير من الدراسات، ولكن يرى بعض الدارسين أنّ الفرق بين واضح بين التيسير والتجديد، فالمشتغلون بالحقل التربوي يرون أنّ التيسير لا يمسّ أصول النحو ومصطلحاته، إنّما يقتصر على الحذف والاختصار وإعادة ترتيب الأبواب والموضوعات. في حين يشترط دارسون آخرون أن تسبق التيسير خطوة جريئة، تتوخى تجديده أو إحياءه أو إصلاحه. بطريقة أخرى: ينظر إلى التجديد بوصفه مهمة لغوية عامة، أما التيسير فهو مهمة تربوية خاصة⁽²⁾.

ترى زينب النعيمي أنّ مصطلحات التيسير والإصلاح والتجديد وغيرها، يمكن «أن نصنّفها تحت عنوان أكثر شمولاً، هو النقد النحوي بمعناه العام، ولعلّ هذه التسمية أرجح من غيرها في هذا الميدان، وذلك أنّها تحدّ من مساحة عدم الاتفاق على مدلول تلك

(1) حلمي خليل. العربية وعلم اللغة البنيوي (دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث). دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1996م. ص 83.

(2) ينظر: صباح عباس السالم وغيره. جهود الدكتور نعمة رحيم العزاوي في تجديد النحو وتيسيره. مجلة جامعة كربلاء. ع12. مج3. تشرين أول 2005م. ص 199.

الدعوات أولاً، ولا تجعل القضية في إطار أكثر دقة مما نراه عند الباحثين حين يوسّع مفهوم التيسير، ليشمل غير الميسرين»⁽¹⁾.

إنّ الجمع بين المصطلحات سالفة الذكر تحت لواء النقد النحوي يُعدّ مغالطة، فليس بالضرورة كلّ مجدّد ميسّر مصلح من ناحية، ومن ناحية أخرى قد يحمل الإصلاح روح النقد، لكنّ التيسير والتّجديد بعيدان كلّ البعد عن ذلك؛ فالتيسير هو تبسيط وتسهيل للقواعد اللغوية، وأمّا التّجديد فهو إعادة بعث اللّغة - دون الانسلاخ عن الأصل الأوّل - في زمن غير الزمن الماضي، ولجيل غير الجيل الماضي.

في هذا البحث كان التيسير (*) مفتاحاً أساسياً للولوج إلى الفكر اللغوي لتّمّام حسّان، بتسليط الضوء على الآليات المختلفة المساعدة على الوصول إلى النتائج المرجوة.

ثالثاً- حدود الدرس اللغوي العربي:

قبل الوقوف على حدود الدرس اللغوي العربي، تجدر الإشارة إلى حدّ اللّغة؛ إذ يرى ابن جنّي أنّها «أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»⁽²⁾. ومن هنا يُمكن القول ينبغي أن تكون اللّغة آلية من آليات التّواصل، وليست غاية في حدّ ذاتها. فاللّغة العربية في الماضي كان يُنظر إليها على أنّها من علوم الأدوات لا من علوم الغايات، الأمر الذي جعل مستوياتها اللغوية متكاملة، لا ينبغي الفصل بينها أو الاكتفاء بمستوى واحد منها في دراسة قضية ما. ولم تتفصل العلوم اللغوية فيما بينها إلاّ بعد القرن الثّالث هجري، عندما دخلت الدّراسة اللغوية مرحلة التّقليد، وانقسم العلماء إلى فريقين:

(1) زينب مديح جبارة التّعيمي. جهود التّجديد والتيسير عند شوقي ضيف وعبد الرّحمان أيوب. مجلّة واسط للعلوم الإنسانية. ع15. ص12.

(*) يُعدّ التّجديد الذي يحمل معنى الإتيان بالجديد آلية من آليات التيسير عند تّمّام حسّان الذي يُعرف بمجدّد العربية.

(2) ابن جنّي. الخصائص ج1. تح: عبد الحكيم بن محمد. المكتبة التّوفيقية. بيروت. 2001م. ص 44.

الفريق الأول: يُركّز في دراسة دلالة النصّ على العلوم اللغوية من أصوات وصرف ونحو وغيرها.

الفريق الثاني: يحرص على سلامة اللغة دون الالتفات إلى ما وراء النصّ من معانٍ كامنة. بهذا مهّد الفريق الثاني الطريق لانفصال النحو عن باقي العلوم اللغوية، ومن ثمّ انفصال معظم العلوم عن سائرهما، وظهور بوادر التخصّص في كلّ علم (1) إلا أنّ هذه العلوم مجتدة لخدمة الدرس اللغوي.

إنّ ثنائية (لغة/لسان) تحيلنا إلى «أنّ الترجمة الشائعة للمصطلحين (Linguistics وLinguistic) في المشرق العربي هو لغويات أو علم اللغة، ولغوي؛ على الترتيب. على حين يشيع في المغرب العربي - ربّما بتأثير مقدّمة ابن خلدون - تعريبه إلى لسانيات أو ألسنيات، ولساني أو ألسني. ومن الممكن استخدام هذين الاجتهادين للتمييز ما بين مفهوم لغوي حين تكون نسبا إلى ظاهرة اللغة، ولساني حين تكون نسبا إلى العلم الذي يدرس اللغة» (2).

تجدد الإشارة إلى أنّ استعمال الدرس اللغوي دون الدرس اللساني مرده أيضا إلى «أنّ اللغة الإنجليزية لا يضمّ معجمها اللساني مصطلح اللسان نفسه. ومن هنا جاء عدم فهم علماء اللغة... مصطلح اللسان عند سوسير، فجاء مصطلح (Linguistics) مقابلا للغويات أو لفقه اللغة أو علم اللغة، وهو ما كان مصدرا للمعرفة الاصطلاحية عند الدكتور تمام حسّان» (3). الذي تبنّى مصطلح اللغوي أكثر من تبنّيه لمصطلح اللساني.

(1) يُنظر: عقيلة لعشبي. أهميّة الرّبط بين علم النحو والعلوم الأخرى لاستخلاص درس نحوي ميسّر. المجلس الأعلى للغة العربية. مجلّة اللغة العربية. ع:28. السداسي الأوّل 2012م. ص 115.

(2) سعد عبد العزيز مصلوح. في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات. ط2. عالم الكتب. القاهرة. 2015م. ص88.

(3) محمد الودغيري. اللساني وغير اللساني قراءة في المصطلح. مقال منشور يوم: 03-03-2013م. على الساعة: 10.23 AM. منتدى اللغة العربية على الشبكة العالمية. الزابط الالكتروني: www.m-a-arabia.com محرّك البحث: google.

للقوف على حدود الدرس اللغوي يجب تسليط الضوء على أهم مستوياته: الصوتي، الصرفي، النحوي، المعجمي، الدلالي، التي تجتمع على هدف موحد، وهو فهم اللغة والعلم بها وإدراك كنهها.

في هذا المقام تجدر الإشارة إلى الفرق الجوهرية بين فقه اللغة وعلم اللغة؛ فأما فقه اللغة فهو العلم الذي يُعنى بدراسة قضايا اللغة وموضوعاتها، كأصل نشأتها وخصائصها وتطورها واختلاف لهجاتها، أي أنه يدرس حياة اللغة في حين أن علم اللغة يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها. ومن هنا يمكن القول إن فقه اللغة أشمل وأعم من علم اللغة، هذا الأخير الذي يدرس اللغة بالتدرج في مستوياتها⁽¹⁾.

لأن إدراك الكل يُيسر إدراك الجزء، آثرنا النظر إلى الدرس اللغوي العربي ككل متكامل المستويات، وكجسد متلاحم الأعضاء، فكل دراسة لغوية تجمع بين المستوى الصوتي الذي يتناول بالدراسة اللبنة الأساسية - وهي الصوت - لبناء الكلمة، هذه الأخيرة التي هي من اختصاص المستوى الصرفي إذا ما تناولها خارج التركيب وفي مختلف تغييراتها، ثم المستوى التركيبي كونه يدرس نظام الجملة ودور كل جزء في هذا البناء، فالمستوى البلاغي الذي يُركّز على وضوح الدلالة وحسن الإشارة بما قلّ ودلّ، ليأتي بعد ذلك المستوى الدلالي كونه حصيلة هذه المستويات كلّها والذي يتناول المعنى بكلّ جوانبه⁽²⁾. وفيما يأتي تفصيل لمستويات التحليل اللغوي:

(1) يُنظر: محمد علي عبد الكريم الرديني. فصول في علم اللغة العام. دار الهدى. الجزائر. 2007م. ص33 وما بعدها. محمد بن إبراهيم الحمد. فقه اللغة (مفهومه-موضوعاته-قضاياها). 2008م. ص19-20. الرابط الالكتروني: <http://islamhouse.com>. محرّك البحث: google.

(2) عقيلة لعشبي. أهمية الرّبط بين علم النحو والعلوم الأخرى لاستخلاص درس نحوي ميسر. مجلة اللغة العربية. ع28. ص116.

I - المستوى الصوتي:

في هذا المستوى تُحلّل الظاهرة اللغوية على ضوء علم يُسمّى: الصّوتيات أو علم الأصوات، وهو علم عريق في تاريخ اللّغة العربية، حتّى وإن لم يعرف بهذا الاسم، فجذوره ممتدّة إلى لحظة اكتشاف الخليل بن أحمد الفراهيدي للترتيب الصّوتي معتمداً على المخارج الصّوتية، متّخذاً إياه نظام وضع في ترتيب مادة معجمه العين. فجاء ترتيبها كالآتي: الأصوات الحلقية: ع.ح.ه.خ.غ/ الأصوات اللّهوية: ق.ك/ الأصوات الشّجرية: ج.ش.ض/ الأصوات الأسلية: ص.س.ز/ الأصوات النّطعية: ط.د.ت/ الأصوات اللّثوية: ظ.ذ.ت/ الأصوات الذّلقية: ر.ل.ن/ الأصوات الشّفوية: ف.ب.م/ الأصوات الهوائية: و.ا.ي.ء⁽¹⁾.

ثمّ جاء سيبويه ليُخالف أستاذه في التّرتيب مقدّماً بعض الأصوات مؤخّراً أخرى فكان ترتيبه مستهلاًّ بالهمزة والهاء معتقداً أنّهما أبعد مخرجا من العين فرتبّ الأصوات كالآتي: «أ ه ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و»⁽²⁾. وكان التّلميذ لم يقتنع برأي أستاذه بأنّه وجد العين أنصع الأصوات الحلقية فجعلها أوّل كتابه وسمّاه بها.

ما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي وغيره من اللّغويين العرب «لم يُعالجوا الأصوات علاجاً مستقلاً، وإنّما تناولوها دائماً مختلطة بغيرها من البحوث»⁽³⁾.

(1) للاستزادة يُنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي. العين. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار الرّشيد. بغداد. 1980. ص 47 وما بعدها.

(2) سيبويه. الكتاب. ج4. تح: عبد السلام هارون. الهيئة العامة للكتاب. مصر. 1977. ص431.

(3) أحمد مختار عمر. البحث اللّغوي عند العرب (مع دراسة لقضية التأثير والتأثّر). ط8. عالم الكتب. القاهرة. 2003م. ص93.

أمّا ابن جني فقد نثر المباحث الصّوتية إلى جانب غيرها من المباحث اللّغوية في العديد من مؤلّفاته، إلاّ أنّه أفرد مؤلّفًا مستقلًّا للصّوتيات، ونظر إليها على أنّها علم قائم بذاته في سرّ صناعة الإعراب فكان بذلك أوّل مصنّف صوتي في السّاحة العربية، وكان ابن جني أوّل من أطلق تسمية علم الأصوات⁽¹⁾.

اتّفق علماء اللّغة المحدثون مع القدماء في جعل «دراسة الأصوات أوّل خطوة في أيّ دراسة لغوية؛ لأنّها تتناول أصغر وحدات اللّغة، ونعني بها الصّوت: الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني»⁽²⁾.

إنّ علم الأصوات يضمّ فرعين أساسيين هما:

1- علم الأصوات العام: ويطلق عليه مصطلح الفونيتيك، ويشمل ما يأتي:

1-1 علم الأصوات النّطقي: ويهتمّ بجهاز التّصويت الإنساني، وطرق إنتاجه للأصوات عن طريق تحديد مخارج الأصوات، وطرق نطقها ووصف صفاتها، وذلك بعد تبيان أعضاء النّطق ومعرفة وظائفها. والوصف الصّحيح لجملّة هذه الأعضاء يكون من الدّاخل نحو الخارج وليس العكس؛ أي بدءا من الرّئتين وصولا إلى الشّفتين لارتباط إنتاج الصّوت اللّغوي بعملية الزّفير لا الشّهيق، فهذا الأخير-أي الشّهيق- تنفّسي بيولوجي بحت، في حين أنّ الزّفير بالإضافة إلى كونه تنفّسي بيولوجي هو صوتي أيضا.

(1) يُنظر : نادية رمضان النّجار. اللّغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. مراجعة: عبده الرّاجحي. دار الوفاء. الإسكندرية. 2004م. ص42.

(2) أحمد مختار عمر. البحث اللّغوي عند العرب. ص93.

بالرغم من عدم توفر الأجهزة الحديثة لدى القدماء إلا أنهم توصلوا إلى الكثير من النتائج العلمية الصائبة المرتبطة بجهاز النطق وأجراس الحروف وصحيحها من عليها وصفاتها الصوتية وغيرها⁽¹⁾.

1- 2 علم الأصوات الفيزيائي: ويهتم بالوسط الذي ينتقل فيه الصوت في شكل ذبذبات صوتية متحركة في اتجاه معين لحظة خروجها من فم المتكلم وصولاً إلى أذن السامع، ومجموع هذه الذبذبات يُكوّن الموجات الصوتية التي تتنوع بدورها بين البسيطة والمركبة. وقد ساعد هذا العلم على ظهور نظرية جديدة في ميدان البحث العلمي تسمى: نظرية البصمات الصوتية؛ التي تقوم على تحليل الأصوات اللغوية للأشخاص⁽²⁾.

1- 3 علم الأصوات السّمي: هو أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق، وله جانبان؛ فأما الأول فيرتبط بفيسيولوجيا عضو السمع، والذي يهتم بآلية استقبال الصوت الممثلة في أذن السامع^(*) ومكوناتها. وأما الثاني فيخصّ علم النفس الإدراكي الذي يهتم بتأثير الذبذبات الصوتية لحظة وصولها إلى منطقة إدراك السامع على مستوى القشرة المخية، فتفك شفراتها وتصبح ذات دلالة⁽³⁾.

2- علم الأصوات الوظيفي: يطلق عليه مصطلح الفونولوجيا، ويُعرف أيضاً بعلم وظائف الأصوات، ويُطلق عليه تمام حسّان اسم: التشكيل الصوتي، ومن أهمّ موضوعاته الفونيم، هذه الأخير الذي يُعدّ معياراً من معايير التفريق بين علم الأصوات العام وعلم

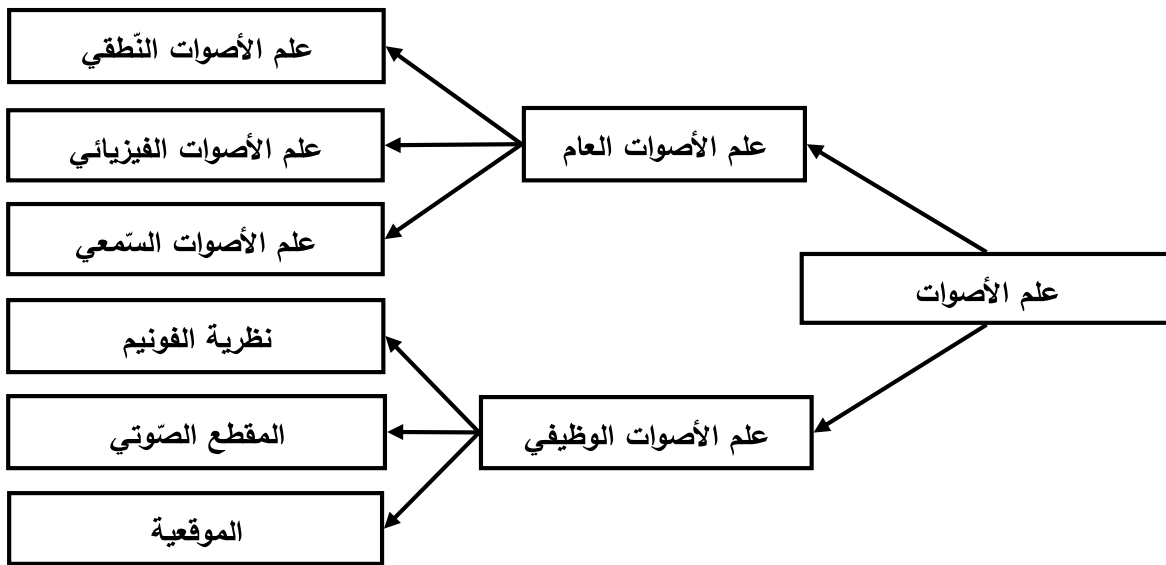
(1) يُنظر: نور الهدى لوشن. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. المكتبة الجامعية. الإسكندرية. 2000م. ص92.

(2) للاستزادة يُنظر: عبد القادر عبد الجليل. علم اللسانيات الحديثة (نظم التّحكّم وقواعد البيانات). ط1. دار صفاء. عمان. 2002م. ص174.

(*) تنقسم الأذن إلى ثلاثة أقسام: أذن خارجية: وتشمل الصّيون والصّماخ والطّبلّة. أذن وسطى: وتشمل المطرقة والسندان والرّكاب. أذن خارجية: وتشمل القوقعة والسائل التّمهيبي الذي تنغمس فيه الألياف العصبية الناقلة للذبذبات الصوتية إلى المخ لتُترجم إلى دلالات. يُنظر: نور الهدى لوشن. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص100-101.

(3) يُنظر: نادية مرابط. علوم اللغة العربية. ص473. محمد علي عبد الكريم الرّديني. فصول في علم اللغة. 121.

الأصوات الوظيفي؛ كون أولهما دراسة مجردة بصفة عامة ودون الاختصاص بلغة معينة، أمّا ثانيهما فيدرس الأصوات بالتركيز على خصائصها ووظائفها في لغة معينة⁽¹⁾، فهو يدرس وظيفة فونيم ما في تفريقه بين دلالة كلمة وأخرى نحو: قام وصام؛ فالقاف تختلف عن الصاد ولا يمكن أن يحلّ أحدهما محلّ الآخر إلاّ مع تغيير المعنى. ويمكن تلخيص أهم مباحث علم الأصوات في الشكل الآتي:



II - المستوى الصرفي:

في هذا المستوى تُحلّل الظاهرة اللغوية على ضوء علم الصرف؛ وهو من أجلّ العلوم اللغوية وأصعبها. اختلف الدارسون حول واضعه الأول، إلاّ أنّ السيوطي يرى أنّ «معاذ بن مسلم الهراء [هو] أول من وضع التصريف»⁽²⁾.

تجدر الإشارة إلى التداخل البين بين مستويات اللغة عامة، وبين المستوى الصرفي وغيره خاصّة؛ فقد شغل الصرف منطقة وسطى ما بين الصوت والنحو. وعلم الصرف

(1) يُنظر: نادية رمضان النجار. اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. ص 66.

(2) السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ج 2. ط 3. دار التراث. القاهرة. مصر. 2008. ص 400.

«يعتمد في مسأله وقضاياه على نتائج البحث الصوتي، وهو في الوقت نفسه يخدم النحو ويسهم في توضيح مشكلاته»⁽¹⁾.

حريّ بالذّكر أنّ كتب الأقدمين كانت تجمع الصّرف والنّحو، ولم يستقلّ الأوّل عن الثّاني إلّا في عصر أبي عثمان المازني (ت249هـ) الذي ألف كتابه: التّصريف، وتناوله ابن جني بالشرح في كتابه(المنصف)⁽²⁾.

لم يلق الصّرف العربي ما لقيه النّحو العربي من اهتمام؛ فقد كان «من أقلّ العلوم اللّغوية حظًا في الإجابة وحسن النّظر»⁽³⁾، فقد كانت مباحث الصّرف تذيّل كتب النّحو إذ «لا تكاد تجد كتابا في النّحو إلّا والتّصريف في آخره»⁽⁴⁾. وكان الأوّل أن يكون العكس، فمثلا سيبويه في كتابه يذكر مباحث النّحو قبل أبواب الصّرف، ما عدا باب الممنوع من الصّرف.

اتّفق المحدثون مع القدماء في التّدخل بين الصّرف والنّحو، واختلفوا معهم في أيّهما أسبق في الدّراسة؛ فعن شقّ الاتفاق يرى المحدثون أنّ الصّرف والتّراكيب وجهان لعملة واحدة واصطلحوا عليها بـ:(Grammar)؛ أي قواعد اللّغة كما ورد في معجم اللّسانيات الحديثة (انكليزي-عربي) وهي: «دراسة أحد أقسام اللّغة الذي يُعنى بوصف التّركيب اللّغوي أو البنية اللّغوية للغة من اللّغات، والطّريقة التي ترتبط بها وحداتها اللّغوية، كالكلمات وأشباه الجمل لتكوّن جملا مقبولة في هذه اللّغة. ويأخذ النّحو في الاعتبار

(1) كمال بشر. دراسات في علم اللّغة (القسم الثّاني). ط2. دار المعارف. القاهرة. 1971م. ص 84.

(2) حسن الحفظي. محاضرات في علم الصّرف. نادي البيان للأدب والفكر. الرّابطة الإلكتروني: NadyAlbayanLladabwalfikr/posts/244830905633469. على محرّك البحث: google.

(3) كمال بشر. دراسات في علم اللّغة. ص83.

(4) ابن جني. المنصف(شرح كتاب التّصريف للمازني). ج1. تح: إبراهيم مصطفى وغيره. ط1. إدارة إحياء التراث القديم. الإسكندرية. ص4-5.

الوظائف والمعاني والدلالات لهذه الجمل، وقد تضمّ قواعد اللّغة أيضا وصفا لأصوات اللّغة ونظام صرفها كما فعل النّحاة في كتبهم»⁽¹⁾.

إنّ ما اصطلح عليه المحدثون بقواعد اللّغة (Grammar)، يضمّ في إطار عام واحد الصّرف والنّحو، إلّا أنّ التعريف السّابق فيه شيء من تغليب النّحو؛ فعبارة «قد يضمّ قواعد اللّغة أيضا وصفا لأصوات اللّغة ونظام صرفها» تفيد قلّة حالات ضمّ قواعد اللّغة للدراسة الصّوتية والصّرفية إلى جانب الدراسة النّحوية. في حين أنّ مستويات التحليل اللّغوي متداخلة فيما بينها، فهي كالعقد بحلقات متّصلة؛ فكلّ مستوى يستفيد ممّا قبله ويُمهد لما بعده، «ولقد أوضح الدّكتور تمام حسّان في دراسته أنظمة العربية ترابط هذه الأنظمة أحدها بالآخر، فيكون اتّصال النّظام الصّوتي بالنّظام الصّرفي وثيقا، فاعتماد النّظام الثاني على ما يُقدّمه النّظام الأوّل اعتمادا [ضروريا]، كما تُقدّم الدراسة الصّرفية للنّظام النّحوي ما يُفيد منه وما لا يستغني عنه، وهكذا تكون أنظمة العربية متواصلة ومتكاملة»⁽²⁾. وهذا ما يُمثّل شق الانشقاق بين القدامى والمحدثين؛ فالقدامى خالفوا المحدثين في جعل دراسة أبواب النّحو أسبق من دراسة مباحث الصّرف، إلّا ما ندر.

يصبّ مصطلح الصّرف عند علماء العربية في معنيين متكاملين، أحدهما عملي وثانيهما علمي:

أمّا العملي فهو «تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلّا بها، كتحويل المصدر إلى اسمي الفاعل والمفعول، واسم التّفصيل، واسمي الزّمان والمكان»⁽³⁾. وبعبارة أخرى هو تغيير يحدث على مستوى بنية الكلمة، وهذا التّغيير من

(1) سامي عياد حنا وغيره. معجم اللّسانيات الحديثة (إنكليزي-عربي). ط1. مكتبة لبنان. 1997م. ص55.

(2) زهير غازي زاهد. موضوعات في نظرية النّحو العربي (دراسة موازنة بين القديم والحديث). ط1. دار الزّمان. بغداد. 2010م. ص245.

(3) خديجة الحديثي. أبنية الصّرف في كتاب سيويوه. ط1. مكتبة النّهضة. بغداد. 1965م. ص23.

البناء الأصلي إلى أبنية مختلفة يُصاحبه تغيير في المعنى نحو: العلم - عالم - معلوم -
عليم - علام - معلّم.

وأما العلمي فهو العلم «الذي يبحث في اللفظ المفرد من حيث بناؤه ووزنه، وما طرأ
على هيكله من نقصان أو زيادة»⁽¹⁾؛ أي أنّه العلم الذي يدرس الكلمة المفردة وما لحروفها
من أصالة أو زيادة، ومن صحّة أو إعلال، ومن إبدال أو حذف أو إدغام أو إمالة، وما
يعترض لآخر هذه الكلمة - ممّا هو ليس بإعراب وبناء - كالوقف أو غيره⁽²⁾.

هناك من يجعل الاشتقاق مرادفا للتّصريف لشدة التّداخل بينهما، إذ يقول ابن جني:
«ويجب أن يُعلم أنّ بين التّصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتّصالا شديدا... [ف]التّصريف
إنّما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتُصرّفها على وجوه شتى، مثال ذلك أن تأتي إلى
ضرب فتبني منه مثال جعفر فتقول: ضرب. وكذلك الاشتقاق أيضا، ألا ترى أنك تجيء
إلى الضرب الذي هو مصدر، فتشتقّ منه الماضي فتقول: ضرب، ثم تشتقّ منه المضارع
فتقول: يضرب»⁽³⁾.

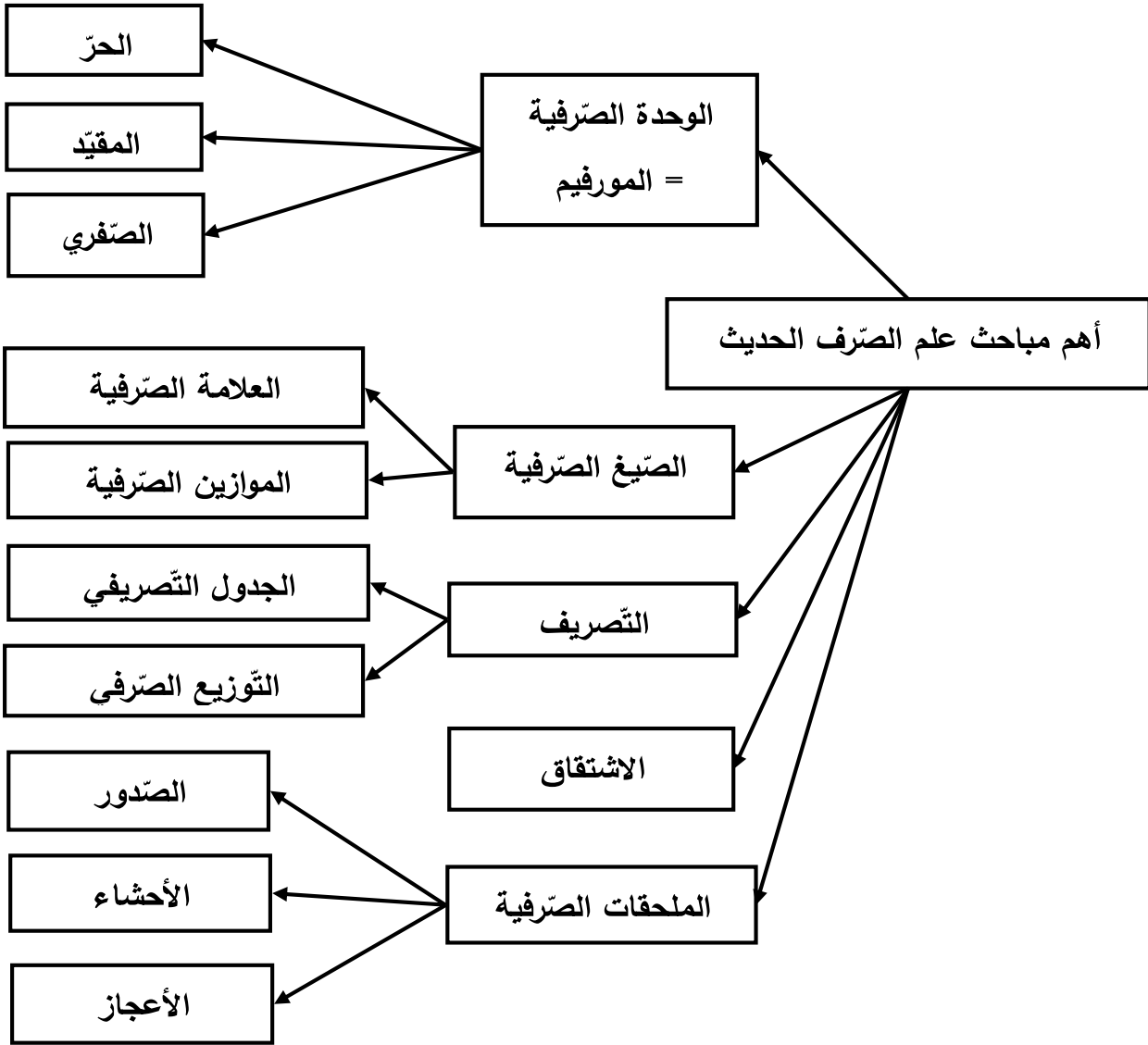
يرى تمام حسان أنّ مباحث علم الصّرف الحديث (Morphology) «تتناول الناحية
الشكلية التركيبية للصّيغ والموازن الصّرفية، وعلاقتها التّصريفية من ناحية، والاشتقاقية
من ناحية أخرى. ثمّ تتناول ما يتّصل بها من ملحقات، سواء كانت هذه الملحقات صُدورا،
أو أحشاء، أو أعجازا، ويدور على الألسنة اصطلاح هام في الدّراسة الصّرفية هو الوحدة
الصّرفية أو المورفيم (Morpheme)»⁽⁴⁾. ويُمكن تلخيص أهم مباحث علم الصّرف
الحديث في الشكل الآتي:

(1) محمد سمير اللّبيدي. معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية. ط1. مؤسسة الرّسالة. بيروت. 1958م. ص125.

(2) يُنظر: حاتم صالح الضّامن. الصّرف. دار الحكمة. الوصل. 1999م. ص11.

(3) ابن جني. المنصف. ج1. ص3-4.

(4) تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص204.



III- المستوى النحوي أو التركيبي:

في هذا المستوى تُدرس الظاهرة اللغوية على ضوء معطيات علم النحو، والذي كشقيقه علم الصرف اختلف الدارسون حول واضعه الأول، إلا أنّ الخطوة التي قام بها أبو الأسود الدؤلي بضبطه للمصحف الشريف وتنقيطه، تجلّه أول من كتب في مجال النحو، علماً أنّ ذلك كان بإيعاز من الإمام علي- رضي الله عنه- الذي سمّى هذا العلم بعلم النحو، عندما قال لأبي الأسود: «أنح هذا النحو»⁽¹⁾، وبذلك أسفر عن هذه الجهود ميلاد علم النحو الذي نضج على يد الأستاذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، ووصل إلينا

(1) يُنظر: عصام نور الدين. تاريخ النحو (المدخل، النشأة والتأسيس). ط1. دار الفكر. لبنان. 1995م. ص61.

عن طريق تلميذه سيبويه في الكتاب الذي يُعدّ أقدم مؤلّف في النّحو والصّرف⁽¹⁾، والذي كان سجلاً يجمع آراء الأستاذ والتلميذ في النّحو.

1- تعريف النّحو:

إذا اختلف الدّارسون حول من وضع علم النّحو أولاً، فإنّهم لم يختلفوا عن أهمّ سبب لنشأة هذا العلم؛ والذي يتلخّص في الحرص الشديد على سلامة نصوص القرآن الكريم من اللّحن، الذي شاع على الألسنة في العقود الأولى من عصر ظهور الإسلام، بسبب مخالطة العرب واحتكاكهم بغيرهم من العجم الذين اعتنقوا الإسلام، والذين هم أيضاً في حاجة ماسّة إلى من يرسم لهم أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتّى يتمثّلوها تمثّلاً واضحاً مستقيماً⁽²⁾. وهذا ما يؤكّده ابن جنّي في تعريفه للنّحو، إذ يقول: «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالنّثنية والجمع والتّحقير والتّكسير والإضافة والنّسب والتّركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحواً، كقولك: قصدت قصداً. ثمّ خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم»⁽³⁾. ويُمكن تلخيص تعريف ابن جنّي للنّحو فيما يأتي:

(1) يُنظر: حازم سليمان الحلبي. تيسير النّحو إلى عصر ابن مضاء القرطبي. مجلّة اللّسان العربي. ع41. مكتب تنسيق التّعريب. الرّباط. 1996م. ص2.

(2) للاستزادة يُنظر: محمد حسن جبل. الدّفاع عن القرآن الكريم (أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللّغة العربية). ط2. البربري للطباعة الحديثة. دت. ص58. خضر موسى محمد محمود. النّحو والنّحاة (المدارس والخصائص). ط1. عالم الكتب. 2003م. ص10-11.

(3) ابن جنّي. الخصائص. ج1. تح: محمد علي التّجار. عالم الكتب. 2006م. ص16.

1-1 تعريف لغوي: النَّحو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحواً، كقولك:

قصدت قصداً.

1-2 تعريف اصطلاحى: النَّحو انتهاج طريقة العرب في كلامها دون الخروج عن

تصريفها وإعرابها، وذلك بمعرفة عناصر الأداء اللغوي كالتثنية والجمع وغير ذلك. ويؤكد ابن جني الغاية النبيلة للنحو؛ وهي الأخذ بيد من ليس من أهل العربية فيلحق بأهلها في الفصاحة وسلامة النطق.

تجدر الإشارة إلى أنّ القدماء طبّقوا المنهج الوصفي لاستقراء اللّغة العربية من مظانّها الأصلية كالقرآن والحديث والشعر والنثر، ولكن بعد أن ذاع اللّحن خيف على الألسنة من الفساد، فيكثر الخطأ في قراءة القرآن الكريم، فاعتمدوا المنهج المعياري لتقنين قواعد اللّغة العربية، ولا أدلّ على ذلك إلاّ ما قاله ابن خلدون «خشي أهل العلوم... أن تفسد الملكة رأساً، ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة... يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويُلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أنّ الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغيير عاملاً وأمثال ذلك، وصارت كلّها اصطلاحات خاصّة بهم فقيّدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النَّحو»⁽¹⁾.

إذا كانت الوحدة الأساسية في الدّرس الصّوتي هي الفونيم، وفي الدّرس الصّرفي هي المورفيم، فإنّ الجملة هي الوحدة الأساسية في الدّرس النّحوي، وذلك لكونها أقلّ وحدة فكرية يتمّ التّواصل بها، هي عند النّحاة القدامى مرادفة للكلام الذي قد يتكوّن من اسمين مشكّلاً جملة اسمية بصورها المختلفة (كالإفراد وغيره، والتّقديم والتّأخير، والتّعريف

(1) ابن خلدون. المقدّمة (ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر). تح: خليل شحادة. دار الفكر. بيروت لبنان. 2004م. ص 297-298.

والتتكير، والإثبات والنفي وغيرها). كما قد يتكوّن من فعل واسم أو أكثر مشكّلا جملة فعلية، أو أقلّ من ذلك بسبب الحذف أو الاستتار.

أضف إلى ذلك تأثر المنهج النحوي بالعلوم العقلية من فلسفة ومنطق وفقه، ممّا جعل بعض أبواب النحو غامضة معقّدة تتسم بالإسراف والطول، ممّا دفع بدارسي النحو إلى الجمع بين المنهج الوصفي والمنهج المعياري؛ فلجأوا إلى الأوّل بغاية تفسير التحليل اللغوي، وإلى الثاني بغاية التدريس⁽¹⁾.

من هنا يُمكن القول إنّ اختلاف الغايات يؤدّي بنا إلى التمييز بين النحو العلمي المرتبط بالمنهج الوصفي، والنحو التعليمي المرتبط بالمنهج المعياري.

2- الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي:

إنّ الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي كالفرق بين الشعر قبل أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي وبعدها؛ فقبلها كان الشعر يُنظّم بالجبلة والسليقة موزونا مقفّى، كذلك النحو العلمي فيه وصف واستقراء لكلام العرب دون تقنين قبلي، أمّا بعدها فقد أصبح الشعر مقفّدا بالوزن والقافية في أغلبه لاعتماده القبلي على قواعد الأوزان الخيلية التي ظهرت في العصر العبّاسي، كذلك الحال بالنسبة للنحو التعليمي الذي يعتمد على المعايير القبلية، التي أصبحت قوالب جامدة في أغلبها أثقلت كاهل دارس النحو.

يُفرّق تمام حسّان بين النحو التعليمي والنحو العلمي فيرى «أنّ الأوّل قياسي، والثاني استقرائي، والأوّل معياري، والثاني وصفي، والأوّل قاعدة تُراعى، والثاني بحث يسجّل

(1) للاستزادة يُنظر: نادية رمضان النجار. اللّغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. ص 165 وما بعدها.

اللغة أثناء عملها في مرحلة من مراحل وجودها»⁽¹⁾. وبتعبير آخر يُمكن التمييز بين النحو العلمي والنحو التعليمي فيما سيأتي⁽²⁾:

2-1 النحو العلمي: ويقوم على نظرية لغوية تُنشد الدقة في الوصف والتحليل والتفسير، وتتخذ لتحقيق ذلك أدق المناهج، من أهدافه الاكتشاف المستمر والخلق والإبداع.

2-2 النحو التعليمي: ويرتبط بالعملية التعليمية؛ إذ يُمثّل المستوى الوظيفي لتقويم اللسان، وسلامة الخطاب، وأداء الغرض، يركز على ما يحتاجه المتعلم، يختار المادة المناسبة من النحو العلمي، مع تكييفها تكييفاً محكماً طبقاً لأهداف التعليم وظروف العملية التعليمية. فالنحو التربوي يقوم على أسس لغوية ونفسية وتربوية وليس مجرد تلخيص للنحو العلمي. فعلى هذا المستوى ينبغي أن تنصبّ جهود التيسير.

3- الإرهاصات الأولى لتيسير النحو العربي:

تعددت الجهود الرامية لتيسير الدرس اللغوي عامّة، والنحوي منه خاصّة، والجدير بالذكر أنّ المساعي التيسيرية ضاربة في القدم؛ فهي قديمة قدم ظهور النحو في القرن الثاني الهجري (ق2هـ)، ولا أدلّ على ذلك إلاّ المحاولة التيسيرية الرائدة لخلف الأحمر في رسالته الموسومة: مقدّمة في النحو؛ والتي يعيب فيها على النحاة التّطويل في المواضيع النحوية والإكثار من العلل، إذ يقول: «لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التّطويل وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلّغ في النحو من

(1) تمام حسّان. منهج النحاة العرب. حوليات دار العلوم. 1969م-1970م. ص35.

(2) يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح. أثر اللسانيات في النهوض بمستوى اللغة العربية. مجلّة اللسانيات. 4ع. الجزائر. 1973م-1974م. ص22-23. محمد صاري. تيسير النحو، موضة أم ضرورة؟ بحث منشور في أعمال ندوة تيسير النحو. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. 2001م. ص119.

المختصر... فأمعنت النظر في كتاب أولفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق»⁽¹⁾.

مما سبق يتضح أنّ هدف خلف الأحمر من تأليف مقدّمته في النحو؛ هو التيسير على متعلم النحو بتوفير الآليات والعوامل المساعدة على ذلك، كالاختصار غير المخلّ، والابتعاد عن التطويل المملّ، وكذا «جعل قواعد العربية تحت مفاهيم ميسرة فمثلا قوله الأدوات، يجمع فيه الأدوات التي تؤدي معاني مختلفة، فيضمّ هذا (أدوات الجرّ، وأدوات العطف، وأدوات الاستفهام، وأدوات النصب، وأدوات الجزم، وأدوات النفي [و] أدوات الشرط) وعليه إن جمع هذه الأدوات تحت مصطلح واحد يُسهّل على المتعلم معرفة معانيها، وما تؤديه من عمل في السياق دون تكلف في معرفة عملها والرجوع إليها في أبواب متفرقة من النحو العربي»⁽²⁾.

بعد محاولة خلف الأحمر تواليت العديد من المحاولات التيسيرية للنحو العربي، نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر: التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس في القرن الثالث الهجري (ق3هـ)، وهذا «الكتاب صغير جدًا، ولكنّه مفيد جدًا لأنّه يحوي جميع مبادئ النحو وقواعده الرئيسية. وقد ساعده على الاختصار طرحه الخلاقات النحوية، واعتماده على اللغة الأدبية المشتركة وترك الخلاقات اللّهجية، وحذفه الشواهد وأسماء النحاة، واستبعاده المناقشات المنطقية والفلسفية»⁽³⁾.

في القرن السادس الهجري (ق6هـ) نلفي محاولة ابن مضاء القرطبي، الذي أشعل فتيل ثورة على فلاسفة النحو، فكان رائدا بمحاولة جديدة لتيسير النحو من خلال كتابه:

(1) خلف الأحمر. مقدّمة في النحو. تح: عز الدين التّوخي. مطبوعات إحياء التراث القومي3. دمشق. 1961م. ص33-34.

(2) صادق فوزي دبّاس. جهود علماء العربية في تيسير النحو وتجديده. مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التربوية. ع2/1مج7. 2008م. ص87-88.

(3) أحمد مختار عمر. البحث اللّغوي عند العرب. ص155.

الرّد على النّحاة، فقد «طالب بإلغاء نظرية العامل والمعمول، وألغى كثرة التّأويلات، وعلى العموم فقد سعى ابن مضاء بآرائه تلك إلى تصفية النّحو من كلّ ما يراه غير مرتبط بنطق العرب ولغتهم، وهو يركز على قواعد اللّغة البسيطة التي لا تحتاج معرفتها إلى عسر في الفهم»⁽¹⁾.

فعلا محاولة ابن مضاء القرطبي «هي دعوة أقرب إلى الإصلاح منها إلى التّيسير، أحدثت هزّة قوية في النّحو العربي، لا في العصر الذي أطلقت فيه، فقد كانت صرخة في واد، وإنّما في عصرنا الحاضر، حيث أغرت المعاصرين - بعد أن تمّ نشر الكتاب على يد الدّكتور شوقي ضيف سنة 1947م - بارتياح طريق الإصلاح النّحوي»⁽²⁾.

في القرن السّابع الهجري (ق7هـ) ظهرت موجة من المتون والمنظومات النّحوية، تهدف إلى تركيز النّحو وجمع مادّته في مؤلّفات صغيرة غاية في الإيجاز، تنوّعت بين النّثرية نحو: المسائل المنثورة لأبي علي الفارسي النّحوي، والشّعريّة نحو: الألفية لابن مالك، وقد ظهرت هذه المتون كعلاج للتّطويل المملّ في المؤلّفات النّحوية، ولكن إيجازها كان مخلّاً إلى درجة أنّها لم تقدّم العلاج المناسب، فقد كانت ألغازا يصعب على الدّارس وحده فكّ طلاسم غموضها. وإنّ كثرة الشّروح والحواشي والنّقارير على تلك المتون - وبعضها من صنع مؤلّفي المتون أنفسهم - لدليل واضح على فشل تلك المحاولات في تحقيق هدف التّيسير⁽³⁾.

(1) إسماعيل ونوغي. معوقات تعلّم النّحو العربي وجهود في التّيسير. مجلة اللّغة العربيّة. ع30. الجزائر. السّداسي الأوّل 2013. ص36.

(2) عبد الرحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّغوية المعاصرة في مصر 1932-1985. رسالة دكتوراه في اللّغة. إشراف: تّمّام حسّان. 1994م. ص210.

(3) للاستزادة يُنظر: عبد الوارث مبروك سعيد. في إصلاح النّحو العربي (دراسة نقدية). ط1. دار القلم. الكويت. 1985م. ص12-13.

4- محاولات تيسير النحو العربي في العصر الحديث:

من رحم المحاولات التيسيرية القديمة وُلدت المحاولات التيسيرية الحديثة، والجدير بالذكر أنّ للمتقدّم قصب السبق في الإبداع، وللمتأخّر التبعية له حتّى وإن أجاد وأصاب أكثر من الأوّل. ففي العصر الحديث توالى محاولات التيسير وتوّعت بين الجماعية كدور المجامع اللغوية العربية في تيسير النحو العربي⁽¹⁾، وبين المحاولات الفردية التي سيتمّ - بإيجاز - ذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر⁽²⁾:

تُعَدّ محاولة إبراهيم مصطفى في كتابه إحياء النحو سنة 1937م أولى هذه المحاولات التيسيرية، فصاحبها يعدّه البعض أحد دعاة التجديد اللغوي وكتابه يُعدّ «أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النحاة التقليدية»⁽³⁾، ولكن بعد أن وضع الدارسون هذه المحاولة على مائدة النّقد «أثبتوا أنّ الأفكار التي زعم إبراهيم مصطفى أنّها جديدة على الناس ليست كذلك، فكثير من المسائل التي ذكرها، وأجهد نفسه في الاحتجاج لها والبرهنة عليها أصلها للقدماء. وقد أورد العلماء من كلام النحاة ما يدلّ على أنّهم سبقوه، وقرروا ما قرره أو على الأقل فطنوا إلى ما فطن إليه»⁽⁴⁾.

أمّا عن محاولة شوقي ضيف سنة 1947م، فالجدير بالذكر أنّه استوحى فكره التيسيري بعد تحقيقه لكتاب الرّد على النحاة لابن مضاء القرطبي، فكان ذلك دافعا قويّا له لإعادة النّظر في التراث النحوي، إذ يقول: «كان نشري لكتاب الرّد على النحاة، باعنا لي منذ تحقيقه على التفكير في تجديد النحو بعرضه عرضا حديثا على أسس قويمّة

(1) للاستزادة يُنظر: إسماعيل ونوعي. معوقات تعلّم النحو العربي وجهود في التيسير. ص40 وما بعدها.

(2) للاستزادة يُنظر: عبد الرحمن العارف. اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر 1932-1985. ص210 وما بعدها.

(3) عبد الرحمن أيوب. دراسات نقدية في النحو العربي. هامش الصّفحة ج.

(4) محمد صاري. تيسير النحو، موضة أم ضرورة؟ بحث منشور في أعمال ندوة تيسير النحو. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. 2001م. ص195.

تُصَفِّيه وتروقه وتجعله داني القطوف للناشئة»⁽¹⁾. ورغم أنّ شوقي ضيفقد جمع في محاولته بين التنظير والتطبيق للتيسير النحوي إلا أنّ الدراسات النقدية «تكاد تُجمع [على] أنها ليست سوى محاكاة لآراء سابقة»⁽²⁾.

من محاولات تيسير النحو العربي في الوطن العربي في العصر الحديث، محاولة أحمد عبد الستار الجوّاري في نحو التيسير سنة 1962م، ومحاولة مهدي المخزومي في كتابه النحو العربي نقد وتوجيه سنة 1964م وفي النحو العربي، قواعد تطبيق سنة 1966م وغيرها، وهذه المحاولات التيسيرية تكاد تتقاطع في نقاط معيّنة، أجمعت على أنّها من أهمّ مآخذ المنهج النحوي القديم، والتي يُمكن تلخيصها فيما سيأتي⁽³⁾:

1- تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية خاصّة بعد الإسلام.

2- طغيان المعيارية التي تنظر إلى اللّغة على أنّها ما ينبغي أن يكون، لا ما هو كائن بالفعل.

3- الخلط بين مستويات الأداء اللّغوي والخلط بين مستويات التّحليل اللّغوي؛ فالخلط في جانبه الأول كان بين لهجات شتّى لقبائل متعدّدة، وكان الأولى أن تكون الدّراسة وصفية للّهجة واحدة في قبيلة واحدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لوحظ خلط بين اللّهجات واللّغة الفصحى، رغم اختلاف المعايير التي يُمكن أن تُتخذ أساسا للتّفريق بين الصّواب والخطأ. أمّا الخلط في جانبه الثّاني فكان بين الظواهر الصّوتية والصّرفية والنحوية والمعجمية والدّلالية التي أقحم بعضها في بعض، ممّا عسّر الفصل بين مستويات التّحليل في الدّرس اللّغوي القديم.

(1) شوقي ضيف. تجديد النحو. ط3. دار المعارف. مصر. 1982م. ص3.

(2) عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّغوية المعاصرة في مصر 1932م-1985م. ص219.

(3) يُنظر: عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّغوية المعاصرة في مصر 1932م-1985م. من ص162 إلى ص201.

4- التّحديد الرّمكاني للبيئة اللّغوية؛ فقد وُضعت حدود مكانية للرّواية والمشافهة، فلم يُؤخذ إلاّ عن بعض قبائل العرب كتميم، قيس، أسد، هذيل، بعض كنانة، وبعض الطّائيين لتحقّق عنصر الفصاحة للّغة المروية عنهم. كما وُضعت حدود زمانية وهي منتصف القرن الثّاني الهجر (ق2هـ) لأهل الحضر ونهاية القرن الرّابع الهجري (ق4هـ) لأهل البادية.

5- الاعتماد على لغة الشّعْر في التّقييد بدل لغة القرآن الكريم، رغم أنّ الشّعْر مقيّد بالوزن والقافية وله لغة خاصّة ونظام يُميّزه عن القرآن والحديث وحكم العرب وأمّثالهم، ومع ذلك فقد عدّ أصلا من أصول الاستدلال رغم أنّ ناظمه يجوز له الحياد عن أصل القاعدة للضرورة الشّعرية.

6- الاقتصار على اللّغة العربية في معالجة قضايا النّحو، وإقصاء اللّغات السّامية الأخرى، علما أنّ جميعها ينضوي تحت أسرة واحدة، فكان من الأوّلى عدم الفصل بين العربية وأخواتها السّاميات، لما في ذلك من الاستعانة على تدقيق كثير من الظواهر اللّغوية عامّة والنّحوية خاصّة.

7- التّدخل المنهجي وانعدام وحدة المنهج لاستعانة النّحاة بعلوم متعدّدة كالمنطق، الفلسفة، أصول الفقه، علم الكلام. فأدى هذا الاضطراب المنهجي إلى التناقض في النتائج.

يُشير عبد الرّحمن العارف إلى أنّ تغييرا طرأ على محاولات تيسير النّحو في دراسات اللّغويين المعاصرين في العالم العربي عامّة، وفي مصر خاصّة، وذلك بعد أن هبّت رياح الاتّجاهات الحديثة في دراسة اللّغة، ممّا جعل الدّراسات النّحوية تتّجه وجهة أخرى، بانّقال الدّرس النّحوي المعاصر من سيطرة الفكر اللّغوي القديم إلى تأثير الفكر اللّغوي الحديث، ومن كونه وسيلة لغاية إلى غاية في ذاته. وقد تزعم هذا الاتّجاه مجموعة من الدّارسين كانت لهم الحظوة في الاحتكاك المباشر بأعلام الفكر اللّغوي الغربي كفيرث

صاحب نظرية السياق اللغوية ومن بينهم: إبراهيم أنيس في كتابه من أسرار اللغة، وعبد الرحمن أيوب في دراسات نقدية في النحو العربي، وتَمَّام حَسَّان في اللغة العربية معناها ومبناها خاصة فيما وسمه بنظرية القرائن اللغوية⁽¹⁾، والتي سوف يتم - إن شاء الله - الحديث عنها في الفصل الثالث من هذا البحث.

IV - المستوى المعجمي:

في هذا المستوى تُدرس الظاهرة اللغوية على ضوء معطيات علم المعاجم، ولمعرفة هذه الأخيرة يجب الوقوف على ماهية المعجم، الذي عرفه اللغويون بأنه «كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالبا ما تكون الترتيب الهجائي»⁽²⁾.

1- تعريف المعجم:

ورد في المعجم الوسيط أنّ «المعجم: ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم. (ج) معجمات ومعاجم. وحروف المعجم: حروف الهجاء»⁽³⁾.

2 - فروع علم المعاجم:

إنّ بعض علماء اللغة والمعاجم يستعملون مصطلح علم المعاجم للدلالة على فرعين أساسيين هما:

(1) يُنظر: عبد الرحمن العارف. اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر 1932م-1985م. ص123-124.

(2) أحمد مختار عمر. البحث اللغوي عند العرب (مع دراسة لقضية التأثير والتأثر). ص162.

(3) مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ج1-2. (مادة: عجم). ص637.

2- 1 علم المعاجم النظري أو علم المفردات (Lexicology):

علم المعاجم النظري «هو دراسة المفردات»⁽¹⁾ اللغوية دراسة علمية «تضمّ معاني المفردات وعلاقتها والتغيرات التي تحدث في صيغها عبر الزمن [أي أنه] العلم الذي يهتم بدراسة الكلمات المفردة ومعرفة أصولها واشتقاقاتها ودلالاتها القديمة والحديثة، وكيفية استعمالها، والظواهر الدلالية المتصلة بها مثل الترادف، وتعدّد معاني اللفظ، والتضاد وغيرها وهو يُعدّ بذلك أساساً هاماً للمشتغل بعلم المعجمات (Lexicography)»⁽²⁾.

2- 2 علم المعاجم التطبيقي أو فن صناعة المعجم (Lexicography):

علم المعاجم التطبيقي هو «العلم الذي يهتم بتحديد دلالات الكلمات إلى جانب بيان كيفية نطقها، وطريقة هجائها وكيفية استعمالها واشتقاقاتها وغير ذلك من المعلومات التي يحتاجها مستعمل اللغة [لأنّ] دراسة علم المعاجم (Lexicography) تعني الدراسة التعليمية لصناعة المعاجم»⁽³⁾.

يُرَكِّز إبراهيم بن مراد في تعريفه للمعجم على مفهومين، «ويرتبط المفهوم الأول بالمعجمية النظرية، وموضوعها البحث في الوحدات المعجمية من حيث مكوناتها وأصولها وتوليدها ودلالاتها، ويرتبط المفهوم الثاني بالمعجمية التطبيقية، وموضوعها البحث في الوحدات المعجمية من حيث هي مداخل معجمية تُجمع من مصادر ومن مستويات لغوية ما، ومن حيث هي مادة كتاب قد أُلّف بحسب منهج في الترتيب والتعريف معيّن. والمفهومان وثيقا الصلة ببعضهما، لأنّ المُدَوِّنة التي تُجمع في كتاب ليست إلّا جزءاً من الرصيد العام الذي يُكوّن اللغة. ويتبيّن من تعريف المعجم بمفهوميه أنّ المفردات

(1) Loreto Todd. An introduction to linguistics. "Lexicology is the study of words". Ed8. Longman York press. 1995. P49.

(2) سامي عياد حنا وغيره. معجم اللسانيات الحديثة (إنكليزي-عربي). ص 81-82.

(3) سامي عياد حنا وغيره. معجم اللسانيات الحديثة (إنكليزي-عربي). ص 81.

أو الوحدات المعجمية هي المُكوّنة له، مثلما أنّ الأصوات هي المُكوّنة لعلم الأصوات، والأبنية هي المُكوّنة لعلم الصّرف، والجمل هي المُكوّنة لعلم النّحو»⁽¹⁾.

3- الإرهاصات الأولى للمعجم العربي:

يُجمع الدّارسون على أنّ بداية المعجم العربي كانت بعد نزول القرآن الكريم، وليس قبل ذلك؛ لأنّ العرب في العصر الجاهلي لم يعتنوا بجمع لغتهم وتدوينها، لغياب الحاجة الدّاعية إلى تأليف معجم، ولكن بمجيء الإسلام دعت الضّرورة إلى السّؤال عن معاني كلمات، بعضها جديد وبعضها الآخر غامض. وكان النّبي - صلّى الله عليه وسلّم - بمثابة المرجع الرّئيسي للأسئلة الدّينية واللّغوية التي يُوجّهها الصّحابة الأجلاء - رضوان الله عليهم -. وبعد النّبي تولّى الصّحابة هذه المهمة، فعَدّ المؤرّخون ذلك بمثابة النّواة الأولى للمعجم العربيّة نحو: غريب القرآن لابن عباس وغيره من المعاجم التي وضعها علماء اللّغة بدافع ديني هو حراسة القرآن الكريم من أيّ خطأ في النّطق أو الفهم، ودافع اجتماعي هو مخافة انقراض العربيّة النّقية بانقراض العرب الخّص من أهل البادية، الذين لم يتأثّر لسانهم بلحن الحواضر، ودافع ثقافي هو إدراك العلماء بأهمية العمل المعجمي، فبعدما انكبّوا على جمع المادّة من فصحاء البادية، عمدوا إلى تصنيفها في شكل أعمال معجمية جادّة. وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي هو صاحب أوّل معجم في العربيّة سمّاه: العين⁽²⁾.

هبت رياح الفكر اللّغوي الغربي الحديث على المعجم كما هبت على النّحو - كما سبق ذكره-؛ ويظهر ذلك في تأثر تمام حسان في موقفه من المعجم بنظرية اللّساني الأمريكي بلومفيلد، وهذا ما سيذكر - إن شاء الله - بشيء من التّفصيل في الفصل الرّابع من هذا البحث.

(1) إبراهيم بن مراد. مقدّمة لنظرية المعجم. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1997م. ص8.

(2) يُنظر: رجب عبد الجوّاد إبراهيم. دراسات في الدّلالة والمعجم. دار غريب. 2001م. ص138 وما بعدها.

V - المستوى الدلالي:

في هذا المستوى تُدرس الظاهرة اللغوية على ضوء معطيات علم الدلالة؛ هذا الأخير «الذي يدرس المعنى سواء على مستوى الكلمة المفردة أم على مستوى التركيب، وما يتعلّق بهذا المعنى من قضايا لغوية؛ أي أنّه يدرس اللغة من حيث دلالتها، أو من حيث إنّها أداة للتعبير عمّا يجول بالخاطر، وهو فرع من فروع علم اللغة، ويُعتبر من أحدث الدّراسات اللّغوية ظهوراً»⁽¹⁾ في اعتقاد البعض.

إنّ كون «علم الدلالة يُشير إلى المعنى»⁽²⁾ يُحيلنا إلى الإشارة بأنّ القدماء(*) قد اهتموا بالمعنى اهتماماً كبيراً، وإنّ هذا العلم كان مبنوياً في مؤلّفاتهم، ولكن لم يفرد أحد بمؤلّف مستقل، كما هو الحال بالنسبة لعلم الصّوت والصّرف والنحو والمعجم، إلّا كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية لأبي حاتم الرّازي (322هـ)، الذي يعدّ أوّل كتاب في العربية يُعالج دلالة الألفاظ وتطورها، يبيّن للقارئ أصل الدلالة وكيف تطوّرت. أمّا في العصر الحديث فقد نال هذا العلم نصيباً من الاستقلالية؛ فقد أقرّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة استخدام مصطلح السيمية في مقابل (Semantics)(**) بعد تقديم عبّاس محمد العقّاد لأوّل بحث في أعمال الغربيين في هذا العلم. ثم صدر سنة 1958م أوّل مؤلّف مستقلّ في علم الدلالة وهو كتاب دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، لتليه جهود دلالية عديدة في الدرس اللغوي الحديث تنوّعت بين المؤلّفات والمقالات والمباحث ضمن كتب؛ فمن الأولى كتاب الألفاظ وتطورها لمراد كامل، ومن الثانية نذكر المقال المعنون بتشقيق

(1) رجب عبد الجوّاد إبراهيم. دراسات في الدلالة والمعجم. ص 11.

(2) Loreto Todd. An introduction to linguistics. "Semantics refers to meaning". P.79.

(*) خاصّة في تأليفهم لمعاجم المعاني، كما اهتمّ علماء البلاغة بالمعنى من خلال علم البيان الذي يكشف قناع المعنى.

(**) هناك فرق بين مصطلح (Semantics = علم الدلالة) وبين مصطلح (Semiology أو Semiotics = علم العلامات)؛ فالأوّل يدرس المدلول والثّاني يدرس الدّوال اللّغوية وغير اللّغوية كالإشارات. للاستزادة يُنظر: سامي عياد حنا وغيره. معجم اللّسانيات الحديثة (إنكليزي - عربي). ص 127-128.

المعنى الذي نشره تمام حسّان سنة 1959م، كما نشر كمال بشر خمس مقالات أواخر علم 1961م وبداية عام 1962م بعنوان دراسات في علم المعنى. ومن الثالثة نذكر تخصيص علي عبد الواحد وافي فصلين لتطوّر اللّغة وارتقائها، والدّلالة وتطوورها في كتابه علم اللّغة. كما خصّص تمام حسّان في كتابيه مناهج البحث في اللّغة واللّغة العربية معناها ومبناها فصلا في الدّلالة، كما تحدّث في كتاب الأصول عن المعنى في ضوء معطيات البلاغة العربية⁽¹⁾.

ولأنّ المعنى هو ضالّة كلّ متكلم، فقد جُنّدت لتحليله نظريات عدّة من أهمها نظرية السّياق اللّغوية التي سيتمّ الحديث عنها لاحقا، وكذا نظرية الحقول الدّلالية، هذه الأخيرة التي يعود الفضل في اكتشافها إلى المدرسة الألمانية على يد تريير (Trier)، وتعدّ من أهمّ النظريات الدّلالية التي تستند على مبادئ المنهج التّاريخي والوصفي في دراسة وتحليل المعنى، وتُعرف بأسماء عدّة: المجالات الدّلالية والحقول المعجمية والحقول اللّغوية⁽²⁾. ومردّد ذلك إلى الترجمة، إلّا أنّ أدقّها هو الحقول الدّلالية.

(1) يُنظر: عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّغوية المعاصرة في مصر 1932م-1985م. ص 321 وما بعدها.

(2) يُنظر: عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّغوية المعاصرة في مصر 1932م-1985م. ص 234-235.

رابعاً- فكر تَمَام حَسَّان⁽¹⁾ روافده العلمية ومرجعياته الفكرية:

I- فكر تَمَام حَسَّان:

إنَّ المتأمل لفكر تَمَام حَسَّان ليقف على حقيقة ثرائه وتنوعه؛ إذ يتوزَّع نشاطه العلمي على ثلاثة مجالات أساسية، أولها مجال التَّأليف، سهامه في الإشراف على الرِّسائل العلمية، والاشتراك في المناقشات العلمية العلنية. وثالثها مجال التَّرجمة.

المجال الأول: التَّأليف

عكف تَمَام حَسَّان على تأليف العديد من الكتب هي:

1- كتاب مناهج البحث في اللُّغة:

صدرت طبعته الأولى سنة 1955م، بمكتبة الأنجلو المصرية، وتلتها طبعات أخرى في مصر والمغرب (*).

(1) ترجمة لحياة تَمَام حَسَّان في ملحق الأعلام من هذا البحث، ومن أراد الاستزادة يُنظر:

- عبد الرَّحمان العارف. تَمَام حَسَّان رائدا لغويا "كتاب تذكاري". عالم الكتب. ط1. 2002م. من ص13 إلى ص33. محمد عويس. رحيل أمير النَّحو تَمَام حَسَّان. مجلَّة الوعي الإسلامي. ع:558. الكويت. ديسمبر-يناير 2012م. على الرَّابطة: www.alwaei.com/Site/index.php?cID=738. محرِّك البحث: google.

- ندوة علمية من تنظيم قسم اللُّغة العربية بكلية التَّربية جامعة الأنبار. يوم: 19-12-2013م. بعنوان: تَمَام حَسَّان عمر مجدِّد الدَّراسات اللُّغوية في العصر الحديث. على الرَّابطة: www.uonbar.edu.iq/News.Details.php?ID=261. محرِّك البحث: google.

- يوسف جمل. في رحيل الأعلام و العلماء. منشور يوم: 25-10-2011م. على السَّاعة: 01:30. على الرَّابطة: www.dewan.co.il/News-5,N-4479.htm. محرِّك البحث: google.

- الموسوعة الحرَّة ويكيبيديا. الدُّكتور تَمَام حَسَّان رمز من جيل العلماء الرَّاسخين. الإخوان. منشور يوم: 13-06-2009م.

- جابر قميحة. أستاذي الحبيب الدُّكتور تَمَام حَسَّان. منشور يوم: 28-12-2011م. على السَّاعة: 01:19. مكَّة المكرَّمة. على الرَّابطة: ikhwanonline.com. محرِّك البحث: google.

(* الطَّبعة المعتمدة لهذا الكتاب، في هذا البحث هي طبعة دار النَّقافة بالدَّار البيضاء بالمغرب لسنة 1986م.

استهلّ كتابه هذا بمقدّمة بيّن فيها أنّ اللّغة هي أخطر الظواهر الاجتماعية الإنسانيّة على الإطلاق، وأنّ الحاجة ملّحة إلى منهج لهذه اللّغة، وعليه تناول فيه أفكار المنهج الوصفي في تحليل مستويات اللّغة الخمسة وهي: الأصوات- الصّرف- النّحو- المعجم- الدّلالة. وحاول تطبيقها على اللّغة العربيّة الفصحى. وهو منهج يثير الاهتمام والتّفكير، وفيه أضاف إلى منهج الدّراسة شيئا جديدا.

2- كتاب اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة:

نشر لأوّل مرّة سنة 1958م، بمكتبة الأنجلو المصريّة، وطبع بعد ذلك عدّة مرّات في مصر والمغرب (*). وفيه قسم تَمّام حسان النّشاط اللّغوي إلى اتّجاهين أساسيين هما: الاستعمال اللّغوي؛ الذي هو وظيفة المتكلّم. والبحث اللّغوي الذي هو وظيفة الباحث، وفي ضوء هذا التّفريق ربط بين المعياريّة والأمور الاستعماليّة كالقياس والأمور المنهجية كالرموز اللّغوية والاستقراء والتّقييد والنّماذج اللّغوية.

يُعدّ كتاب اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة مكّلا لكتابه سالف الذّكر، وهو مناهج البحث في اللّغة؛ إذ يُعدّ ترسيخا للمنهج الوصفي الذي كان قد دعا إليه، كما يُعدّ نقدا صريحا للمنهج المعياري الذي اتّسمت به الدّراسات اللّغوية العربيّة القديمة.

وعن الكتابين السّابقين مناهج البحث في اللّغة واللّغة بين المعياريّة والوصفيّة يقول صبحي الصالح: «جاء آيتين في الدّقة والتّقصي، فيما صوّرا من المذاهب الحديثة في بحوث اللّغة، وإنّ فيهما لجهدا مشكورا في ردّ طائفة من تلك المذاهب إلى مبتدعيها، ومحاولة ناجحة أحيانا في المقارنة بين العربيّة واللّغات الحيّة، من خلال ما استحدث العلماء من مناهج، ولكن في الكتابين عيبا أجسم من عيوب [بعض] الكتب العصريّة؛ فكثيرا ما يُدخل الدّكتور حسان الضّيم على العربيّة، وهو يُطبّق عليها ما أتقنه من المناهج

(* الطّبعة المعتمدة لهذا الكتاب، في هذا البحث هي طبعة دار الثقافة بالدار البيضاء بالمغرب، دون تاريخ. وكذا الطّبعة الرّابعة لعالم الكتب بالقاهرة لسنة 2000م.

الغربية، ماسخا بذلك أصوات العرب في رموز وطلاسم استشرافية، فيها من عجمة الدّخيل ما لا يُطاق!«⁽¹⁾.

3- كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها:

صدرت طبعته الأولى سنة 1973م، عن الهيئة المصرية العامّة، وتلتها طبعات أخرى في مصر والمغرب^(*). وقد كشف تَمّام حَسّان في كتابه هذا عن أنظمة اللّغة العربية، ووضعها لأول مرّة في مقابل مشاكل التّطبيق، وربط هذه الظّواهر بالواقع؛ إذ حاول تطبيق المنهج الوصفي البنيوي في دراسة اللّغة على العربية الفصحى.

كما احتوى الكتاب خلاصة الأفكار التي كانت تدور في ذهن المؤلّف، ممثّلة في أهمّ نظرياته في اللّغة وهي نظرية القرائن التّحوية، وكذا المزوجة بين المعنى والمبنى للكشف عن المعنى التّحوي الممتدّ من الأصوات إلى الصّرف إلى النّحو إلى المعجم إلى الدّلالة.

حظي كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها بدراسات نقدية كثيرة، فقد عدّه عبد الرّحمان العارف مشروع قراءة أخرى للتّراث اللّغوي العربي من وجهة نظر الدّراسات اللّغوية الحديثة؛ أي أنّه إعادة صياغة للنّحو العربي، وترتيب الأفكار اللّغوية بوجه عام، في ضوء المنهج الوصفي كأحد مناهج البحث اللّغوي الحديث⁽²⁾.

اختلفت ردود الأفعال تجاه هذا الكتاب سلبا وإيجابا، فعُدّ من زاوية أبرز مثال عن الكتابات اللّسانية العربية الوصفية الرائدة، فهناك من يرى أنّ اللّغة العربية معناها ومبناها

(1) صبحي الصالح. دراسات في فقه اللّغة. دار العلم للملايين. ط10. 1983. ص10.

(*) أمّا الطّبعة المعتمدة في هذا البحث؛ فالأولى لدار الثقافة بالدار البيضاء بالمغرب، سنة 2001م. والثّانية الطّبعة الخامسة لعالم الكتب بالقاهرة، سنة 2006م.

(2) يُنظر: عبد الرّحمن العارف. تَمّام حَسّان رائدا لغويا. ص19.

يمكن عدّه من عدّة أوجه عملا لسانيا رائدا⁽¹⁾. فهناك من يرى أنّه أوّل دراسة تطبيقية للمنهج البنيوي الوصفي⁽²⁾. وهناك من يعتقد أنّ «محاولة الدكتور تمام أعطت للنحو مفهومه ومكانه الصّحيح بين أنظمة اللّغة العربية، فلم يعد علما مقصورا على درس ظواهر الإعراب والبناء فقط، ولا حتّى علما خاصّا بدراسة الأبواب، أو ما يسمّيه المؤلّف المعاني النّحوية الخاصّة، وإنّما أصبح نظاما يتناول ذلك كلّه، ويتعدّاه إلى ما هو أهمّ وألزم للتركيب اللّغوي من حيث بناؤه وفهم مدلوله معا»⁽³⁾. ومن زاوية أخرى وُضع كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها على مائدة التّشريح الذي يصل في بعض الدّراسات النّقديّة إلى حدّ التّجريح والخروج عن الموضوعية⁽⁴⁾. ومع ذلك فقد تقبّلها تمام حسان بصدر رحب، واستجاب بوجه خاص للملاحظات العلمية البناءة خاصّة المتعلقة بالدّعوة إلى التّطبيق العملي والعلمي على أبواب النّحو في ضوء نظرية القرائن النّحوية، فجدّد ذلك في تأليف كتاب الخلاصة النّحوية. ورغم اختلاف وجهات النّظر فإنّ كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها يُعدّ محاولة جريئة وحدثا علميا متميّزا في الدّراسات اللّغوية العربية المعاصرة.

(1) للاستزادة يُنظر: مصطفى غلفان. اللّسانيات العربية الحديثة (دراسة نقدية في المصادر والأسس النقدية والمنهجية). جامعة الحسن الثّاني. عين الشّوق. كلىة الآداب والعلوم الإنسانيّة. سلسلة رسائل وأطروحات رقم: 04. مطبعة فضالة. المغرب. ص178.

(2) للاستزادة ينظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي "دراسة في الفكر اللّغوي الحديث. دار المعرفة الجامعية. الأزاريطة الإسكندرية. 1996. ص240.

(3) عبد الوارث مبروك سعيد. في إصلاح النّحو العربي. دار القلم. ط1. الكويت. 1985. ص176.

(4) ينظر مثلا: محمد أبو المكارم قنديل. مزامع التّجديد في النّحو العربي. مجلّة كلىة الدّراسات الإسلاميّة والعربية للنبات بالمنصورة. جامعة الأزهر. ع01. 1988. من ص 184 إلى ص191.

4- كتاب الأصول «دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب - النحو - فقه

اللغة - البلاغة»:

صدرت طبعته الأولى سنة 1981م عن دار الثقافة بالدار البيضاء بالمغرب، وتلتها عدّة طبعات بعد ذلك في مصر والعراق(*) . وفي الكتاب دراسة معرفية لجذور الفكر اللغوي في أهمّ حقول الدّراسات اللّغوية العربية، وهي: النحو - فقه اللّغة - والبلاغة. ويقول تمام حسّان في الأصول: «ولي ثقة أنّ الذي اشتمل عليه كتابي هذا إنّما يقوم من احتمالات هذا الحقل مقام ما يفتح الشّهية من الوجبة الدّسمة»⁽¹⁾. وفعلا كتاب الأصول فتح شهية الباحثين نظرا لقيّمته العلمية، فخصّوه بدراسات نقدية(**) كشفت عن نواحي الائتلاف والاختلاف في بعض القضايا المتّصلة بتاريخ النحو وأصوله. وفي سنة 1983م تحصّل تمام حسّان بكتاب الأصول على جائزة آل بصير العالمية لخدمة الإسلام والأدب العربي والعلوم، في حقل الإنتاج الأدبي واللّغوي.

5- كتاب التمهيد في اكتساب اللّغة العربية لغير الناطقين بها:

نُشر في وحدة البحوث والمناهج بمعهد اللّغة العربية بجامعة أم القرى بمكّة المكرمة، سنة 1984م(***) . ويتّضح من عنوان الكتاب أنّ ميدانه علم اللّغة التّطبيقي (Applied Linguistics)؛ ذلك لأنّه يصبّ في مجال تعليم اللّغة العربية لغير أبنائها، ولا يتمّ ذلك إلاّ بتتابع ثلاث عمليات عقلية هي: التّعريف ثم الاستعاب فالاستمتاع.

(*) في هذا البحث تمّ الاعتماد على طبعة عالم الكتب. القاهرة. 2009. وتجدر الإشارة إلى وجود خطأ مطبعي في

العنوان الثانوي المقيد على غلاف الكتاب وهو: "دراسة إبستمولوجية... بدلا من: "دراسة إبستمولوجية...".

(1) تمام حسّان. الأصول. ص 11.

(**) منها: محمد خير الحلواني. نظرة في كتاب الأصول. مجلّة المناهل. ع: 23. المغرب. 1982. من ص 323

إلى ص 343.

(***) وهي الطّبعة المعتمدة في هذا البحث.

6- كتاب مقالات في اللّغة والأدب:

نُشر في وحدة البحوث والمناهج، بمعهد اللّغة العربية بجامعة أم القرى بمكّة المكرّمة، سنة 1985م، ويقع في جزأين(*) . والكتاب بجزأيه يتضمّن مجموعة من المقالات والبحوث التي قد نشرها في مجلّات مختلفة، أو ألقاها في مؤتمرات وندوات علمية متخصصة، وأغلب موضوعاته تدور حول اللّغة: تعليماً، ونقداً، وتقويماً للتّراث اللّغوي عند العرب. وقد حوى الجزء الأوّل منه ستّة عشر بحثاً هي:

- أربعة بحوث في تعليم اللّغة، وهي:

1- جدوى استعمال التّقابل في تعليم اللّغة العربية لغير أبنائها (1981م).

2- من مشكلات تعليم النّحو العربي (1982م).

3- تعليم النّحو بين النّظرية والتّطبيق.

4- من مسائل النّحو.

- سبعة بحوث في علم اللّغة، وهي:

5- ضوابط التّوارد (1985م).

6- ظاهرة الرّبط في التّركيب والأسلوب العربي (1982م).

7- النّحو العربي ومناهج التّحليل (1978م).

8- وحدة البنية وتعدّد النّماذج (1983م).

9- من خصائص العربية (1984م).

10- الخليقة والسّليقة (1959م).

11- تشقيق المعنى (1959م).

- أربعة بحوث في النّقد اللّغوي، وهي:

12- اللّغة والنّقد الأدبي (1983م).

13- موقف الأديب من اللّغة (1959م).

(*) والطبعة المعتمدة في هذا البحث هي الطبعة الأولى لعالم الكتب. القاهرة. 2006م.

14- صوتية الأدب (1959م).

15- المذهب الرمزي في الأدب (1954م).

- مقال واحد في تقويم التراث اللغوي العربي، وهو:

16- التراث اللغوي العربي - نظرة نقدية (1981م).

يشير تمام حسّان أنّ المقالات التي تحمل أرقام: 4-10-11-13-14-15 والتي كتبها قبل عام 1960م تصنّف في مرحلة ما قبل التّأطير؛ إذ لم يكن حتّى ذلك العام قد وصل إلى الإطار الفكري الذي أودعه كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها، بل إنّ هذه الفترة قد امتدّت إلى ما بعد ذلك، وهكذا تطول فترة ما قبل التّأطير، فلا تنتهي إلاّ بعودته إلى كلىة دار العلوم عام 1965م؛ إذ بدأت فترة جديدة كانت إرھاصا للهيكل البنيوي الذي اشتمل عليه الكتاب. وتمثّل الإرھاص في صورة بحثين، كان عنوان أولهما: منهج النّحاة العرب، وعنوان الثّاني: أمن اللّبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية. أمّا ما عدا ذلك من المقالات فتقع في طائفتين: الأولى تتمثّل في الثّلاث الأوّل، والفضل في التّفكير في موضوعاتها يعود إلى عمله بمعهد اللّغة العربية في أمّ القرى 1980م. ذلك بأنّ اهتمامه لم يتّصل قبل هذه الفترة بالجانب التّطبيقي (التّعليمي) من علم اللّغة، وإنّما انصبّ في جملته وتفصيله على النّظر والتّنتظير، وأمّا الطّائفة الثّانية فهي مقالات تحمل تفسيراً أو اجتهاداً أو أمراً آخر يتّصل بالنّظر أو التّنتظير، وشارك تمام حسّان ببعض هذه المقالات في ندوات وبععضها في مؤتمرات، والبعض الثّالث حديث لم يسلك طريقاً إلى النّشر، كالمقال الخامس ضوابط التّوارد؛ إذ كُتب منذ البداية ليحتلّ مكانه في كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها، وليشتمل هذا الكتاب على أحدث أفكار صاحبه⁽¹⁾.

أمّا الجزء الثّاني فقد حوى من المقالات ما كُتب بعرضه بعد عام 1958م، وبه سبع عشرة مقالة موزّعة من حيث الموضوع بين اللّغة والنّقد الأدبي. ويقول تمام حسّان: «ولقد

(1) ينظر: تمام حسّان. مقالات في اللّغة و الأدب. ج1. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2006م. ص6-7.

كتبت بعض هذه المقالات للمشاركة في ندوات وبعضها من أجل طلاب الدراسات العليا، وبعضها ثالثاً نتيجة جهد تلقائي مصدره التفكير الحر⁽¹⁾. وقد وردت مقالات الجزء الثاني مرتبة على النحو الآتي:

- 1- اللغة العربية وتطورها.
- 2- احتمالات اللبس في نظام اللغة (دراسة وتطبيق).
- 3- قرينة السياق.
- 4- المعجم (أنظام أم رصيد من المفردات؟).
- 5- وضع المصطلح العربي (في النحو والصرف).
- 6- المصطلح النقدي بين العرفية والارتجال.
- 7- المصطلح البلاغي القديم (في ضوء البلاغة الحديثة).
- 8- الإفادة والعلاقات البيانية.
- 9- درجات الصواب والخطأ (في الاستعمال العربي).
- 10- السليقة (بين النحو العربي والنحو التوليدي).
- 11- ظاهرة الترخّص عند أمن اللبس (على المستويات المختلفة).
- 12- النقد اللغوي للأدب.
- 13- موقف النقد العربي التراثي (من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية).
- 14- قضايا الحداثة في اللغة العربية.
- 15- إبداع المعنى في اللغة العربية (من منظور تعدد الحقول المعرفية).
- 16- ألفاظ الحضارة.
- 17- بين عبد القاهر الجرجاني ونعام تشومسكي (النظم والبنية العميقة).

(1) تمام حسّان. مقالات في اللغة والأدب. ج2. عالم الكتب. ط1. القاهرة. 2006. ص9.

7- كتاب البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني -:

صدرت طبعته الأولى في جزء واحد عن عالم الكتب بالقاهرة، سنة 1993م. ثم صدرت طبعته الثانية عن الدار نفسها بجزأين في مجلد كبير واحد، سنة 2000م (*). وقد عالج تمام حسان في هذا الكتاب قضايا لغوية شتى في القرآن الكريم؛ إذ قام بتحليل النصوص القرآنية ودراستها دراسة لغوية وأسلوبية، مطبقاً فيه ما جاء في مؤلفاته السابقة، لاسيما كتاب اللغة العربية معناها ومبناها، ففي الجزء الأول منه تطبيق عملي لنظرية القرائن اللغوية، ودورها في فهم وتفسير النص القرآني ومن هذه القرائن نجد: الإعراب، البنية، الرتبة، التضام، الربط، السياق وغيرها. أما في الجزء الثاني فقد تناول النص القرآني بالتحليل مركزاً على الدراسة الأسلوبية، وختمه بتسليط الضوء على الهيكل البنيوي لبعض السور القرآنية نحو: الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت.

8- كتاب الخلاصة النحوية:

صدرت أولى طبعاته سنة 2000م عن عالم الكتب بالقاهرة، وعن الدار نفسها صدرت طبعته الثانية سنة 2004م (**)، وطبعته الثالثة سنة 2009م. ويُشير تمام حسان في مقدمة كتابه هذا إلى أنّ هذه الخلاصة أُريد لها أن تكون «تطبيقاً للدراسة النظرية؛ وذلك بإبراز تضافر القرائن على بيان المعنى، وأن تكون مركزة تركيزاً شديداً، وأن تلجأ إلى نوع جديد من عرض حقائق النحو عن طريق الأشكال الإيضاحية المُعينة على تصوّر العلاقات بين الأحكام»⁽¹⁾.

(*) وهي الطبعة المعتمدة في هذا البحث.

(**) هذه الطبعة هي المعتمدة في هذا البحث، ولكن تجدر الإشارة إلى ورود تاريخ الطبعة الثانية 1425هـ-2004م على صفحة معلومات الطبع، في حين ورد تاريخ الطبعة الثانية 1425هـ-2005م على الواجهة الداخلية لنفس الكتاب، والأول منهما هو الأصح، لأنه دلالة على بداية الموسم: 2004م-2005م.

(1) تمام حسان. الخلاصة النحوية. ط2. عالم الكتب. القاهرة. 2004م. ص 8-9.

9- كتاب خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم:

صدرت طبعته الأولى(*) سنة 2006م عن دار عالم الكتب. وفي مقدّمة هذا الكتاب يقول تَمَام حَسَّان: «هذه الدّراسة من قبيل ما تضمّنه كتاب البيان في روائع القرآن، ثمّ ظلّت العلاقة بيني وبين النّصّ الكريم أتأمّله وأجني من ثماره حتّى منّ الله تعالى عليّ بهذه الخواطر، أمّا ما اشتمل عليه هذا الجهد من موضوعات فإنّه ينصبّ على تأمل الأسلوب القرآني من موقف السّاعي إلى الفهم في ضوء التّراث اللّغوي العربي والاستعانة بما جدّ من دراسات لغوية حديثة، والوصول بواسطة هذا التأمّل إلى آراء وخواطر تتعلّق بفهم النّصّ وأغراضه ومراميه فهما يقترب أو يبتعد عمّا ساد بين النّاس من قبل»(1).

يضمّ هذا الكتاب نوعين من التأمّلات في سور القرآن الكريم؛ تأمّلات في المبنى وأخرى في المعنى. فأما من حيث المبنى فقد جاء الكلام في تقلّبات التّاء الزّائدة في صيغ صرفية بعينها، وتأمّل محور القرب والبعد بين المتلازمين في السّياق ثمّ بعض الظّواهر الأسلوبية الهامشية في السّياق كظاهرة النّقل والمعاقبة ونحوهما، ثم اختصاص التّسوية بين المتعاطفين بحرف عطف معيّن ثم ملاحظة بعض طرق التّركيب في النّصّ القرآني. وأمّا من حيث المعنى فقد جرى بعض ما اختلفت طرق فهمه بين النّاظرين فيه، كمعنى التّرتيل وما يختصّ به، وبعض الضمائر من استعمالات بعينها، ثم مفهوم الثّاني الذي اختلف حوله المفسّرون ثم مفهوم ظلال المعنى الذي ردّده النّاس دون محاولة الإحاطة به ثم فكرة المؤشّر الأسلوبي وطرق فهمه، وأخيرا بعض القيم الصّوتية ذات المعنى في النّصّ القرآني(2).

(*) وهي الطّبعة المعتمدة في هذا البحث.

(1) تَمَام حَسَّان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ط2. عالم الكتب. القاهرة. 2006م. من المقدّمة.

(2) يُنظر: تَمَام حَسَّان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. الغلاف.

10- كتاب اجتهادات لغوية:

صدرت طبعته الأولى سنة 2007م عن دار الكتب بالقاهرة(*) . وقد حوى هذا الكتاب أفكاراً قلماً تشتمل أفكار الآخرين، ومن ثمّ كانت من قبيل الاجتهاد؛ فبعض الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب سبق نشره في المجلات العلمية في مصر وخارجها، والبعض الآخر جديد لم يُنشر من قبل⁽¹⁾؛ فالباب الأول منه ضمّ قضايا المعنى، والثاني منه ضمّ: قضايا المبنى، أمّا الباب الثالث فخصّص لنحو النصّ. وبعض مقالات هذا الكتاب سبق ذكرها في كتاب: مقالات في اللّغة والأدب.

11- كتاب مفاهيم ومواقف في اللّغة والقرآن:

صدرت طبعته الأولى سنة 2010م عن عالم الكتب بالقاهرة(**). وقد سلّط تمام حسان الضّوء في مقدّمة كتابه هذا على عدّة نقاط أهمّها: التّفريق بين اللّغة واللهجات، وبين الفصحى والعاميّة، وبين اكتساب السّليقة بالممارسة واكتسابها بالتّعليم. وتحت عنوان أفكار بحثية تحدّث عن أنواع الدّلالة، تكرار النّفى في السّياق القرآني، وكذا عن الفكر الحديث في دراسة اللّغة وفي النّقد. ولأدرج في الأخير بعض المفاهيم العقائدية كالوحي، والتّوحيد، والألوهية، والرّبوبية وغيرها. كما تناول النّصّ القرآني بالدراسة من ناحية المبنى والمعنى⁽²⁾.

12- كتاب الفكر اللّغوي الجديد:

صدر في طبعته الأولى عن دار عالم الكتب بالقاهرة سنة 2011م^(***)، وقد انطلق تمام حسان في كتابه هذا من أنّ اللّغة لفظ ومعنى، ولكل من اللفظ والمعنى نموّه وتطوّره،

(*) وهي الطّبعة المعتمدة في هذا البحث.

(1) تمام حسان. اجتهادات لغوية. ط1. عالم الكتب. القاهرة. الغلاف.

(**) وهي الطّبعة المعتمدة في هذا البحث.

(2) ينظر: تمام حسان. مفاهيم ومواقف في اللّغة والقرآن. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2010م. ص7-8.

(***) وهي الطّبعة المعتمدة في هذا البحث.

على نحو تراكمي حيناً، وعلى نحو تجددٍ حيناً آخر عبر توالي الأزمنة. وأنّ الإنسان هو مصدر هذا التراكم وذلك التجدد، وكان من طبيعة علاقة ذلك باللّغة أن يصيب اللّغة في كلّ العصور، سواء من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، قدر من التغيّر إيجاباً أو سلباً.

كان الفكر الجديد في الحالين إمّا أثراً من آثار التحوّل التراثي الذاتي، وإمّا غاية من غايات التفكير الإنساني، إذ أنّ هذا التفكير هو مصدر الفكر اللغوي الجديد، وهو موضوع هذا الكتاب⁽¹⁾.

13- كتاب حصاد السنين من حقول العربية:

هذا آخر كتاب صدر بعد وفاة مؤلفه تَمّام حسان سنة 2011م، وأصدرت دار عالم الكتب بالقاهرة طبعها الأولى له سنة 2012م^(*). وفيه صال تَمّام حسان وجال في الكثير من المواضيع اللغوية مركّزا على المبنى في بعضها، وعلى المعنى في بعضها الآخر؛ فمن الأولى: المعجم (نظام أم رصيد من المفردات)، وكذا المعجم التاريخي، البنية وطريقة التّحضير. ومن الثانية: معاني القرآن الكريم، وتأمّلات في سورة النحل. وقد ضمّن هذا الكتاب الكثير ممّا توصل إليه في مسيرة بحثه العلمي، إذ يقول: «فكان جهد السنين من صور الحصاد الذي جعلناه جزءاً من عنوان هذا الكتاب»⁽²⁾.

(1) ينظر: تَمّام حسان. الفكر اللغوي الجديد. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2011م. ص11.

(*) وهي الطبعة المعتمدة في هذا البحث.

(2) تَمّام حسان. حصاد السنين من حقول العربية. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2012م. ص8.

- تجدر الإشارة إلى بعض الموضوعات التي ترد بنفس الصيغة والطرح، أو باختلاف بسيط فيها في مؤلفين أو أكثر (*)، نحو:
- 1- المصطلح النقدي بين العرفية والارتجال⁽¹⁾.
 - 2- تأملات في القيم الصوتية في القرآن الكريم⁽²⁾.
 - 3- النص القرآني يُفندُ كذوبة الغرانيق⁽³⁾.
 - 4- العلاقات الملحوظة في النص القرآني⁽⁴⁾.
 - 5- الصّحة والجمال في النصّ القرآني⁽⁵⁾.
 - 6- محور القرب والبعد في تضام عناصر النصّ القرآني⁽⁶⁾.

-
- (* رُتبت المواضيع بحسب ورودها لأول مرة، مع مراعاة سنوات تأليف الكتب وأرقام الصفحات.
- (1) ورد أول مرة في: مقالات في اللغة و الأدب. ج2. من ص124 إلى ص138. ثم ورد مرة ثانية بنفس الصيغة والطرح في: الفكر اللغوي الجديد. من ص71 إلى ص86.
 - (2) ورد أول مرة في: البيان في روائع القرآن. ج1. من ص175 إلى ص228. ثم ورد مرة ثانية باختلاف بسيط في الصياغة: تأملات في بعض القيم الصوتية في القرآن الكريم في: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. من ص123 إلى ص142.
 - (3) ورد أول مرة في: البيان في روائع القرآن. ج2. من ص323 إلى ص338. مع وجود خطأ مطبعي في الفهرس: يفتد. ثم ورد مرة ثانية كالاتي: كذوبة الغرانيق يدحضها النصّ القرآني في: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن. من ص443 إلى ص454.
 - (4) ورد أول مرة في: البيان في روائع القرآن. ج1. من ص395 إلى ص421. ثم ورد مرة ثانية متضامًا مع موضوع العلاقات الملفوظة فكان كالاتي: العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النصّ القرآني في: اجتهادات لغوية. من ص285 إلى ص319.
 - (5) ورد أول مرة في: البيان في روائع القرآن. ج1. من ص423 إلى ص468. ثم ورد مرة ثانية بنفس الصيغة في: اجتهادات لغوية. من ص255 إلى ص284.
 - (6) ورد أول مرة في: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. من ص07 إلى ص34. ثم ورد مرة ثانية باختلاف بسيط في الصياغة: محور القرب والبعد بين عناصر السياق في النصّ القرآني (ملخص). مع ورود خطأ مطبعي في الفهرس: النصّ القرآن في: حصاد السنين من حقول العربية. من ص162 إلى ص163.

- 7- إجراءات صرفية في تقلّبات النّاء الزّائدة في صرف الافتعال والتفاعل والتفعل (1).
- 8- ظواهر هامشية في النّظام النّحوي (2).
- 9- ضلال المعاني في القرآن الكريم (3).
- 10- الفرق بين اللّبس واحتمال أوجه المعنى (4).
- 11- المعجم. أهو نظام أم رصيد من المفردات (5).
- 12- أيّام الله في القرآن الكريم (6).
- 13- اكتساب السّليقة بالتّعليم (7).

(1) ورد أول مرّة في: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. من ص 45 إلى ص 50. ثمّ ورد مرّة ثانية بسقوط كلمة صرف: إجراءات صرفية في تقلّبات النّاء الزّائدة في الافتعال والتفاعل والتفعل في: الفكر اللّغوي الجديد. من ص 177 إلى ص 182.

(2) ورد أول مرّة في: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. من ص 51 إلى ص 65. ثمّ ورد مرّة ثانية باختلاف بسيط في الصّيغة: من الظواهر الهامشية في النّظام النّحوي مع شواهد من القرآن الكريم. في: الفكر اللّغوي الجديد. من ص 143 إلى ص 158.

(3) ورد أول مرّة في: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. من ص 83 إلى ص 98. ثمّ ورد مرّة ثانية بنفس الصّيغة. في: حصاد السّنين من حقول العربية. من ص 164 إلى ص 180.

(4) ورد أول مرّة في: اجتهادات لغوية. من ص 179 إلى ص 184. ثمّ ورد مرّة ثانية باختلاف بسيط في الصّيغة: الفرق بين اللّبس واحتمالات وجوه المعنى. في: الفكر اللّغوي الجديد. من ص 135 إلى ص 141.

(5) ورد أول مرّة في: اجتهادات لغوية. من ص 338 إلى ص 347. وقد وردت في الفهرس لفظة المقررات بدل المفردات وهو خطأ مطبعي. ثمّ ورد مرّة ثانية باختلاف بسيط في الصّيغة: المعجم (أنظام هو أم رصيد من المفردات). وقد وردت في الفهرس لفظة رصسد بدل رصيد وهو خطأ مطبعي في: حصاد السّنين من حقول العربية. من ص 20 إلى ص 32. وقد تساءل تمام حسّان في: اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 312. (هل يمكن أن يكون المعجم نظاما من أنظمة اللغة كما كان النّظام الصّوتي والصّرفي والنّحوي) ولكن الطّرح يختلف عن سابقه.

(6) ورد أول مرّة في: اجتهادات لغوية. من ص 351 إلى ص 357. ثمّ ورد مرّة ثانية باختلاف بسيط في الصّيغة: أيّام الله في القرآن. في: حصاد السّنين من حقول العربية. من ص 211 إلى ص 216.

(7) ورد أول مرّة في: مفاهيم ومواقف في اللّغة والقرآن. من ص 61 إلى ص 86. ثمّ ورد مرّة ثانية وزيد على الصّيغة السابقة فأصبح العنوان: اكتساب السّليقة العربية من خلال التّعليم في ضوء الدّراسات الحديثة. في: الفكر اللّغوي الجديد. من ص 39 إلى ص 63.

- 14- درجات في سلم البحث⁽¹⁾.
- 15- تكرار النفي في السياق القرآني⁽²⁾.
- 16- ربّ يوسف- عليه السلام- كما يفهم من القرآن الكريم⁽³⁾.
- 17- المعجم التاريخي البنية وطريقة التحضير⁽⁴⁾.
- 18- أثر قرينة السياق في إزالة تعدد احتمالات الإعراب في النص القرآني⁽⁵⁾.
- 19- الدلالة اللغوية بين الأفراد المعجمي والتنوع السياقي⁽⁶⁾.
- 20- دابة الأرض⁽⁷⁾.
- 21- تعليم اللغة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة⁽⁸⁾.

-
- (1) ورد أول مرة في: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن. من ص 135 إلى ص 146. ثم ورد مرة ثانية وثالثة باختلاف بسيط في الصياغة: درجات سلم البحث في نظام اللغة. في: الفكر اللغوي الجديد. ص 27 إلى ص 37. وحصاد السنين من حقول العربية. من ص 09 إلى ص 19.
 - (2) ورد أول مرة في: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن. من ص 147 إلى ص 152. ثم ورد مرة ثانية وزيد على الصياغة السابقة كلمة صور فأصبح العنوان: صور تكرار النفي في السياق القرآني. في: حصاد السنين من حقول العربية. من ص 204 إلى ص 210.
 - (3) ورد أول مرة في: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن. من ص 255 إلى ص 262. ثم ورد مرة ثانية باختلاف بسيط في الصياغة فأصبح العنوان: ربّ يوسف- عليه السلام- كما يفهم من النص القرآني الكريم. في: حصاد السنين من حقول العربية. من ص 126 إلى ص 134.
 - (4) ورد أول مرة في: الفكر اللغوي الجديد. من ص 65 إلى ص 70. ثم ورد مرة ثانية بنفس الصياغة. في: حصاد السنين من حقول العربية. من ص 220 إلى ص 225.
 - (5) ورد أول مرة في: الفكر اللغوي الجديد. من ص 131 إلى ص 133. ثم ورد مرة ثانية بنفس الصياغة في: حصاد السنين من حقول العربية. من ص 231 إلى ص 232.
 - (6) ورد أول مرة في: الفكر اللغوي الجديد. من ص 159 إلى ص 176. ثم ورد مرة ثانية وبصياغة أوجز: الدلالة اللغوية بين الأفراد والتعدد. في: حصاد السنين من حقول العربية. من ص 51 إلى ص 70.
 - (7) ورد أول مرة في: الفكر اللغوي الجديد. من ص 199 إلى ص 201. ثم ورد مرة ثانية بنفس الصياغة في: حصاد السنين من حقول العربية. من ص 217 إلى ص 219.
 - (8) ورد أول مرة في: الفكر اللغوي الجديد. من ص 203 إلى ص 215. ثم ورد مرة ثانية بنفس الصياغة. في: حصاد السنين من حقول العربية. من ص 33 إلى ص 50.

المجال الثاني: البحوث والمقالات

إنّ شغف تمام حسّان الكبير بالبحث والكتابة جعل بحوثه ومقالاته تكاد لا تُعدّ ولا تُحصى، بشهادة صاحبها إذ يقول: «إنّني لو أردت إحصاء البحوث التي كتبتها على مدى ذلك الزمن ما استطعت، فهي والحمد لله كثيرة كثيرة أظنّها عظيمة، تشهد على ذلك المجالات المختلفة في وطننا العربي من مشرقه إلى مغربه»⁽¹⁾. ولهذا يصعب إحصاء جميع بحوثه ومقالاته المنشورة في الدوريات العلمية، أو المشارك بها في الندوات والملتقيات العلمية، وعليه سيكون ذكر بعضها^(*) على سبيل التمثيل لا الحصر⁽²⁾:

- مجلّة الأزهر (مصر):

- 1- نشأة النحو العربي. المجلّد: 32. الجزء الأوّل. 1960م. من الصّفحة: 47 إلى الصّفحة: 56.
- 2- مشكلة الخطّ العربي. المجلّد: 32. الجزء الخامس. 1960م. من الصّفحة: 439.
- 3- النحو والمنطق. المجلّد: 32. الجزء السّابع. 1960م. من الصّفحة: 704 إلى الصّفحة: 709.
- 4- مصطلحات سيبويه في أصوات اللّغة العربية. المجلّد: 32. الجزء العاشر. 1960م. من الصّفحة: 1077 إلى الصّفحة: 1084.

- مجلّة منبر الإسلام (مصر):

- 5- نظرة في فكرة النّظم كما حدّدها عبد القاهر. العدد الخامس. 1968م. من الصّفحة: 167 إلى الصّفحة: 169.

(1) تمام حسّان. مقالات في اللّغة والأدب. ج1. ص05.

(*) لن تُذكر المقالات المنشورة في جزئي كتاب مقالات في اللّغة والأدب وعددها 33 مقالة لأنّها ذُكرت من قبل.

(2) يُنظر: عبد الرحمن العارف. تمام حسّان رائدا لغويًا. ص23 وما بعدها.

- حوليات كلية دار العلوم (القاهرة):

6- أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية. 1968م-1969م. من الصفحة: 123 إلى الصفحة: 169.

7- منهج النحاة العرب. 1969م-1970م. من الصفحة: 35 إلى الصفحة: 62.

- مجلة المجلة (مصر):

8- وظيفة اللغة في مجتمعنا المعاصر. العدد: 114. 1966م. من الصفحة: 31 إلى الصفحة: 40.

- مجلة اللسان العربي (المغرب):

9- الوظائف النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي. المجلد: 11. الجزء الأول. 1974م. من الصفحة: 24 إلى الصفحة: 63.

10- نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية. المجلد: 11. الجزء الأول. 1974م. من الصفحة: 284 إلى الصفحة: 301.

- مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس (الرباط- المغرب):

11- مشكلة الترجمة. العدد: 3-4. 1978م. من الصفحة: 181 إلى الصفحة: 194.

- مجلة فصول (مصر):

12- اللغة العربية والحداثة. المجلد: 04. العدد الثالث. الجزء الأول. 1984م. حضمن الصفحة: 128 إلى الصفحة: 140.

13- التراث اللغوي العربي. العدد الأول. 1980م. من الصفحة: 87 إلى الصفحة: 105.

- مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة):

14- من طرق القرآن الكريم. الجزء التاسع والأربعون. 1982م. من الصفحة:172 إلى الصفحة:190.

15- لغة الإعلام. الجزء الثاني والستون. 1988م. من الصفحة:44 إلى الصفحة:55.

- مجلة المناهل (المغرب):

16- النّضام وقيود التّوارد. العدد السادس. 1976م. من الصفحة:59 إلى الصفحة:78.

17- أصول النّحو وأصول النّحاة. العدد العاشر. 1977م. من الصفحة:71 إلى الصفحة:84.

18- نحن والتراث والمعاصرة. العدد الثاني عشر. 1978م. من الصفحة:75 إلى الصفحة:88.

19- قضايا اللّغة. العدد السادس عشر. 1979م. من الصفحة:79 إلى الصفحة:89.

20- الازدواج اللّغوي. العدد السادس عشر. 1979م. من الصفحة:147 إلى الصفحة:160.

- مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة):

21- كيف نعلّم غير النّاطقين بالعربية تحديد المعنى النّحوي في غيبة العلامة الإعرابية. العدد الأوّل. 1982م. من الصفحة:19 إلى الصفحة:35.

22- مشكلات تعليم الأصوات لغير النّاطقين بالعربية. العدد الثاني. 1984م. من الصفحة:353 إلى الصفحة:364.

المجال الثالث: الترجمة (1)

ساهم تمام حسّان في إثراء المكتبة العربية ببعض المؤلفات التي عكف على ترجمتها إلى العربية، وهذه التّجمات تنمّ عن وعيه بمكانة الفكر العربي عموماً، والفكر اللّغوي خصوصاً. وأعماله المترجمة هي:

1- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب: من تأليف ديلاس أوليري (Dellas O'leary)، نشره تمام حسّان بمكتبة الأنجلو المصرية سنة 1957م، ثم سنة 2010م (*).

2- اللّغة في المجتمع: من تأليف موريس ميكايل لويس (M-M-Lewis)، نشره تمام حسّان بدار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة 1959م.

3- الفكر اللّغوي ومكانه في التاريخ: من تأليف ديلاس أوليري (Delacy O'leary)، نشره تمام حسّان عن عالم الكتب بالقاهرة سنة 1961م، ثم نشره في طبعة ثانية عن الهيئة المصرية للكتاب عام 1997م (**).

4- أثر العلم في المجتمع: من تأليف برتراند آرثر وليم رسل (B-A-W-Resl)، نشره تمام حسّان بمكتبة نهضة مصر سنة 1985م.

5- لغويات النّص: منقول عن الموسوعة اللّغوية المنشورة بواسطة كريستين والكمير (Christine Alkmair)، بكامبيرج سنة 1991م. وقد ألحق هذه التّجمة بآخر كتابه: اجتهادات لغوية - سالف الذّكر - وهو عبارة عن معجم موجز لمصطلحات علم لغة النّص.

(1) للاستزادة ينظر: خالد فهمي. تمام حسّان - رحمه الله - سراج علماء العربية المعاصرين. تاريخ النّشر: 22-12-2011م. على الساعة: 16:13. مكة المكرمة. على الرّابط: www.ikhwanonline.com. محرّك البحث: google.

(* من أقدم تجمات الكتاب في العالم العربي.

(**) من أقدم تجمات الكتاب في العالم العربي.

6- نظرة سيميوطيقية للنصوص: لفلويد ميريل (Floyd Merrill)، كسابقه ترجمه، وألحقه بكتابه: اجتهادات لغوية.

7- النص والخطاب والإجراء: لروبرت دي بوجراند (Robert De Bojerand)، وهو أعظم متون علم لغة النص في الغرب، نشره تمام حسّان بالقاهرة سنة 1998م، وهو أمر إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ تمام حسّان منتبّع لتطوّر المعرفة في مجال علم اللّغة.

II- الرّوافد العلمية والمرجعيات الفكرية عند تمام حسان:

إنّ الجدير بالذّكر هو أنّ الدّراسات اللّغوية الغربية كان لها الأثر البيّن في الفكر اللّغوي العربي المعاصر عامة، وفي فكر تمام حسان اللّغوي خاصّة، ومردّد ذلك إلى البعثات العلمية التي يّممت صوب الغرب في الأربعينات من القرن العشرين (ق20م) لدراسة علم اللغة الحديث، خاصّة مبعوثو مصر إلى مدرسة اللّغات الشّرقية والإفريقية التابعة لجامعة لندن (*)، والتي يتّأس قسم اللّغويات بها فيرث (firth)⁽¹⁾.

لعلّ هذا من أهم الرّوافد العلمية والمرجعيات الفكرية لمبعوثي الدّراسات اللّغوية، الذين عادوا أدرّاجهم إلى أوطانهم، في أواخر النّصف الأوّل من القرن العشرين (ق20م) وأوائل النّصف الثّاني منه، متشبعين بأفكار المناهج والنّظريات الغربية التي حاولوا تطبيقها على اللّغة العربية، ومن ذلك نذكر:

(*) يُمكن تصنيف مبعوثي مصر إلى جامعة لندن في ثلاثة أجيال:

الجيل الأوّل: ويُمثّله علي عبد الواحد وافي وإبراهيم أنيس وغيرهما.

الجيل الثّاني: ويُمثّله تمام حسان وعبد الرحمن أيوب وكمال بشر وغيرهم.

الجيل الثّالث: ويُمثّله محمود فهمي حجازي وعبد الصّبور شاهين وأحمد مختار عمر وغيرهم.

(1) ينظر: عبد الرحمن العارف. المنهج الوصفي وأثره في تيسير النّحو العربي. بحث مقدّم إلى المؤتمر الثّاني

للّغة والأدب. المنعقد في كليّة الآداب والعلوم. جامعة إربد الأهلية. في الفترة: 16-17 يوليو 2003م. ص.02.

1- المنهج الوصفي (Descriptive Method):

قبل الخوض في تعريف هذا المنهج، تجدر الإشارة إلى أنّ الدّراسات اللّغوية في أوربا في القرن التّاسع عشر (ق19م)، كانت تستند على المنهج التّاريخي المقارن^(*)، إلى أن عارض فارديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure) هذا التّوجّه في دراسة اللّغة، داعياً إلى تبني المنهج الوصفي بديلاً عن المنهج السّابق الذي يتّسم بالمعيارية. وبهذا يكون الرّائد الحقيقي لعلم اللّغة الحديث، والمؤسس الفعلي لهذا المنهج الجديد الذي يرى من خلاله أنّ «الهدف الحقيقي والوحيد من علم اللّغة هو دراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها»⁽¹⁾. ما دام هذا العلم يدرس لغة واحدة أو لهجة واحدة، في زمن بعينه، ومكان بعينه، فهو إذن يبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه المختلفة: الصّوتي، الصّرفي، النّحوي، المعجمي⁽²⁾.

من أهم خصائص المنهج الوصفي أنّه:

– يعتمد آلية وصف اللّغة الحيّة المنطوقة^(**) كما هي، دون التّورط في مسائل الصّواب والخطأ، وذلك باستبعاد الأحكام المعيارية والفلسفية والمنطقية.

– يتّجه في اتّجاهين هما:

أ – اتّجاه تقريبي: يتوقّف فيه الباحث اللّغوي عند حدود الوصف والتصنيف والتّحليل.

(*) وهو منهج يدرس المادّة اللّغوية المكتوبة في فترات متعاقبة ليبدل على أصلها، ويقارن بين صورها كيف كانت؟ وكيف أصبحت؟ للاستزادة يُنظر: عبد القادر عبد الجليل. علم اللّسانيات الحديثة (نظم التّحكّم وقواعد البيانات). ط1. دار صفاء. عمان. 2002م. من ص 128 إلى ص 130.

(1) "The true and unique object of linguistics is language studied in and for it self"
Ferdinand De Saussure. Cours in general linguistics. Translated from the French by
Baskine, William Collins. London. 1974. P232

(2) ينظر: محمود فهمي حجازي. علم اللّغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللّغات السّامية). دط. دار غريب. دت. ص 36-37.

(**) يهتم بالمنطوق حتّى على مستوى اللّهجات أكثر من اللّغات الرسمية، التي تقتصر على الكتابة دون الحديث كاللاتينية واليونانية مثلاً.

ب- اتجاه تفسيري: يتجاوز فيه الباحث الوصف المجرد للحدث الكلامي إلى تفسيره وشرحه والتعليل له.

- يجمع المادة اللغوية من مظانها الأصلية الموثوق بها، ويتناول لغة واحدة أو لهجة واحدة دون أن يترك معها أخرى ليُفاضل أو يُقارب بينهما، مع تحديد البيئة الزمكانية بدقة، لاختلاف المادة المدروسة عبر العصور، وباختلاف الأمكنة.

- يُحدّد المستوى اللغوي الذي تنتمي إليه العينة الكلامية المراد وصفها وتحليلها، فمستوى لغة الشعر تختلف عن لغة النثر عن مستوى لغة العلم مثلاً.

- ارتبط المنهج الوصفي بالمنهج البنائي ارتباطاً وثيقاً، فظهر ما يُسمّى بالمنهج البنيوي الوصفي ومن أبرز رواده اللغوي الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield).

هذه إذن أبرز خصائص المنهج الوصفي في دراسة اللغة، والجدير بالذكر أنّ ملامح هذا المنهج لم تكن غائبة غياباً كلياً عن الدرس اللغوي العربي القديم، فقد اهتدى إليها سيبويه، وطبقها بشكل ينم عن صواب منهجه، وريادته في هذا المجال على مستوى الأصوات والصرف والنحو⁽¹⁾. وهو ما يؤكّد اهتمام حسان بقوله: «وحين نظرت في كتب اللغة العربية، فطنت إلى أنّ أساس الشكوى هو تغلب المعيارية في منهج حقّه أن يعتمد الوصف أولاً وأخيراً، لا نكاد نستثني منها إلاّ قلة، فقامت على الوصف في الكثير من أبوابها، ولم تقع في المعيارية إلاّ من قبيل التوسّع من ذلك كتاب سيبويه، وكتاب عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز»⁽²⁾.

(1) يُنظر: عبد القادر عبد الجليل. علم اللسانيات الحديثة (نظم التّحكّم وقواعد البيانات). ص 131 وما بعدها. سهيلة طه محمد البياتي. المنهج الوصفي في كتاب (في النحو العربي نقد وتوجيه) للدكتور مهدي المخزومي (ت 1993م). مجلّة سُرّ من رأى. مج 4. ع 11. السّنة الرابعة آب 2008م. ص 38 وما بعدها. حسن أحمد نوزاد. المنهج الوصفي في كتاب سيبويه. ط 1. منشورات جامعية. بنغازي. ليبيا. 1996م. ص 83. نقلا عن: عبد الرحمن العارف. المنهج الوصفي وأثره في تيسير النّحو العربي. ص 2-3.

(2) تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 12.

يشير تمام حسان إلى أنّ النحو العربي لم يكن معياريا خالصا ولا وصفيا خالصا، وإنما كان فيه من هذا وذاك، إذ يقول: «نهج النحاة العرب منهج الوصفية التي يباهي بها المحدثون، وأوضح ما يكون ذلك في نشاط النحاة الأولين الذين كان على ألسنتهم أن يقولوا: العرب تقولك(*) كذا، بدلا من قول الآخرين يجب ويجوز»⁽¹⁾. ومما سبق يتّضح أنّ من قال: "العرب تقول كذا"، فقد اتّبع المنهج الوصفي، وأمّا من قال: "يجب ويجوز"، فقد اتّبع المنهج المعياري.

هناك من يؤكّد أن المنهج الوصفي عربي المنبت، استعاره دي سوسير من الفكر اللغوي العربي القديم ليوظّفه في الفكر اللغوي الغربي الحديث، فسهيلة طه محمد البياتي تقول: «وقد تبين لي من خلال دراسة أسس المنهج الوصفي وطرقه ومحاوره ومميّزاته بأنّه منهج عربي لعلماء العربية القدماء، وبهذا لا يكون دي سوسير قد وضع هذا المنهج، وإنما اقتبسه من الدّراسات العربية اللغوية السابقة»⁽²⁾.

إنّ غلبة المنهج المعياري على الفكر اللغوي العربي القديم حقيقة ثابتة، لكن الإقرار بوجود ملامح المنهج الوصفي في بعض أبواب كتب اللّغة العربية يضمن الأسبقية للعرب على الغرب في هذا المضمار؛ ذلك أنّ وجود القليل من سمات المنهج الوصفي في الفكر اللغوي العربي القديم خير من غيابه الكلّي في الفكر اللغوي الغربي، فكما سبق ذكره كانت الدّراسات اللغوية في أوروبا في القرن التاسع عشر (ق19م) تقوم على تطبيق المنهج التاريخي المقارن الذي يعتمد المعيارية في إجراء المقارنات اللغوية عبر الزمن، وظلّ هذا المنهج سائدا إلى جاء رائد علم اللّغة الحديث دي سوسير بالبديل المتمثّل في المنهج الوصفي.

(*) خطأ مطبعي وتصويبه: تقول كذا.

(1) تمام حسان. مقالات في اللّغة والأدب. ج2. ص271.

(2) سهيلة طه محمد البياتي. المنهج الوصفي في كتاب (في النحو العربي نقد وتوجيه) للدكتور مهدي المخزومي.

ص42.

تجدر الإشارة أيضا إلى أنّ المستشرق الألماني برجشتراسر (Bergstrasser) قد تحدّث في محاضراته التي ألقاها بالجامعة المصرية سنة 1929م عن سمات المنهج الوصفي، وكان ذلك قبل عودة الموفودين المصريين إلى أوطانهم، ولكنه أطلق عليه مصطلح النظامية، وعدّه منهجا موازيا للمنهج التاريخي المقارن، وقد صرّح بذلك قائلا: «إنّ الغرض من محاضراتي هو درس اللسان العربي من الوجهة التاريخية، والوجهة الثانية التي يُمكننا اتّجاهها في علم اللسان، هي النظامية [و]هي علمية محضة لا عملية، وذلك أنّه لا رعاية فيها إلى هل يجوز أن يُقال كذا وكذا أولا؟ بل يُكتفى بإثبات الموجود حقيقة في السّماع، دون تفريق بين المقبول منه والمردود»⁽¹⁾.

إنّ هذه الإشارة العابرة وهذا التعريف الموجز - كما يرى حلمي خليل وعبد الرحمن العارف - لم يكونا كافيين للفت النّظر إلى منهج جديد في دراسة اللّغة، فقد ظلّت جهود برجشتراسر حبيسة جدران الجامعة المصرية، ولم تُلفت أنظار المهتمّين بدراسة اللّغة العربية⁽²⁾.

من هنا يُمكن القول إنّ صورة المنهج الوصفي في الفكر اللّغوي العربي قبل العصر الحديث كانت ضبابية غير واضحة المعالم، إلى أن جاء العصر الحديث برياح التّغيير، فكان عصر سيادة المنهج الوصفي في الدّراسات اللّغوية العربية في مختلف المستويات: الصّوتية، الصّرفية، النّحوية، والدّلالية.

يُعدّ تمام حسان من الذين أسهموا بشكل واضح في بلورة هذه الحركة، إلى جانب ثلّة من الأساتذة كعبد الرّحمن أيّوب ومحمود السّعران وحسن ظاظا وكمال بشر، ومن تلامذة هؤلاء الذين أرسوا دعائم هذا التّوجّه محمود فهمي حجازي وعبد الصّبور شاهين

(1) برجشتراسر. التّطور النّحوي للّغة العربية (محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929م). أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: رمضان عبد التّوّاب. ط2. مكتبة الخانجي. 1994م. ص7-8.

(2) للاستزادة يُنظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي (دراسة في الفكر اللّغوي العربي الحديث). ص142. عبد الرحمن العارف. المنهج الوصفي وأثره في تيسير النّحو العربي. ص4.

وأحمد مختار عمر ورمضان عبد التّواب هذا في مصر، أمّا في بقية أقطار العلم العربي فنجد الكثير ممّن لهم الآثار الإيجابية على الحركة اللّغوية في القرن العشرين ما لا يُنكره إلاّ جاحد غير منصف(1).

تتنوّع محاولات هؤلاء بين الفردية والجماعية(*)، وتتفاوت آثارها الإيجابية بين محاولة وأخرى فنجد منها «تلك الرؤى التي أقامها أصحابها على هدي من نتائج الأفكار اللّسانية الحديثة، فإنّه يُمكن القول بأنّ محاولتي الدّكتور تمام حسان في مؤلّفاته الأربعة [مناهج البحث في اللّغة 1955م، اللّغة بين المعيارية والوصفية 1958م، اللّغة العربية معناها ومبناها 1973م، والخلاصة النّحوية 2000م]، والدّكتور عبد الرّحمن أيّوب في كتابه (دراسات نقدية في النّحو العربي)، ومحاولتي الدّكتور محمد عيدي (النّحو المصقّى)، والدّكتور محمد صلاح الدّين بكر في (النّحو الوصفي من خلال القرآن الكريم)، هذه المحاولات تُعدّ نماذج حيّة لنقل المنهج الوصفي الغربي إلى العربية وما يحويه من أفكار ونظريات واتّجاهات»(2).

فيما سيأتي تسليط للضّوء على محاولة تّمّام حسان إرساء دعائم المنهج الوصفي في الفكر اللّغوي العربي، لا من باب أن نبخس غيره حقّه في الإبداع، وإنّما لكونه نموذج الدّراسة من جهة، ومن جهة أخرى-كما يرى عبد الرّحمن بن حسن العارف- لأنّه مهما قيل عن محاولة تّمّام حسان التّيسيرية القائمة على أفكار المنهج الوصفي، فإنّها تظلّ معلما بارزا من معالم الفكر اللّغوي الحديث؛ لأنّها نالت من الدّراسات النّاقدة ما لم تتله أيّ دراسة أخرى قدّمت في هذا الإطار(3).

(1) للاستزادة يُنظر: سهيلة طه محمد البياتي. المنهج الوصفي في كتاب(في النحو العربي نقد وتوجيه). ص41.

(*) تبنتها وزارات التّربية والتّعليم.

(2) عبد الرحمن العارف. المنهج الوصفي وأثره في تيسير النّحو العربي. ص6.

(3) يُنظر: عبد الرحمن العارف. تمام حسان رائدا لغويا. ص17 وما بعدها.

1-1- المنهج الوصفي عند تمام حسّان:

بعد التأمل في النشاط العلمي لتّمّام حسّان، يتبيّن أنّه بفكره اللّغوي الرّائد قد ساهم في خلق نظرية لسانية متكاملة، وفي فتح آفاق جديدة لتيسير وتجديد الدّرس اللّغوي العربي.

إنّ جذور هذه النّظرية أصلية أصالة الموروث اللّغوي العربي، وفروعها مدعّمة بآليات البحث العلمي الحديث، وهذا ما ميّز تّمّام حسّان عن غيره؛ إذ أجاد تطبيق آليات النّظرية اللّغوية الحديثة على اللّغة العربية، ومحمود أحمد نحلة يعترف له بذلك إذ يقول: «لا أعرف باحثا استطاع أن يُطوّر منهاجا جديدا، معتمدا على منهج من مناهج الدّرس اللّغوي الحديث، غير الدّكتور تّمّام حسّان في كتابه الذي أصدره سنة 1973م وهو: اللّغة العربية معناها ومبناها»⁽¹⁾.

إنّ إبداع تّمّام حسّان يكمن في جمعه بين ما هو أصيل وبين ما هو معاصر، وذلك من خلال المزوجة بين الفكر اللّغوي العربي الأصيل وبين النّظرية الغربية الحديثة تحت لواء المنهج الوصفي، فتّمّام حسّان يُقرّ بفضل السّلف على الخلف ويدعو إلى ضرورة استيعاب طرق النّظر الحديث، إذ يقول: «أول ما ينبغي أن نعترف به أنّ السّلف من علمائنا أبلوا بلاء حسنا في صرح العلوم العربية، وأنّ النّتائج التي وصلوا إليها تُعدّ رائعة من جهتين: أولا: أنّ نقّاد التّراث العربي من المستشرقين يعترفون طائعين أو مرغمين بأنّ العرب إذا كانت لهم فلسفة حقيقية فهذه الفلسفة هي دراساتهم اللّغوية، وبخاصّة النّحو بما اشتمل عليه من نظام استدلالي لا يمكن أن تصل إليه إلّا عقلية ذات مقدرة فائقة على التّجريد. ثانيا: أنّ هذه البنية التي أقاموها صمدت للتّطبيق منذ القرن الثّاني للهجرة حتّى اللّحظة، فإذا كنّا نلقي الضّوء على اللّغة أضواء جديدة، فنستخرج منها نتائج حديثة، فلا شكّ أنّ قدرتنا على ذلك نشأت من حسن تحصيلنا لأفكارهم بقدر ما جاءت عن

(1) محمود أحمد نحلة. مدخل إلى دراسة الجملة العربية. دار التّهضة العربية. بيروت. 1988م. ص 81.

استيعابنا لطرق النظر العلمي الحديث. هذه شهادة يقتضيها الإنصاف أن نبدأ بها وإلاّ بدا كلّ شيء نقوله بعد ذلك ضرباً من إنكار الفضل ومن الوقوع في شرك الغرور. نعوذ بالله من هذا وذاك»⁽¹⁾. ولأنّ الاعتراف سيّد الأدلّة، تمّ إيراد هذا الاقتباس الحرفي المطوّل، ليكون شهادة حيّة على أنّ تمام حسن لم يتنكر للسلف من علماء العربية، ولم يبخسهم حقّهم في الإبداع، هذا الأخير الذي لا يُمكن لأحد أن يُنكره، حتّى المستشرقين من نقاد التّراث العربي يقفون معترفين له طوعاً أو رغماً؛ ذلك أنّ بقاء هذا الصّرح قائماً عقداً طويلاً من الزّمن ولا يزال، إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ ما هو إيجابي يحمل في طيّاته بذور بقاءه وبقوّة. فلا ضير ولا ضرر من فتح نافذة مضيئة لإعادة وصف ما هضمه الخلف واستوعبه من أفكار السلف بالاستناد إلى آليات جديدة مستمدّة من الدّرس الحديث.

2- آليات المنهج الوصفي:

يرى تمام حسن أنّ المنهج الوصفي في دراسة اللّغة يقوم على جملة من الآليات⁽²⁾:
 2-1 آلية الاستقراء: ويتطلّب عدداً هائلاً من مفردات اللّغة المدروسة، تقسم إلى مجموعات، كلّ مجموعة يتمّ استقراء مفرداتها بوضعها تحت ظروف مختلفة؛ كاستقراء سلوك صوت ما، بوضعه إلى جانب كلّ صوت من أصوات اللّغة إمّا سابقاً أو لاحقاً له، مُشدّداً، ساكناً، متحرّكاً، في أوّل الكلمة، في وسطها، في آخرها.

2-2 آلية الملاحظة: رصد ما يعترى عينه الدّراسة من خصائص في كلّ حالة.

2-3 آلية التقسيم: إيجاد أوجه الاتّفاق والاختلاف بعد الاستقراء والملاحظة.

2-4 آلية التجريد: وثيق الصّلة بالتقسيم، يقوم على خلق الاصطلاحات الفنّية

التي تدلّ على الأقسام.

2-5 آلية التّعيد: وهو تقنين النّتائج المتوصّل إليها.

(1) تمام حسان. مقالات في اللّغة و الأدب. ج.2. ص.280.

(2) يُنظر: تمام حسان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص.149 وما بعدها.

3- مراحل دراسة تمام حسان للغة العربية وصفا:

اتّسمت محاولة تمام حسان في دراسة اللغة العربية وصفا بالتكامل بين التنظير والتطبيق، مروراً بمرحلة ما قبل التأطير ومرحلة الإطار الفكري كما أطلق عليهما تمام حسان⁽¹⁾. وفيما يأتي تفصيل ذلك:

3-1 مرحلة ما قبل التأطير: وهي مرحلة تمهيدية تنظيرية، نعت فيها تمام حسان الدراسات اللغوية العربية بالمعيارية، في حين يرى أنّ «الحاجة ملحة...إلى بناء الدراسات اللغوية على منهج له فلسفته وتجاربه، إرضاء للروح العلمية الخالصة من جهة، وتوفيراً لجهود عشاق اللغة من جهة أخرى»⁽²⁾. فألف كتابه البكر مناهج البحث في اللغة سنة 1955م، متأثراً فيه بأفكار دي سوسير خاصة في تفريقه بين اللغة والكلام، وكذا بين الوصف والتأريخ مسلطاً الضوء على كلّ مستويات التحليل اللغوي. ثمّ ألف كتابه اللغة بين المعيارية والوصفية سنة 1958م، الذي يُعدّ امتداداً للكتاب سابق الذكر.

يذكر تمام حسان غرض تأليفه لكتابه الثاني، إذ يقول: «ولقد اتّجهت نفسي إلى دراسة المعيارية والوصفية حين رأيت الناس في معظمهم يشكون داء في النحو العربي، لا يستطيعون تشخيصه، لهذا فكّرت في أمر الدراسات العربية القديمة، من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئاً بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة، فاستطعت أن أحدد لنفسي موضع الداء، وحاولت جهد الطاقة أن أشخصه، أملاً أن يسهل علاجه»⁽³⁾. وفعلاً تمكّن تمام حسان من تشخيص الداء وهو غلبة المعيارية، واقترح الدواء وهو إحلال الوصفية.

(1) تمام حسان. مقالات في اللغة والأدب. ج1. ص7.

(2) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص13.

(3) تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص11.

3-2 مرحلة الإطار الفكري: وهي مرحلة ساد فيها التطبيق لبلوغ مرحلة التضج

الفكري، فبعد أن قدّم تمام حسّان في المرحلة السابقة «إلى القارئ العربي ما اصطنعه الغربيون من منهج وصفي»⁽¹⁾، ألّف كتابه اللّغة العربية معناها ومبناها سنة 1973م الذي كشف فيه «عن أنظمة اللّغة العربية ووضعها لأول مرّة مقابل مشاكل التطبيق»⁽²⁾.

يُصرّح تمام حسّان عن غرضه من ذلك، إذ يقول: «والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقى البحث أن ألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على التراث اللّغوي العربي كلّه منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللّغة. وهذا التطبيق الجديد للنظرة الوصفية في هذا الكتاب يعتبر (حتّى مع التحلي بما ينبغي لي من التّواضع) أجراً محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللّغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر. أقول أجراً محاولة لأنني أعرف أنّها كذلك، ولا أقول أخطر محاولة لأنني لا أعلم ما يترتّب عليها من آثار... فإنّه ينبغي لهذا الكتاب أن يبدأ عهداً جديداً في فهم العربية الفصحى مبناها ومعناها»⁽³⁾. ولأنّ الاعتقاد إيمان، فقد آمن تمام حسّان بمشروعية ما ذهب إليه؛ فقد عكف على تحقيق هدفه منذ أن كان مجرد فكرة إلى أن دخل حيّز التطبيق، وأكمل المسيرة على نفس السيرة في مؤلّفاته خاصّة الخلاصة النّحوية سنة 2000م.

رغم انشطار النّقاد بين مؤيّد ومعارض لهذه الخطوة الجريئة فإنّه «لا شكّ في أنّ كتاب د. تمام حسّان اللّغة العربية معناها ومبناها يقف وحيداً في مجال تطبيق النّظرية اللّغوية الحديثة على اللّغة العربية، وأعني بالنّظرية اللّغوية الحديثة هذا الإطار العام والتحليلي للبنوية الوصفية التي سيطرت على الفكر اللّغوي إلى ما قبل ظهور نظرية تشومسكي في رأي بعض المؤرّخين، كما أعني بها أيضاً بصورة خاصّة نظرية فيرث اللّغوية، التي طبّقها د. تمام في دراسته للّغة العربية، وأهميّة كتاب اللّغة العربية معناها

(1) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص7.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص9.

(3) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص10.

ومبناها تأتي... من حيث هو محاولة التطبيق الوحيدة التي أسفر عنها الاتجاه الوصفي»⁽¹⁾. أو يُمكن القول بالاتجاه البنيوي الوصفي الناتج عن تأثر تمام حسان بدي سوسير في البداية، ثم تأثره ببلومفيلد، أمّا تشومسكي فيجهر تمام حسان بأنه لم يتأثر به، ويظهر ذلك من خلال قوله: «لقد ظهر لي كتاب اللغة العربية معناها ومبناها في عام 1973م، ولم يكن اسم تشومسكي قد طرق سمعي حتّى ذلك الوقت، ولم أقرأ له إلاّ أثناء إقامتي بالمغرب، ووقّفت في هذا الكتاب الذي أراه جهدا متواضعا... فلم أعتد في تفكيري في مادة الكتاب إلاّ على اجتهاد خاص في ضوء تكويني الشّخصي في ظلّ أفكار النّحاة العرب وما تعلّمته من الدّراسات الحديثة»⁽²⁾. وبهذا يكون تمام حسان قد أقرّ بعدم اطلاعه على أفكار تشومسكي قبل تأليفه لكتاب اللغة العربية معناها ومبناها، إلاّ أنّه لم يذكر تأثره بنظرية بلومفيلد في المعجم كما ذكر جهرا تأثره بنظرية فيرث في السّياق، وهذا ما سيتم الحديث عنه في الفصل الأخير من هذا البحث.

(1) حلمي خليل. العربية وعلم اللغة البنيوي. ص 219.

(2) تمام حسان. (تعليم النّحو بين النّظرية والتّطبيق). مقالات في اللّغة والأدب. ج 1. ص 79.

الفصل الأول:

جهود تمام حسّان وآليات تيسيره للدرّس الصّوتي

يعدّ تمام حسان من أعلام علم اللّغة عامّة، وعلم الأصوات خاصّة؛ وهو من الرّواد في نقل النّظريات اللّغوية الحديثة إلى العالم العربي، وتطبيقها على دراسة اللّغة العربية؛ حيث درس في أوروبا وتلمذ على يد أهمّ اللّغويين الغربيين مثل أستاذه البريطاني العالم فيرث.

كان أوّل معالم مشروع تمام حسّان اللّغوي تطبيق المناهج الغربية في دراسة الصّوتيات على بعض اللّهجات العربية؛ فكان الموضوع الذي نال به درجة الماجستير سنة 1949م هو:

دراسة صوتية للهجة الكرنك في صعيد مصر

The Phonetics of EL Karnak Dialect (Upper Egypt)

أمّا الموضوع الذي نال به درجة الدّكتوراه سنة 1952 م فهو:

دراسة صوتية و فونولوجية للهجة عدن في جنوب بلاد العرب

The Phonetics & Phonology of an Aden of Arabic (South Arabia)

أبحر تمام حسّان في المناهج اللّغوية الحديثة، وتمكّن من فهم إجراءاتها ولم يكتف بتناولها نظرياً؛ إذ طبّق المنهج الوصفي بآلياته المتعدّدة على اللّغة العربية الفصحى. ويظهر ذلك جلياً في مؤلّفاته التي «تعدّ حتى الآن هي الأساس الوحيد لدراسة اللّغة دراسة علمية جادّة»⁽¹⁾. وإنّ المنقّب في مؤلّفات تمام حسّان ليجد مباحث الصّوتيات متناثرة بين ثناياها، وفيما يأتي محاولة لتسليط الضّوء على جهوده في تيسير الدّرس الصوتي وآلياته في ذلك، والتي تنوّعت بين آليّة التّقابل المصطلحي وآليّة الرّسم وآليّة

(1) صلاح الدّين صالح حسنين. جهود الدّكتور تمام حسان الصّوتية. مقال في كتاب تذكاري: تمام حسان رائدا لغويا. عبد الرّحمن العارف. ص191.

الجدولة وآلية التجريب التي تنضوي تحتها آلية رفع بصمات الصّوت وآلية التّصوير بالأشعة وغيرها.

شرح تمام حسّان علم الأصوات في ضوء المناهج العلمية الحديثة في كتابيه: *مناهج البحث في اللّغة واللّغة بين المعيارية والوصفية*، أمّا في كتاب: *التمهيد في اكتساب اللّغة العربية لغير النّاطقين بها*، وانطلاقاً من التّعريف، الاستيعاب والاستمتاع التي تمثّل مراحل اكتساب اللّغة العربية لغير النّاطقين بها، فقد سلّط الضّوء على علاقات الوفاق والخلاف بين الوحدات الصّوتية العربية، وعلى الظواهر الموقعية وطلب الخفة في اللّغة العربية، وقد ركّز على الأخيرة منهما-أي ظواهر طلب الخفة- في كتابه: *الخلاصة النّحوية*.

أمّا في كتاب: *الأصول "دراسة إبستمولوجية للفكر اللّغوي عند العرب" النّحو- فقه اللّغة- البلاغة*: فقد ربط تمام حسّان النّظام الصّوتي بفكرتي الأصل والفرع.

في الجزء الأوّل من مقالات في اللّغة والأدب، تحدّث تمام حسّان في مقال له عن جدوى استعمال التّقابل في تعليم اللّغة العربية لغير أبنائها، نحو: *مقابلة البنية الصّوتية للّغة العربية الفصحى بمثلتها في اللّغة الانجليزية*.

أمّا في جزئه الثّاني وبالتحديد في المقال الموسوم *بالمصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة*: نظر إلى الإيقاع كمصطلح بلاغي قديم في ضوء البلاغة الحديثة على أنّه حقيقة أسلوبية صوتية تتجسّد في النّبر. وأشار إلى أنّ تمام المعنى وعدمه من ركائز دراسة التّنغيم.

وعن كتابي: *البيان في روائع القرآن-دراسة لغوية وأسلوبية للنّص القرآني- وخواطر من تأمل لغة القرآن الكريم*: ففيهما تأملات في القيم الصّوتية التي تتمايز بواسطتها الأصوات وتتعلّق بها المعاني في القرآن الكريم.

أمّا الفكر اللّغوي الجديد: فهو كتاب جعل فيه تمام حسّان درس الأصوات اللّغوية أولى درجات سلّم البحث في نظام اللّغة، وذلك على ضوء أجهزة ثلاثة هي: الجهاز النّطقي، الجهاز الصّوتي، والجهاز السّمعّي.

يرى تمام حسّان أنّ «كلّ نظام من أنظمة اللّغة العربيّة [يبنّي] على طائفة من المقابلات أي أنواع التّخالف»⁽¹⁾؛ والنّظام الصّوتي هو واحد من هذه الأنظمة، يوظّف فيه تمام حسّان آليّة التّقابل المصطلحي، الّتي تساعد على التّمييز بين مصطلحين أو أكثر.

فرّق تمام حسّان بين الفونيتيك والفونولوجيا على أساس التّفريق السوسيري بين الكلام واللّغة كما أنّه ميّز بين الصّوت والحرف. وهذا التّفريق القائم على أساس من الثنائية (كلام/ لغة) منقول عنه تفريق حلقة براغ بين العلمين: علم الأصوات وعلم التّشكيل الصّوتي⁽²⁾.

أولاً - اللّغة والكلام:

مهّد تمام حسّان حديثه عن الأصوات بالتّمييز بين اللّغة والكلام؛ فيرى أنّ اللّغة هي النّظام المجرّد في ذهن الجماعة اللّغوية المعينة، وتدرس عن طريق مناهج متعدّدة: الدّلالة، والأسلوب، والمعجم، والنّحو والصّرف، والتّشكيل الصّوتي. في حين يرى أنّ الكلام هو النّشاط الّذي يقوم به المتكلّم في الموقف المعين طبقاً لصورة صوتية ذهنية، ويُدرس عن طريق منهج الأصوات⁽³⁾.

(1) تمام حسّان. اللّغة العربيّة معناها ومبناها. ص 9-10.

(2) يُنظر: فاطمة الهاشمي بكّوش. نشأة الدّرس اللّساني الحديث "دراسة في النّشاط اللّساني". إيتراك للنّشر والتّوزيع. ط1. 2004. ص 113.

(3) للاستزادة يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. من ص 38 إلى ص 64.

يفرق تمام حسّان بين طابع عمل المتكلم وبين طابع عمل اللغوي؛ فيرى أنّ اللّغة بالنسبة للمتكلم معايير تُراعى، وبالنسبة للباحث ظواهر تُلاحظ. و هي بالنسبة للمتكلم ميدان حركة، وبالنسبة للباحث موضوع دراسة. وهي بالنسبة للمتكلم وسيلة حياة في المجتمع، وبالنسبة للباحث وسيلة كشف عن عرف المجتمع. والمتكلم يشغل نفسه بواسطتها والباحث يشغل نفسه بها. ويُحسّن المتكلم إذا أحسن القياس على معاييرها، ويُحسّن الباحث إذا أحسن وصف نماذجها.

ينظر تمام حسّان إلى اللّغة والكلام من زاوية جديدة - هي طبيعة كلّ منهما وتكوينه- فيرى أنّ: الكلام عمل واللّغة حدود هذا العمل. والكلام سلوك واللّغة معايير هذا السلوك. والكلام نشاط واللّغة قواعد هذا النشاط. والكلام حركة واللّغة نظام هذه الحركة. والكلام يُحسّ بالسّمع نطقاً وبالبصر كتابة، واللّغة تفهم بالتأمّل في الكلام. والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً، ولكن اللّغة لا تكون إلاّ اجتماعية⁽¹⁾. ويشير إلى أنّ «الكلام في النهاية هو التّطبيق العملي لشروط اللّغة؛ أي وضع الجهاز اللّغوي السّاكن في ظروف عمل وحركة»⁽²⁾.

ينطلق تمام حسّان من أنّ اللّغة أخطر الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق، وأنّ كلّ تقدّم اجتماعي كُتب له الكمال إنّما تمّ لوجود اللّغة، وتتجلّى أهميّة هذه الأخيرة في كونها وسيلة من وسائل الاجتماع، وأداة من أدوات تنسيق الجهود الفردية ومزجها في مجهود جمعي عام⁽³⁾. ولأنّ رابطة اللّغة أقوى من أيّ رابطة اجتماعية أخرى، فإنّ فكّ وثاقها مدعى إلى التّشوّت والانذار. وحرصاً من هذا الخطر المحدق حري بكلّ عاشق للغة الضّاد أن يجعلها محلّ عناية، ومحطّ اهتمام، ناهيك عن كونها أكبر وسيلة

(1) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية و الوصفية. ص13. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص32.

(2) تمام حسّان. أمن اللّبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية. حوليات كلّية دار العلوم. الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية مطبعة جامعة القاهرة. 1969م. ص123.

(3) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص9.

من وسائل التّعليم؛ ترتفع بمستوى التّعليم إذا ارتفع مستواها، وتخفض به إذا انخفض مستواها. ويضرب تمام حسان مثلا لذلك فيرى أنّ خير التّلميذين تقبلا للعلم أكثرهما معرفة باللّغة التي يتعلّم بها، وأكثر اللّغتين جلبا لأصدقاء الأمّة من الأجنبي تلك التي تسهل دراستها وتقوم على منهج مقبول⁽¹⁾.

مما سبق يتّضح أنّ الكلام يُدرس في حقل علم الأصوات، أمّا اللّغة فتُدّرس في حقول متعدّدة منها ما يرتبط بالصّرف والتّحو، ومنها ما يرتبط بالدّلالة والمعجم، وكلّ ذلك يصبّ في منهج التّشكيل الصوتي.

ثانيا - الحرف والصّوت:

لقد جرت العادة في اللّغة العربية، على أن اصطلاح الحرف يُطلق على مفهوم واسع؛ فيشمل الحرف بمفهومه الأبجدي التّقسيمي، ويشمل الحرف بمعناه الرّمزي الكتابي. والحديث عن الحرف بمفهومه الأبجدي التّقسيمي، يُحيل إلى الحديث عن تقسيم عربي أبجدي فكري لحروف لا تُنطق لأنّها أقسام لا أصوات⁽²⁾، وهذه الأقسام تُعرف في الدّراسات اللّغوية الحديثة باصطلاح الفونيمات أو الحروف. وأمّا الحديث عن الحرف بكونه الخط الرّمزي الكتابي، فيرى تمام حسان أنّ الحروف ليست هي تلك الصّورة الكتابية التي تخطّها، فهذه رموز كتابية إلى الحروف. وليست الحروف هي ما تنطقه بلسانك أثناء الكلام، فهذه أصوات. ولكن الحروف هي أقسام يشمل كلّ منها عددا من هذه الأصوات⁽³⁾.

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 12.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 151. 152.

(3) يُنظر: تمام حسان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 119.

أمّا الصّوت فهو «عملية [نطقية] حركية يقوم بها الجهاز النّطقي، وتصحبها آثار سمعية تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصّوت وهو الجهاز النّطقي، ومركز استقباله وهو الأذن»⁽¹⁾.

إذا كانت الأصوات تدخل في نطاق حاسة السّمع والبصر وفي العمليات الحركية فإنّ الحروف تدخل في نطاق الفهم، فكلّ حرف منها هو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسبٌ معيّن، فهو فكرة عقلية. وإذا كان الصّوت ممّا يوجد المتكلّم فإنّ الحرف ممّا يوجد الباحث. ولكلّ حرف رمز في الكتابة التّشكيلية. وعدد الأصوات في كلّ اللّغات تقريبا أكثر من عدد الحروف⁽²⁾.

ثالثا . الفوناتيک والفونولوجيا:

على الباحث أن يحترم درجات سلّم البحث في نظام اللّغة، بتسبيق دراسة الصّوت عن سائر أنظمة الدّراسة اللّغوية؛ إذ يرى تمام حسّان أنّ «للبحث في نظام اللّغة درجات منتظمة في رتبة محفوظة لا يمكن تجاهلها، لأنّ كلّ درجة منها تبدأ من حيث انتهت سابقتها، غير أنّ أولى هذه الدّرجات (وهي درس الأصوات اللّغوية) لا يسبقها إلاّ إدراك المسموع من الكلام بلغة ما»⁽³⁾. وهذه سيرة الأقدمين من علمائنا الأجلّاء؛ فقد تفتّنوا إلى أنّ اللّغة العربيّة لا يمكن أن يفهم نحوها وصرفها فهما صحيحا إلاّ بعد دراسة أصواتها. فسيبويه كان على وعي تامّ بأنّ دراسة الأصوات مقدّمة لا بدّ منها لدراسة اللّغة، وأنّ النّظام الصّوتي ضروري لمن أراد دراسة النّظام الصّرفي وغيره⁽⁴⁾.

إنّ دراسة الصّوت تقوم على محورين متقابلين؛ أحدهما يربط الأصوات بالكلام ويسمّى: علم الأصوات، والآخر يربط الأصوات باللّغة ويسمّى: علم التّشكيل الصّوتي.

(1) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة العربيّة معناها ومبناها. ص 66.

(2) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية و الوصفية. ص 119 . 129.

(3) تمام حسّان. الفكر اللّغوي الجديد. ص 27.

(4) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة العربيّة معناها ومبناها. ص 50. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 160.

ولتوضيح ذلك يشير تمام حسّان إلى قول تروبتسكوي: «إنّ علم دراسة أصوات الكلام هو علم الأصوات، وعلم دراسة أصوات اللّغة هو علم التّشكيل الصّوتي»⁽¹⁾.

تحدّث تمام حسّان عن محوري دراسة الصّوت سابقا في الذكر في كتابه: مناهج البحث في اللّغة⁽²⁾ فنعت الأوّل بمنهج الأصوات-الفوناتيك، وسمّى الثاني بمنهج التّشكيل الصّوتي-الفونولوجيا.

وفي كتابه: اللّغة العربية معناها ومبناها⁽³⁾ خصّص الفصل الثّاني للمحور الأوّل، وسمّاه: الأصوات؛ ويقصد به ما تشير إليه النّظرية اللّغوية الحديثة بمصطلح (Phonetics)؛ أي الدراسة الصّوتية التي تقوم على الملاحظة والتّسجيل والوصف للجوانب الفسيولوجية والنّطقية والسّمعية والآثار المصاحبة لها دون النّظر إلى وظائف الأصوات داخل اللّغة⁽⁴⁾.

وخصّص الفصل الثّالث للمحور الثّاني وسمّاه: النّظام الصّوتي أو علم الصّوتيات؛ ويقصد بهما ما تشير إليه النّظرية اللّغوية الحديثة بالمصطلح الإنجليزي: (Phonology)؛ أي دراسة الأصوات من حيث هي نظام داخل لغة معيّنة، وهذه الأصوات لها وظائف مميّزة⁽⁵⁾.

يرى تمام حسّان أنّ الفرق بين علم الأصوات وعلم الصّوتيات ينعكس على من يشتغل بهما؛ فعالم الأصوات ملاحظ ومُسجّل، وعالم الصّوتيات مفسّر ومنظّم ومقعد⁽⁶⁾.

(1) Trubetsky. Principe de Phonologie. Parie.1949.P 03.

نقلا عن: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 139.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 67. ص 139.

(3) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 45. ص 65.

(4) يُنظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي "دراسة في الفكر اللّغوي العربي الحديث". ص 227 - 228.

(5) يُنظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي "دراسة في الفكر اللّغوي العربي الحديث". ص 228.

(6) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 48.

وللوقوف على معطيات محوري دراسة الصوت، واستنادا على آلية التّقابل المصطلحي بين: علم الأصوات وعلم الصوتيات، نجد تمام حسّان يرى أنّه ومن المهم إلى أقصى حدّ أن نفرّق بين مفهوم بعض المصطلحات: اللفظ والجهر والصوت.

1. اللفظ: ويقصد به ما يُقصد بالكلمة الإنجليزية (Noise).

2. الجهر: ويقصد به معنى الكلمة الإنجليزية (Voice)، وقد استعار تمام حسّان كلمة حسمن الكلام العامّي للدلالة على المعنى المقصود في نحو: (فلان حسّه جميل).

3. الصوت: والمراد به معنى الاصطلاح الإنجليزي (Sound)⁽¹⁾.

يعتمد تمام حسّان على آلية التّمثيل بعد الوقوف على مفاهيم المصطلحات سابقة الذّكر فيقول: «فالجرس أيّ أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطّردة كالنقّرة على الخشب أو الطّبلّة، وكالاصطدام وضجيج حركة المرور وما يُسمع نتيجة سقوط جسم على آخر وحكّ جسم بآخر وهلمّ جرّا. والحسّ ما نطقه جهاز صوتي حيّ وبخاصّة الجهاز النّطقي الإنساني، فمعناه إذا ضيق محدود لا يشمل في دلّالته على معنى الصوت اللّغوي لأنّ الحركات العضوية التي تدخل في مفهوم الصوت اللّغوي لا تدخل في دلالة هذا الاصطلاح. وأمّا الصوت بالمعنى العام (الذي يشمل اللّغوي وغير اللّغوي) فهو الأثر السّمي الذي به ذبذبة مستمرة مطّردة حتّى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا. فما نسمعه من الآلات الموسيقية النّفخية أو الوترية أصوات وكذلك الحسّ الإنساني صوت»⁽²⁾.

إنّ إيراد النّص السّابق بلفظه ومعناه ينمّ عن التّخوّف من أن يُقول صاحبه ما لم يقل؛ فمن ظاهر الكلام المستهلّ بالفاء يتّضح بأنّ تمام حسّان بصدد التّفصيل بعد الإجمال، وإنّ وضعه للكلمة العربية اللفظ في مقابل الكلمة الإنجليزية (Noise) التي تعني الضّجيج

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 67.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 67.

والضوضاء والصوت الصّاحب المزعج⁽¹⁾ يؤكّد أنّ ما ذكره مجملاً في النّقطة الأولى فصلّه في تعريفه للجرس؛ على أنّه أيّ أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطّردة، ومثّل له بضجيج حركة المرور وغيرها.

تجدد الإشارة هنا إلى عدم المطابقة بين اللفظ ومقابله الإنجليزي؛ فاللفظ لا يعني الضوضاء والضجيج (Noise) التي تستعمل كمقابل للصوت؛ إذ يقول أحمد مختار عمر: «الصوت (Noise) مهما كان مصدره أو أصله يحتوي على اضطراب ماديّ في الهواء يتمثّل في قوّة أو ضعف سريعين للضغظ المتحرّك من المصدر في اتجاه الخارج، ثمّ ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي»⁽²⁾.

ثمّ إنّ تمام حسان نفسه يُشير إلى أنّ «اللغة لفظ ومعنى؛ واللفظ مكوّن من أصوات، والمعنى مكوّن من علاقات؛ فأما الأصوات فوسيلة التّعبير وأما العلاقات فوسيلة الفهم وكلاهما معا وسيلة الاتّصال»⁽³⁾.

من منطلق أنّ علم الأصوات (Phonetics) يدرس الأصوات بوصفها ضوضاء، لا بوظائفها في التّركيب الصوتي للغة من اللّغات الذي هو من اختصاص علم الصوتيات (Phonology)؛ يُستنتج أنّ الأصوات هي التي توصف بالضجيج وليس الألفاظ، خاصة عند تأمل الأمثلة التي ضربت للفظ كالتقرّة على الخشب أو الطّبلّة. فاللفظ غير ذلك؛ إذ نجد الجاحظي طرحه لقضية اللفظ والمعنى يشير إلى أن المعاني مطروحة في الطّريق، وإنّما الشّأن في تخيّر اللفظ وسهولة المخرج. ويرى أن الألفاظ هي

(1) New Oxford « learner's Pocket Dictionary ». "Noise, sound, esp: when loud or unpleasant. Noisy, adj (-ier, -iest) making a lot of noise". 4 Edition. P 296.

(2) أحمد مختار عمر. دراسة الصوت اللّغوي. عالم الكتب. القاهرة. 1997. ص 21.

(3) تمام حسان. حصاد السّنين من حقول العربية. ص 07.

أصوات يجري بها اللسان، وأن المعاني هي تصوّر وتخيّل في الخواطر والأذهان. ويؤمن بأن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه⁽¹⁾.

إنّ مصطلح الجهر بمقابله الإنجليزي (Voice) واستعارة تمام حسّان من الكلام العامي لكلمة حس لتعريفه بأنّه ما نطقه جهاز صوتي حيّ وبخاصّة الجهاز النطقي الإنساني، يجعل المفاهيم متداخلة؛ فالجهر هو صفة صوتية عامة لازمة للصوت تشكّل مع الهمس ثنائية ضدية، فهما من قبيل الصفات المتقابلة.

من منطلق أنّ الصّفة هي الكيفية التي يُعرض بها الصوت أثناء خروجه من الجهاز النطقي الإنساني كالجهر بالصّوت عند تذبذب الوترين الصوتيين حال النطق به، وكالهمس الذي لا يتذبذب الوتران الصوتيان معه. وعدد الأصوات المجهورة في اللّغة العربية تسعة وعشرون صوتاً، وعدد الأصوات المهموسة عشرة أصوات.

من هنا يتداخل مفهوم الجهر من منطلق تمام حسّان في أنّه ما نطقه الجهاز النطقي الإنساني مع مفهوم الجهر الذي يخصّ بعض الأصوات دون غيرها، رغم أنّ كلّ الأصوات اللّغوية تخرج ممّا يسمّى مجازاً بالجهاز النطقي الإنساني. كما لا يمكن أن يُنعت الصوت المهموس بالجهر رغم أنّه يخرج من جهاز صوتي حيّ؛ وذلك لأنّ الهمس والجهر من الصفات المتضادة.

أمّا المصطلح الثالث الذي يقابل الكلمة الإنجليزية (Sound) فهو بمعناه العام الذي يشمل الصوت اللّغوي وغير اللّغوي يتداخل مع ما استعاره تمام حسّان؛ إذ يرى أنّ الحس الإنساني صوت، وما دام الصوت حسّ، والجهر حسّ، فالصوت جهر.

(1) للاستزادة ينظر: الجاحظ. الحيوان. ج3. تح: عبد السلام محمد هارون. ص131-132. البيان والتبيين. ج1. تح: عبد السلام محمد هارون. ص 136.

I - علم الأصوات (Phonetics):

يعتمد هذا العلم على ثلاثة أجهزة لدراسة أصوات اللّغة؛ فأما الأوّل فهو: الجهاز النّطقي وأساسه عضوي أو فسيولوجي. وأما الثّاني فهو: الجهاز الصّوتي وأساسه فيزيائي أو طبيعي أو أكوستيكي. في حين أنّ الثّالث هو: الجهاز السّمي (Auditory).

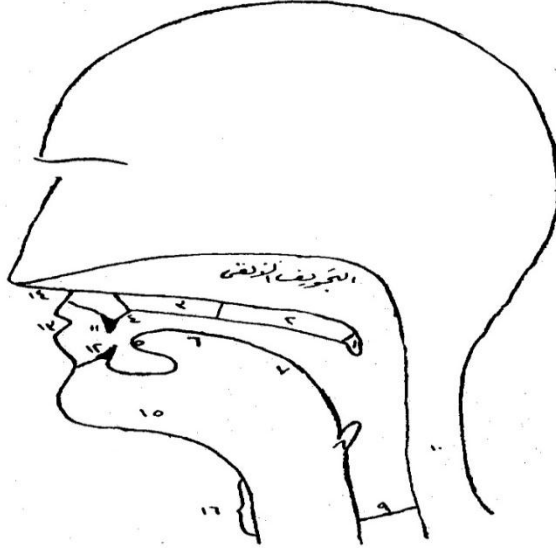
يبرّر تمام حسّان استعمال مصطلح الأجهزة فيقول: «لقد وصفت هذه العمليات الثّلاث المكوّنة لمفهوم (Phonetic) بأنّها أجهزة لأنّها مجموعة أدوات وعمليات تنتهي إلى وسيلة للتّفكير في نظام الصّوتيات (Phonology). فدراسة الأصوات بوسائلها الثّلاث مسخّرة في طلب الوصول إلى تيسير دراسة نظام الصّوتيات، ومع كونها تمهيدا لا بدّ منه لإنشاء نظام للصّوتيات لا يمكن احتسابها واحدة من أنظمة اللّغة. ومن الواضح في الدرس اللّغوي أنّ أكثرها أهميّة هو النّوع الأوّل (الدراسة العضوية)، يليها النّوع الثّاني [الدراسة الفيزيائية]، وأقلّها وضوحا وتطوّرا هو النّوع الثّالث»⁽¹⁾ وهو الدّراسة السّميّة.

1- الجهاز النّطقي:

هو الجهاز الذي ينتج الأصوات عند الإنسان، فحين يتكلّم يُلاحظ أنّه يقوم بحركات خاصّة بفكّه الأسفل وشفثيه ولسانه. وعملية النّطق تحدث في أيّة نقطة ممّا بين الشّفثين والأوتار الصّوتية في الجهاز النّطقي الإنساني الموضّح بالية الرّسم التي يسرّ بها تمام حسّان معرفة مكوّنات هذا الجهاز كما يأتي⁽²⁾:

(1) تمام حسّان. الفكر اللّغوي الجديد. ص 28.

(2) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 72. اللّغة العربيّة معناها و مبنائها. ص 266.



أعضاء النطق : Organs of speech

١ . اللهاة:Uvula

٢ . الطبّيق : Soft palate

٣ . الغار: Palate

٤ . اللثة:Alveolar

٥ . طرف اللسان : Blade of Tongue

٦ . مقدّم اللسان : Front of Tongue

٧ . مؤخّر اللسان: Back of Tongue

٨ . لسان المزمار : Epiglottis

٩ . الأوتار الصوتية: Vocal bonds = Vocal cords

١٠ . الجدار الخلفي للحلق: Back wall of Pharynx

١١ . ١٢ الأسنان العليا و السفلى: Upper and Lower Teeth

١٣ . الشفتان : Lips

١٤ . فتحة الأنف : Nasal cavity

١٥ . الفك الأسفل : Lower jaw

١٦ . منطقة الحنجرة في أمام الرقبة: Larynx in the front part of the neck

1 . 1 طبيعة الجهاز النطقي:

يُشير تمام حسان إلى حقيقة هامة تتصل بحركات هذا الجهاز هي أن بعض أعضائه ثابت والبعض الآخر متحرك؛ فالأجزاء الثابتة هي: الأسنان واللثة والغار والجدار الخلفي للحلق، والأجزاء المتحركة هي: الشفتان واللسان من طرفه إلى ما يشمل المزمار، والفك الأسفل والطبق بما فيه اللهاة والحنجرة(*) والأوتار الصوتية والرئتان⁽¹⁾.

لم يتبع تمام حسان نهج القدماء - كالخليل وسيبويه - في وصف أعضاء الجهاز النطقي من الداخل نحو الخارج؛ أي بدءاً من الرئتين وصولاً إلى الشفتين، بل اتبع نهج المحدثين، في حين أن وصف القدماء أكثر علمية بحكم أن العملية النطقية لا ترتبط بالهواء الشهيق، بل ترتبط بالهواء الزفيري الخارج من الرئتين مروراً بالقصبة الهوائية المنتهية بصندوق الصوت أي الحنجرة التي تحوي الوترين الصوتيين، ومنهما إلى الحلق المؤدي إلى التجويف الأنفي أو التجويف الفموي وصولاً إلى الشفتين.

1 . 2 سرّ تسمية الجهاز النطقي:

يذكر تمام حسان حقيقة لابدّ من الإشارة إليها وهي أن الوظيفة الأساسية لهذا الجهاز ليست متصلة بالنطق اللغوي، وإنما تؤدي وظيفة حيوية تضمن استمرار الحياة؛ فالشفتان صمام لحفظ الطعام من الانتثار أثناء المضغ وتستعملان في المصّ والبصق، وأمّا الأسنان والأضراس فتستعملان لتقطيع الطعام ومضغه، واللسان هو عضلة معقدة كثيرة الحركة، يساعد على خلط الطعام في الفم.

كلّ ما سبق ذكره من أعضاء بدءاً بالشفتين وصولاً إلى اللسان موجود في التجويف الفموي، وسقف الحنك يفصل بين هذا الأخير وبين التجويف الأنفي الذي يُعدّ حجرة

(*) ورد خطأ في مقال صلاح الدين صالح حسنين. جهود الدكتور تمام الصوتية. كتاب تذكاري: تمام حسان رائدا لغويا. ص 193؛ إذ جعل الحنجرة والأوتار الصوتية والرئتين من الأجزاء الثابتة وهي متحركة وأسقط بقية الأجزاء المتحركة وهي: الشفتان واللسان من طرفه إلى ما يشمل المزمار والفك الأسفل والطبق بما فيه اللهاة.
(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 72-73.

لتكثيف الهواء الشّهيق قبل دخوله عبر الحلق إلى الرئتين، وينتهي الحلق بالحنجرة وفيها الأوتار الصوتية التي تُعدّ صماماً لحفظ الرئتين من الأجسام الغريبة ولحبس الهواء فيهما لأغراض مختلفة مثل السعال، والرّئتان تكثران تکرران الهواء عن طريق التّنفس وترسلانه إلى القلب⁽¹⁾.

نعم، إن تسمية هذا الجهاز بالجهاز النّطقي تسمية مجازية غير حقيقة، ذلك أنّ الوظيفة الأساسية لأعضاء هذا الجهاز هي الوظيفة البيولوجية التي تضمن الحياة، وتتمثل في: عملية التّنفس بشقيها الشّهيق والرّفير، وكذا عمليتي المأكل والمشرب، في حين أنّ النّطق اللّغوي هو وظيفة ثانوية.

إنّ ما ذهب إليه تمام حسّان في أنّ الأوتار الصوتية صمام لحفظ الرئتين من الأجسام الغريبة، فيه نظر؛ ذلك أنّ فراغ المزمار الذي يقع في جوف الحنجرة ينتهي في أعلاه بقطعة لحمية شبيهة باللسان تسمّى لسان المزمار (Epiglottis)، وهذا الأخير يُعدّ بمثابة صمام أمان يحمي طريق التّنفس من شوائب المأكل والمشرب وغيرها أثناء عملية البلع.

1. 3 كيفية إنتاج الصوت اللّغوي:

يُشير تمام حسّان إلى أنّ الضّرورة الاجتماعية مضافة إلى الذكاء الإنساني خلقاً وظيفية ثانوية للجهاز النّطقي الإنساني، وهي وظيفة النّطق اللّغوي. إذاً كيف ينتج الصوت اللّغوي؟

يرى تمام حسّان أنّ الإنسان يستطيع بتحريك الأجزاء القادرة على الحركة من هذا الجهاز، وتقريبها من أجزائه الأخرى الثابتة، أن يحدث تضيقاً في مجرى الهواء، كما يستطيع بإصاق الأجزاء القادرة على الحركة أيضاً بالأجزاء الأخرى الثابتة منه، أن يُقلّل

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 73.

مجرى الهواء إقفالا تاما. وبهذا التّضييق وذلك الإقفال أو عدمهما يستطيع المرء أن يُحدث من الأصوات ما لا حصر له⁽¹⁾.

إضافة إلى ما سبق ذكره، تجدر الإشارة إلى أنّ الصّوت اللّغوي ينتج مع عملية الرّفير لا الشّهيق، لأنّ هذا الأخير هو عملية تنفّسية بحتة، في حين أنّ الرّفير إلى جانب كونه عملية بيولوجية يُمكن أن يتحوّل النّفّس معه إلى أثر صوتي بإرادة المتكلّم.

1 . 4 الغاية من دراسة الجهاز النّطقي:

إنّ دراسة الجهاز النّطقي كآلية لإنتاج الصّوت اللّغوي تكون بالوقوف على ماهية أعضاء النّطق، ووظيفة كلّ عضو منها. وكلّ ذلك يكون بهدف «الكشف عن المخارج والصفّات وحركات هذا الجهاز مع ما يتّبع ذلك من دلالات استعمال الحنك الصّناعي (Palatography)»⁽²⁾.

بتسليط الضّوء على الهدف المنشود والغاية المرجوّة من دراسة الجهاز النّطقي الإنساني، نقف على دراسة مخارج الأصوات اللّغوية وصفاتها الصّوتية فيما سيأتي من هذا البحث⁽³⁾.

إنّ التّركيز على الشّق الثّالث من هدف دراسة الجهاز النّطقي، وهو الكشف عن حركات هذا الجهاز مع ما يتّبع ذلك من دلالات استعمال الحنك الصّناعي يحيل إلى الحديث عن آلية التّجريب في الدّرس الصّوتي العربي، والتي تظهر جلية في محاولة تمام حسّان في تطبيق تقنية الحنك الصّناعي على أصوات اللّغة العربية، ويظهر ذلك فيما يأتي:

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 73.

(2) تمام حسّان. الفكر اللّغوي الجديد. ص 28.

(3) يُنظر: الجزء الخاص بدراسة مخارج الأصوات والصفّات الصّوتية من هذا البحث.

1 . 5 تقنيّة الحنك الصنّاعي أو البلاتوغرافيا (Palatography):

1 . 5 . 1 تعريف البلاتوغرافيا:

هو طريقة من طرق البحث استعمالها فيرث، بالاعتماد على الحنك الصنّاعي (Artificial Palate) أو المحنّك؛ ويُصنع من المعدن أو المطّاط، على أن تكون المادة الخام رقيقة جدًّا، ويجب أن يطابق الحنك الصنّاعي سقف صاحب التّجربة تمامًا، وتكون في مقدّمة الحنك الصنّاعي أطراف ناتئة صغيرة تُسهّل تحريكه وإخراجه من الفم، ويجب أن يكون أسود اللون⁽¹⁾.

بدأت التّقنيّة باستعمال بصمات أصوات ثمّ نطقها منفردة خارج بيئة الكلمة، إلّا أنّ هذه البصمات لا يُنظر إليها نظرة ثقة في الوقت الحاضر، لأنّ اللّغة إنّما تُبنى من النّطق الكامل، لا من نطق الأصوات المستخرجة من بيئتها الطّبيعية. ومن النّتائج المتوصّل إليها من خلال تقنيّة البلاتوغرافيا أن أصبح طالب اللّغة يحتكم إلى آليّة التّجريب على بصمات الأصوات في الكلمات التّامة أو في الجملة المناسبة⁽²⁾.

1 . 5 . 2 أنواع بصمات الأصوات: تنقسم بصمات الأصوات إلى نوعين:

1 . 5 . 2 . أ . نوع وحيد البصمة: ويتم باختيار أمثلة بحيث يكون واحد فحسب

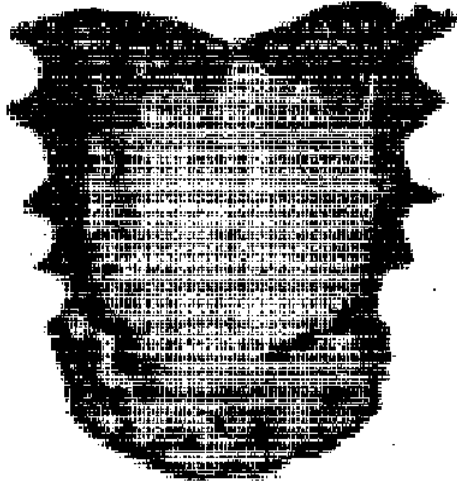
من أصواتها المكوّنة لها صالحا لإنتاج بصمة على الحنك الصنّاعي. ويظهر هذا النّوع في البصمات الموضّحة فيما يأتي⁽³⁾:

(1) للاستزادة يُنظر: أحمد مختار عمر. دراسة الصّوت اللّغوي. ص 60.

(2) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 83.

(3) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 81 - 83.

فرحة
farhah



1 . 5 . 2 . ب . نوع متعدّد البصمة: ويتم باختيار أمثلة بحيث يكون أكثر من واحد من أصواتها صالحا لمثل هذا بشرط ألا تتداخل مناطق البصمات للأصوات المختلفة في المثال. ويمكن أن نحصل من هذا النوع على أمثلة ذات بصمات ثلاث لا يتداخل بعضها مع بعض. ومن أمثلة ذلك ذكر تمام حسان المثال العدني (ضَرّوك)؛ ففي هذا المثال تقع بصمة الضاد العدنية(*) على ما يُقابل أطراف الثنايا من الحنك الصنّاعي (Dental articulation). أمّا بصمة اللسان على الحنك الصنّاعي مع الرّاء المجاورة لـواو المدّ فإنّما تقع في منطقة مقدّم الغار ومؤخّر اللثة (Post-alveolar). وأمّا بصمة الكاف المسبوقة بالواو المدية فإنّها تقع في الزوايا الخلفية لنهاية الحنك (Post-Palatal) ويظهر هذا النوع في البصمات الموضّحة بألية الرّسم فيما يأتي(1):

(*) لأن الضاد العدنية يخرج فيها اللسان.

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 83 - 84 - 85.



يرى تمام حسان أنّ اختيار أمثلة النوع الأول وحيد البصمة أيسر بكثير من اختيار أمثلة النوع الثاني متعدّد البصمة؛ ذلك أنّ الأول منهما كثير الورد في الكلمات العربية، فالباحث يتأمّل الكلمة فإن وجد فيها أكثر من صوت واحد ينطق باللسان فليُهمّلها، وإن وجد فيها صوتا واحدا ممّا يتحرّك اللسان في نطقه فليخترها على سبيل المثال: عرب- حلف- أوفد- ملام- عمرو غيرها من الكلمات التي يجمعها الباحث ليجري بها تجارب البلاتوغرافيا، ويتأخذ مساعدا(*) يلصق له الحنك الصّناعي بسقف فمه مثبتا من أطرافه في أسنانه العليا، بعد أن يكون قد نظّفه و رشّ عليه الطّبّاشير الفرنسي، ثم نفّض فائضه عنه. وعندما ينطق المساعد الكلمة وحيدة البصمة لا يتّصل لسانه بالحنك الصّناعي إلّا في صوت واحد من أصواتها فتظهر بصمته بتلاشي بياض الطّبّاشير وظهور سواد

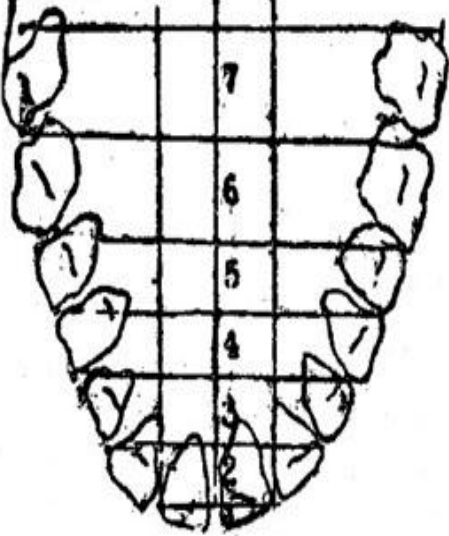
(*) مساعد البحث (Information) يُشترط فيه ما يأتي:

1. أن يكون قد نشأ و نما في ظلّ اللّغة أو اللّهجة المدروسة حتّى يمثلها بصدق.
2. يُستحسن أن يكون أميا لا يقرأ ولا يكتب، حتّى تؤثر ثقافته في تمثيله الصّحيح للّغة أو اللّهجة المدروسة.
3. ألا يكون قد خرج من منطقة اللّهجة، لأنّ السّفر يعرّض لهجته للتّغيير.
4. أن يكون المساعد واحدا من بداية الدّراسة إلى نهايتها؛ لأنّه مصدر اللّغة المدروسة، ونطقه هو المادة التي تلاحظ وتوصف وعدم تغيير المساعد يسهل الوصول إلى الهدف وهو وصف نظام صوتي موحد.

الحنك الصّناعي، ثم يُخْرَج هذا الأخير بحذر من الفم دون ترك بصمات الأصابع؛ وبهذا يرى الباحث موقع اللّسان على الحنك الصّناعي، فيصف البصّمات باسم مناطقها الموضّحة بألية الرّسم والجدولة فيما يأتي (1):

المناطق

اليمين اليسار

| | | |
|------------------------|--|-----------------------|
| خط الأضراس الرّابع |  | الضّرس الثّاني |
| خط الأضراس الثّالث | | الضّرس الأوّل |
| خط الأضراس الثّاني | | ما قبل الضّرس الثّاني |
| خط الأضراس الأوّل | | ما قبل الضّرس الأوّل |
| خط الأنياب | | ناب |
| خط الرّباعيات الجانبية | | الرّباعية |
| خط القواطع | | القاطع |

(1) ورد الرّسم والجدول باللّغة الإنجليزيّة وتمت ترجمته إلى اللّغة العربيّة. يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 87. وينظر: ملحق صور البحث.

1-5-2 مناطق حركات الحنك الصناعى:

| مناطق الالتقاء | المناطق | الخطوط الأفقية |
|---|--|----------------------|
| - الأسنان | - الأسنان - الأسنان . اللثوية | 1- خط القواطع |
| | | 2- خط الرباعيات |
| - اللثة | - اللثوية - مؤخر اللثة | 3- خط الأنياب |
| | | 4- خط الأضراس الأول |
| | | 5- خط الأضراس الثاني |
| - الحنك | - مقدّم الحنك - منتصف الحنك - مؤخر الحنك | 6- خط الأضراس الثالث |
| | | 7- خط الأضراس الرابع |
| | | |
| المناطق العمودية | الخطوط العمودية | |
| - المناطق اليمنى واليسرى: بالنسبة للمتكلّم يمين أو يسار خط الوسط. | - يمين المنطقة اللثوية: إلى يمين خط اليمين. - يسار المنطقة اللثوية: إلى يسار خط اليسار. | - خط الوسط |
| | | - خط اليمين |
| | | - خط اليسار |

1. 5. 4. إيجابيات البلاتوغرافيا (الحنك الصناعى):

تتجلى إيجابيات تقنية الحنك الصناعى في قدرتها على توضيح مشكلات النطق، وتبيان قوّة هذا الأخير من ضعفه، ويظهر ذلك في الحركات العضوية للنطق وخاصة في قوّة ضغط اللسان في نطق أي صوت على الحنك الصناعى الذي يظهر في بصمة واسعة بالنسبة لبصمة النطق الضعيف.

في دراسة تمام حسّان لهجة عدن حاول أن يدرس عن طريق البلاتوغرافيا ظاهرة السّعة والضيق في أصوات العلة، وتظهر أهمية البلاتوغرافيا في إمكانية إجراء المقارنات النّطقية بين الأصوات بالاحتفاظ بالبصمة لمقارنتها بغيرها في المستقبل، وذلك بطريقتين هما: إمّا أن يتّخذ لها الباحث صورة شمسية، وإمّا أن يضعها في عاكس ضوئي يعكس صورتها على لوح زجاجي، فيستطيع حينئذ أن يضع على الصّورة المعكوسة شريطاً من الورق الشّفاف بعرض طوال الصّورة، ويرسم الصّورة ويكتب تحتها التّاريخ وهجاء الكلمة بالكتابة الأصواتية، ثمّ يعيد التّجربة على نفس المثال في تاريخ آخر. ويرسم الصّورة الثّانية على نفس الشّريط السّابق بجانب الصّورة الأولى، فاعلا معها ما فعل بالأولى، ويكرّر ذلك، ثم يقارن الصّور كلّها في تاريخ لاحق، ليستنتج منها ما يستحقّ الملاحظة والتسجيل. فقد تكونان متشابهتين فتوضعان في قسم نوعيّ معيّن؛ إمّا وحيد البصمة أو متعدّد البصمة⁽¹⁾.

يمكن تلخيص ما سبق ذكره عن أهمية الحنك الصّناعي، في أنّ البصمات التي تؤخذ عن طريقه، تساعد على بيان الخطأ في تحديد موضع خروج الصّوت أو صفة من صفاته؛ فموضع خروجه غير ثابت في كلّ الحالات والظّروف؛ وهذا ما أشار إليه تمام حسّان في قضية الأصل والفرع، وإمكانية تحوّل صورة الصّوت عن أصلها إلى فرع أو أكثر مثل اختلاف صورة صوت النّون؛ فمخرجه الأصل في مثل: أنا، وتحوّل الأصل إلى الفرع في مثل: ينفع - ينبغي - من رأى - ينجح - ينظر - ينكر - ينقل⁽²⁾. ولكلّ نطق صفاته الخاصة التي يمكن إدراكها من شكل البصمة الصّوتية، ويتّضح ذلك عن طريق إجراء المقارنات النّطقية^(*).

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 88. ص 92.

(2) للاستزادة يُنظر: تمام حسّان. الفكر اللّغوي الجديد. ص 28.

(*) شرط المقارنة بين الصّوتين أن يتّقفا في الكثير و يختلفا في القليل.

يضرب تمام حسّان أمثلة لذلك كمقارنة المواقع المختلفة للصّوت الواحد بمقارنة بصماته المأخوذة في نفس التّاريخ مثل: بصمة التّاء في: تاب، كتب، بات. أو كمقارنة بصمات التّاء في تاب في تواريخ مختلفة⁽¹⁾.

1 . 5 . 5 سلبيات البلاتوغرافيا (الحنك الصّناعي):

تظهر سلبيات البلاتوغرافيا في محدودية الحنك الصّناعي؛ إذ أنّه لا يستطيع أن يُخضع كلّ الأصوات الصّحيحة للبحث، فبعض الأصوات ليس لها بصمة صوتية مثل: الباء والميم والواو والفاء والحاء والعين والهمزة والهاء؛ أي أن هذه التّقنية لا تصلح إلّا لدراسة الأصوات الصّحيحة التي تتطّق بمقدّم اللّسان.

من مظاهر محدودية هذه التّقنية أيضا، غياب القدرة على اختيار نسق متتابع من الأصوات الصّحيحة في الكلمة لدراسة بصماتها، ففي كلمة (تبدو) مثلا تختلط بصمة التّاء ببصمة الدّال لتقاربها في المخرج الصوتي.

إن طريقة العمل بتقنية الحنك الصّناعي متعبة ومكّلفة إضافة إلى أنّه لا يمكن متابعة مراحل حركة اللّسان أثناء نطق صوت واحد أو عدّة أصوات لهذا تمّ استبدال رسام الحنك الصّناعي برسام حنك إلكتروني (Electropalatograph) الذي يقوم برسم أجزاء الحنك التي يلامسها اللّسان أثناء الكلام كل 1/100 من الثانية⁽²⁾.

ولأنّ تمام حسّان ينظر إلى علم الأصوات نظرة علمية عملية، فإنّه يركّز على الأجهزة والآليات التي تيسّر دراسة النّظام الصوتي، فإلى جانب تقنية الحنك الصّناعي (البلاتوغرافيا palatograph) يعرفنا بتقنية التّعرجات الذبذبية (الكيموغرافيا Kymography).

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 91.

(2) للاستزادة يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 97 . 98. منصور بن محمد الغامدي. الصوتيات العربية. مكتبة التّوبة. الرياض. 2000. ص 179 . 180.

1 . 6 تقنيّة التّعرجات الذبذبية أو الكيموغرافيا (Kymography):

1 . 6 . 1 تعريف الكيموغرافيا:

تكنيك التّعرجات الذبذبية هو ما استعمله تمام حسّان في مقابل المصطلح الإنجليزي (Kymography)، ومنه الكيموغراف (*) (Kymograph)؛ وهو من الآلات الفيزيولوجية التي تستخدم في المخبر الصوتي لرسم اهتزازات الأوتار الصوتية.

1 . 6 . 2 مكونات الكيموغراف: يتكوّن هذا الجهاز ممّا يأتي:

1 . 6 . 2 . أ . أسطوانة أفقية تتحرّك بمعدّل ثابت.

1 . 6 . 2 . ب . شريط ورقي يُلفّ حول الأسطوانة ويُغطّيها، وقد كان هذا الشريط أسودا وترسم الريشة عليه خطوطا بيضاء أمّا الآن فيستعمل معه ورق أبيض، والريشة ترسم عليه خطوطا سوداء، وبهذا تمّ الاستغناء عن تلميع الورق وطلائه وتمّ التّوصل إلى صور أوضح وأدقّ.

1 . 6 . 2 . ج . أنبوبة مطاطية ناقلة للهواء.

1 . 6 . 2 . د . ريشة تسجيل مثبتة بسنّ دقيقة تلامس الشريط الورقي.

1 . 6 . 2 . هـ . جسم معدني يقع في طرف أنبوبة المطاط التي تتصل في طرفها الآخر بريشة التسجيل. مهمته لمس الجزء المقصود من الجهاز النّطقي للمتكلّم، وهذه القطعة المعدنية قابلة للإزالة أو التّغيير، ليحل محلّها قطعة أخرى تتناسب مع الجزء المراد لمسه من الجهاز النّطقي. وحين ينطق الشّخص بكلمة أو أكثر، تتحوّل حركة الجهاز النّطقي إلى حركات صاعدة هابطة لسنّ الريشة التي تسجّل على الشريط الورقي هذه الخطوط يمكن نقلها أو تصويرها لتحلّل بعد ذلك من النّاحية الصوتية⁽¹⁾.

(*) يُعرف بالممواج.

(1) للاستزادة يُنظر: أحمد مختار عمر. دراسة الصوت اللغوي. ص 56 وما بعدها.

يرى تمام حسّان أنّ كلّ سطح كيموغرافي يتكوّن ممّا يأتي⁽¹⁾:

أ- **خطّ الرّاحة**: ويسمى خطّ الصّفّر؛ وهو خطّ وهمي يمثل سلبية الإثارة، يُرسم بسنّ الكيموغراف على ورقة مثبتة على سطح عجلة عريضة تسمّى الطّبلّة تدور أمام هذا السن الذي قد يهبط على سطح الورقة فيرسم التّعرجات الناتجة عن اهتزاز الوترين الصّوتيين، وقد يرتفع عن سطح الورقة فلا يرسم هذه التّعرجات رغم دوران الطّبلّة. ووظيفة هذا الخطّ الوهمي تظهر في كونه نقطة الصّفّر التي يقاس منها عمق التّعرج، فعلى أحد جانبيه تبدأ رحلة السن.

ب- **رحلة السن الكاتب**: تكون يمينا أو شمالا من الخطّ الوهمي بالنّسبة إلى ضغط النّفس عليه الذي يصله عن طريق أنبوبة من المطّاط متّصلة ببوق الفم.

ت- **خطّ متموّج**: إذا وُجد التّموّج في الخطّ - بعد رحلة السن الكاتب عن الخطّ الوهمي - فهو دلالة الجهر في الصّوت، والعكس صحيح؛ فغياب التّموّج في الخطّ هو دلالة الهمس في الصّوت.

طبّق تمام حسّان تقنية التّعرجات الذبذبية على أصوات اللّغة العربية مستعينا بالكيموغراف كآلية حديثة في الدّرس الصوتي العربي ويضرب أمثلة لذلك نحو: في نطق الفاء يرسم السن الكاتب خطّا غير معرّج وذلك لهمسها، وانعدام الجهر فيها. وهذا الخطّ يكون إلى جانب الخطّ الوهمي غير منطبق عليه لوجود ضغط النّفس في الفاء، فالرحلة إذا موجودة والتّعرج منعدم.

3 . 6 . 1 وظيفة الكيموغراف:

إنّ رسم اهتزازات الأوتار الصّوتية حال النّطق بالأصوات اللّغوية العربية باستعمال آلة الكيموغراف يُيسر التّفريق بين صفتي الجهر والهمس، وبين صفتي الشّدة والرّخاوة،

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 98 وما بعدها.

وبين قوّة النطق وضعفه، وكذا الوقوف على الغنّة في النطق، هذا ما ذكره تمام حسّان فيما يُمكن أن يُدرس في خطوط الكيموغرافيا⁽¹⁾.

ولأنّ صفات الأصوات لا تُحصر في الجهر أو الهمس، والشّدة أو الرّخاوة، والغنّة، فهناك صفات صوتية عامّة وخاصّة أخرى تُكسب الصّوت قوّة أو ضعفا، وعليه فإنّ هذا ينمّ عن قصور بيّن في دراسة الأصوات اللّغوية بتقنية التّعرجات الذّبذبية عن طريق الكيموغراف.

إلى جانب تقنية: الحنك الصّناعي (البلاطوغرافيا) و تقنية: التّعرجات الذّبذبية (الكيموغرافيا)، يُشير تمام حسّان إلى تقنية ثالثة هي:

1 . 7 تقنية التّصوير بالأشعة:

يُشير تمام حسّان إلى أن التّصوير بالأشعة لا يستخدم كتقنية لغوية ناجحة؛ فالصّورة الاستاتيكية الثابتة المأخوذة بالأشعة تفتقد إلى بعض الشّروط ممّا يُفقدّها نجاعتها في الدّراسات اللّغوية، فهي ثابتة والحركية خاصية من خواص النطق اللّغوي، ورغم أنّها تُعطي صورة واضحة عن الأوضاع السّاكنة لنطق بعض الأصوات اللّغوية، ولكنّها لا تعدّ موثوقا بها في تمثيل هذه الأصوات، على نحو ما يورده تمام حسّان بآلية التّمثيل لصور نطق بعض الأصوات، نحو صورة نطق التّاء⁽²⁾:

(1) للاستزادة يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 98 وما بعدها.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 319.



تتم عملية أخذ صور الأشعة الثابتة بأن يجلس المُصوِّر المساعدَ أمام آلة التصوير، ويختار له وضعا مناسباً لتجنّب إخفاء عضو لعضو آخر في الصورة، ثم يطلب من المساعد أن ينطق بالصوت المختار كما لو كان مشكّلاً بالسكون، وأن يُطيل في نطقه إياه ما أسعفه النَّفسُ، وتؤخذ صورة له في أثناء هذا الوضع الثابت، وهكذا يفعل مع الأصوات الأخرى حتّى يحصل في الأخير على طائفة من الصور، كلّ واحدة منها تُظهر وضعا ثابتاً يلقي الضوء على حركات نطقية معينة، وهذا الضوء يُعدّ من خارج الدراسات اللغوية، ومع ذلك تقبل هذه الصور شريطة ألا تتعارض مع تقنيات لغوية أخرى مثل تقنية الحنك الصناعي أو تقنية الملاحظة⁽¹⁾ التي سيرد التعريف بها فيما يأتي:

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 104 - 109.

8.1 تقنية الملاحظة:

ينعت تمام حسان الملاحظة بالطريقة مرّة (1) وبالتّكنيك أخرى (2) ويُشترط لوفائها بالغرض إضافة ملاحظة ذاتية من جانب طالب البحث؛ وذلك بأن يُقلّد الطالب مساعده في نقطة على مسمع من المساعد، ثمّ يسأله عن موضع الخطأ في التّقليد، ويجب أن تكون الأمثلة مختارة، والسؤال دقيقاً حتّى تكون إجابة المساعد كذلك. وبين الفينة والأخرى على الطالب أن يختبر مساعده بأن يُخادعه، حتّى يُحفّزه على الانتباه وتحريّ الدّقة في سماع النّطق.

إنّ الميزة التي تمتاز بها الملاحظة على الطّرق الميكانيكية في البحث، تكمن في أنّ الأذن الإنسانية أكثر من الآلات ضبطاً للاستخدام في الأغراض اللّغوية. إضافة إلى أنّ مادتها هي الكلام الحيّ نفسه، في مقابل ما يدرس على الحنك الصّناعي، وهو بصمة اللّسان. وما يدرس على الكيموغراف، وهو التّعرجات الكتابية. وما يُدرس بالأشعة فوق البنفسجية، وهو صورة الجهاز النّطقي في وضع ثابت. ثمّ إنّ استخراج الحقائق يكون مباشراً من الملاحظة (3). ويمكن توسيع دائرة الملاحظة بإدخال عنصر الدّوام على النّطق، ويتمّ ذلك عن طريق:

9.1 تقنية تسجيل الصّوت:

يُمكن تسجيل النّطق على أسطوانة أو على شريط أو على وسيلة من وسائل التّسجيل الأخرى، التي تُعدّ أحسن وسط لحفظ أكبر عدد ممكن من ملامح الصّوت وسماعها عدّة مرّات. ولكن التّسجيل بصفة عامّة لا يُطابق الصّوت الحقيقي الذي يصدر عن الجهاز النّطقي الإنساني الذي يكون أوضح في قيمته من التّسجيل، ثمّ إنّ هذا الأخير يعطي

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 77.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 109.

(3) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 77 - 78.

للطالب فرصة السّماع فقط، في حين أنّ الصّوت الحيّ يُعطي للأذن فرصة السّماع وللعين فرصة الرّؤية لأعضاء النّطق.

يرى تمام حسّان أنّ التّسجيلات هي الوسيلة الوحيدة لاختبار دقّة الملاحظة من عدمها، في الكثير من نواحي علم الأصوات اللّغوية مثل: قيم النّبر والتّنغيم، ففي غياب مساعد البحث لا يُمكن الوقوف على هذه الملامح اللّغوية بواسطة آية وسيلة آية إلاّ وسيلة التّسجيل⁽¹⁾.

1 . 10 تصنيف الأصوات اللّغوية:

انطلاقاً من آية التّقابل المصطلحي، يُفرّق تمام حسّان بين: الصّحاح (Consonants)، والعلل (vowels). ويرى أنّ الباحثين لم يستقرّوا على تعريف لهما يقبله الجميع. ويُسلّط الضّوء على الأسس التي بنى عليها العلماء التّفريق بين الصّحاح والعلّة متناولاً إياها بالشرح والتّقد، متدرّجاً في استقراء الأسس الآتية:

1- الأساس الفسيولوجي.

2- الأساس الصوتي.

3- الأساس الفسيولوجي والصّوتي معاً.

4- أساس التّطريز اللّغوي: الوظيفة والتّوزيع⁽²⁾.

يُشير تمام حسّان إلى أنّ التّدخل كبير حدّ الخلط بين علم الأصوات وعلم التّشكيل الصوتي في التّفريق بين الصّحاح والعلل، انطلاقاً من الأسس سابقة الذكر، فأما العلم الأوّل فيشمل الأساسين الأوّل والثّاني متفرّقين أو مجتمعين. وأما العلم الثّاني فيتناول الصّحاح والعلل من ناحية الأساس الأخير أي التّطريز اللّغوي الذي يضمّ الوظيفة والتّوزيع.

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 79 - 80.

(2) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 141.

بعد تحليل تمام حسّان للأسس السابقة نقضها بعد نقدها جملة؛ وفيما يأتي تفصيل ذلك:

رأى أنّ المدخل الأساس الأول القائم على المدخل الفسيولوجي للتفريق بين الصّاح والعلل؛ في أن الأولى-الأصوات الصّحيحة- يحدث معها تضيق في مجرى الهواء أو إقفال تام له، وأن خاصية الثّانية- أصوات العلة- غياب أيّ تضيق أوسدّ في مجرى الهواء. وهذا التفريق سطحي مصطنع لأنّه يعتمد على مادة من خارج اللّغة، بعد قطع الصّلة بين هذه وبين بيئتها الأصلية التي هي علم الفسيولوجيا، لأنّ الصّاح والعلل في علم التّشكيل الصوتي حروف لا أصوات؛ أي أنّها ليست حركات تشرحها الفسيولوجيا، ولهذا - كما يقول تمام حسّان - ليس من الدّقة أن نقول حرف العلة لا يوجد في نطقه تضيق ولا سدّ في مجرى نطقه، لأنّ الحروف لا تُنطق، وإنّما تُنطق الأصوات. وهو تفريق قاصر لا يكفي الحاجات العملية للبحث؛ وأكثر من ذلك أنّ هذا المدخل الفسيولوجي استخدم لحلّ مسألة لم يُعيّن مستوى بحثها، أهو الأصوات، أم التّشكيل الصوتي، أم هما معا⁽¹⁾.

كذلك الحال بالنسبة للأساس الثّاني الذي ينطلق من أنّ التفريق بين الصّاح والعلل مبني على اعتبارات صوتية؛ كالعلوّ النسبي أو قوّة الاستماع، وطريقة النّطق وحال المخرج. وبهذا يؤكّد تمام حسّان قصور المدخل الفسيولوجي سواء أكان بمفرده أم مُضافاً للأساس الصوتي، ويبرّر ذلك- كما سبقت الإشارة إليه- بكون الحروف وحدات فكرية تقسيمية، لا جرس لها ولا وضوح سمعي لها لأنّها غير منطوقة.

أمّا الأساس الأخير الذي يركز على الوظيفة التي تؤدّيها الصّاح والعلل، فينطلق تمام حسّان ممّا ذهب إليه بعض الباحثين(*) من أنّ الوظيفة قد تختلف في الصّاح

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 142- ص 147.

(*) مثل: فندريس.

والعلل، إلاّ أنّه لا يوجد في الطّبيعة الفعلية للأصوات حدّ فاصل يفرّق بينهما. وبالتالي لا يُمكن الفصل بين ما هو أصواتي، وما هو تشكيلي من الصّحاح والعلل⁽¹⁾.

من منطلق أنّ «في اللّغة العربية أصوات كثيرة مقسّمة إلى أقسام، أي حروف، أقلّ في العدد؛ وكلّ من الحروف والأصوات ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما الصّحاح والعلل»⁽²⁾، يُسلّط الضّوء -فيما سيأتي- على الصّحاح وعلى العلل، بكون كلّ واحدة منهما عملة بوجهين؛ الوجه الأوّل: يمثّل الأصوات، والوجه الثّاني: يمثّل الحروف.

1 . 10 . 1 الصّحاح:

تحتوي اللّغة العربية من الحروف الصّحيحة ثمانية وعشرون قسماً، يدخل تحت كلّ قسم منها واحد أو أكثر من الأصوات؛ «فأمّا الحروف العربية الصّحيحة فهي: ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي»⁽³⁾ وأمّا الأصوات فعددها يزيد عن ذلك، ويتّضح هذا فيما سيأتي:

1 . 1 . 10 . 1 مخارج وصفات الصّحاح:

تهدف دراسة أعضاء النّطق -كما سبق ذكره- إلى الكشف عن المخارج الصوتية وصفات الأصوات اللّغوية، ويتجلّى ذلك في «غرض علم الأصوات اللّغوية من دراسة الصّوت، أن يُبيّن ما في نطقه من حركات عضوية، وما فيه من ظواهر صوتية. فأمّا الحركات العضوية فتُدرس عادة تحت اسم المخارج، وأمّا الظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الحركات فيُطلق عليها اسم الصّفات»⁽⁴⁾.

يُشير تمام حسّان إلى أنّ المخارج والصّفات التي تستخدمها اللّغة العربية الفصحى، يُمكن حصرها في التّمييز بين أصواتها. وهذا الاستخدام للتمييز إنّما يعدّ من منهج

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 148. 149.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 152.

(3) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 152.

(4) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية و الوصفية. ص 118.

التشكيل الصوتي لا من منهج الأصوات، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يكتفي من العملة النقدية بأحد وجهيها عن كليهما؛ فالأصوات والتشكيل الصوتي وصف ثم تفعيد للموصوف. والمعروف أن كل شيء يمكن أن يحد إيجابا وسلبا، والحد الإيجابي ذكر الماهية، والسلبى ذكر النقيض، وهذا ما يدخل في القيم الخلافية التي تعدّ ضرورية في فهم أي شيء. فالقيم الخلافية هامة جدًا في دراسة الأصوات والتشكيل الصوتي، بل لها من الأهمية ما يساوي أهمية القيم الوفاقية⁽¹⁾. وعليه فإن دراسة المخارج والصفات، سيكون من باب الجمع بين وجهي العملة النقدية.

يُفرّق تمام حسان بين الأصوات والحروف فيقول: «ليست الحروف هي ما تنطقه بلسانك أثناء الكلام، فهذه هي الأصوات، ولكن الحروف هي أقسام يشتمل كل منها على عدد من هذه الأصوات»⁽²⁾.

من هذا المنطلق يرى أن تقسيمات الحروف لا تبنى على اعتبارات فيسيولوجية عضوية أو طبيعية صوتية كالأصوات؛ لأن الحروف الصّاح وحروف العلة لا تنطق، وإنما الأصوات الصّاح وأصوات العلة هي التي تنطق.

تنسب المخارج والصفات للحروف كما تنسب للأصوات، ولكن دون القصد من هذه النسبة لأي معنى عضوي فيسيولوجي في المخارج، ولا طبيعي صوتي في الصفات؛ وإنما يستعمل اصطلاحاً المخرج والصفة بالنسبة للحروف استعمالاً تشكيليّاً محضاً غير أصواتي. على نقيض مخارج الأصوات وصفاتها⁽³⁾. وعليه سيتمّ الجمع بين مخارج الأصوات ومخارج الحروف وكذا بين صفات الأصوات وصفات الحروف، مع محاولة

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 110.

(2) يُنظر: تمام حسان. اللغة بين المعيارية و الوصفية. ص 119.

(3) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 153 . 154.

عدم الخلط بين المفاهيم. وفيما سيأتي تسليط الضوء على ما أورده تمام حسان في موضوعي المخارج الصوتية والصفات الصوتية.

1.10.1.1 أ. مخارج الأصوات والحروف:

1.10.1.1 أ. تعريف المخرج الصوتي:

يرى تمام حسان أن الإنسان قادر على تحريك الأعضاء المتحركة في جهازه النطقي وتقريبها من أجزائه الأخرى فيحدث تضيقاً في مجرى الهواء، كما يمكنه إصاق الأجزاء المتحركة بالأجزاء الأخرى الثابتة فيقفل مجرى الهواء إقفالاً تاماً، وبهذا التضيق وذلك الإقفال أو عدمهما يستطيع المرء أن يحدث الكثير من الأصوات، ومكان التضيق أو الإقفال هو المخرج⁽¹⁾ وجمعه المخارج (Articulations)⁽²⁾. وبما قلّ ودلّ يعرفه فيقول: «المخرج مكان النطق»⁽³⁾.

1.10.1.1 أ.2. مخارج الأصوات ومخارج الحروف عند تمام حسان:

لأنّ تمام حسان يُحدّد مكان النطق -أي المخرج- بالتضيق أو الإقفال التام الناتجين عن تلاحم الأعضاء المتحركة بالأعضاء الثابتة في الجهاز النطقي تمّ تحديد المخارج الصوتية على ضوء ذلك في الجدول الآتي⁽⁴⁾:

| المخارج الأصوات | أقسام مخارج الحروف | العضو المتحرك | العضو الثابت |
|-----------------------------|--------------------|---------------|----------------|
| 1- شفوي Bi-labial | ب ، و ، [م] (*) | الشفة السفلى | الشفة العليا |
| 2- شفوي أسناني Labio-dental | ف | الشفة السفلى | الأسنان العليا |
| 3- أسناني Dental | ظ ، ذ ، ث | طرف اللسان | الأسنان العليا |

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 73.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 115.

(3) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 110.

(4) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 110-111.

(*) سقطت الميم من الجدول.

| | | | | |
|----------------|-----------------------|---------------------------------------|------------------------------|----------------|
| 4- أسناني لثوي | ض، د، ط، ت ز، ص، س | طرف اللّسان مقدّمة اللّسان | الأسنان العليا اللثّة | Denti-alveolar |
| 5- لثوي | ل، ر، ن | طرف اللّسان | اللثّة | Alveolar |
| 6- غاري | ش، ج، ي | مقدّمة اللّسان | الغار وهو الحنك الصّلب | Platal |
| 7- طبقي | ك، غ، خ | مؤخّر اللّسان | الطبّق وهو الحنك اللّين | Velar |
| 8- لهوي | ق | مؤخّر اللّسان بالّهاة | _____ | Uvalar |
| 9- حلقي | ع، ح | _____ | تضييق الجدار الخلفي للحلق | Pharyngal |
| 10- حنجري | ه، ء | إقفال أو تضييق في الأوتار الصّوتية | _____ | Glottal |

للقوف على ملامح التّجديد في الدّرس الصّوتي عامّة والمخارج الصّوتية خاصّة عند تمام حسّان تجدر الإشارة إلى الإجابة عن السّؤال الذي طرحه في كتابه: اللّغة العربية معناها ومبناها، وهو: كيف كان موقف النّحاة العرب من دراسة الأصوات العربية؟(1)

انطلق تمام حسّان للإجابة عن هذا التّساؤل من عرض رؤية كبير أئمّة النّحاة سيبويه، ومنهجه في دراسة الأصوات، وجعل ذلك ركيزة أساسية لطرحه الجديد؛ مظهرًا منهج سيبويه في قوله: «ويظهر أنّ سيبويه كان على وعي تام بأنّ دراسة الأصوات مقدّمة لا بدّ منها لدراسة اللّغة، وأنّ النّظام الصّوتي ضروري لمن أراد دراسة النّظام الصّرفي بل لعلّه كان يرى في النّظام الصّوتي جزءًا لاحقًا، أو من دراسة الصّرف نفسها حتّى إنّ وضع الدّراسات الصّوتية تحت عنوان (باب الإدغام) قد كشف عن وجهة نظره هذه من جهة وقيد دراسة الأصوات، وضيق مجالها من جهة أخرى. وتأتي دعوى

(1) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 49.

تضييق سيبويه لمجال دراسة الأصوات من أنّ الإدغام ليس جزءاً من النظام الصوتي، وإنما هو ظاهرة سياقية... ولكنّ سيبويه مهّد لدراسة الإدغام بدراسة الأصوات، فتناول هذه الأصوات بالوصف من حيث المخرج وطريقة النطق والجهر والهمس والتفخيم والترقيق ناظراً إلى الصوت في حالة عزلة عن السياق»⁽¹⁾.

من خلال ما سبق يتّضح أنّ تمام حسان أراد أن يُبين عدم استقلالية الدراسات الصوتية عند سيبويه، الذي جعل النظام الصوتي جزءاً من دراسة الصّرف، وهذه الشمولية هي التي أخذ عليها القداماء في منهجهم لدراسة اللغة.

يشير تمام حسان إلى أنّ سيبويه ومعاصريه قد اتّجهوا عند النّظر في استنباط الحروف من الأصوات اتّجاهاً عكس البحث الحديث، الذي ينطلق في دراسة الصوتيات من الأصوات إلى الحروف؛ فبعد ملاحظة الأصوات ووصفها تبوّب في مجموعات، وتسمّى كلّ مجموعة منها حرفاً. في حين أنّ سيبويه ومعاصريه قد ارتضوا لتحليل الأصوات العربية بالنّظام الصوتي المشهور الذي ينطلق من أنّ لكلّ حرف رمز كتابي يدلّ عليه دون النّظر إلى ما تتدرج تحته من أصوات، فجعلوا الأصوات العربية التي تحت كلّ حرف من هذا النّظام لا تعدوا أن تكون صفة لهذا الحرف كأن تكون إدغاما^(*) له أو إقلاباً أو إخفاء⁽²⁾.

يرى سيبويه أنّ أصول حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، ولها رموز متفق عليها نحو: الهمزة ورمزها (ء)، الألف ورمزها (ا)، وصولاً إلى الحرف التاسع والعشرين وهو الهاء ورمزه (هـ)، ويُضيف إلى ذلك ستّة فروع أصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة الورد في الكلام؛ إذ يُؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النّون الخفيفة،

(1) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 50.

(*) تناول تمام حسان بعض الظواهر الصوتية كالإدغام والإعلال والإبدال بشيء من التفصيل في قسم الدراسات الصوتية تحت عنوان: ظواهر طلب الخفة في كتابه: الخلاصة النحوية. ص 25 وما بعدها.

(2) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 50-51.

والهمزة التي بين بين، والألف التي تُمال إمالة شديدة، والسّين التي كالجيم والصّاد التي تكون كالزّاي، وألف التّفخيم. وأضاف إلى ما سبق ثمانية حروف مستهجنة في قراءة القرآن والشّعر، ولا تكثر في لغة من تُرتضى عربيته وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم [التي كالكاف، والجيم التي] (*) كالشين، والضاد الضّعيفة، والصّاد التي كالسين، والطّاء التي كالتاء، والظاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء(1).

يرى تمام حسّان أنّ سيبويه -رغم تفرّقه بين أصول الحروف وفروعها- إلاّ أنّه لا يُفرّق بين اصطلاحي (الحرف) و(الصّوت) كما فرّق علم اللّغة الحديث بين (Pheneme) و (Sound) و (Allophone) فالحرف لديه يشمل كلّ ذلك(2).

إنّ استعمال سيبويه لمصطلح (الحروف) بدلا من (الأصوات)، لا يعني أنّه لم يكن يُفرّق بين اصطلاحي الحرف والصّوت - كما ذهب إليه تمام حسّان - إذ أنّ ما ذكره سيبويه من فرق بين الحروف الأصول والفروع، يدلّ على معرفة تامّة بما يعنيه كلّ من الحرف والصّوت(3).

إنّ تنبّه سيبويه إلى الفرق الكامن بين الحروف الأصلية والفرعية يُنمّ عن إدراكه الفرق بين الفونيم والألوفون إذ أنّ «الحروف التي سمّها سيبويه (الحروف الفروع) هي التي تُسمّى في الدرس الصوّتي الحديث بالصّورة الصّوتية أو الألوفون»(4).

(*) يشير محقق الكتاب في هامش ص 432 إلى أنّ سيبويه عدّ هذين الجيمين جيما واحدة، وهي الجيم التي تكون كالشين.

(1) يُنظر: سيبويه. الكتاب. ج.4. تح: عبد السّلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. 2009. ص 431-432.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 57.

(3) مهين حاجي زاده. دراسة آراء سيبويه الصّوتية في ضوء البحث اللّغوي الحديث. مجلة التّراث الأدبي. السّنة الثانية. ع5. 1388/11/18 هـ. ص 64. على الرّابط: www.sid.ir/fa/. محرّك البحث: Ask.

(4) خديجة إيكر. تنبّه سيبويه إلى الفرق بين الحروف الأصلية أو بين الفونيم والألوفون. منتديات رُواء الأدب. فضاء اللّغة «الأصوات». تاريخ النّشر: 2012/01/15. على السّاعة: 01:16. على الرّابط: www.ruowaa.com. محرّك البحث: Ask. والمقال منشور أيضا على صفحة: ملتقى إحياء علوم الدّين. الغرفة الصّوتية. التّعديل الأخير بواسطة:

1 . 10 . 1 . 1 . أ . 3 . مخارج الحروف عند سيبويه:

ذهب تمام حسّان إلى أنّ سيبويه أحصى المخارج التي تخرج منها الأصوات العربية، فعدها خمسة عشر مخرجا. ويورد جدولاً لأصوات العربية كما كان يراه سيبويه⁽¹⁾:

| الأصوات العربية | مخارج الحروف عند سيبويه |
|-----------------|--|
| ب . م . و | 1. ما بين الشفتين |
| ف | 2. باطن الشفة السفلى وأطراف الأسنان |
| ظ . ذ . ث | 3. طرف اللسان وأطراف الثنايا |
| ر (*) . ص . س | 4. طرف اللسان وفوق الثنايا |
| ط . د . ت | 5. طرف اللسان وأصول الثنايا |
| ن | 6. ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا |
| ؟ (**) | 7. ما بين اللسان وفوق الثنايا أدخل في ظهر اللسان |
| ل | 8. حافة اللسان إلى الطرف وما فوقهما |
| ض . ش | 9. أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس |
| ج . ي | 10. وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى |
| ك | 11. مؤخر اللسان وما يليه من الحنك الأعلى |
| ق | 12. أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى |
| غ . خ | 13. أدنى الحلق |
| ع . ح | 14. وسط الحلق |
| ء . هـ | 15. أقصى الحلق |

أ.د.خديجة إيكري يوم: 2012/01/25. على الساعة: 14:12. على الرابط: almolltaqa.com. محرّك البحث: Ask.

(1) تمام حسّان. اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. 2001. ص 59.

(*) خطأ مطبعي والصواب هو: الرّاي.

(**) سقط الصوت الذي يخرج من هذا المخرج وهو: الرّاء.

يؤكد تمام حسّان من خلال هذا الجدول أنّ مخارج الأصوات عند سيبويه خمسة عشر مخرجا، في حين يذهب أغلب الدّارسين(*) إلى أنّ المخارج عند سيبويه ستّة عشر. وسيبويه نفسه يقول: «ولحروف العربية ستة عشر مخرجا: فلحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجا: الهمزة، والهاء، والألف. ومن أوسط الحلق مخرج: العين، والحاء. وأدناه مخرجا من الفم: الغين، والحاء. ومن أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللّسان قليلا، ومما يليه من الحنك [الأعلى]، مخرج: الكاف. ومن وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج: الضّاد. ومن حافة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضّاحك والنّاب والرّباعية والثّنية، مخرج: اللّام. ومن حافة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الثّنايا، مخرج: النّون. ومن مخرج النّون غير أنّه أدخل في ظهر اللّسان قليلا، لانحرافه إلى اللّام، مخرج: الرّاء. ومما بين طرف اللّسان وأصول الثّنايا، مخرج: الطّاء، والدّال والتّاء. ومما بين طرف اللّسان وفوق الثّنايا، مخرج: الرّاي، والسّين، والصّاد. ومما بين طرف اللّسان وأطراف الثّنايا، مخرج: الظّاء، والدّال، والنّاء. ومن باطن الشّفة السفلى وأطراف الثّنايا العليا، مخرج الفاء. ومما بين الشّفتين، مخرج الباء، والميم، والواو. ومن الخياشيم، مخرج: النّون الخفيفة»(1).

إنّ نظرة تأملية فاحصة إلى مخارج الأصوات عند سيبويه-كأنموذج قديم- ومخارج الأصوات عند تمام حسّان - كأنموذج حديث- تبين ما يأتي:

(*) مثل: صدّام الفايز. الدّرس الصوّتي عند سيبويه (عرض، مشكلات، تقييم). على شبكة الألوكة. المجلس العلمي. شعبان 1430هـ. على الساعة: 09:05. على الرّابط: <https://majles.alukah.net/38007/>. محرّك البحث: Ask. وأحمد القرشي. الخلاف بين سيبويه والخليل في الصّوت والبنية. على الرّابط: <https://uqu.edu.sa/majalat/>. محرّك البحث: Ask. (1) سيبويه. الكتاب. ج2. ط1. طبعة بولاق. المكتبة الكبرى الأميرية. القاهرة. 1316هـ. ص 405.

الاختلاف في عدد المخارج الصوتية عند سيبويه، ولتفسير ذلك، وُضع احتمال اختلاف الطبّعات لكتاب سيبويه(*) فطبعته الخامسة⁽¹⁾ سقطت منها عبارة: «ومن حافة اللسان من أدها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضاحك والنّاب والرّباعية والنّثية، مخرج: اللّام». لكن، وبعد تأمل لوحظ أنّ مخرج اللّام لم يسقط ممّا سمّاه تمام حسّان بجدول الأصوات العربية كما يراه سيبويه، وإنّما حدث خلط بين مخرج الرّاء ومخرج الزّاي، ففي كتاب: اللّغة العربية معناها ومبناها طبعة دار الثقافة⁽²⁾ نُسب الرّاء إلى مخرج طرف اللسان وفوق الثّنايا، في حين أنّ هذا مخرج الزّاي إلى جانب الصّاد والسّين. ولم يُنسب إلى مخرج: ما بين طرف اللسان وفوق الثّنايا أدخل في ظهر اللسان أيّ صوت، وهو - من المفروض - مخرج صوت الرّاء الذي وُضع خطأ مكان الزّاي.

للتأكّد أكثر تمّت العودة إلى كتاب: اللّغة العربية معناها ومبناها طبعة عالم الكتب⁽³⁾ فلوحظ أنّ الخطأ نفسه مع فارق بسيط؛ وهو أنّ الرّاء نُسب إلى مخرجين: مرّة عن خطأ - كما سبق ذكره - إذ وُضع مكان الزّاي في مخرج طرف اللسان وفوق الثّنايا، ومرّة عن صواب: إذ وُضع في مخرجه وهو ما بين طرف اللسان وفوق الثّنايا أدخل في ظهر اللسان، ويمكن عدّ ذلك من قبيل الخطأ المطبعي بسقوط نقطة الزّاي لتُصبح راء.

في الأخير تمّ التّوصل إلى المخرج الذي سقط، وهو مخرج الخياشيم؛ الذي تخرج منه النّون الخفيفة بمصطلح سيبويه، أمّا تمام حسّان فيرى أنّ الأصح هو النون الخفية، لأنّ النّون الخفيفة تُقابل النّون الثّقيلة في التّوكيد في علم النّحو، أمّا النون الخفية فهي

(*) لا يُشير تمام حسّان غالباً إلى مصادر بحثه، وإن أشار فلا يعيب بمعلومات الطبع.

(1) سيبويه. الكتاب. ج4. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. ط5. القاهرة. 2009م. ص433.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. 2001. ص59.

(3) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ط5. عالم الكتب. 2006. ص59.

نون الإخفاء قبل حروف الفم وهي: التّاء، التّاء، الجيم، الدّال، الدّال، الزّاي، السّين، الشّين، الصّاد، الضّاد، الطّاء، الطّاء، الفاء، القاف، والكاف(1).

إنّ النّون الخفيّة هي النّون الساكنة المتبوعة بحروف الإخفاء ممّا يؤدي إلى ضياع الكثير من خصائصها الصوتية، واكتسابها من خصائص الحرف الذي يليها على خلاف النّون المتحرّكة واضحة الصّوت(2).

يذهب تمام حسّان إلى أنّ النّحاة العرب قد أخطوا خطأ كبيرا في تحديد بعض المخارج(3)، فسيبويه مثلا يُسمّي النّون مرّة خيشومية لأنّها تُنطق في تجويف الفم، ويخرج الهواء من الخيشوم- وهي النون الخفية التي أسقطت من الجدول السّابق - ومرّة ثانية يقول إنّها من بين طرف اللّسان وما فوق الثّنايا - وهي النّون الأصليّة التي أثبتت في الجدول - فتمام حسّان أثبت الأصل وأسقط الفرع.

تجدر الإشارة أيضا إلى أنّ تمام حسّان قد جعل - فيما عنونه بجدول الأصوات العربية كما يراه سيبويه- مخرج الشّين من أول حافة اللّسان وما يليه من الأضراس، إلى جانب الضّاد في حين أنّ مخرج الشّين إلى جانب الجيم والياء من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.

من منطلق تعريف تمام حسان للمخرج على أنّه مكان النّطق من زاوية، ومن زاوية أخرى تبنيّه لفكرة الإجمال أكثر من فكرة التفصيل في المخارج الصوتية، يُطرح التّساؤل الآتي: هل يُمكن لصوتين أو أكثر الاجتماع في مكان نطق واحد؟

للإجابة عن هذا السّؤال، تجدر الإشارة إلى الفرق الكامن بين المخرج الصوتي والحيز الصوتي؛ فالخليل بن أحمد الفراهيدي فرّق بينهما؛ فرأى أنّ المخرج هو النّقطة الدّقيقة

(1) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 53.

(2) يُنظر: صدام الفايز. الدّرس الصوتي عند سيبويه (عرض، مشكلات، تقييم). على الرّابط:

ajles.alukah.net/38007/. محرّك البحث: Ask.

(3) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 111.

التي يخرج منها الصوت، في حين أنّ الحيز الصوتي هو المنطقة التي يُنسب إليها أكثر من صوت، وهذه الأصوات بعضها أرفع من بعض (1).

من هنا يمكن القول إنّ الحيز الصوتي أشمل وأعمّ من المخرج الصوتي؛ فالحيز يضمّ مخرجين أو أكثر، شريطة التقارب بين هذه المخارج. وعليه فلكلّ صوت نقطة مخرج دقيقة ومحدّدة له وله فقط، لا يشترك فيها معه أيّ صوت آخر. ولكن، قد يجتمع مخرج هذا الصوت مع غيره من المخارج المتقاربة معه في منطقة محدّدة تُسمّى الحيز الصوتي.

من هنا تجدر الإشارة إلى أنّ جدول أصوات العربية كما كان يراه سيبويه، يحوي ستّة مخارج صوتية وما دون ذلك، فهي أحياء صوتية تضمّ أكثر من صوت. والمخارج عنده هي:

مخرج الفاء: باطن الشّفة السفلى وأطراف الأسنان.

مخرج النّون: ما بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا.

مخرج اللّام: حافة اللّسان إلى الطّرف وما فوقهما.

مخرج الكاف: مؤخّر اللّسان وما يليه من الحنك الأعلى.

مخرج القاف: أقصى اللّسان وما يليه من الحنك الأعلى.

مخرج الرّاء: ما بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا أدخل في ظهر اللّسان.

كذلك الحال بالنّسبة إلى ما ذهب إليه تمام حسان؛ فالمخارج الصوتية عنده اثنان فقط، وهما:

مخرج الفاء: شفوي أسناني.

مخرج القاف: لهوي.

(1) للاستزادة ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي. العين. تح: مهدي المخزومي وغيره. ج 1. سلسلة المعاجم والفهارس. ص 57-58.

وما دون ذلك، فهي أحياء صوتية بعضها يضمّ صوتين، وبعضها الآخر ثلاثة أصوات. وأمّا الأسنان اللثوي فيضمّ سبعة أصوات.

إنّ تمام حسّان عكس ترتيب مخارج الأصوات العربية - حتّى عند ذكره للمخارج عند سيبويه- فقد سار على نهج معاصريه في بدء الوصف الصوّتي من الشفتين وصولاً إلى الحلق. في حين أنّ سيبويه قد سار على نهج أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي في ترتيب المخارج الصوّتية من الحلق وصولاً إلى الشفتين و الخياشيم.

من منطلق أنّ الوصف الصوّتي اليوم يبدأ من الشفتين إلى الحلق، انطلاقاً ممّا يكون أسهل في الرؤية، وأنّ القدامى جميعاً منذ الخليل وسيبويه، قد اتّبعا ترتيب المخارج الصوّتية من الحلق إلى الشفتين تماشياً ولا شكّ مع اتجاه مجرى النَّفس، إذ يعبر جهاز النَّصوب⁽¹⁾.

انطلاقاً ممّا سبق يمكن ترجيح كفة القدماء على كفة المحدثين؛ لأنّ ترتيب القدماء لمخارج الأصوات العربية من الحلق إلى الشفتين أكثر علمية من ترتيب المحدثين، الذي ينطلق ممّا يكون أسهل في الرؤية؛ فأساس التّرتيب القديم صوتي، وثيق الصّلة بطريقة إنتاج الصّوت اللّغوي، الذي يرتبط بدوره بالهواء الرّفيري الخارج من الرّئتين، ماراً بالحلق، وصولاً إلى الشفتين، فأينما يكون التّضييق أو الانحباس يكون المخرج الصوّتي.

إنّ اختلاف عدد المخارج الصوّتية بين النّمودج القديم-الذي يمثّله سيبويه- والنّمودج الحديث- الذي يمثّله تمام حسّان- مردّه إلى شدّة التقارب والتّداخل بين بعض المخارج لغياب الحدود الفاصلة فصلاً تامّاً بينها⁽²⁾؛ فسيبويه نظر إليها نظرة تفصيل، في حين أنّ تمام حسّان نظر إليها نظرة إجمال؛ فما ذكره سيبويه مفصّلاً في مخارج:

(1) مهين حاجي زاده. دراسة آراء سيبويه الصوّتية في ضوء البحث اللّغوي الحديث. مجلة التّراث الأدبي. السّنة الثّانية. ع5. 1388/11/18 هـ. ص 64. على الرّابط: www.sid.ir/fa/. محرّك البحث: Ask.

(2) كمال بشر. علم الأصوات. دار غريب. 2000. ص 191.

أقصى الحلق ووسطه وأدناه، ذكره تمام حسان مجملا في مخرج واحد: حلقى. وقد جعل سيبويه طرف اللسان وفوق الثنايا مخرجا للزاي والصاد والسين، وضمّ الطاء والدال والتاء في مخرج طرف اللسان وأصول الثنايا، وذهب إلى أنّ الصاد تخرج من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس. في حين ضمّ تمام حسان كلّ هذه الأصوات: الصاد، والدال، والطاء، والتاء، والزاي، والصاد، والسين في مخرج واحد سمّاه: أسناني لثوي.

فصل سيبويه في مخارج النون، واللام، والراء؛ فجعل مخرج النون ممّا بين طرف اللسان وفوق الثنايا، والراء ممّا بين طرف اللسان وفوق الثنايا أدخل في ظهر اللسان، وقال إنّ حافة اللسان إلى الطرف وما فوقهما مخرج اللام. في حين أنّ تمام حسان جمع النون واللام والراء في مخرج واحد سمّاه اللثوي. وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر، فتمام حسان يذكر التكرار الوارد في المخارج الصوتية عند سيبويه إذ يقول: «والملاحظ أنّ طرف اللسان يرد ذكره في المخارج الخمسة نوات الأرقام: 3-4-5-6-7، وكذلك ترد معه الثنايا مع تباين الجزء الذي يتصل به طرف اللسان منها، ولقد ورد ذكر اللسان في المخرجين 8-9، وورد ذكر وسط اللسان في رقم: 10، وأقصاه في: 12، وذكر الحلق في: 13-14-15 أي أدناه ووسطه وأقصاه»⁽¹⁾.

لقد «تتابعت الدراسات الحديثة حول أصوات اللغة العربية، ولم يخرج معظم مؤلفيها عمّا أورده تمام حسان في ترتيب مخارج الحروف العربية، وربما زاد بعضهم موضعا أو

(1) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص58.

مخرجا(*)، وربما أنقص موضعا(**)»(1). والملاحظ أيضا في المخارج الصّوتية عند تمام حسّان، سقوط صوت الميم من المخرج الأوّل، فهو صوت شفوي كالباء والواو.

إنّ الحكم بأنّ الهمزة هي أوّل الأصوات العربية مخرجا حكم سليم، ولكنّها ليست من أقصى الحلق، وإنّما هي ممّا يلي الحنجرة(2). ولكنّ سيبويه لم يُصنّف الحنجرة مخرجا. في أقصى الحلق وإلى جانب الهمزة والهاء ذكر سيبويه الألف، وهو صائت عليل للمدّ دائما؛ إذ يُعدّ حركة في كلّ مواضع اللّغة العربية، ومخرجه ليس الحلق، وإنّما هو حركة يتحدّد موضع نطقها بوضع اللّسان وضعا معيّنا في الفم تجاه الحنك الأعلى، حاله حال الواو والياء المديّتين، إذ تحدّد بطريق وضع الفم تجاه الحنك، وبدرجة ارتفاع اللّسان أو هبوطه(3).

إنّ الاختلاف الكامن بين معطيات الدّرس الصّوتي القديم ممثّلا في سيبويه، وبين الدّرس الصّوتي الحديث ممثّلا في تمام حسّان، في نسبة الأصوات إلى المخارج نحو اختلافهم في الضّاد والواو غير المديّة، واختلافهم في ألقاب المخارج، قد يُفسّر بتطوّر الأصوات؛ فإنّ بعضها قد تغيّر نطقها - مثل الضّاد - فليس غريبا أن يعدّها الدّرس الصّوتي القديم من مخرج، ويعدّها الدّرس الصّوتي الحديث من مخرج آخر. كما قد يُفسّر

(*) هناك من عدّها أحد عشر مخرجا، مثل: أحمد مختار عمر. دراسة الصّوت اللّغوي. ص 269-273. وكمال بشر. علم الأصوات. ص 183-185.

(**) هناك من عدّها تسعة مخارج، مثل: سعد عبد العزيز مصلوح. دراسة السّمع والكلام (صوتيات اللّغة من الإنتاج إلى الإدراك). ط2. عالم الكتب. القاهرة. 2005. ص 174.

(1) للاستزادة يُنظر: غانم قدوري الحمد. مخارج حروف العربية: عددها وترتيبها بين الدّرس القديم والدّرس الحديث (عرض ومناقشة). مجلّة الحكمة. ع38. محرّم 1430هـ. ص 315-358. على الرّابط:

<http://vb/tafsir/net/tafsir19744/>. محرّك البحث: Ask.

(2) يُنظر: كمال بشر. علم الأصوات. ص 192.

(3) يُنظر: كمال بشر. علم الأصوات. ص 194-195.

باستعانة المحدثين بأجهزة دراسة الصوت(*)-كالتّي ذُكرت سابقاً- والاستفادة من علم التشريح(1).

تجدد الإشارة إلى أنّ للمتقدّم قصب السبق في الإبداع، وللمتأخّر التّبعية له حتّى وإن أجاد وزاد، فسيبويه وغيره من القدامى نبغوا في دراسة اللّغة عامّة وأصواتها خاصّة رغم إمكانيّاتهم البسيطة.

1-10-1-1-ب- صفات الأصوات(**) والحروف(***):

ب 1 - تعريف صفات الأصوات:

يسمّيها تمام حسّان الصّفات التّصنيفية(Correlations)(2)؛ وهي إحدى أسس التّطريز اللّغوي(***) . ويُعرّفها بأنّها الظّواهر الصّوتية المصاحبة للحركات العضوية للجهاز النّطقي(3). ويرى أنّه يمكن النّظر إليها من زاويا متعدّدة:

أولها: الطّريقة التي يتمّ بها النّطق في مخرج ما.

ثانيها: حدوث نذبذبة في الأوتار الصّوتية وعدمه.

ثالثها: تحرك مؤخّر اللّسان أو مقدّمه تحركاً ثانوياً أثناء حدوث النّطق في موضع

آخر(4).

وفيما سيأتي شرح مفصّل لكلّ زاوية بربطها بصفات الأصوات:

(*) من الأجهزة الفسيولوجية: البلاتوغراف والكيموغراف ومن الأجهزة الصّوتية الفيزيائية: السيلوغراف.

(1) مهين حاجي زاده. دراسة آراء سيبويه الصّوتية في ضوء البحث اللّغوي الحديث. ص 67-68.

(**) صفات الأصوات تُستعمل عند الحديث عن الظّواهر الصّوتية المصاحبة للحركات العُضوية.

(***) صفات الحروف تستعمل عند الحديث عن الأقسام؛ فكلّ قسم يشمل عدداً من الأصوات التي تتسم بصفة معيّنة.

(2) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 115.

(***) الصّفات التّطريزية والمخارج الصّوتية هما الأساس الذي يقوم عليه بناء التّطريز اللّغوي الذي سيأتي الكلام عنه في منهج التّشكيل الصّوتي.

(3) تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 118.

(4) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 112.

ب2- صفات الصّاح عند تمام حسان:

أولاً- الشّدة والرّخاوة(*) وما بينهما:

يرى تمام حسان أنّ صفتي الشّدة والرّخاوة وما بينهما يُمكن الوقوف عليها بالنّظر إليها من الزّاوية الأولى؛ وهي الطّريقة التي يتمّ بها النّطق في مخرج ما.

1- صفة الشّدة: وتكون إذا صادف الهواء الزّفيري الخارج من الرّئتين مجرى

مسدوداً سدّاً تامّاً، عند نقطة المخرج في الجهاز النّطقي - من الأوتار الصوتية إلى الشّفتين - فيحتجز الصّوت خلف نقطة الانسداد، في حالة ضغط أعلى من ضغط الهواء الخارج، وإذا انفصل العضوان المتّصلان لسدّ المجرى انفصلاً مفاجئاً، اندفع الهواء الدّاخل من الضّغط النّقيّل إلى الهواء الخارج ذي الضّغط الأخفّ محدثاً انفجاراً، وهذا الانفجار هو عنصر مهمّ لنطق الأصوات الشّديدة؛ لأنّ نطقها يتكوّن من أكثر من عنصر واحد، ويتّضح ذلك فيما يأتي:

| | | |
|---------------------------------|--|--|
| (1) اتّصال عضوين لسدّ المجرى | (2) انحباس الهواء خلف نقطة تلاقيهما | (3) انفصال العضوين فجأة وتسريح الهواء |
|---------------------------------|--|--|

إنّ الأصوات الشّداد كما يسمّيها تمام حسان هي: الباء، التّاء، الدّال، الضّاد، الطّاء، القاف، الكاف، والهمزة؛ وهي التي ينفصل العضوان اللّذان يسدّان مجرى الهواء فيها انفصلاً سريعاً ومفاجئاً. والسّرعة والمفاجأة بالإضافة إلى الانفجار هي من أهمّ شروط تسمية الصّوت شديداً(1).

2- صفة الرّخاوة: تكون إذا صادف الهواء الزّفيري الخارج من الرّئتين مجرى ضيقاً

لا مسدوداً، يسمح للهواء بالمرور محتكاً بنقطة التّضييق بين العضوين. والأصوات التي

(*) يستعمل تمام حسان الشّدة والرّخاوة كاصطلاح قديم، ويستعمل الانفجار والاحتكاك كاصطلاح حديث. يُنظر: مناهج البحث في اللّغة. ص 131.

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 112-113.

يصحبها هذا النوع من طريقة النطق تُسمّى: الأصوات الرخوة، وهي: النَّاء، الحاء، الخاء، الذَّال، السَّين، الشَّين، الصَّاد، الظَّاء، العين، الغين، و الفاء(1).

3- صفة التَّعْطِيش (التَّركيب من الشَّدة والرَّخاوة): وتكون عند الجمع بين عنصر الشَّدة وعنصر الرَّخاوة؛ أي يكون الصَّوت مركَّباً منهما، فتتوقَّر فيه شروط الشَّدة كالانسداد المطلق والانفجار، ولا تتوقَّر فيه أخرى كالسرَّعة والمفاجأة؛ إذ لا يصاحبه انفصال مفاجيء للعضوين المتَّصلين لسدِّ المخرج، بل يُصاحبه انفصال بطيء. وفي هذا الأخير مرحلة بين الانسداد المطلق والانفتاح المطلق شبيهة كلِّ الشَّبه بالتَّضييق الذي يكون مع صفة الرَّخاوة؛ فهذه المرحلة تأتي بعد انفجار الهواء الزَّفيرى مباشرة، فتسمح له بالاحتكاك بالعضوين اللذين في طريق التَّباعد البطيء احتكاكا شبيها بما يُصاحب الأصوات الرخوة(2).

إنَّ الصَّوت العربيَّ الوحيد المركَّب بين الشَّدة والرَّخاوة هو صوت: الجيم، ويتمَّ النطق به بأن يرتفع مُقدِّم اللسان في اتِّجاه الغار، حتَّى يتَّصل به محتجزا وراءه الهواء الخارج من الرئتين. ثمَّ بدل أن ينفصل عنه فجأة -كما في نطق الأصوات الشديدة- يتمَّ هذا الانفصال ببطء، فيُعطي للهواء بعد الانفجار فرصة الاحتكاك بالعضوين(3).

4- صفة التَّوسُّط بين الشَّدة والرَّخاوة: وتكون إذا مرَّ الهواء الزَّفيرى بمجره دون انحباس أو احتكاك من أيِّ نوع؛ فالصَّوت هنا لا يكون شديدا ولا رخوا ، وذلك لما يأتي:

- إمَّا لخلوِّ مجراه في الفم من المعوِّقات، كما في صوتي: الواو، والميم.
- إمَّا لأنَّ مجراه في الفم يتجنَّب المرور بنقطة السدِّ أو التَّضييق، كما في صوت: اللام.
- إمَّا لأنَّ التَّضييق غير ذي استقرار على حاله، كما في صوت: الرء.
- إمَّا لأنَّ الهواء لا يمرُّ بالفم، وإنَّما يمرُّ بالأنف، كما في صوتي: الميم، والنون.

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللُّغة. ص 112-113.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللُّغة. ص 113.

(3) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللُّغة. ص 131-132.

من هنا يُمكن القول إنّ تمام حسان يَعُدُّ الواو، الياء، اللام، الرّاء، الميم، والنون أصواتا متوسّطة؛ لأنّها ليست شديدة ولا رخوة.

يصف تمام حسان الأصوات المتوسّطة بصفة الاستمرار أيضا، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

4-1-1- صفة الاستمرار (Continuant): يرى تمام حسان أنّ الاستمرار صفة تُعرف بالنّظر إلى الزاوية الأولى وهي: الطّريقة التي يتمّ بها النطق في مخرج ما⁽¹⁾. ومن الأصوات المستمرة عند تمام حسان ما يأتي:

4-1-1- التكراري (Rolled):

هو صوت ينطلق بترك اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرّئتين، فيُرفرف اللسان، ويضرب طرفه في اللثة ضربات مكرّرة، والصوت التكراري في اللغة العربية هو: الرّاء⁽²⁾.

4-1-2- الجانبي (Lateral):

هو صوت يُنطق برفع طرف اللسان حتّى يتّصل باللثة، ورفع الطّبق حتّى يتّصل بالجدار الخلفي للحلق، فيسدّ المجرى الأنفي، وكلّ هذا مصاحب بذبذبة في الأوتار الصوتية. والصوت الجانبي في اللغة العربية هو: اللام. ومعنى الجانبية في نطق هذا الصوت أنّ إحدى جانبي اللسان أو كليهما يدع الفرصة للهواء الرّئوي ليمرّ بينه وبين الأضراس، في الوقت الذي يمتنع فيه مروره على وسط اللسان لحيلولة طرف اللسان المتّصل باللثة دون ذلك⁽³⁾.

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 112.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 132.

(3) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 133.

4-1-3 الأنفي (Nasale):

ففي صوت الميم تتصل الشفتان حين النطق به، ويهبط الطبق فينفتح المجرى الأنفي، ويمرّ الهواء منه، في حين تحدثذبذبة في الأوتار الصوتية. أما صوت النون فيتمّ النطق به بجعل طرف اللسان ضدّ اللثة مع خفض الطبق لفتح المجرى الأنفي، وإحداثذبذبة في الأوتار الصوتية⁽¹⁾.

4-1-4 نصف عليّ (Semi vowel):

صوت الواو يُنطق بضمّ الشفتين ضمّاً دون الإقفال، مع نتوئهما إلى الأمام، ورفع مؤخر اللسان، وسدّ المجرى الأنفي، ووجودذبذبة في الأوتار الصوتية. أما صوت الياء فهو أيضاً صوت عليّ يُنطق برفع مقدّم اللسان في اتجاه الغار، ورفع الطبق حتّى يسدّ المجرى الأنفي، مع وجودذبذبة في الأوتار الصوتية⁽²⁾.

إنّ ما اصطلح عليه تمام حسان نصف عليّ لا يختلف عمّا أدركه علماء العربية واصطلحوا عليه نصف حركة؛ إذ يشير ابن جنّي أنّ الواو والياء «لما تحرّكتا قويتا بالحركة فالحقتا بالحروف الصّحيحة»⁽³⁾، ويُعقّب كمال بشرعن ذلك بقوله: إنّ «هذين الصّوتين يقلّ فيهما الاحتكاك بدرجة تُقرّبهما من الحركات. ومن ثمّ كان الاصطلاح أنصاف الحركات، وهو ما عبّر عنه ابن جنّي بأنّهما ملحقان بالأصوات الصّاح أي الصّامتة أو مضارعان لهما... إنّهما صوتان صامتان وظيفياً، ولكنّهما يشبهان الحركات نطقاً»⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 133-134.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 135-136.

(3) ابن جنّي. سرّ صناعة الإعراب. ج1. ص 22-32.

(4) كمال بشر. علم الأصوات. ص 381.

إنّ الأداء النطقي لأنصاف الحركات أو أنصاف العلل يؤكد أنّ 50% الأولى من الواو أو الياء غير المدّيتين تتسم نسبيا بالوضوح السّمعى لخلوّ مخرجها من أيّ سدّ أو تضيق في المخرج، على خلاف 50% الثانية منهما التي تقلّ قوّة الإسماع فيها نتيجة تضيق المخرج؛ وعليه فإنّ الجزء الأول منها فيه من صفات الحركات أو العلل، وأمّا الجزء الثّاني منها ففيه من صفات الصّوامت الصّاح. وهذا هو سرّ تسميتها بأنصاف الحركات أو العلل، أو أنصاف الصّوامت، والاسم الأوّل منهما أكثر شيوعا.

ثانيا: الجهر والهمس

يرى تمام حسان أنّ صفتي الجهر والهمس يُمكن الوقوف عليهما بالنظر إليهما من الزاوية الثّانية وهي: حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية وعدمه.

1- صفة الجهر: وتكون بحدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية تُصاحب نطق الصّوت فيُسمّى: مجهورا. والأصوات المجهورة عند تمام حسان هي: الضّاد، الباء، الدّال، الظّاء، الدّال، الزّاي، الغين، العين، الهاء، الجيم، اللّام، الرّاء، النّون، الواو، والياء⁽¹⁾.

2- صفة الهمس: وتكون بغياب ذبذبة الأوتار الصوتية عند النطق بالصّوت، فيُسمّى: مهموسا. والأصوات المهموسة عند تمام حسان هي: الطّاء، التّاء، الكاف، القاف، الهمزة، الصّاد، الفاء، الثّاء، السّين، الخاء، والحاء⁽²⁾.

يرى تمام حسان أنّ الجهر والهمس صفتان تختلف فيهما الأصوات وتتقابل، حتّى ولو اتّحدت في المخارج، وهنا تتجلّى فكرة القيم الخلافية في تحديد الصّوت تحديدا إيجابيا أو سلبيا؛ فالجانب الإيجابي يتّضح في الاتّحاد في المخرج، والجانب السّلبى يتّضح في

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 156.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 156.

الاختلاف والتقابل في الصفات. ويسوق تمام حسان أمثلة لذلك موضحة في الجدول الآتي:

| الهمس | الجهر | |
|-------|-------|---------|
| ت | د | الشدة |
| س | ز | الرخاوة |
| — | ح | المعطش |
| — | ل | التوسط |

ويُعلّق قائلاً: «الجهر والهمس ناحيتان تختلف فيهما الأصوات وتتقابل، حتى لو اتحدت مخارجها، كما في صوتي الدال والتاء، وكما في صوتي الزين(*) والسّين؛ فالصّوت الأوّل من كلّ زوج مجهور والثاني مهموس، والزّوج الأوّل شديد والثاني رخو، والزّوجان معا من الأصوات الأسناننة اللّثوية، فبعض معنى (د) أنّها صوت شديد مجهور، وبعض هذا المعنى أيضا أنّها ليست (ت) ولا (ز)، مع اشتراك بينهما وبين القرين الأوّل في الشدة، وبينها وبين الثّاني في الجهر. فالبعض الثّاني من المعنى، أو سمّه مفهوم المخالفة إن أردت أو الجانب السّلبى إن شئت، هو الذي يبنى على القيمة الخلافية بين (د)، (ت) من ناحية، وبين (د) و(ز) من ناحية أخرى. ومثل ذلك يُقال في التّفريق بين كلّ صوت وآخر من أصوات اللّغة. ولعلّك قد لاحظت أنّ (ج) و(ل) في هذا الجدول ليس لهما مقابل مهموس»⁽¹⁾.

(*) الزّاي.

(1) تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 114.

ثالثا: الإطباق والتّغوير

يرى تمام حسان أنّ صفتي الإطباق والتّغوير يُمكن الوقوف عليهما بالنظر إليهما من الزاوية الثالثة وهي: تحرّك مؤخّر اللسان أو مقدّمه تحرّكا ثانويا أثناء حدوث النطق في موضع آخر.

1- صفة الإطباق (Velarization): قبل الوقوف على ماهية الإطباق - واستنادا إلى القيمة الخلفية- ينبّه تمام حسان القاريء محذّرا إياه من الخلط بين اصطلاحين يختلفان أكبر اختلاف، وإن اتّحدا في كثير، ممّا يخلق صلة بينهما، وهما: الطبّيقية (Velar Articulation) والإطباق (Velarization)؛ فالطبّيقية هي حركة عضوية يبقى اللسان معها في وضع مُحايد، إذ يكون النطق في مخرج الطبّيق؛ أي ارتفاع مؤخّر اللسان حتّى يتّصل بالطّبّق، فيسدّ المجرى أو يُضيّقه تضيقا يؤدّي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما⁽¹⁾. «ويحدث هذا عند نطق خ- غ- ق»⁽²⁾.

أمّا الإطباق فهو ظاهرة عضلية تصحب النطق؛ إذ يرتفع مؤخّر اللسان في اتّجاه الطبّيق دون أن يتّصل به، فيجري النطق في مخرج آخر غير الطبّيق غالبا ما يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه. وتنتج عن الإطباق قيمة صوتية تُلوّن الصّوت المنطوق برنين خاص، كما في نطق: الصّاد، والضّاد، والطّاء، والظّاء. ولكنّ تمام حسان نفسه يقع فيما حدّر القارئ منه إذ يقول: «الاستطالة وهي نتيجة طبيعية لامتداد اللسان من الأسنان إلى ما يُداني الجدار الخلفي للحلق، ويُسمّى التّحليق، ويوجد في الضّاد المصرية الحديثة، وفي كلّ الأصوات الطبّيقية وهي: الصّاد والضّاد والطّاء والظّاء»⁽³⁾. وهنا يلتبس الأمر؛ فالصّاد والضّاد والطّاء والظّاء أصوات إطباق أي مطبقة وليست أصوات طبّيقية

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 115.

(2) صلاح الدّين صالح حسنين. جهود الدّكتور تمام حسان الصّوتية. ص 196.

(3) تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 120.

ودليل ذلك قوله: «الطبّقيات التي نطقها في الطّبق هي أصوات الخاء والغين والقاف»⁽¹⁾ ويقول: «وصوت القاف لهوي، ومن ثمّ كان طبقيا لا مطبقا»⁽²⁾؛ أي يوصف بالطّبقية لا بالإطباق فأصوات الأولى هي: القاف والحاء والغين. وأصوات الثّانية هي: الصّاد والضّاد والطاء والظّاء. وهذا ما ذهب إليه سيبويه في قوله: «ومنها [أي الحروف] المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصّاد والضّاد والطاء والظّاء. والمنفتحة: كلّ ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنّك لا تُطبق لشيء منهنّ لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى»⁽³⁾.

يرى تمام حسّان أنّ الإطباق هو أحد عناصر التّفخيم، ويُشير إلى أنّ النّحاة والقراء الأقدمين قد عبّروا عن الطّبقية والإطباق كليهما باصطلاح الاستعلاء، وقصدوا بذلك علوّ مؤخّر اللّسان في اتّجاه الطّبق سواء اتّصل به كما في الطّبقية، أم لم يتصل كما في الإطباق⁽⁴⁾.

2- صفة التّغوير (Palatalization): تُقابل صفة الإطباق^(*)، والتّغوير هو: نطق الصّوت الذي مخرجه خلف الغار من الغار، أو أقرب ما يكون إليه. ويضرب تمام حسّان لذلك أمثلة منها في لهجة العراق صوت الكاف المجاور لحركة الكسرة مغوّر كما في: فيك، فهم يقولون: فيتش⁽⁵⁾.

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص121.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص125.

(3) سيبويه. الكتاب. ج4. ص 436.

(4) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص116.

(*) الإطباق يُقابل الانفتاح عند سيبويه. يُنظر: الكتاب. ج4. ص 436.

(5) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص116.

رابعاً: التّفخيم والتّرقيق

يرى تمام حسان أنّ الإطباق هو أحد عنصري التّفخيم، وأنّ التّغوير هو من أسباب التّرقيق، وعليه يُمكن النّظر إلى التّفخيم والتّرقيق كالإطباق والتّغوير من الزّاوية الثّالثة، وهي: تحرّك مؤخّر اللّسان أو مُقدّمه تحرّكاً ثانوياً أثناء حدوث النّطق في موضع آخر.

1- صفة التّفخيم: هي ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية تُغيّر من شكل حُجرات الرّنين بالقدر الذي يُعطي الصّوت هذه القيمة الصّوتية المفخّمة. وإذا كان الإطباق هو أحد عنصري التّفخيم، فإنّ عنصره الثّاني هو التّحليق (Pharyngalization) وهو قرب مؤخّر اللّسان من الجدار الخلفي للحلق، نتيجة لتراجع اللّسان بصفة عامّة⁽¹⁾.

يرى تمام حسان أنّ الاستطالة هي نتيجة طبيعية للتّحليق، وهذا الأخير يوجد في الصّاد والضّاد والطاء والظّاء⁽²⁾. ويُشير إلى أنّ حروف الإطباق الأربعة سالفة الذّكر، مُفخّمة إلى درجة أكبر من تفخيم الحروف الطّبقية الثّلاثة: الغين، الخاء، والقاف؛ ذلك لأنّ حروف الإطباق يبقى لها تفخيمها في كلّ وضع، ومع كلّ حرف علّة سابق أو لاحق. أمّا الحروف الثّلاثة الطّبقية فإنّها لا تُفخّم في مجاورة الكسرة⁽³⁾.

مما سبق ذكره يتّضح أنّ التّفخيم صفة صوتية دائمة مع حروف الإطباق، وعارضة مع الحروف الطّبقية؛ إذ تُفخّم الغين والحاء والقاف إذا لم تجاورها الكسرة، ولا تُفخّم إذا جاورتها، وصنّفها تمام حسان في خانة الأصوات غير المفخّمة كما يظهر في الجدول.

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص116.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص120.

(3) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص188.

2- صفة الترقيق: تُقابل صفة التّفخيم، وتتطلق في الأساس من «حركة مؤخّر اللّسان في أثناء النّطق؛ إذ إنّ هذه الحركة معناها إعادة تكييف حُجرة الرّنين لدى البلعوم من حيث الشّكل والحجم»⁽¹⁾.

يُشير تمام حسان إلى أنّ التّغوير من عوامل التّرقيق، إذ يقول: «أمّا التّغوير فننتيجته قيمة أصواتية مرّقة ترقيقاً عظيماً»⁽²⁾ تنتج عنها الأصوات المرّقة غير المفخّمة وهي: الباء، الدّال، التّاء، الكاف، القاف، الهمزة، الدّال، الغين، العين، الهاء، الفاء، التّاء السّين، الشّين، الخاء، والحاء⁽³⁾.

يمكن تلخيص أسباب التّفخيم والتّرقيق فيما قاله تمام حسان: «وإذا كان السّبب في التّفخيم، وهو ظاهرة صوتية، ما يُلابسه من إطباق (رفع مؤخّر اللّسان إلى الطّبق)، وتحليق (تقريب اللّسان من الجدار الخلفي للحلق)، وهما حركتان عضويتان؛ فإنّ السّبب في التّرقيق عدم هاتين الحركتين»⁽⁴⁾ مع حضور التّغوير (نطق الصّوت الذي مخرجه خلف الغار من الغار أو من قربه).

1-1-10-1-أب مخارج وصفات الصّوامت العربية بين سيبويه وتمام حسان:

يُلخّص تمام حسان صفات الصّاح في الجدول الآتي⁽⁵⁾:

(1) تمام حسان. اللّغة بين المعيارية و الوصفية. ص118.

(2) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص116.

(3) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص116، ينعت تمام حسان هذه الأصوات بغير المفخّمة، وفي نفس الكتاب ص187، وفي اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص118، يستعمل مصطلح التّرقيق كمقابل للتّفخيم.

(4) تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص127.

(5) تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص116.

| صفات الحروف | | | | | | | | | | | | |
|-------------------|-----|--------|-------|-------|----------|------|----------|------|----------|------|---------|----------------|
| متوسط | | | | مجهور | مركب | | رخو | | شديد | | المخارج | |
| مجهور كلي | | | | | مهموس | | مجهور | | مهموس | | | |
| نصف حرف علة | آية | تكراري | جائبي | | غير مفخم | مفخم | غير مفخم | مفخم | غير مفخم | مفخم | | غير مفخم |
| و | [م] | | | | | | | | | ب | | شفوي |
| | | | | | ظ | | | | | | | شفوي أسناني |
| | | | | | ث | ن | ظ | | | | | أسناني |
| | | | | | س | ص | ز | ت | ط | د | ض | أسناني لثوي |
| | ن | ر | ل | | | | | | | | | لثوي |
| ي | | | | ج | ش | | | | | | | غاري |
| | | | | | خ | غ | | ك | | | | طبيقي |
| | | | | | | | | ق | | | | لهوي |
| | | | | | ح | ع | | | | | | حلقي |
| | | | | | | هـ | | ء | | | | حنجري |

يُشبهه تمام حسان هذه المنظمة التشكيلية الحرفية في مجموعها بمرّعات رقعة

الشطرنج؛ فالمرّعات في هذه الرّقعة تختلف بحسب الاعتبارات الآتية:

- 1- سواد المرّع وبياضه.
- 2- مكان المرّع في الخط الرأسي.
- 3- مكان المرّع في الخط الأفقي.
- 4- مكان المرّع في الخط المائل.

يشير تمام حسّان إلى أنّ هذا الجدول بخطّه الأفقيّ الذي يمثّل المخرج والصّفات جميعها، وهذا هو التّطريز الحرفي في اللّغة، إذ لا يُمكن أن يتّحد مربّعات في كلّ هذه الصّفات⁽¹⁾، فلو اتّفق حرفان في المخرج والصّفات لكانا صوتا واحدا. لمعرفة الجديد الذي أتى به تمام حسّان في صفات الأصوات، تجدر الإشارة إلى القديم لاكتشاف ما جدّ عليه، وذلك من خلال صفات الأصوات عند سيبويه، والذي قسّمها على النّحو المبيّن في الجدول الآتي⁽²⁾:

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص157.

(2) فكرة الجدول مستقاة من كتاب تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص59. وتمّ الاعتماد على: سيبويه. الكتاب. ج4. تح: عبد السّلام محمد هارون. ص433.

| هو | بن | الصفات | | | | | | | | | | المخارج | | |
|----|----|--------|-------|-------|-------|-----------------------|------|-----|-------|-------|-----------------|---------|-------|--|
| | | رخو | | | | ما بين الشدة والرخاوة | شديد | | | | يمنتع النفس معه | | | |
| | | مهموس | | مجهور | | | مكرر | أني | منحرف | مهموس | | | مجهور | |
| | | مرقق | مفخّم | مرقق | مفخّم | | | | | مرقق | مفخّم | | مرقق | مفخّم |
| | و | | | | | | م | | | | | ب | | 1- ما بين الشفتين |
| | | فا | | | | | | | | | | | | 2- باطن الشفة السفلى وأطراف الأسنان |
| | | ثا | | نا | ظ | | | | | | | | | 3- طرف اللسان وأطراف الثنايا |
| | | سا | ص | زا | | | | | | | | | | 4- طرف اللسان وفوق الثنايا |
| | | | | | | | | | | تا | | د | ط | 5- طرف اللسان وأصول الثنايا |
| | | | | | | | نا | | | | | | | 6- ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا |
| | | | | | | | را | | | | | | | 7- ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا أدخل في ظهر اللسان |
| | | | | | | | | لا | | | | | | 8- حافة اللسان إلى الطرف وما فوقهما |
| | | | | | ضا | | | | | | | | | 9- أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس |
| | يا | شا | | | | | | | | | | جا | | 10- وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى |
| | | | | | | | | | | | | كا | | 11- مؤخر اللسان ومل يليه من الحنك الأعلى |
| | | | | | | | | | | | | | قا | 12- أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى |
| | | | خا | | غا | | | | | | | | | 13- أدنى الحلق |
| | | حا | | | | عا | | | | | | | | 14- وسط الحلق |
| ا | | ها | | | | | | | | | | | عا | 15- أقصى الحلق |

بعد تأمل صفات الأصوات عند سيبويه وتمام حسان تبين أن تمام حسان اتفق مع سيبويه في الشدة والرخاوة وما بينهما على مستوى الاصطلاح، فرجح بذلك كفة المصطلح القديم على كفة المصطلح الحديث: الانفجار والاحتكاك، إلا أن نقاط الاختلاف تظهر فيما يأتي:

أقصى سيبويه الألف والواو والياء، فعدّ الأول هاو في الهواء، فأقصاه مقبول لأنه في مقام دراسة الأصوات الصحيحة. ولكن، إقصاه لحرفي اللين: الواو والياء يحيل إلى أنه لم ينظر إلى صورتها غير المدية؛ فهما أنصاف حركات (Semi-Vowels). وأدرك تمام حسان أنهما تختلفان عن الألف المقصية المدية العليلة دائما، فصنّفهما في خانة التوسط بين الشدة والرخاوة.

عدّ سيبويه الجيم صوتا شديدا في أن تمام حسان أدرك أنه صوت معطش مركب من الشدة والرخاوة. وفي هذا يرى كمال بشر «أن علماء العربية في القديم لم يلتفتوا إلى التطور الذي أصابها [أي الجيم] أي صيرورتها وقفة احتكاكية بعد أن كانت وقفة خالصة»⁽¹⁾. ويرى أن الجيم صوت «مركب (Affricate) ورمزه [dj] وهذه الصورة من النطق متطورة عن الأصل السابق، وعليها سار ويسير النقات من قرآن القرآن الكريم»⁽²⁾.

وصف تمام حسان صوت العين بالرخو، في حين أن سيبويه يقول: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة»⁽³⁾. ويرى كمال بشر أن «الحكم بينية صوت العين حكم غير دقيق في النظر الحديث؛ إذ هو صوت احتكاكي دون شك، وإن كان يمتاز بأنه أقلّ الأصوات الاحتكاكية احتكاكا. ولعلّ هذا هو السرّ الذي قاد سيبويه وغيره إلى هذا

(1) كمال بشر. علم الأصوات. ص 329.

(2) كمال بشر. علم الأصوات. ص 339.

(3) سيبويه. الكتاب. ج 4. ص 435.

الحكم»⁽¹⁾. وعليه يمكن القول باحتكاكية العين وترجيح وجهة النّظر الحديثة لاستناد هذه الأخيرة على الأجهزة الصّوتية الدّقيقة لدراسة الصّوت.

1 . 10 . 1 . 2 أصوات العربية الفصحى:

قبل التّفصيل في أصوات العربية الفصحى كما نظر إليها تمام حسّان تنظيرا وتطبيقا، تجدر الإشارة إلى أنّ الأوّلين لاحظوا أنّ الخطّ العربي بصورته التي كان بها - غياب النّقط - لم يكن وافيا بالغرض المقصود منه لسببين: أولهما أنّ صور بعض الحروف تشبه صور بعضها الآخر، وليس ثمة ما يميّز صورة من صورة، كالتّشابه الذي بين صورة الباء والتّاء والنّون والياء المتوسّطة، وقد عالج الأقدمون ذلك بالنّقط تزاؤ على الحروف، وتختلف وضعها وعددا. وثانيهما أنّ الحركات لم تكن ممثّلة في الكتابة رغم وجودها في النّطق، وأنّ عدم كتابة الحركات قد أدّى إلى خطأ صرفي في البنية^(*)، وإلى خطأ آخر نحوي في الإعراب^(**). وكان علاج الأقدمين لهذا العيب والقصور في الكتابة في مبدأ الأمر بإضافة نقط يختلف لونها عن لون المداد الذي كُتب به النّص، ثمّ تطوّر ذلك إلى علامات أخرى فيما بعد.

بهذا أصلح الأوّلون الخطّ العربي، وتوالت محاولات إصلاحه وصولا إلى المعاصرين من علماء العربية ومن القائمين على أمر تعليمها ودراستها فقد تفتنوا إلى قصور النّظام الكتابي العربي؛ خاصة فيما يتعلّق بالإملاء العربي الذي يتسم بالنّقص في نواح عدّة أهمّها أنّه يعنى برموز الحروف الصّحيحة عناية كلّية تصرّفه عن تمثيل الحركات في الكتابة؛ فلا تثبت علامات الحركات إلّا عند الخوف من اللّحن في قراءة القرآن فطبعت

(1) كمال بشر. علم الأصوات. ص 207.

(*) الخطأ الصّرفي: متّصل بالحركات في داخل الكلمة مثل: موظّف بكسر الظّاء المشدّدة والمقصود موظّف بفتحها.

(**) الخطأ النّحوي: هو ما يسمّى باللّحن.

المصاحف مشكّلة. أو عند الخوف من ألاّ يتعلّم الطّفّل النّطق الصّحيح، ومن ثمّ تطبع كتب تعليم الأطفال مشكّلة أيضا⁽¹⁾.

لا يزال أمر إصلاح الخط العربي الشّغل الشّاغل للأفراد والهيئات الرّسمية^(*)، فنّمّام حسّان اقترح في بادئ الأمر اقتراحا^(**) يظهر من قوله: «غير أنّني شخصيا أميل إلى الأخذ باشتقاق رموز عربية من الأبجدية الإغريقية واللاتينية، بحسب حاجة اللّغة العربية، ومرجع هذا الاقتراح إلى ما يلي:

1- أنّ ثمة أصواتا مشتركة بين العربية والإغريقية كالخاء والثاء، وهما لا يوجدان في اللاتينية. فاختيار الرّموز الإغريقية هنا كما هي أو مع بعض التّعديل يوفي بالعرض المطلوب، ويعطينا من اللّجوء إلى اتّخاذ رمز مركّب للدّلالة على صوت مفرد مثل: th و kh.

2- أنّ ارتضاء مبدأ استخدام هاتين المجموعتين الرّمزيتين (الإغريقية واللاتينية) يدع المجال واسعا للاختيار، وذلك لا يتحقّق لنا إذا اقتصرنا في الأخذ على أبجدية واحدة منهما.

3- أنّ اختيار أبجدية عربية منتقاة من هاتين تُكتب من الشّمال إلى اليمين ستجعلنا نسيج مع النّيار الفكري العالمي بصورة أوضح وأسهل.

ذلك إذا هو ما اعتقده حلاً للمشكلة، وإنّ النّظام الأبجدي الجديد لو أحسن القيام على تنظيمه فسوف يكون ألف مرّة خيرا من النّظام الحالي المعيب، وإنّ طبيعة العلاقة بين الرّمز وبين مدلوله في اللّغة لا تسمح بالتّعبد باستخدام رمز دون آخر، فالعلاقة عرّفية

(1) للاستزادة يُنظر: تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 138 وما بعدها.

(*) مثل: مجمع اللّغة العربية بالقاهرة. دار الغرب الإسلامي. 1986. من: 197 إلى: 229.

(**) تجدر الإشارة إلى أنّ تمام حسّان عدل عن رأيه السّابق، ويتّضح ذلك في عبارة ذُكرت في هامش ص 145 من كتابه: اللّغة بين المعيارية والوصفية.

يُحدّدها المستخدمون للغة، وليست توقيفية من السّماء، ولا طبيعية من الأرض، إنّها علاقة تخضع للوصف، ويحدّد العرف معيارية دلالتها على ما تدلّ عليه»⁽¹⁾.

مما سبق يتّضح أنّ تمام حسّان تبنّى مبدأ الغاية تُبرّر الوسيلة؛ فالوصول إلى غايته المنشودة وهي تيسير الدرس الصّوتي، اتّخذ من آلية استعارة الرّموز الأجنبية لإثراء النّظام الأبجدي العربي وسيلة لذلك، مع يقينه الثّابت من أنّ هذا الحلّ لا يُقبل بصدر رجب، ولكنّه يُبرّر لذلك إذ يقول: «وستُحسّ الشّعوب الإسلامية بخيبة أمل وبشعور الخذلان... إنّ الذي نحرص عليه إنّما هو اللّغة العربية، فتلك رباطنا بالماضي، ورباطنا في الحاضر. أمّا شكل خاص من أشكال الكتابة يُستخدم في هذه اللّغة فذلك أمر زائد عليها وليس من صلبها»⁽²⁾.

1.10.1. أ ماهية أصوات العربية الفصحى:

للقوف على ماهيتها تجدر الإشارة إلى أنّ تمام حسّان يرى «أنّ للكتابة نُظماً مختلفة باختلاف دلالة الرّمز، فالرّمز الكتابي إمّا يدلّ على صوت فتكون الكتابة كتابة صوتية، وإمّا أن يدلّ على حرف فتكون الكتابة كتابة تشكيلية»⁽³⁾. وهذا ما سبقت الإشارة إليه في التفريق بين الصّوت والحرف، فإذا كان الصّوت ممّا يوجد المتكلّم فإنّ الحرف ممّا يوجد الباحث. ولكلّ حرف رمز في الكتابة التشكيلية، وعدد الأصوات في كلّ اللّغات أكثر من عدد الحروف، فالعدد العظيم من الأصوات الصّحيحة في اللّغة العربية يتطلّب عددا عظيما من الرّموز في الكتابة الصّوتية⁽⁴⁾. ولكنّ رموز الأبجدية العربية لا تكفي بنفسها للقيام بدراسة أصواتية، لا للّغة العربية الفصحى، ولا لأيّ لهجة من اللّهجات العامية، وذلك لقصورها سواء فيما يخصّ العلل أو الصّحاح؛ فمن المعروف أنّ حروف

(1) تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 145-146.

(2) تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 146.

(3) تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 127.

(4) يُنظر: تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 119-129.

الهجاء الصّحيحة في العربية الفصحى ثمانية وعشرون، وأنّ حروف العلة ثلاثة لكلّ منهما كمّيتان؛ إحداهما قصيرة، والثانية طويلة. فمجموع الحروف في العربية الفصحى واحد وثلاثون حرفاً. أمّا أصوات العربية الفصحى فأكثر من ذلك⁽¹⁾. وهنا يكمن القصور الذي يتّضح فيما يأتي:

1- قصور رموز العلل العربية:

لم تُعن الأبجدية العربية بالعلل لا من النّاحية الأصواتية، ولا من النّاحية التّشكيلية، بل جعلت لها رموزاً إضافية تابعة لرموز الصّحاح، وتدلّ على الحرف أكثر ممّا تدلّ على الصّوت⁽²⁾، ورموزها هي: الفتحة (ـَ)، الضّمة (ـُ)، والكسرة (ـِ).

يرى تمام حسّان أنّ «الفتحة القصيرة مثلاً ذات أصوات ثلاثة في العربية الفصحى أحدها مفخّم، وثانيها أقلّ تفخيماً، وثالثها مرقّق، ومع ذلك لم يُعن واضعوا الرّموز العربية بهذا، بل وضعوا لكلّ أولئك خطأً فوق رمز الحرف الصّحيح قلّما يستعمل في أيّامنا هذه إلّا في ظروف خاصّة ومواقف معيّنة»⁽³⁾.

إنّ ما اصطلح عليه تمام حسّان بالعلل، وهي بالمصطلح الصّوتي الصّوائت، تُعاني فعلاً قصوراً سواء من النّاحية التّشكيلية أو من ناحية الاستعمال الصّوتي، فمن النّاحية الأولى قلّما تُستعمل حتّى في المراحل الأولى من التّعلّم. أمّا من النّاحية الثّانية، وانطلاقاً من المثال الذي ساقه تمام حسّان فإنّ الفتحة القصيرة التي لا يُمكن أن تظهر بمعزل عن الصّامت، قد يغيب رمزها حتّى وإن كان الصّامت حاضراً. أمّا من النّاحية الأصواتية، فالتّلون الصّوتي للفتحة العربية بتفخيّمها أو ترقيقها أو بينهما، لا يُمثّله من

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 116.

(2) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 15.

(3) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 15.

النّاحية التّشكيلية إلّا رمز واحد هو خط صغير فوق الحرف الصّحيح. ناهيك عن ارتباط هذا الرّمز الوحيد - الذي كثيرا ما يغيب- بالتّفخيم والتّرقيق وهما ثنائيتان ضدّية من قبيل الصّفات الصوتية العامة العارضة الّتي تحضر لسبب، وتغيب لغياب هذا السّبب. ومن هنا قد يلتبس الأمر أصواتيا حتّى وإن كان الرّمز حاضرا تشكليا، ويتّضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

| حركة مفخّمة | حركة مرقّقة | حركة بين بين | |
|-------------|-------------|--------------|----------------------|
| صَبْر | سَبْر | قَبْر | أمثلة الفتحة القصيرة |
| صُم | دُم | فُم | أمثلة الضّمة القصيرة |
| صِيام | رِيام | قِيام | أمثلة الكسرة القصيرة |

إنّ الفرق في المعنى لا يرجع إلى التّفخيم في الحركات أو التّرقيق أو الحال الوسطي بينهما، وإنّما يرجع إلى وجود الصّاد في صَبْر، والسّين في سَبْر، والقاف في قَبْر؛ فالفتحة القصيرة إذن حركة واحدة من النّاحية الوظيفية، وثلاث من النّاحية النّطقية الفعلية، ومثلها الفتحة الطّويلة أي الألف. كذلك الحال بالنّسبة للضّمة والكسرة القصيرتين، فكلّ واحدة منهما تُمثّل حركة واحدة من النّاحية الوظيفية، وثلاث من النّاحية النّطقية الفعلية، ومثلها الضّمة الطّويلة، أي الواو، والكسرة الطّويلة، أي الياء⁽¹⁾. وبهذا يكون مجموع الحركات من النّاحية الأصواتية هو: ثمانية عشر، وليس كما ذهب تمام حسّان في أنّها ثلاثة لكلّ منها كمّيتان، إحداهما قصيرة، والثّانية طويلة؛ فلا يُمكن أن نستعوض بالجزء عن الكلّ، خاصّة وأنّ الحركات القصار لا تَعوّض الطّوال؛ فلا الفتحة(-) تحلّ محلّ الألف (ا)، ولا الضّمة(ُ) تحلّ محلّ الواو (و)، ولا الكسرة(ِ) تحلّ محلّ الياء (ي)، والعكس صحيح.

(1) كمال بشر. علم الأصوات. ص 207.

2- قُصور رموز الصّاح العربية:

الأصوات الصّحيحة أقلّ قصورا من العلل، ذلك أنّ رموز الأبجدية العربية للصّاح لم و«لن تقصر عن الأغراض العملية التي خُلقت من أجلها، بل إنّ المرء ليستطيع أن يدّعي أنّ الأبجدية العربية [للصّاح] ربّما كانت من أوفى النّظم الكتابية في العالم بالغرض الذي وُضعت له. ذلك بأنّها تضع لكلّ حرف من حروفها رمزا كتابيا خاصّا، وهو أمر لا يستطيع كثير من لغات العالم أن يُفاخر به»⁽¹⁾.

نعم، نفخر بثراء لغتنا العربية من النّاحية التّشكيلية لرموز ما اصطلح عليه تمام حسّان بالصّاح، والتي تُعرف بالمصطلح الصوتي الصّوامت، ولكن من النّاحية الأصواتية تُعاني هذه الأخيرة بمثل ما تُعانيه شقيقتها الأولى - الصّوائت - خاصّة إذا ما ارتبطت بالمخارج والصفّات الصّوتية، فيفترض أن يُضاف إلى الرّمز ما يوضّح هذه الملامح الصّوتية الإضافية.

من هذا المنطلق يقول تمام حسّان: «فرق إذا بين أن نضع رموزا للأصوات، وأن نضع رموزا للحروف؛ فالأصوات في كلّ لغة من لغات العالم أكثر من الحروف. ومن هنا يتحتمّ أن تكون رموز الأولى أكثر من رموز الثّانية»⁽²⁾.

على رقعة الجدول الآتي وضع تمام حسّان أصوات العربية الفصحى، مُبيّنا أنّ لكلّ صوت من هذه الأصوات مكان تُحدّده عوامل عُضوية تُسمّى المخارج، وأخرى تُسمّى صفّات الأصوات، مستعملا لكلّ صوت رمزا أصواتيا:

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص15.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص15.

| صفات الأصوات | | | | | | | | | | | | | مخارج الأصوات | |
|---------------|------|--------|-------|----------|------------|------|-------|------|------------|------|-------|------|---------------|----------------|
| أصوات متوسطة | | | | صوت معطش | أصوات رخوة | | | | أصوات شداد | | | | | |
| كلّهما مجهورة | | | | مجهور | مهموس | | مجهور | | مهموس | | مجهور | | | |
| نصفلة | أنفي | تكراري | جانبي | | مرقق | مرقق | مفخم | مرقق | مفخم | مرقق | مفخم | مرقق | | مفخم |
| | | | مرقق | مفخم | | | | | | | | | | |
| w | m | | | | | | | | | | | | b | شفوي |
| | ŋ | | | | | | f | | | | | | | شفوي أسناني |
| | ŋ | | | ض | | ∅ | ð | ʒ | | | | | | أسناني |
| | ŋ | | | | | s | ʂ | z | | t | ʈ | D | d | أسناني لثوي |
| | n | r | l | | | | | | | | | | | لثوي |
| y | ɲ | | | | J | ʃ | | | | | | | | غاري |
| | ŋ | | | | | x | ɣ | | | K | | | | طبقي |
| | N | | | | | | | | | q | | | | لهوي |
| | | | | | | ħ | ع | | | | | | | حلقي |
| | | | | | | | H | | | ç | | | | حنجري |

يستعير تمام حسّان رموزاً صوتية من الكتابة الصوتية العالمية، ليوظّفها في رقعة جدول الأصوات العربية الفصحى، ويشير إلى أنّ وضع الرّمز من باب الاصطلاح فقط؛ فهو مؤمن بأنّ القارئ قد تصيبه حيرة في تطبيق الاصطلاح، وهذا ما له الأثر على البحث العلمي، أكثر ما للضباب على الملاحظة، لأنّ القارئ قلّما يُحسّ بهذه الحيرة ويفقه

كنها. ومن هذا المنطلق رأى أنّه من الضّروري أن يضع بين يدي القارئ تحديدا وتوضيحا لرموز أصوات وحروف العربية الفصحى(*)، وبيان ذلك فيما يأتي(1):

| الرمز | مدلوله |
|-------|--|
| b | - يدلّ على صوت شفوي شديد مجهور هو صوت الباء. |
| m | - يدلّ على صوت الميم المظهرة. |
| w | - يدلّ على صوت الواو [غير المدّية]. |
| f | - يدلّ على صوت الفاء. |
| ŋ | - يدلّ على صوت الميم المدغمة بغنة في مثل قوله تعالى: ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 39 أو حرف النون المدغمة بغنة في مثل قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ الكهف 109. |
| ð | - يدلّ على صوت الظاء الفصحى. |
| ʒ | - يدلّ على صوت الدالّ العربية الفصيحة. |
| ∅ | - يدلّ على صوت التاء العربية الفصحى. |
| ŋ | - يدلّ على صوت النون الذي يخرج اللسان في نطقه حيث يقع قبل الظاء أو الدالّ أو التاء مباشرة. |
| d | - يدلّ على صوت الضاد. (وللضاد أصوات تختلف بين القديم والحديث) |
| d | - يدلّ على صوت الدالّ. |
| t | - يدلّ على صوت الطاء. |
| t | - يدلّ على صوت التاء. |
| z | - يدلّ على صوت الزين (**). العربية. |
| ʒ | - يدلّ على صوت الصاد. |
| s | - يدلّ على صوت السين العربية. |

(*) سيتم ذكر وتوضيح الرموز المستعملة في رقعة الجدول السابق فقط.

(1) يُنظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. من ص 16 إلى ص 21.

(**) الأصحّ الزّاي بإجماع أصحاب أغلب المعاجم القديمة.

| | |
|---|---|
| - يدلّ على صوت آخر من أصوات النّون أسناني لثوي يقع مباشرة قبل الأصوات الأسنانية اللثوية. | ŋ |
| - يدلّ على صوت اللّام على اختلاف قيمها الصوتية تفخيماً وترقيقاً. | l |
| - يدلّ على صوت الرّاء على اختلافها تفخيماً وترقيقاً. | r |
| - يدلّ على الصّوت الرّئيسي للنون، لثوي يقع بين حرفي علة كما في: أنا(*)، كما يقع في أوّل الكلام. | n |
| - يدلّ على صوت الشّين العربية حيث لا يتلوها صوت مجهور. | ʃ |
| - يدلّ على صوت الجيم العربية الفصحى. | J |
| - يدلّ على صوت النّون قبل الجيم والشّين والياء. | ɲ |
| - يدلّ على صوت الياء غير المدّية. | y |
| - يدلّ على صوت الكاف. | K |
| - يدلّ على صوت طبقي رخو مجهور هو صوت الغين العربية. | ʁ |
| - يدلّ على صوت الخاء. | x |
| - يدلّ على صوت النّون قبل k في العربية الفصحى. | ŋ |
| - يدلّ على صوت القاف العربية الفصحى. | q |
| - يدلّ على صوت النّون التي تتلوها القاف مباشرة. | N |
| - يدلّ على صوت العين العربية. | ع |
| - يدلّ على صوت الحاء. | ħ |
| - يدلّ على صوت الهمزة أو ما يسمّونه الوقفة الحنجرية. أمّا همزة الوصل فيستحسن حين احتمال اللبس أن تكتب هكذا. | ç |
| - يدلّ على صوت الهاء على اختلافها بين الإجهار والإهماس. | H |

(*) من خلال المثال يَعدُّ تمام حسان الهمزة حرف علة.

يتناول تمام حسان أصوات العربية الفصحى مرتبة على أساس عضوي - أي المخرج- وعلى أساس طريقة النطق- أي الصفات- مشيراً إلى أنّ الترتيب الآتي يُقرأ من الشمال إلى اليمين:

1- أصوات شديدة: b.d.d.t.t.K.q.ʕ

2- أصوات رخوة: ع.ħ.h.ع. x .∅.z.ʂ.s.ʃ.ʒ. x . [f. ʕ](*) . ʂ

3- صوت مركّب أو معطّش: J

4- أصوات متوسطة: r.l.m.m.ŋ.ŋ.n.n.ŋ.N.w.y

بآلية تفصيل المجل يتناول تمام حسان بالدراسة الأصوات العربية الفصحى كما يأتي⁽¹⁾:

أولاً: الأصوات الشديدة

1-(b) : رمز الباء صوت شفوي شديد مجهور مرقق، يُنطق بضمّ الشفتين، وإفقال ما بين الحلق والتجويف الأنفي برفع الطّبق، مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية. ويشير تمام حسان إلى أنّ القراء والنّحاة القدامى قد عدّوا الباء صوتاً مجهوراً في كلّ موضع - أوّل، وسط، أو آخر الكلمة- فأضافوا صوت علّة بعد كلّ باء ساكنة مظهرة؛ وهذا ما عُرف عندهم بظاهرة القلقلّة.

ثمّ يسوق تمام حسان أمثلة لهمس الباء، و لكن من اللهجات الحديثة نحو:

- همس الباء في وسط الكلمة، إذا تلاه صوت مهموس: أبشع: ʕæbʃæ

- همس الباء في آخر الكلمة، إذا سبقه صوت مهموس: كسب: Kæsb

- همس الباء في آخر الكلمة، إذا سبقه صوت علّة طويل: كتاب: Kitææb

(*) صوتان سقطا من مجموع الأصوات الرخوة في: مناهج البحث في اللّغة. ص119. رغم وجودهما في الجدول ص117.

(1) يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. من ص119- إلى ص136.

يمكن تفجير الباء أحيانا من الأنف بدل الشفتين، بإبقائهما متّصلين، ثم فصل الطّبّق عن الجدار الخلفي للحلق فجأة فيمرّ الهواء قويا في المجرى الأنفي ويتمّ التفجير. وذلك إذا وردت في نهاية الكلمة كما في المثالين الأخيرين السابقين.

تجدر الإشارة إلى أنّ الأمثلة السابقة واردة في العربية الفصحى، والمقام هو دراسة أصوات العربية الفصحى، إلا أنّ تمام حسان يُصنّفها في إطار التّمثيل للباء المهموسة في اللهجات الحديثة، وهذا غير مبرّر.

2-(d): رمز الضّاد، صوت أسناني لثويّ شديد مجهور مفخّم، يُنطق بوضع طرف اللّسان بحيث يلتصق بالأسنان العليا ومُقدّمه باللثة، ثمّ إلصاق الطّبّق بالجدار الخلفي للحلق، ليسدّ المجرى الأنفي، مع وجود ذبذبة الأوتار الصوتية.

إنّ ارتفاع مؤخّر اللّسان في اتّجاه الطّبّق في نطق الضّاد، تنتج عنه ظاهرة عضلية تسمى: الإطباق، ينتج عنها تغيير شكل حجرة الرنين تغييرا يؤدي إلى خلق أثر صوتي معيّن يسمّى: التّفخيم. هذه أوصاف الضّاد العربية الحديثة، أمّا أوصاف الضّاد العربية القديمة فتُلخّص فيما يأتي: النطق الأسناني - الرخاوة - الجهر - الإطباق - التّفخيم - الاستطالة؛ وهي نتيجة طبيعية لامتداد اللّسان من الأسنان إلى ما يداني الجدار الخلفي للحلق ويسمّى: التّحليق. ويوجد في الضّاد المصرية الحديثة، وفي: الصّاد، والضّاد، والطّاء، والظّاء. والاستعلاء؛ ويضمّ عند القدماء أصوات الإطباق الأربعة: الصّاد، والضّاد، والطّاء، والظّاء، ويضمّ أصوات الطبّقية الثلاثة: الخاء، والغين، والقاف.

إنّ الضّاد الفصحى كانت جانبية مع رخاوتها؛ فالهواء الخارج في نطقها يخرج من جانب اللّسان ويحتكّ به. ويشير تمام حسان إلى أنّ هذه الأوصاف تشير إلى ضاد غير شبيهة بما نطقه في الوقت الحاضر.

3-(d): رمز الدّال وهو صوت أسناني لثوي شديد مجهور مرّقق، ينطق بإلصاق اللّسان بداخل الأسنان العليا ومقدّمة باللثة، في نفس الوقت الذي يلتصق فيه مؤخّر الطّبّق

بالجدار الخلفي للحلق، مع وجود نذبذة في الأوتار الصوتية. وانخفاض اللسان في النطق بهذا الصوت يعطي لحجرة الرنين شكلا مغايرا لشكلها في حالة التفخيم، وتكون نتيجة ذلك ترقيق الدال.

يشير تمام حسان إلى أنّ الأصل في صوت الدال الجهر، إلاّ أنّه قد يهمس ولكنه يعطي أمثلة من الكلام العامي - كما وصفه - نحو:

- كأن يكون متلوا بصوت مهموس، كما في الكلمة العامية: يذفن = yidfin.

- كأن يكون في نهاية الكلمة مسبقا بصوت مهموس كما في الكلمة العامية: رذ = ræfd=.

- كأن يكون في نهاية الكلمة مسبقا بصوت علة طويل مثل: عيد = iid=ع

أمّا في العربية الفصحى وخاصة قراءة القرآن فقد حرص القراء على جهر صوت الدال في كلّ موقع وذلك بجعلها من الأصوات المقلقة. ولأنّ المقام هنا هو الأصوات العربية الفصحى، يمكن الاكتفاء بالحكم على الدال بالجهر دائما وفي كلّ موضع.

4-(t): رمز الطاء وهو صوت أسناني لثوي شديد مهموس مفخم، يتم نطقه بالصاق طرف اللسان العليا من داخلها، ومقدّم اللسان بأصول الثنايا أي اللثة، ويرتفع مؤخر اللسان في نفس الوقت باتجاه الطبق، ويسمى هذا بالإطباق، ويتأخر قليلا إلى الجدار الخلفي للحلق، ويسمى هذا التخليق، ويرتفع الطبق حتى يسدّ المجرى الأنفي.

يضع تمام حسان على مائدة النقاش وصف القراء القدماء للطاء على أنّها مجهورة منطلقا من أنّ الطاء يمكن وصفه بأنه مهموز؛ إذ أنّ طرف اللسان ومقدّمه يتصلان في نطقه بالثنايا واللثة. ويعلو مؤخر اللسان، ويتراجع إلى الخلف في اتجاه الجدار الخلفي للحلق، ويقفل المجرى الأنفي للهواء الخارج من الرئتين، بخلق اتصال بين الطبق وبين الجدار الخلفي للحلق. وفي نفس الوقت تقفل الأوتار الصوتية، فلا تسمح بمرور الهواء إلى خارج الرئتين. وبذلك تتكوّن منطقة داخل الفم والحلق يختلف ضغط الهواء فيها عنه

في الرّئتين وفي الخارج. وفجأة يتم انفصال الأعضاء المتحرّكة معا وفي نفس الوقت؛ فيندفع هواء الرّئتين إلى الخارج، ويندفع الهواء الخارجي إلى الدّاخل، فيحدثان بالتقائهما أثرا صوتيا هو صوت الطّاء. ومعنى كون الطّاء مهموزة هنا أنّه صاحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق بها، فأصبح عنصر الهمز جزءا لا يتجزأ من نطقها. هذه الطّاء مهموسة قطعاً؛ لأنّ إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر، وعليه فالطّاء الفصحى في نظره صوت أسناني، لثوي، شديد، مهموس، مفخّم، مهموز، ولكن تجدر الإشارة إلى أن تمام حسّان يصف الطّاء المهموزة المهموسة على ضوء بعض اللّهجات العامية المعاصرة، وليس العربية الفصحى، رغم أنّه بصدد دراسة أصوات العربية الفصحى كما سمّاها.

5-(t): رمز التّاء، وهو صوت أسناني لثوي شديد مهموس مرّقق، يتمّ نطقه بإصاق طرف اللسان بداخل الثّنايا العليا، ومقدّمه باللّثة، وبتخفيض مؤخّر اللسان، وإقفال المجرى الأنفي، وفتح الأوتار الصوتية إلى درجة تمنعذبتهما، وبالتالي يمتنع وجود الجهر.

يرى تمام حسّان أنّ كثيرا ما يعقب نطق التّاء نفخة بسيطة (Aspiration) خاصّة إذا وليها صوت من أصوات الكسرة كما في: تين وعتيق. وفي هذين المثالين وليهما صوت علّة طويل وليست كسرة. ثمّ يعطي أمثلة للتّاء التي يصحبها احتكاك، ولكن من بعض اللّهجات الحديثة - كما وصفها - رغم أنّ المقام هو لدراسة أصوات العربية الفصحى، ومن أمثلته يورد أنّ بعض نساء القاهرة من أوساط معيّنة ينطقن: أختسي بدل أختي.

6-(K): رمز الكاف، هو صوت طبقي شديد مهموس مرّقق، يتمّ نطقه برفع مؤخّر اللسان في اتّجاه الطّبّق وإصاقه به، وإصاق الطّبّق بالجدار الخلفي للحلق ليسدّ المجرى الأنفي، مع فتح الأوتار الصوتية فيحضر الهمس.

يشير تمام حسّان إلى أنّ المقابل لهذا الصّوت هو صوت «g» الذي يدلّ على نطق الجيم القاهرية، والقاف الصّعيدية، ولكن تبقى هذه الأخيرة لهجات وليست عربية فصحي، رغم أنّ السّواد الأعظم من المصريين يقرأون كلّ النّصوص العربية الفصحى على ضوء معطيات لهجاتهم الصّوتية.

7-(q): رمز القاف العربية الفصحى، وهو صوت لهوي شديد مهموس، له بعض القيمة التّفخيمية، ولكنه لا يوصف أنّه مفخّم، يُنطق برفع مؤخّر الطّبّق حتّى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ورفع مؤخّر اللّسان حتّى يتّصل باللّهاة، وحتّى يتّصل كذلك بالجدار الخلفي، تفتح معه الأوتار الصّوتية.

يشير تمام حسّان إلى أنّ النّحاة والقراء قد أخطأوا في عدّ القاف مجهورا، لكونه من أصوات القلقة. وأنّهم لم يفرّقوا بين الطّبّقية والإطباق، فأطلقوا عليهما معا اسم الاستعلاء، وأنّ كليهما ينتج بعض القيمة التّفخيمية، ولكن التّفخيم لا يتمّ إلاّ إذا انظّم التّحليق إليهما. وعليه فصوت القاف لهوي، ومن ثمّ كان طبقيا لا مطبقا، ويتمّ معه قرب اللّسان من الجدار الخلفي للحلق في نقطة فوق تلك التي تتصل بها ظاهرة التّحليق، ومن هنا لم يكن القاف من الأصوات المُفخّمة تفخيمًا كاملا، كما رآه سيبويه وغيره من القدماء.

يقول كمال بشر في أمر القاف: «القول بجهر القاف لا ينطبق بحال على تلك الصّورة من النّطق التي يوظّفها العارفون بأحكام العربية الفصيحة، والتي لا يحيد عنها مجيدو قراءات القرآن الكريم، هذه الصّورة توصف- باصطلاح الدّرس الصّوتي الحديث- بأنّها (صوت لهوي، وقفة انفجارية، مهموس) ورمزه [q] في الكتابة الصّوتية. وإذا سلم لنا ما نقول، وصحّ حكمهم [أي القدامى] بجهر القاف، كان علينا أن نلتمس وجها آخر من التّفسير، حتّى نكشف حقيقة رؤيتهم لهذا الصّوت بدلا من القفز إلى تخطّئتهم، [ف]الصّورة النّطقية [للقاف] التي تحدّث عنها القدماء تشبه الجيم القاهرية في النّطق، ولكّنها تختلف معها اختلافا كاملا في الوظيفة؛ أي في قيمتها في بنية الكلمة العربية وطرائق توزيعها

في النّظام الصّوتي. ورمزها الصّوتي هو (G) في حين أنّ رمز الجيم القاهرية هو (g)، وهذه الصّورة لنطق القاف هي التي وصفها القدماء بالجهر، ووضعها أكثرهم في حيز الكاف [ونطقها بهذه الطّريقة هو] أثر باق من نطق قديم كان سائداً في بعض لهجات العرب»⁽¹⁾.

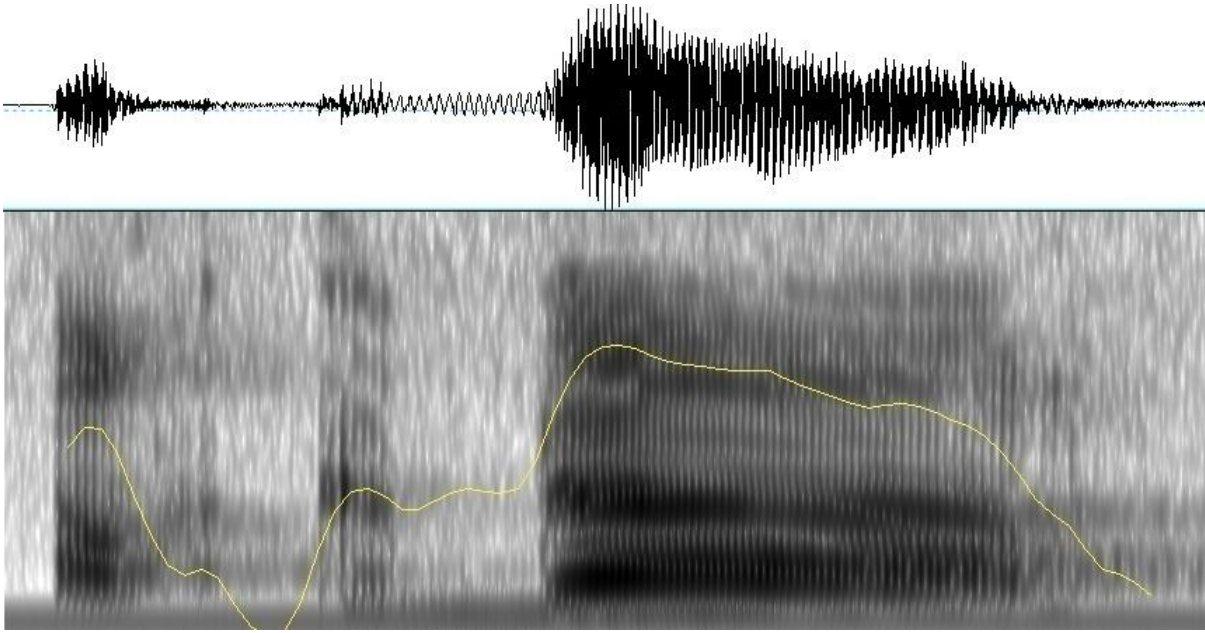
يقول أحمد مختار عمر: «ذكر سيبويه صوت القاف بين المجهورات. فهل هذا خطأ منه؟ الحقيقة أنّ هذا الصّوت قد لحقه تطوّر في النّطق الحديث، وأنّه كان يُنطق مجهوراً في القديم، والصّوت الذي وصفه سيبويه قد يكون منطبقاً على نطق القاف جيما قاهرية أو غينا. وكلا النّطقين ما يزال موجوداً حتّى الآن في أماكن من البلاد العربية(*)»⁽²⁾. وبهذا يتفق أحمد مختار عمر مع كمال بشر في أنّ الصّوت الذي وصفه سيبويه قد يكون منطبقاً على نطق القاف جيما قاهرية، وشتان بين هذه القاف وقاف العربية الفصحى. وعليه فمن الضّروري التّفريق بين القاف العربية الفصحى بكونها صوتاً لهوياً مهموساً، وبين قاف بعض لهجات العرب بكونها صوتاً مجهوراً، يخرج من أقصى الحنك، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يلحق الثّانية منهما من تطوّر وتغيّر.

إنّ التّحليل الطّيفي للقاف العربية الفصحى الحديثة، باستعمال جهاز الرّاسم الطّيفي وهو برنامج حاسوبي يسمّى (Praat)، يضمن وصفاً علمياً دقيقاً لهذا الصّوت وغيره؛ إذ أنّ دراسة الأطياف تعدّ من أهمّ جوانب الدّراسة الفيزيائية، وهذه الأخيرة هي الأفضل لبيان الاختلافات الموجودة بين الأصوات عن طريق دراسة الدّبذبات ومنحى الطّاقة الصوتية.

(1) كمال بشر. علم الأصوات. ص 385-386.

(*) تطوّرت القاف في اللّهجات العربية الحديثة، تطوّراً كبيراً فهي في كلام أهل مصر والشّام همزة، كما تنطق غينا في بعض مستويات النّطق في السودان وجنوبي العراق، وفي بعض الكلمات في مصر. للاستزادة يُنظر: رمضان عبد الثّواب. المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي. ط3. مكتبة الخانجي. القاهرة. 1997. ص 79-80.
(2) أحمد مختار عمر. البحث اللّغوي عند العرب (مع دراسة لقضية التأثير والتأثر). ط8. عالم الكتب. 2003. ص 121.

في رسم الذبذبات الذي يمثّل كلمة: أقدار [aqdār]، يبلغ زمن أداء هذه الكلمة 0,783 ثا، ويبلغ زمن إنجاز صامت القاف 0,107 ثا، ويقسم الزمن الكلي للقاف الساكنة إلى قسمين رئيسيين هما: فترة الحبس التي بلغت 0,061 ثا، وفترة الإطلاق والانفجار التي بلغت 0,046 ثا، مع ملاحظة غياب منحنى الجهر لغياب أي نشاط صوتي مرتبط بتذبذب الوترين الصوتيين في فترة الحبس ممّ يُفسّر أنّ القاف صوت مهموس. ويتّضح ذلك من خلال التحليل الطيفي لكلمة أقدار (1):



التحليل الطيفي ورسم الذبذبات لكلمة: أقدار [aqdār]

8- (٢): رمز الهمزة، وهو صوت حنجري شديد مهموس مرقق، يُنطق بإقفال الأوتار الصوتية إقفالا تاما، وحبس الهواء خلفها، ثم إطلاقه بفتحها فجأة، ويطلق عليه اصطلاح وقفة حنجرية (Glottal Stop). وإحكام إغلاق الأوتار الصوتية معه لا يسمح بوجود الجهر في نطقه، فهو صوت مهموس، ويذهب تمام حسان إلى أنّ النّحاة والقراء أخطأوا فعّدوا هذا الصّوت مجهورا، وهو أمر مستحيل استحالة مادية ما دامت الأوتار

(1) ينظر: رضا زلّقي. صفة اللقطة وحروفها بين وصف القدامى والمحدثين - دراسة مخبرية - بحث مخطوط مقدّم لمركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربي (C.R.S.T.D.L.A). فرقة الصّوتيات. 2007. ص 30-78.

الصوتية مُقفلة في أثناء نطقه. ولكن في حالة تسهيل صوت الهمزة، يكون إقفال الأوتار الصوتية غير محكم فيحدث الجهر، ولكنّ المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية بل تضيق حنجري يُشبه أصوات العلة.

عدّ سيبويه كغيره من القدماء «صوت الهمزة من الأصوات المجهورة، وهذا لا يتفق بحال مع حقيقة الأوتار الصوتية حال النطق بهذا الصوت، وربما نطق العلماء العرب الهمزة مثلثة بحركة فظنّوها مجهورة، مع أنّ الجهر سببه الحركة لا الهمزة»⁽¹⁾.

إذا كان سيبويه وغيره من القدماء يعدّون الهمزة صوتاً مجهوراً، وتَمّام حسان يعدّها صوتاً مهموساً، فإنّ هناك منزلة ما بين المنزلتين تضمّ إبراهيم أنيس⁽²⁾ وكمال بشر اللذان اتفقا على أنّ الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، إذ يقول كمال بشر: «والقول بأنّ الهمزة صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور هو الرأى الرَّاجح؛ إذ إنّ وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمّى بالجهر أو ما يسمّى بالهمس. وهناك من الدارسين المحدثين من يرى أنّ الهمزة صوت مهموس، [من هؤلاء تمام حسان في مناهج البحث في اللّغة(*)]، ويبدو أنّهم يقصدون بالهمس حينئذ عد الجهر، وهو رأى غير دقيق، إذ هناك حالة ثالثة هي حالة وضع الأوتار عند نطق الهمزة العربية»⁽³⁾.

إنّ ما ذهب إليه إبراهيم أنيس وكمال بشر في أنّ صوت الهمزة لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس «رأى غريب، لم يرض عنه جمهرة الدارسين(*) للأصوات»⁽⁴⁾. والأرجح هو ما ذهب إليه تمام حسان في أنّ الهمزة العربية الفصحى صوت مهموس، وهذا ما

(1) أحمد مختار عمر. البحث اللغوي عند العرب. ص 122.

(2) إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. ص 83.

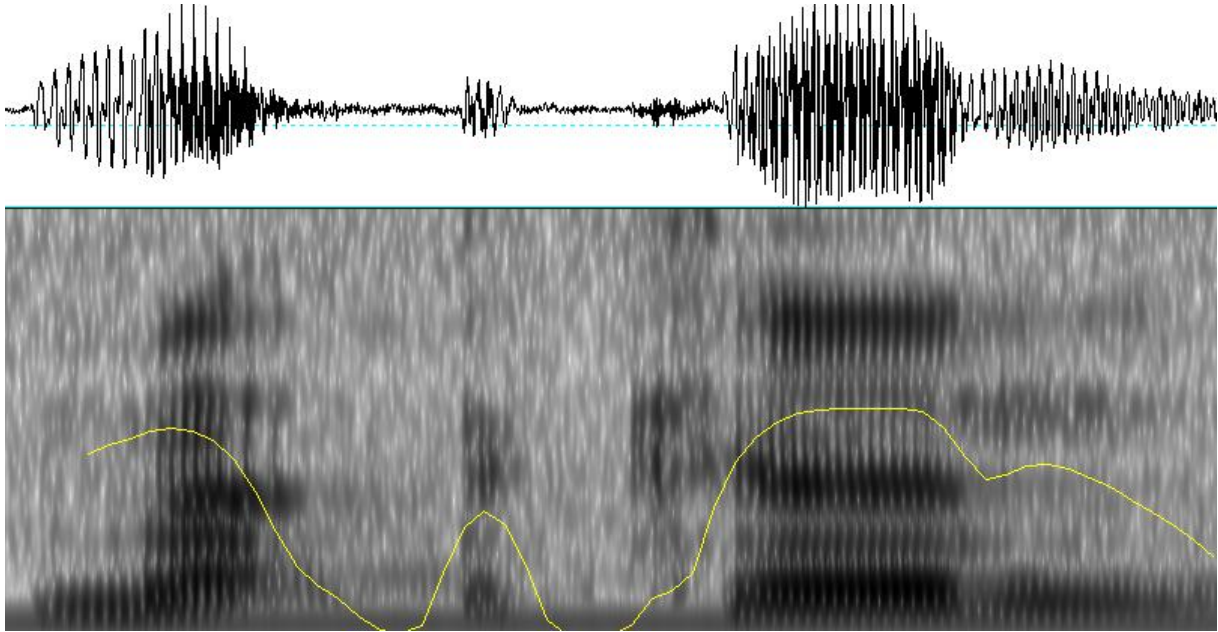
(*) عبارة ذكرها كمال بشر في هامش ص 288 من كتابه: علم الأصوات.

(3) كمال بشر. علم الأصوات. ص 288.

(*) منهم: عبد الرحمن أيوب. أصوات اللّغة. القاهرة. 1968. ص 183.

(4) رمضان عبد التّوّاب. المدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث اللغوي. ص 57.

يثبته التحليل الطيفي، ففي رسم الذبذبات التي تمثل كلمة: مَأْكَلْ [ma'kal]، يبلغ زمن أداء هذه الكلمة 0,671 ثا، أمّا زمن إنجاز الهمزة الساكنة 0,121 ثا. يقسّم الزمن الكلي لصامت الهمزة الساكن إلى قسمين أساسيين، وهما اللذان يمثلان فترة الحبس مع مدّها، ثمّ فترة الانفجار، ويبلغ زمن الفترة الأولى 0,091 ثا، أمّا زمن الفترة الثانية فيبلغ 0,030 ثا. أمّا بالنسبة لفترة الحبس في هذا الصامت، فلا يلاحظ أيّ نشاط صوتي خاصّ بالأوتار الصوتية وذلك لغياب منحنى الجهر، ممّا يُفسّر أنّ الهمزة صوت مهموس. وفيما يأتي التحليل الطيفي لكلمة مَأْكَلْ (1):



التحليل الطيفي ورسم الذبذبات لكلمة: مَأْكَلْ [ma'kal]

(1) ينظر: رضا زلّقي. صفة القلقة وحروفها بين وصف القدامى والمحدثين - دراسة مخبرية - ص 30-77.

ثانيا: الأصوات الرخوة

1-(f): رمز الفاء، وهو صوت شفوي أسناني رخو مهموس مرقق، لنطقه تتلاحم أطراف الثنايا العليا مع باطن الشفة السفلى، مع رفع مؤخر الطبق، وإصاقه بالجدار الخلفي للحلق، ويتباعد الوتران الصوتيان إلى درجة تحول دون الجهر، فيكون معها تنفس مهموس.

يشير تمام حسان إلى أن فاء العربية الفصحى مهموسة دائما، أما الفاء التي يلحقها الجهر فلا تكون إلا في حالات خاصة مرتبطة بالعامية و اللهجات الحديثة، نحو كلمات من لهجة القاهرة تتلو فيها (ڤ) أو (z) أو (z) مثل: يفرع: ع yivzæ أفغاني: ʕævɣæni: مما سبق تؤخذ بعين الاعتبار حالة الهمس في الفاء العربية الفصحى، وتهمل الحالات الخاصة للجهر بالفاء المرتبطة بالعاميات واللهجات، لأن هذا المقام هو لدراسة أصوات العربية الفصحى كما سبق ذكره.

2-(ڤ): رمز الظاء، هو صوت أسناني رخو مجهور مفخم، يتم نطقه بوضع طرف اللسان ملتصقا بأطراف الثنايا العليا، مع رفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق، وتقريبه من الجدار الخلفي للحلق، مع تذبذب الوترين الصوتيين نتيجة تضيقهما مما ينتج الجهر. وهنا أيضا يسوق تمام حسان أمثلة شتى من اللهجات لا تمت للعربية الفصحى بصلة.

3-(ڤ): رمز الدال، هو صوت أسناني رخو مجهور مرقق، لا فرق بينه وبين الظاء الفصحى إلا أن الصوت الثاني مفخم لما فيه من إطباق وتحليق، هاتان الحركتان العضويتان اللتان غابتا في نطق صوت الدال فورد مرققا.

ويمثل تمام حسان للدال العربية الفصحى ب: ذكر: æKær ڤ ، وليبين الفرق بينها وبين الدال العامية ساق بعض الأمثلة من اللهجات العامية؛ فبعضها ينطق الدال دالا نحو: ذكر=ضد الأنثى=dakar، وبعضها ينطق الدال زايا نحو: ذكر=جاء ذكر شيء على لسانه=zakar.

4- (Ø): رمز النَّاء، وهو المقابل المهموس لصوت الذَّال، والنَّاء صوت أسناني رخو مهموس مرَّق، ينطق كالظَّاء والذَّال بوضع طرف اللِّسان ملتصقا بأطراف الثَّنايا العليا، ولكن مع نطق النَّاء يُقفل المجرى الأنفي برفع الطَّبَق حتَّى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وتفتح الأوتار الصَّوتية فيحضر نَفْسُ الهمس و يغيب صوت الجهر.

5- (Z): رمز الزَّاي، وهو صوت أسناني لثوي رخو مجهور مرَّق، ينطق به بوضع طرف اللِّسان ضدَّ الأسنان السِّفلى، ومقدِّمه ضدَّ اللثة، مع سدِّ المجرى الأنفي برفع الطَّبَق حتَّى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وكلَّ ذلك مع وجود ذبذبة في الأوتار الصَّوتية. والمقابل المهموس لهذا الصَّوت في العربية الفصحى هو صوت السِّين.

6- (S): رمز الصَّاد، وهو صوت أسناني لثوي رخو مهموس مفخَّم، ينطق كالسِّين بوضع طرف اللِّسان ضدَّ الأسنان السِّفلى، ومقدِّمه ضدَّ اللثة، ولكن مع الصَّاد يكون الإطباق برفع مؤخَّر اللِّسان في اتِّجاه الطَّبَق، ويكون التَّحليق ب رجوع مؤخَّر اللِّسان في اتِّجاه الجدار الخلفي للحلق. وباجتماع الإطباق والتَّحليق ينتج التَّفخيم كأثر صوتي. كلَّ ذلك يكون مع انفتاح في الأوتار الصَّوتية ممَّا يؤدي إلى غياب الجهر. والمقابل المرَّق لهذا الصَّوت - أي الصَّاد - هو السِّين (S).

7- (S): رمز السِّين، وهو صوت أسناني لثوي رخو مهموس مرَّق، يتم نطقه بوضع طرف اللِّسان ملتصقا بالأسنان السِّفلى، ومقدِّمه ملتصقا باللثة، مع رفع الطَّبَق حتَّى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليسدَّ المجرى الأنفي، ثمَّ مع خفض اللِّسان وفتح الأوتار الصَّوتية يخرج النَفْسُ المهموس. وصوت السِّين في صورته المهموسة يقابله صوت الزَّاي (Z) المجهور. وفي صورته المرَّقَّة يقابل صوت الصَّاد (S) المفخَّم.

8- (J): رمز الشِّين، وصوت غاري رخو مهموس مرَّق، ينطق بوضع طرف اللِّسان ضدَّ الأسنان السِّفلى، ومقدِّمه ضدَّ الغار، مع خفض مؤخَّر اللِّسان، ورفع الطَّبَق ليلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وهذا مع انفتاح الأوتار الصَّوتية ممَّا يسمح بخروج نَفْسُ مهموس.

9-(8): رمز الغين، وهو صوت طبقي رخو مجهور مرقّق، يرتبط بقيمة شبه تفخيمية في بعض المواضع، يتم نطقه برفع مؤخّر اللّسان حتّى يحتك بالطّبّق، ويرتفع هذا الأخير - أي الطّبّق - حتّى يسدّ المجرى الأنفي، وعند خروج هذا الصّوت يتذبذب الوتران الصّوتيان. والمقابل المهموس لهذا الصّوت هو صوت الخاء (X).

يذهب سيبويه إلى أنّ الغين تخرج من أدنى الحلق، إذ يقول: «وأدناها مخرجا من الفم الغين والحاء»⁽¹⁾ و«يريد صاحب الكتاب أن يصف هذا المخرج بأنّه قريب من التّجويف الفموي، والذي عنده تقع اللّهاة (Uvula) وهي قطعة من اللّحم متدلّية من الطّرف البعيد من الطّبّق، أو ما يسمّى بالحنك اللّين بالمصطلح الحديث»⁽²⁾.

ينظر تمام حسّان إلى رأي النّحاة والقراء عامّة، ورأي سيبويه خاصّة في جعل الحلق مخرجا للغين من زاويتين بحسب فهمهم للاصطلاح (حلق) فيقول: «فإذا كان مفهوم هذا الاصطلاح في أذهانهم مطابقا لما نفهمه نحن الآن، فهم ولا شكّ مخطئون في القول بأنّ صوت الغين يخرج من الحلق. أمّا إذا كان فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له حتّى يشمل ما بين مؤخّر اللّسان والطّبّق فلا داعي للقول بخطئهم»⁽³⁾.

يشير رمضان عبد التّوّاب إلى أنّ اللّغويين العرب القدامى جعلوا مخرج الغين والحاء من أدنى الحلق، وأنّ الدّراسات الصّوتية الحديثة أثبتت أنّهما يخرجان من الطّبّق؛ وهو سقف الحنك الرّخو⁽⁴⁾.

حريّ بالذّكر أنّ نظرة القدامى من اللّغويين العرب تتّسم بالشّمولية في فهمهم لاصطلاح الحلق، وهذا ما يُرجّح الكفّة الثّانية بعدم تخطئتهم.

(1) سيبويه. الكتاب. ج.4. ص.433.

(2) عبد المنعم الناصر. شرح صوتيات سيبويه (دراسة حديثة في النّظام الصّوتي للعربية من خلال نصوص كتاب سيبويه). ط.1. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. 2012. ص.66.

(3) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص.129-130.

(4) يُنظر: رمضان عبد التّوّاب. المدخل إلى علم اللّغة. ص.222-223.

10- (x): رمز الخاء، وهو صوت طبقي رخو مهموس مرّقق، يشبه الغين في طريقة النطق وفي اتسامه بالقيمة التّفخيمية في بعض المواضع، ولكنّه يختلف عنه في انفتاح الأوتار الصوتية ممّا يجعله مهموساً.

ممّا سبق يتّضح أنّ سيبويه وغيره من القدامى نظروا إلى اصطلاح الحلق نظرة أوسع من نظرة المحدثين، ولا أدلّ على ذلك إلّا قوله: «وأدناها مخرجا من الفم والغين والحاء»، فهو بذلك يشير إلى أنّ مخرج الغين والحاء قريب من التّجويف الفموي؛ أي ممّا يلي الفم لا الصّدر، وعليه فنهاية الحلق كمخرج هي بداية مخرج آخر، وليس من الخطأ في الحالتين سواء نسب الصّوت إلى نقطته الدّقيقة التي يخرج منها بعدها نهاية لهذا المخرج، أو بالنّظر إليها على أنّها بداية لمخرج آخر، ما دامت هذه النّقطة الدّقيقة نهاية مخرج ما وبداية مخرج آخر في الوقت نفسه.

11- (ع): رمز العين، وهو صوت حلقي رخو مجهور مرّقق، ينطق بتضييق الحلق عند لسان المزمار، ونتوء هذا الأخير إلى الخلف حتّى يتّصل أو يكاد بالجدار الخلفي للحلق، وفي الآن نفسه يرتفع الحنك اللّين ليسدّ المجرى الأنفي، وتحدثذبذبة في الأوتار الصوتية.

اتّضح بصورة الأشعة وجود تضييق كبير للحلق في نطق العين، وهذا ما يؤكّد أن صوت العين رخوا لا متوسّطاً كما عدّه النّحاة العرب. وبعدّ العين صوتاً رخوا خالف تمام حسّان - كغيره من المحدثين(*) - القدماء؛ إذ نجد سيبويه يعدّها بينية فيقول: «وأما العين فبين الرّخوة والشّديدة»⁽¹⁾. وفي هذا نظر؛ إذ يرى كمال بشر أنّ الحكم ببينية صوت العين حكم غير دقيق في النّظر الحديث، إذ أنّه صوت احتكاكي ولكنّه يتميّز عن غيره

(*) منهم: كمال بشر.

(1) سيبويه، الكتاب، ج4، ص435.

بأنّه أقلّ الأصوات الاحتكاكية احتكاكا. ولعلّ هذا هو السرّ الذي قاد سيبويه وغيره إلى هذا الحكم⁽¹⁾.

إنّ دلّ هذا الأمر على شيء إنّما يدلّ على إدراك سيبويه الواعي للقيم الصوتية، وعمق تذوّقه للخواص النطقية، ودليل ذلك استهلال كلامه بالأداة (أما) التي تدلّ على مغايرة اللّاحق للسّابق، فرغم محدودية الإمكانيات إلّا أنّه توصل إلى أنّ صوت العين يختلف عن غيره من الأصوات المتوسطة بين الشدّة والرّخاوة.

12- (h): رمز الحاء، صوت حلقي رخو مهموس مرّقق، وهو المقابل المهموس لصوت العين. ويتمّ نطقه كالعين مع عدم تذبذب الأوتار الصوتية مع الحاء.

13- (h): رمز الهاء، وهو صوت حنجري رخو مجهور مرّقق، ينطق بتضييق الأوتار الصوتية إلى منتصف الطّريق بين الهمس والجهر محدثا أثرا صوتيا فيه بعض الذّبذبة، وهذا ما جعل تمام حسّان ينظر إليه على أنّه صوت مجهور.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الصّوت المجهور يحافظ على جهره إذا وليه آخر مجهور. ويُهمس إذا تلاه صوت مهموس نحو: يهفو = yæhfuu والأولى عند قرّاء القرآن في مصر أن يُجهر بهذا الصّوت.

ثالثا: الصّوت المركّب أو المعطّش

1- (J): رمز الجيم، هو صوت غاري مركّب مجهور مرّقق، سمّي صوتا مركّبا لأنّه يستلزم طريقتين من طرق النطق هما الشدّة أو الانفجار، والرّخاوة أو الاحتكاك. ويتمّ النطق بهذا الصّوت بأن يرتفع مقدّم اللّسان في اتّجاه الغار حتّى يتّصل به محتجزا وراءه الهواء الخارج من الرّئتين، وعوض أن ينفصل عنه فجأة محدثا انفجارا كما في نطق

(1) ينظر: كمال بشر. علم الأصوات. ص 207.

الصوت الشديد، يتم هذا الانفصال ببطء مما يعطي الفرصة لهواء الزفير بعد الانفجار أن يحتك بالعضوين المتباعدين.

رابعاً: الأصوات المستمرة

1- (r): رمز الرء، صوت لثوي تكراري مجهور، مرقق إذا حرك بالكسرة أو وقع ساكناً بعدها، نحو: حريم وجرمان. ومفخم فيما عدا ذلك، نحو: حرم ويحرم.

2- (l): رمز اللام، صوت لثوي جانبي مجهور لحدوثذبذبة في الأوتار الصوتية، يُنطق برفع طرف اللسان حتى يتصل باللثة، ورفع الطبق حتى يتصل بالجدار الخلفي للحلق، فيسد المجرى الأنفي. ووصف بالجانبية لأن أحد جانبي اللسان أو كليهما يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس، في حين يحول طرف اللسان المتصل باللثة دون مروره على وسط اللسان. وهذا الصوت مفخم في لفظ الجلالة إذا لم يسبقه صوت الكسرة أو إذا تلاه صوت الفتحة وسبقه أحد الأصوات المطبقة، نحو: والله- الصلاة- الطلاق- الظلام. أما إذا سبقه صوت الكسرة فيرقق، نحو: بالله.

3- (m): رمز صوت الميم الشفوي الأنفي المجهور المرقق في العربية الفصحى، الذي تنطبق الشفتان عند النطق به، ويمرّ الهواء من المجرى الأنفي الذي ينفتح بهبوط الطبق، مع وجودذبذبة في الأوتار الصوتية.

4- (m): رمز الصوت المدغم بالغنة، شفوي أسناني أنفي مجهور، يُنطق بتلاحم الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا وبخفض الطبق، مع حدوثذبذبة في الأوتار الصوتية، وصفة الترقيق لازمة له. وهو صوت الميم أو النون إذا تلتها الفاء، نحو: ﴿هُم﴾ فيها (*خالدون﴾ البقرة 82.

(* سقطت (فيها) من: مناهج البحث في اللغة. ص 133.

5-(n): هو رمز النون قبل الذال والتاء والطاء، وهو صوت أسناني أنفي مجهور، ينطق به بإخراج اللسان فيوضع طرفه ضد أطراف الثنايا العليا، وخفض الطبقة مع حدوثذبذبة في الأوتار الصوتية. ويكون هذا الصوت مرّقا إذا وليه الذال أو التاء نحو: إن ذهب- إن ثاب، ويكون مفخما إذا وليه الطاء نحو: إن ظلم.

6-(n): هو رمز النون قبل الدال والتاء والطاء من الأصوات الشديدة، وقبل الزاي والصاد والسين من الأصوات الرخوة، وهو لهذا إما مفخّم أو مرّقّ بحسب الصّوت الذي يليه نحو: إن دأب- إن تبع- إن طلب- إن زرع- إن صلح- إن سكت.

7-(n): رمز النون المفردة، والتي بين صوتي علة، وهو صوت لثوي أنفي مجهور مرّق، يتم نطقه بجعل طرف اللسان ضد اللثة مع انفتاح المجرى الأنفي بانخفاض الطبقة وحدثذبذبة في الأوتار الصوتية، نحو: نفع- أمان- أنا.

من خلال الأمثلة يتّضح أن تمام حسّان يورد (أنا) على سبيل التمثيل للنون التي بين صوتي علة، وهو يقصد بذلك صوت الهمزة قبل النون كصوت علة سابق وألف المد بعد النون كصوت علة طويل لاحق، وفي هذا نظر لأن الهمزة صوت صحيح مهموس يختلف كل الاختلاف عن الأصوات العلية المجهورة.

8-(n): رمز النون قبل الشين أو الجيم أو الياء، وهو صوت غاري أنفي مجهور مرّق، يتم نطقه برفع مقدم اللسان في اتجاه الغار، مع انفتاح المجرى الأنفي نتيجة خفض الطبقة، مع حدوثذبذبة في الأوتار الصوتية، نحو: من شاء- من جاء- من يكن.

9-(n): رمز النون قبل الكاف في اللّغة العربية الفصحى، وهو صوت طبقي أنفي مجهور يتم نطقه برفع مؤخر اللسان إلى الطبقة، مع خفض الطبقة حتى ينفتح المجرى الأنفي، وحدثذبذبة في الأوتار الصوتية، نحو: إن كان.

10- (N): رمز النون قبل القاف، وهو صوت لهوي أنفي مجهور، ينطق برفع مؤخر اللسان وسحبه إلى الخلف حتى يصل باللهاة لنطق صوت القاف ومثاله في الفصحى: إن قال.

خامسا: أنصاف العلل (Semi-Vowels):

1- (W): رمز الواو غير المدية، وهي صوت شفوي نصف علي مجهور مرقق، يتم نطقه بضم الشفتين ضمًا دون الإقفال مع نتوئهما إلى الأمام، ورفع مؤخر اللسان وسدّ المجرى الأنفي مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية.

يشير تمام حسان إلى غياب الفرق بين هذه الواو وصوت الضمة من الناحية الأصواتية البحتة، ولكن الفارق بينهما يأتي عن طريق التشكيل والتطريز اللغوي. في حين أن الفرق بينهما بيّن واضح حتى من الناحية الأصواتية فمن خلال طريقة النطق يتضح خلو مجرى الهواء من أي عائق عند نطق صوت الضمة فيخرج حرا طليقا، ويُعدّ عليلا دائما؛ أي بنسبة 100%. في حين أن صوت الواو نصف علي؛ يكون نصفه الأوّل -أي 50%- عليلا مخرجه يخلو من أي عائق أما نصفه الثاني - أي 50%- المتبقية يكون فيها صحيحا محقق المخرج بوجود تضيق على مستوى الشفتين المستديرتين نحو: واحد- تعويد- آووه والملاحظ أن تمام حسانضبط الأمثلة سالفة الذكر بالشكل؛ فوضع فوق واو (واحد) فتحة، وتحت واو (تعويد)، وفوق الواو (آووه) ضمة، وفي هذا نظر من الناحية الصوتية لأن حركة الواو الأولى ليست الفتحة وإنما هي الألف والتي هي بمقدار فتحتين، وبالتالي تكون الواو من ناحية التحليل الصوتي كالآتي:

$$وا = و + (_) + (|)$$

$$= و + (_) + (_ + _)$$

$$= و + (_) + (_) + (_) \text{ وهذا خطأ.}$$

وكذلك بالنسبة للواو في تعويذ، فتحليلها الصوتي هو كالاتي:

$$\text{وي} = \text{و} + (_) + (ي)$$

$$= \text{و} + (_) + (_ + _)$$

$$= \text{و} + (_) + (_) + (_) \text{ وهذا خطأ.}$$

وما قيل عن المثاليين السابقين يقال عن (أوه)، فمن خلال تحليلها الصوتي يتضح أن:

$$\text{ؤو} = \text{و} + (_) + (و)$$

$$= \text{و} + (_) + (_ + _)$$

$$= \text{و} + (_) + (_) + (_) \text{ وهذا خطأ.}$$

وفي الأخير يمكن القول إن الصامت الواحد لا يقبل إلا صائتا واحدا إما قصيرا

(_ ، _ ، ا) أو طويلا (ا ، و ، ي).

2- (y): رمز الياء غير المدية، هي صوت غاري نصف عليّ مجهور مرقق، يتم نطقه برفع مقدم اللسان في اتجاه الغار، مع رفع الطبقة حتى يسدّ المجرى الأنفي، ووجود ذبذبة في الأوتار الصوتية.

يشير تمام حسان هنا أيضا إلى غياب الفرق بين هذه الياء وبين صوت الكسرة كما في الواو والضمة، وفي هذا نظر أيضا لأنّ الياء المدية هي التي تشبه الكسرة إلا أنّها تساوي مقدارها مرتين أي: الياء المدية (ي) = _ + _ ، في حين أنّ الياء غير المدية أو كما سماها تمام حسان نصف عليّ؛ أي هي نصف حرف علّة، مثلها مثل الواو غير المدية؛ لأنّ الفرق بينهما جلي من الناحية الأصواتية ومن ناحية التشكيل والتّطيريز اللّغوي؛ فمن خلال طريقة النطق يتّضح خلو مجرى الهواء من أي تضيق أو سدّ عند نطق صوت الكسرة كصائت أو صوت علة قصير، فيخرج الهواء معه طليقا، مما يكسبه وضوحا سمعيا أكثر، وبهذا تقدر نسبة العلة فيه بـ: 100%. في حين أنّ صوت الياء غير المدية أو نصف عليّ كما يسميه تمام حسان يحلّل من الناحية الأصواتية كما يأتي:

نصفه الأوّل عليل أي ما يمثّل نسبة 50%، وذلك لخلوّ مخرجه من العوائق، أما نصفه الثاني فصحيح أي 50% المتبقية، وذلك لتحقق مخرجه بوجود تضيق، وعلى سبيل التمثيل لهذه الياء يقول تمام حسان: «فصوت الياء يأتي سابقا ولاحقا للعلل ولا كذلك الكسرة مثال ذلك: يأتي - تعيين - أحيوه»⁽¹⁾.

بعد النظرة الفاحصة لهذا القول يتبين أنّ تمام حسان يمثّل للياء التي تسبق العلة بيأتي، جاعلا الهمزة صوت علة تاليا لصوت الياء نصف عليّ، في حين أنّ الهمزة كما يعرفها تمام حسان نفسه⁽²⁾: هي وقفة حنجرية (Glottal Stop) مهموسة لإحكام إغلاق الأوتار الصوتية معها كما سبق ذكره، وهي تختلف تمام الاختلاف عن الأصوات العلية. أما عن الضمة التي تعلق هذه الياء في المثال الأخير: أحيوه فقد سبق التعليق على أمثلة تشبهها استنادا إلى التحليل الصوتي.

ينطق تمام حسان من أنّ الحروف تجريدات والأصوات تحقيقات، ويؤيد مذهب كينيث بايك (K.Pike) الذي يرى أنّ حروف العلة (Vowels) مصطلح صوتي تشكيلي، وأنّ أصوات العلة (Vocoids) مصطلح أصواتي؛ وأنّ صوت العلة هو الصوت الذي يخرج الهواء أثناء نطقه من الفم وعلى وسط اللسان؛ أي أنه ليس جانبيًا، وبلا احتكاك في الفم. ويرى أيضا أن استعمال كلمة (Vowels) للدلالة على الحركة في صوتها المكتوبة لا المنطوقة وهو بهذا لا يرفض المصطلح رفضا مطلقا، وإنّما يرى أنه يجدر استعماله فقط للدلالة على الجانب الوظيفي للحركة لا للدلالة على طبيعتها النطقية؛ أي إذا كان المقصود هو الجانب النطقي للحركة فالمصطلح (Vowels) لا يفي بالغرض ويقترح بايك استعمال المصطلح (Vocoid) كبديل أدقّ في الدراسات الصوتية. وبهذا

(1) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 136.

(2) ينظر: الصوت الثامن من الأصوات الشديدة في هذا البحث.

يمكن القول إن مصطلح الحركة ما زال موضع دراسة في كتب علم الأصوات العربية والانجليزية⁽¹⁾.

1 . 10 . 2 حروف العلة أو العلل (Vowels):

إن صوائت أو علل اللّغة العربية ثلاث طوال هي: الألف، الواو، والياء، وثلاث قصار هي: الفتحة والضمة والكسرة. ويعبر عن ذلك تمام حسان فيقول: «الفصحى تعترف بثلاثة حروف علة يختلف كل منها بين الطول والقصير، ويمكن تسميتها الكسرة والفتحة والضمة»⁽²⁾. وهذه الأخيرة هي ما عبر عنها بعض القدماء^(*) بأبعض الحروف؛ فالكسرة القصيرة بعض الياء الطويلة، والفتحة القصيرة بعض الألف الطويلة، والضمة القصير بعض الواو الطويلة، ويذهب تمام حسان مذهب السلف الصالح إذ يقول: «وأما حروف العلة هي: الكسرة (ويشمل مفهومها ياء المد)، والفتحة (ويشمل مفهومها ألف المد)، والضمة (ويشمل مفهومها واو المد)، أي أنّ حروف العلة إما أن تكون قصارا أو طوالا، فالقصير منها حركة، والطويل مد»⁽³⁾.

من هنا يمكن القول إنّ حروف العلة في اللّغة العربية الفصحى ستة أقسام؛ ثلاث طوال وثلاث قصار، يدخل تحت كلّ قسم منها واحد أو أكثر من الأصوات. وهذا ما يشير إليه تمام حسان بقوله: «إنّ الحروف الثلاثة التي تعترف بها الفصحى يحتوي كلّ منها على ثلاث أصوات، أحدهما وهو المفخّم، يرتبط بأصوات الإطباق الأربعة (ة -

(1)K.Pike. Phonitics. The university of Michigan press. 1971.P78

نقلا عن: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 150. سمير شريف استيتيه، الأصوات اللغوية (رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية). ط1. دار وائل. عمان. 2003. ص 205.

(2) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 136.

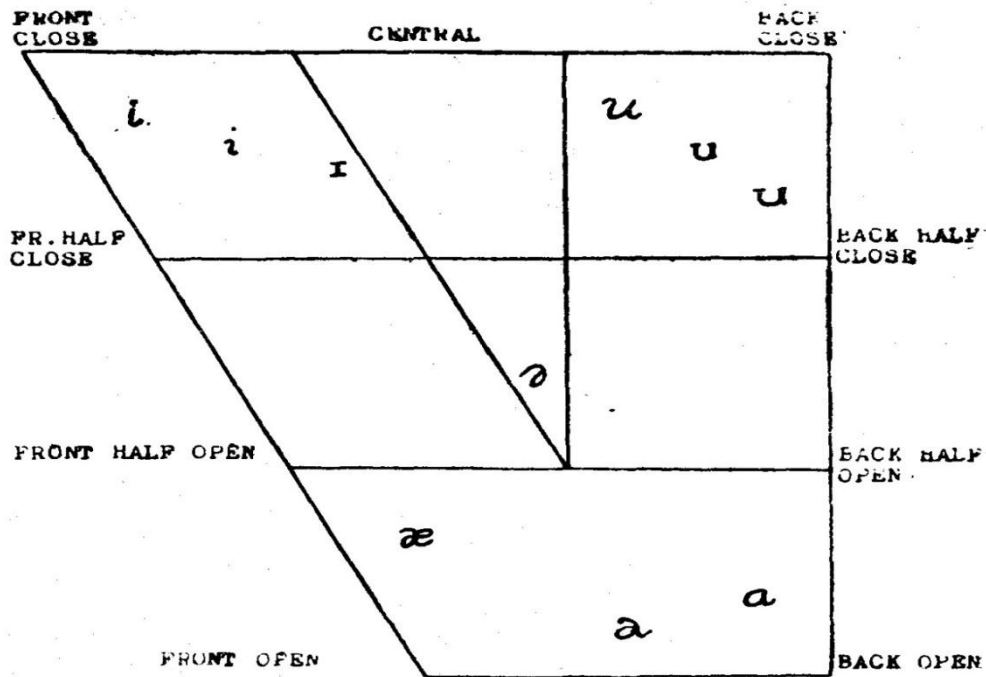
(*) مثل ابن جني.

(3)تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 152.

(s -d-t)، والآخر، وهو أقلّ تفخيماً، مرتبط بالأصوات الطبّيقية (x -y-q)، والثالث وهو المرقّق ببقية الأصوات»⁽¹⁾. ويمكن تلخيص ذلك في الجدول الآتي⁽²⁾:

| الحركات الطويلة أو أصوات اللين | | | الحركات القصيرة | | | الصفة الصوتية |
|--------------------------------|-----|-----|-----------------|------|------|---------------|
| واو | ألف | ياء | ضمّة | فتحة | كسرة | |
| üü | αα | II | ü | α | I | مفخّم |
| μμ | aa | é é | μ | a | ʔ | أقلّ تفخيماً |
| uu | æ æ | ii | u | æ | ا | مرقّق |

يشير تمام حسان إلى أن التفخيم في الفصحى يرتبط بالأصوات، وأن علماء الأصوات حرصوا على أوضاع أعضاء النطق بأصوات العلة، واعتمدوا في ذلك على مقياس موضّح بالرّسم الآتي⁽³⁾:



(1) تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 136.

(2) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 137.

(3) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 138.

قبل التعلّيق على الرّسم، يجب توضيح مفاتيحه الآتية (1):

– (Back Close) خلفية مغلقة (ضيّقة).

– (Front Close) أمامية مغلقة (ضيّقة).

– (Back half Close) خلفية نصف مغلقة (نصف ضيّقة).

– (Front half Close) أمامية نصف مغلقة (نصف ضيّقة).

– (Back half Open) خلفية نصف مفتوحة (نصف واسعة).

– (Front half Open) أمامية نصف مفتوحة (نصف واسعة).

– (Back Open) خلفية مفتوحة (واسعة).

– (Front Open) أمامية مفتوحة (واسعة).

– (I): ويدل هذا الرمز على صوت حركة الكسرة المجاورة لأحد الأصوات المفخمة،

كما يدل (II) على صوت ياء المد في نفس الموقع.

– (é): وهذا رمز صوت حركة الكسرة المجاورة لأحد الأصوات الطبقيّة الثلاثة (= x

الخاء)، (= الغين)، (= القاف)، وأما ياء المد في هذا الموقع فيرمز إليها برمز (é).

– (i): وهو رمز صوت الكسرة في غير ما سبق من الواقع، وفيها أيضا رمز ياء المد

وهو (ii).

– (α): وبه يرمز إلى صوت الفتحة المجاورة لأحد الأصوات المفخمة، وأما ألف المد

في نفس الموقع فرمزها (αα).

– (a): وهذا رمز الفتحة المجاورة لأحد الأصوات الطبقيّة، وفي هذا الموقع رمز ألف

المد هو (aa).

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص20.

- (æ): وبه يرمز إلى صوت الفتحة في غير ما سبق من المواقع، وفيها يكون رمز الألف اللينة هو (ææ).

- (ü): وهو رمز صوت الضمة المجاورة للأصوات المفخمة، وأما واو المد في نفس الموقع فرمزها (üü).

- (u): وهو رمز الضمة المجاورة لأحد الأصوات الطبقية سالفة الذكر، كما يدل (uu) على واو المد في نفس الموقع.

- (u): وبه يرمز للضمة في غير ما سبق من المواقع، وأما واو المد فيها فرمزها هو (uu).

- (ə): وهو رمز صوت القلقة المركزي في اللغة العربية وللتوضيح أكثر «إذا وقع صوت من أصوات ق- ط- ب- ج- د في وسط الكلمة أو في طرفها، وكان غير متبوع بحركة فإنه يتبع بالحركة المركزية /ə/ وذلك حفاظاً على جهر هذه الأصوات ويسمى الدكتور تمام هذه الظاهرة بالإجهار»⁽¹⁾ ففي الفصحى كلمة عقل بقاف مقلقة ولا ساكنة، يدرك السامع بعد ملاحظة الأصوات «أن بين القاف واللام صوت علة مركزياً هو صوت القلقة(*)»⁽²⁾

من خلال الرسم يتضح أنّ الصّوائت أو أصوات العلة -كما يسمّيها تمام حسان- تتنوّع بين الانفتاح والانغلاق أو بين الاتّساع والضيّق وتتنوّع في الفم بين الأمامية والخلفية وما بينهما؛ «إذا تمثلت الزاوية الحادة والمنفرجة مقدم منطقة حروف العلة في الفم، أما الزاويتان القائمتان فتمثلان مؤخر هذه المنطقة. فأقصى ما يبلغه صوت الكسرة من العلو والتقدم هو الزاوية الحادة، وأقصى ما يبلغه صوت الفتحة من الاستفال والتقدم هو الزاوية المنفرجة، وأمّا ما يبلغه هذا الصوت الأخير من الاستفال والتأخّر الزاوية

(1) صلاح الدين صالح حسنين. جهود الدكتور تمام حسان الصوتية. ص 203.

(*) وردت في القول بخطأ مطبعي: القلقة والصواب القلقة.

(2) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 173.

القائمة السفلى، وأقصى ما يبلغه صوت الضمة من العلو والتأخر هو الزاوية القائمة العليا، وأمّا المثلث الأوسط فهو منطقة الأصوات المركزية، التي منها صوت القلقة في اللغة العربية»⁽¹⁾.

أما عن سرّ وصف بعض أصوات العلة بالأمامية وأخرى بالخلفية والبعض الآخر بالمركزية فهو وضع اللسان؛ فإنّ «الأمامية هي التي يرتفع، حال النطق بها، الجزء الأمامي من اللسان تجاه الحنك اللين، أو أقصى الحنك [و] الخلفية تتكوّن عن طريق تجمع اللسان في مؤخرة الحنك، أي عن طريق رفع الجزء الخلفي من اللسان تجاه الحنك اللين أو أقصى الحنك [و] المركزية هي التي يشغل اللسان أثناء نطقها منزلة بين المنزلتين السابقتين، ويكون ذلك بتموضع اللسان في وسط تجويف الفم، ويكون وسط اللسان أثناء النطق بها هو أعلى نقطة فيه»⁽²⁾.

أمّا عن وصف بعض العلل بالمتسعة أو المتسعة وأخرى بالمغلقة أو الضيقة والبعض الآخر بنصف المفتوحة أو بنصف المتسعة، وأخرى بنصف المغلقة أو نصف الضيقة، فالسرّ يكمن في درجة انفتاح الآلة المصوتة فهي التي «تحدّد حجم تجويف الفم وتحدّد نوعية الصّائت وطريقة نطقه، وتحدّد حركات اللسان العمودية - أي المسافة التي تفصل بين الحنك وظهر اللسان - وذلك كما يلي: يصعد اللسان متّجها نحو الحنك، ويشقّ مجرى النفس في الفم فتحدث الصّوائت الضيقة أو المغلقة [و] يتمدّد اللسان في قاع الحنك، ويتّسع الفراغ بين اللسان والحنك فتحدث الصّوائت المتسعة أو المفتوحة [و] عندما يكون اللسان بين الصّعود والتّممد قد ينتج الصّوائت نصف الضيقة أو المغلقة، وقد ينتج الصّوائت نصف المفتوحة أو المتسعة»⁽³⁾.

(1) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 137.

(2) عصام نور الدين. علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا). ط1. دار الفكر اللبناني. بيروت. 1992. ص 254 وما بعدها.

(3) عصام نور الدين. الفونيتيكا. ص 263-264.

إنّ عدد صوائت اللّغة العربيّة يختلف باختلاف زوايا النّظر؛ فإذا نظرنا إليها وظيفياً من زاوية التّسمية فهي ثلاث (فتحة، كسرة، ضمة)، وإذا نظرنا إليها من زاوية الطول والقصر فهي ست: فتحة، كسرة، ضمة - ألف، باء، واو. أمّا إذا نظرنا إليها من زاوية النّطق الفعلي لها وتأثيره في السّمع أمكننا أن نميّز ثلاثة أنواع للفتحة، ومثلها للكسرة، ومثلها للضمّة، فهي إذن تسع للقصار، ومثلها للطوال فيكون العدد الإجمالي هو ثمانية عشر حركة، وفيما سيأتي تفصيل ذلك (1):

1- الفتحة العربيّة (—):

هي صائت وسطي قصير مفتوح، تكتب حسب الرّموز العالميّة (a)، ووسط اللّسان هو أعلى نقطة فيه أثناء النّطق بهذه الفتحة العربيّة؛ فهي حركة متّسعة لأنّ اللّسان معها يكاد يكون مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه، ويبقى الفم مفتوحا بشكل أوسع، ويكون الرّنين فيه كبير. أمّا الشّفتان فتكونان أثناء النّطق بالفتحة العربيّة مسطّحتين منفرجتين؛ أي أنّ فراغ الشّفتين لا يلعب دورا في إنتاج الفتحة لأنهما يبقيان في وضع محايد. والفتحة العربيّة صائت واحد من النّاحية الوظيفيّة، ولكنّها ثلاث من حيث النّطق الفعلي لها وتأثيره في السّمع، وذلك كما يأتي:

1-1 الفتحة المرقّقة: رمزها (æ) حركة أماميّة نصف متّسعة مثل: سير.

1-2 الفتحة المفخّمة: رمزها (α) حركة خلفيّة بين المتّسعة ونصف المتّسعة مثل:

صبر.

1-3 الفتحة بين التّرقيق والتّفخيم: رمزها (a) حركة وسطي مثل: قبر.

وما قيل عن الفتحة القصيرة يقال عن الفتحة الطويلة أي الألف.

(1) ينظر: كمال بشر. علم الأصوات. دار غريب. 2000. القاهرة. ص 462 وما بعدها. عصام نور الدين. الفونولوجيا. ص 279 وما بعدها.

2- الكسرة العربية (—) :

هي صائت أمامي قصير ضيق، تكتب حسب الرّموز العالمية (i)، والجزء الأمامي من اللسان يكون أثناء النطق بها أقرب ما يكون من الجزء الأمامي من الحنك الصلب، وتكون حجرة الرنين داخل الفم في أصغر أحجامها، ويكون الفم مفتوحا بحجمه الأدنى، وتكون الشفتان مشدودتين أقصى ما يمكن لهما من الشدّ.

والكسرة العربية أيضا صائت واحد من النّاحية الوظيفية، ولكنها ثلاث من حيث النطق الفعلي لها وتأثيره في السّمع، وذلك كما يأتي:

1-2 الكسرة المرفّقة: رمزها (i) حركة أمامية ضيقة مثل: نيام.

2-2 الكسرة المفخّمة: رمزها (I) حركة أمامية بين الضيقة ونصف الضيقة مثل:

صيام

2-3 الكسرة بين الترقيق والتفخيم: رمزها (e) حركة وسطى مثل: قيام.

وما قيل من الكسرة القصيرة يقال عن الكسرة الطويلة أي الياء.

3- الضمة العربية (—) :

هي صائت خلفي قصير ضيق، تكتب حسب الرّموز العالمية (u)، والجزء الخلفي في اللسان يكون أثناء نطقها أقرب من الحنك اللين واللهاة، وتكون حجرة الرنين الفمية - في وضع اللسان هذا- ضيقة جدًا، وتكون فتحة الفم ضيقة أيضا، وتكون فجوة الفم أكبر- أثناء نطقها- لأن الفك السفلي يكون أشد انخفاضا بحيث يسمح للسان بأن يرتدّ إلى الخلف، وتكون الشفتان أثناء النطق بالضمّة مفتوحتين فتحا خفيفا جدًا، ومتقدّمتين نحو الأمام بشكل مدور.

والضمّة العربية -هي الأخرى- صائت واحد من النّاحية الوظيفية ولكنها ثلاث من حيث النطق الفعلي لها وتأثيره في السّمع، وذلك كما يأتي:

3-1 الضمة المفخمة: رمزها (ū) حركة خلفية نصف ضيقة مثل: صُم.

3-2 الضمة المرفقة: رمزها (u) حركة خلفية بين الضيقة ونصف الضيقة مثل: دُم.

3-3 الضمة بين التّفخيم والتّرقيق: رمزها (u) حركة وسطى مثل: فُم.

وما قيل عن الضمة القصيرة يقال أيضا عن الضمة الطويلة أي الواو.

يُجمع اللّغويون قديما وحديثا على أنّ الصوائت أو حروف العلة -هي القسم الثاني للصّوامت أو الصّاح في مسيرة عجلة العملية الكلامية فهي محرّك أصوات اللّغة لسير العملية التواصلية بحريّة مطلقة لخلو مجرى الصوائت من العوائق، ممّا جعلها أقوى الأصوات وضوحا من حيث وقعها السّمي ولاّتّساع مخرجها. كما أنّها تتّصف في مجملها بالجهر⁽¹⁾.

بعد هذا الحديث المطوّل عن الجهاز النّطقي وأهميته الجمة في الدّراسة العضوية،

يسلّط الضّوء على الجهاز الصوتي والجهاز السّمي فيما يأتي:

2- الجهاز الصوتي:

أساس هذا الجهاز فيزيائي لأّته «يدرس الجانب المادي أو الفيزيائي من الصّوت الإنساني»⁽²⁾؛ إذ يقوم «بدراسة صوتية تتناول موجات الأصوات التي تنتقل بين المتكلّم والسّامع تناولا تركيبيا»⁽³⁾.

إنّ الدّراسة الفيزيائية تكون من لحظة ميلاد الصّوت الإنساني بدءا من فم المتكلّم وصولا إلى أذن السّامع، وما تحويه هذه المسافة من معطيات تصبّ في صميم الجهاز الصوتي ذي الأساس الفيزيائي، الذي يهتمّ بإيضاح كيف يتحول الهواء الزفيرى إلى طاقة صوتية بإرادة المتكلّم، وكيف تنتقل هذه الطّاقة المتكوّنة من موجات صوتية مشكّلة من

(1) للاستزادة ينظر: أبو بكر حسيني. الصوائت العربية قراءة في مصادر التراث اللغوي. ط1. دار الكتاب الحديث. القاهرة، 2014. ص 12 وما بعدها.

(2) عصام نور الدين. علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا). ص93.

(3) تمام حسان. الفكر اللغوي الجديد. ص 27-28. حصاد السنين من حقول العربية. ص9.

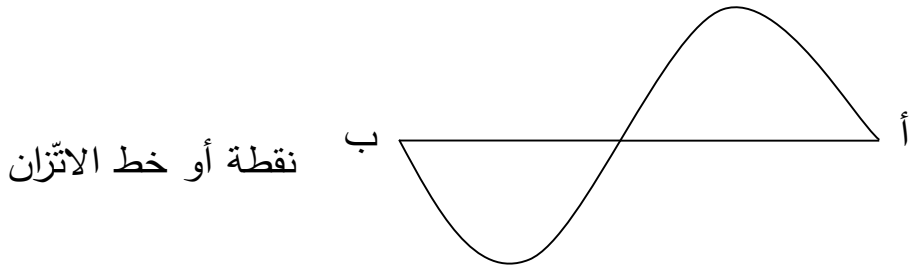
مجموع ذبذبات صوتية تخرج من فم المتكلم لتنتشر في الهواء الذي يقوم بنقل بعضها إلى أذن السّامع. وبهذا يكون الجهاز الصّوتي حلقة وصل بين الجهاز النّطقي السّابق والجهاز السّمعي اللاحق. يعتمد الجهاز الصّوتي في دراسته على عناصر فيزيائية للصّوت منها⁽¹⁾:

1-2 الموجة الصّوتية (Sound wave): وهي مجموعة الذبذبات الصّوتية

المتعاقبة التي تنتج إحداها عن الأخرى والتي تشبه الموجات المائية التي يحدثها إلقاء حجر في بركة ماء؛ إذ تبدأ بدوائر صغيرة ثم تتسع شيئاً فشيئاً إلى أن تتلاشى تماماً.

2-2 الذبذبة الصّوتية (Sound vibration): هي تحرك جزيء ما من نقطة

الاتزان إلى اتجاه ما، ثم عودته إلى نقطة الاتزان، ثم تحركه إلى نقطة عكسية للنقطة الأولى، والعودة إلى نقطة الاتزان، مثل حركة النّاقوس:



2-3 سعة الذبذبة (Amplitude): هي المسافة التي يتحرك إليها الجزيء من

نقطة الاتزان إلى أقصى مسافة يقف عندها؛ أي أنّها المسافة الفاصلة في حركة جسم متذبذب بين نقطة الاستراحة أو وضع التوازن وأبعد نقطة يصل إليها. فالسعة هي التي تحدّد توتّر الصّوت شرط أن يكون التّردد ثابتاً.

(1) ينظر: صلاح الدين صالح حسنين. جهود الدكتور تمام حسّان الصوتية. ص 192-193. تمام حسّان. مناهج البحث في اللغة. ص 68. أحمد مختار عمر. دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب. القاهرة. 1990. ص 23 وما بعدها.

2-4 التردد (Frequency): هو عدد الذبذبات التي ينتجها الجسم في الثانية ويتوقف تحديد التردد على عوامل منها:

- أ- السمك: فالوتر السميك يتذبذب بمعدل أقل من تذبذب الوتر الرفيع.
- ب- الطول: الوتر الطويل يتذبذب بمعدل أقل من الوتر القصير.
- ت- قوة التوتر: الوتر المشدود ينتج صوتاً أرق من الوتر المسترخي.
- ث- شكل الفتحة: الفتحة الواسعة تجعل معدل الذبذبات أقل من الفتحة الضيقة، فالأوتار الصوتية عند الرجل أسمك وأطول منها عند المرأة وكلاهما أسمك وأطول مقارنة بالطفل.

2-5 التحليل الطيفي للأصوات المنتظمة: الصوت المنتظم يتكوّن من عدد من الذبذبات، تنتج كلّ ذبذبة فيه في فترة زمنية مساوية للذبذبة الأخرى، وشكل الذبذبات المنتظمة معقد دائماً، وكلّما تعقد الشكل المنتظم احتوى على منحنيات جيبية. وتعرف العناصر الجيبية لصوت منتظم بأنها توافقيات لذلك الصوت، وأعلى التوافقيات هي ببساطة مضاعفات بسيطة لأكثر التوافقيات انخفاضا، ويعرف أقلّ التوافقيات انخفاضا بالتردد الأساسي أو الأساس، فعندما يكون مثلاً أعلى تردد هو 300 ذ/ث، وأقل تردد هو 100 ذ/ث، فالتردد الأقل هو التردد الأساس ومن ثم فأعلى تردد ناتج عن ضعف التردد الأساس ثلاث مرّات، وهذا هو أعلى التوافقيات.

3- الجهاز السّمي:

يقوم «بدراسة سمعية تتناول مقدار استعداد الأذن للسمع»⁽¹⁾؛ أي أنّ أساسه سمعي، وللتوضيح سيتم إيراد ثلاثة عناصر سمعية تقابل ثلاثة في الأساس الفيزيائي هي على

(1) تمام حسان. الفكر اللغوي الجديد. ص 28. حصاد السنين. ص 10.

التوالي: الدرجة وتعتمد على التردد، والعلو ويعتمد على سعة الذبذبة، وقيمة الصوت وتعتمد على التحليل الطيفي للأصوات المنتظمة⁽¹⁾:

3-1 الدرجة (Pitch): ترتبط درجة الصوت بسمكه أو دقته، ويتوقف كل منها على عدد الذبذبات في الثانية الواحدة؛ فإذا أكثر عدد الذبذبات في الثانية كان الصوت دقيقاً وإذا قل كان الصوت سميكاً.

3-2 العلو (Loudness): يتوقف على الصوت على سعة الذبذبة، فإذا اتسع مدى السعة كان الصوت عالياً، وإذا ضاق كان الصوت منخفضاً. ويتوقف اتساع المدى بدوره أو ضيقه على كمية الهواء الخارج من الرئتين المار بين الأوتار الصوتية؛ فإذا زادت كمية الهواء اتسع المدى والعكس صحيح.

3-3 قيمة الصوت أو جرسه (Quality or Timbre): تتوقف قيمة الصوت على التردد الأساس - أي التردد الأقل - وعلى أعلى التوافقيات - أي ضعف التردد الأساس ثلاث مرات - فكل صوت يمكن تحليله إلى نغمة أساسية ونغمات فرعية، فالأساسية منهما هي أعلى هذه النغمات وتسمى نغمة درجة الصوت، أما الفرعية فهي نتيجة ذبذبات تكون مضاعفات حسابية مع عدد الذبذبة في النغمة الأساسية. وقيمة الصوت أو جرسه بمثابة الأثر المميز في الأذن بين الأصوات مطلقاً. ويضرب تمام حسان أمثلة لتوضيح ذلك، كاختيار وتر من أوتار العود، فحين يضرب يتذبذب كل من أجل النغمة الأساسية الأصلية، ثم تتذبذب أجزاءه مرتعشة في نفس الوقت من أجل النغمات الفرعية، فإذا تذبذب الوتر ككل 200 مرة/الثانية فإن من أجزائه ما يتذبذب 400 مرة/الثانية ومنها ما يتذبذب 600 م/ثا وأخرى 800 م/ثا وهكذا، فيكون مجموع هذه النغمات كلاً متكاملًا هو الصوت؛ ذلك أن النغمات الفرعية لا تسمع بمفردها وإنما تسمع في نفس الوقت مع

(1) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 68 وما بعدها. صلاح الدين صالح حسين. جهود الدكتور تمام حسان الصوتية. ص 193.

النّعمة الأساسية. وتتوقّف قيمة الصّوت على هذا النّسق الرّنيني الخاص من النّغمات الفرعية، التي تساهم في التّمييز بين الأصوات -كما سبق ذكره- فعن طريق السّماع دون الرّؤية يمكن معرفة ما إذا كان المعزوف عودا أو غيره، وذلك لأنّ العود في تصميم بنائه قد صنع ليختلف في القيمة الصّوتية عن الكمان وغيره، وعن طريق السّماع أيضا يمكن التّمييز بين ما إذا كان صوت العلة المنطوق هو هذا أو ذاك، وتنسبه إلى الفتحة أو الكسرة أو الضّمة، ومردّد ذلك لاختلاف القيمة الصّوتية باختلاف شكل الفم في نطق أحد الأصوات عنه في نطق الآخر، فيتغيّر شكل الموجة الصّوتية بإيضاح النّغمات الفرعية الخاصّة بهذا الوضع وإعطائها أهمية في السّمع، وإن اتّحد طول الموجة في الحالتين. واختلاف شكل الموجة هو اختلاف القيمة وذلك ما تميّزه الأذن بيسر إلى درجة أنّها تميّز بين السّار والمنفّر على مستوى المتكلم الواحد وهذا هو صميم قيمة الصوت التي تساعد على التمييز بين صوت شخص ما في الهاتف من أصوات آخرين، حتّى وإن تشابهت الأصوات في الدّرجة والعلو. وذلك لأنّ النّغمات الفرعية تتوقّف على نسيج الأوتار الصّوتية نفسها وعلى وضعها؛ فإذا خرج الهواء من الرّئتين ووجدوا الوترين الصّوتيين متقاربين قريبا شديدا دون إغلاق تام، فإنه بمروره بينهما يحدث تذبذبا يكون له جرس يتردد صدها في حجرات الرنين - كالتجويف الصدري والحلق والتجويف الفموي- ويتكون من مجموع الجرس والأصداء الرّنينية حسّ له مقوماته الخاصة من درجة وعلو وقيمة.

II- علم التّشكيل الصّوتي (علم الصّوتيات Phonology):

1- تعريفه: إذا كان علم الأصوات (phonitics) يدرس أصوات الكلام، فإنّ علم التّشكيل الصّوتي (Phonology) يدرس أصوات اللّغة بوصفها وحدات تجريبية وليست ضوضاء، لها أثر مسموع في الأذن، ويهدف هذا الأخير -أي علم الصّوتيات- إلى تحديد النّظام الصّوتي للّغة على أساس وظيفي، ويرتبط ذلك بعناصر هي: الموقع، البيئة، العلاقة، والكمية من ناحية وعنصر المعنى من ناحية أخرى. فأيّ صوت من

أصوات اللّغة هو وحدة تجريدية لها موقع معين في بيئة معيّنة وتربطها علاقات معيّنة بغيرها في السّلسلة الكلامية، قد يكون لها تأثير في تحديد المعنى أو قد لا يكون⁽¹⁾. وفيما سيأتي تفصيل ما سبق مع التمثيل:

1-1 الموقع: ويقصد به ترتيب الوحدة الصوتية المجردة بالنسبة للترتيب العام للفظ أو السّلسلة النّطقية. ولتحديد الموقع أثر بين في تحديد وظيفة الوحدة الصوتية، كما أنّ حدوث تأثير هذه الأخيرة - أي الوحدة الصوتية - في تحديد معنى اللفظ أو السّلسلة النّطقية من عدم حدوثه يتوقّف على اختبار بسيط يسمى: الاستبدال؛ يجري على الأصوات في الألفاظ التي تتحقّق بها الكلمات ليظهر سلوكها من حيث التّداخل والتّخارج في الموقع المعين من الكلمة؛ فالنّداخل في الموقع يعني اختلاف الانتماء إلى الحرف؛ أي أن يصحّ حلول أحد الصوتين محلّ الآخر في اللفظ فيتغيّر معنى الكلمة. وأما التّخارج في الموقع فمعناه الانتماء إلى حرف واحد بعينه؛ أي أن يتعدّد حلول أحد الصوتين محلّ الآخر في اللفظ، ولو أجبرنا الموقع على قبوله لخرجت الكلمة عن عرف اللّغة العربية. ويمثّل تمام حسان الاستبدال الصوتي بما يأتي: طاب - شاب - باب، والملاحظ إمكانية استبدال الصّوت الذي يحتلّ الموقع الأوّل بأصوات أخرى مع تغيّر المعنى^(*)، وهذا يعني أنّ الحرف الذي ينتمي إليه الصّوت الأوّل من طاب غير الحرف الذي ينتمي إليه الصّوت الأوّل من شاب ومن باب. وكذلك الحال بالنسبة لاستبدال الصّوت الذي يحتلّ المرتبة الوسطى في الموقع نحو: طاب - طلب، فقد صحّ إحلال أحد الصوتين محلّ الآخر فتغيّر المعنى دون أن يخرج عن صميم اللّغة العربية، وهذا هو معنى التّداخل بعد الاستبدال، على نقيض التّخارج الذي يظهر بمحاولة استبدال الصّوت المفخم الذي ينتمي إلى حرف الألف في وسط طاب بصوت ألف مرقّعة؛ إذ يتعذّر ذلك لأنّ الطاء المفخّمة

(1) ينظر: صلاح الدّين صالح حسنين. جهود الدّكتور تمام حسان الصوتية. ص200.

(*) يسمى الحرف الذي يحلّ محلّ الحرف الآخر فيتغيّر معنى الكلمة بالمقابل الاستبدالي (substitution counter).

لا تتلوها ألف مرققة في عرف العربية الفصحى، وذلك لأنّ الصّوتين المفخّم والمرقّق اللّذين أبا أحدهما أن يحلّ محلّ الآخر ينتميان إلى حرف واحد وهو الألف⁽¹⁾. يشير تمام حسّان إلى أنّ العرب كانوا على بيّنة من قيمة الموقع في تحديد المعنى، ويسمي هذه الظاهرة بالموقعية، ويرى أنّها تطبّق على كلّ الأنظمة اللّغوية: الصّوتية، الصّرفية، النّحوية؛ ففي النّظام الصّوتي لا يتحقّق الإدغام والإعلال والإبدال، ونحو ذلك إلا في مواقع بعينها كالاتقاء المثليين والمتقاربين واجتماع الساكنين وغير ذلك من أمثلة الموقعيات الصوتية⁽²⁾.

1-2 البيئة: يصطلح عليها تمام حسّان بالمجاورة في السّياق، ويقصد بها تأثير الوحدة الصوتية المدروسة بما يجاورها من الأصوات، فكما سبق ذكره تأثرت الفتحة الطويلة في السّلسلة النّطقية طاب بالطاء المفخمة المجاورة لها فجاءت هي الأخرى مفخّمة. ولو جاورت هذه الفتحة الطويلة التاء المرققة لتأثرت بها وجاءت مرققة، فمخرج الحرف المجاور وصفاته هي من العوامل التي تحدّد ورود حرف بعينه في موقع بعينه، أو عدم وروده⁽³⁾.

1-3 العلاقة: يسمّيها تمام حسّان أيضا القيم الخلافية، ويعدها عنصرا أساسيا من عناصر النّظام اللّغوي أو أي نظام لغوي آخر. ومن أهم القيم الخلافية اختلاف الوظيفة التي تؤديها كل وحدة من وحدات النّظام؛ فمن ناحية النظام الصوتي العربي بالذات تقوم الوظيفة أو المعنى الوظيفي أولا وقبل كل شيء بالتفريق بين طائفتين متباينتين من الأصوات هما: الصّحاح والعلل، فكلّ منها خصائص ووظائف في نظام العربية، وتجدر الإشارة إلى أنّ الحروف الصّحاح وحروف العلة لا تتطّق، وإنّما تتطّق الأصوات الصّحاح

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 75 وما بعدها. مناهج البحث في اللّغة. ص 152-153.

(2) ينظر: حسين رفعت حسين. الموقعية في النحو العربي (دراسة سياقية). تقديم: تمام حسّان. ط 1. عالم الكتب. 2005. ص 06.

(3) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 163.

وأصوات العلة، فتنسب الحروف إلى مخارج وصفات كمخارج وصفات الأصوات، ولكن المخارج والصفات هنا لا يستخدمان استخداماً أصواتياً وإنما وظيفياً؛ أي استخداماً يؤدي إلى التمييز بين الوحدات الصوتية وتصنيفها في أقسام؛ فتوضع كلّ الأصوات التي تشترك في مخرج واحد في قسم مستقل عن غيره، كما توضع كلّ الأصوات التي تتّصف بصفة معيّنة في قسم آخر. وهكذا تتعدّد الأقسام بتعدّد المخارج والصفات، فالمسألة إذا مسألة تبويب، والتبويب تفريق، والتفريق رصد فروق، وهذه الفروق أو المقابلات هي القيم الخلفية التي تكون بين صوت وآخر إمّا من حيث المخرج فقط أو الصّفة فقط أو هما معاً. ويمثّل تمام حسّان لذلك موضّحاً أنّ العلاقة يقصد بها جهة الشراكة أو التّخالف بين الصّحيح والصّحيح كعلاقة الجهر (*) المدركة إيجابياً بين: د- ز، وسلبياً بين: د- ت؛ أي أنّها جهة شراكة بين الزوج الأول، وجهة اختلاف بين الزوج الثاني، وتناولها من ناحية التّشكيل الصوتي للتنظيم لا للوصف الصوتي كما في علم الأصوات، فالعلاقة هنا تدلّ على صفة ربّما كانت إيجابية في أحد طرفيها، سلبية في الطّرف الآخر مع اتّحاد مخرج الدالّ في مقابل التاء⁽¹⁾.

1-4 الكميّة: يرى تمام حسّان أنّ المقصود بالكميّة هو الطول والقصر في المقاطع والحروف الصّحيحة وحروف العلة، وغالباً ما تستعمل كلمة الطّول بدل اصطلاح الكميّة، ويقصد بهما باب تشكلي في أيّ لغة بعينها. فالكميّة إذا فكرة تقسيمية تجريدية أمّا المدّة فهي اصطلاح أصواتي يقاس بوسائل ميكانيكية، والمدّة تنسب إلى الصّوت، والكميّة تنسب إلى الحرف والمقطع. والمدّة والكميّة يتّفقان ويختلفان فليس من الضّروري أن يكون الحرف المشدّد - وهو أطول كمّيّة من المفرد - أطول مدّة في نطق صوته من نطق الحرف المفرد. ولكنّ علم الصّوتيات يهتمّ بالتمييز بين صوت وآخر من حيث الكميّة؛ ففي الصّحاح الحرف المشدّد أطول كمّيّة من الحرف المفرد لأنّ الحرف المشدّد يقدر

(*) الجهر قيمة خلفية بين الصّحاح فقط لأنّ العلة كلها مجهزة في اللّغة العربية.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان: مناهج البحث في اللّغة. ص 154. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 67-68.

بحرفين، كذلك الحال بالنسبة للعلل فالحركة الطويلة أطول من الحركة القصيرة، إذ تقدر الحركة الطويلة بحركتين قصيرتين⁽¹⁾.

2- موضوعات علم التشكيل الصّوتي:

يتناول علم التشكيل الصّوتي أو علم الصوتيات موضوعات كثيرة أهمها:

2-1 الفونيم (Phoneme) والألوفون (Allophone):

يرى تمام حسّان أنّ «الفونيم في أحد معانيه يقصد به معنى الحرف»⁽²⁾ ويشير إلى أنّ الأصوات المتقاربة في المخارج أو الصفات قد تتجاوز في الكلام، فيؤدّي تجاوزها إلى تجاوز أصول المخرج أو الصفة، فتحوّل صورة الصّوت عن أصلها إلى فرع^(*) أو أكثر. فاصطلح للدلالة على الأصل لفظ (Phoneme)، وعلى الفرع لفظ (Allophone)، ومثّل لذلك من اللّغة العربية بما يأتي:

- مثال الفونيم (الأصل): النّون في: أنا.

- مثال الألوفون أو الألوفونات (الفرع أو الفروع):

- النّون في: ينفع

- النّون في: ينبغي

- النّون في: من سعى

- النّون في: من رأى

- النّون في: ينجح

- النّون في: ينظر

- النّون في: ينكر

- النّون في: ينقل

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللغة. ص 191. صلاح الدين صالح حسنين. جهود تمام حسان الصوتية. ص 203.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللغة. ص 158.

(*) الأصل والفرع مصطلحان نحويان.

من جملة هذه الأمثلة يتّضح أنّ مخرج الصوت أو صفته عرضة للتأثر بتقلّبات الكلام، وأنّ هذه التقلّبات تحكمها مجموعة من العلاقات التي تبدو في صورة النّظام الصّوتي ويدرسه علم الصّوتيات؛ ففي المثال الأوّل الذي يمثّل الفونيم لم تخرج النّون عن أصلها لا في مخرجها ولا في صفاتها. أمّا في بقية الأمثلة التي تمثّل الألوّفونات فقد حادت عن الأصل سواء في المخرج أو الصّفات فمثلاً النّون في: (ينبغي) انقلبت ميما (يمبغي) لمناسبة ما يجاورها من نطق الباء الشفوية، وكان ذلك طلباً للخفة وتيسير النّطق⁽¹⁾.

ساق تمام حسّان تعريفات العلماء المختلفة للفونيم نحو: دانيال جونز - بودوان دي كورتيني - سابير - تروبتسكوي - بلومفيلد - توادل - هيلمسلف، ورأى أنّ النّتيجة العلمية بعد مناقشة آرائهم هي أنّ الفونيم⁽²⁾:

- 1- يؤدّي وظيفة دلالية، حيث تأتي الدّلالة من الفونيمات والمورفيمات والكلمات والجمل.
- 2- يعين على تعلّم النّطق الأجنبي.
- 3- يعين على استخدام الأصوات الصّحيحة في أماكنها الصّحيحة.
- 4- يعين على خلق أبجديات منظمّة للغات المختلّة، «مثل ما يسمّيه الأمريكيون علم الفونيمات (Phonemics) ويقصدون به خلق الأبجديات المناسبة للهجات غير المكتوبة»⁽³⁾.

على سبيل التّمثيل لا الحصر نورد أحد التّعريف التي أوردها تمام حسّان وهو للإنجليزي دانيال جونز الذي يرى أنّ الفونيم هو عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها تستخدم بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السّياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها؛ لأنّ أعضاء العائلة الفونيمية الواحدة

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. حصاد السنين من حقول العربية. ص 10-11. الفكر اللغوي الجديد. ص 28-29.

(2) للاستزادة ينظر: مناهج البحث في اللغة. ص 163.

(3) للاستزادة ينظر: مناهج البحث في اللغة. ص 140.

متخارجون، فالنّونات المختلفة متخارجة - فيما سبق من الأمثلة- من حيث الموقع، ولهذا التّخارج أهمية كبيرة من جهة الدّلالة؛ لأنّ الصوتين إذا انتميا إلى فونيمين مختلفين، انتفت عنهما فكرة التّخارج وصحّ أن يحلّ أحدهما محلّ الآخر مع تغيّر في الدّلالة نحو: تاب- ثاب- عاب- غاب- خاب- شاب؛ فكلمًا تغيّر الفونيم الأول أدّى إلى خلق كلمة جديدة بدلالة مختلفة. وإمكانية حلول أحد الصوتين محلّ الآخر دلالة على أنّهما ينتميان لفونيمين مختلفين، وهذا ما سبقت الإشارة إليه في الاستبدال في الموقع. وكالاستبدال إضافة الفونيم إلى الكلمة واستخراجه منها نحو: شدّ- شدّدوالعكس، فبين الكلمتين تمييز صرفي ودلالي، وهذا كما يقول تمام حسّان أحد أوجه الكشف عن القيم الخلفية⁽¹⁾.

مما سبق ذكره يلاحظ أنّ تمام حسّان ركّز في تعريفه للفونيم على النّظرة الغربية في أواخر القرن التاسع عشر (ق 19م)، وأوائل القرن العشرين (ق 20م). إلا أنّ الجدير بالذّكر أنّ فكرة الفونيم قديمة أدركها العرب، ولكن بصورة ضبابية، ويظهر ذلك في «أنّ الألفباء العربية قد راعت بكل دقّة وضوح مبدأ الفونيم، والتّعبير عن هذا الفونيم بصورة المتعدد برمز واحد، فللباء رمز واحد ومثله التاء والتّاء إلخ مهما تعدّدت صورة الفونيمات في الكلام المنطوق. حدث هذا بكل دقّة في فونيمات الأصوات الصّامتة، وحدث مثله في فونيمات الحركات؛ فالألف في طاب وهي مفخمة، والألف في تاب وهي مرققة تكتب برمز واحد»⁽²⁾، وعليه يمكن القول - بما قلّ ودلّ- إنّ للعربي المتقدم قصب السبق في الإبداع، وللمتأخر التبعية له حتى وإن أجاد وأصاب.

2-2 المقطع الصوتي Syllable:

2-2-1 تعريف المقطع الصوتي: يقول تمام حسّان إنّ المقطع «اصطلاح ممّا يصعب تحديده صعوبة تامة»⁽³⁾ ويرى أنّ «المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 159.

(2) كمال بشر. علم الأصوات. ص 492-493.

(3) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 164.

الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام أو وحدات تركيبية، أو أشكال وكميات معيّنة»⁽¹⁾.

2-2-2 شروط المقطع الصوتي: يرى تمام حسّان أنّ دراسة المقاطع لها شروط

لا بد أن تراعى منها⁽²⁾:

أ- كل حرف متحرك هو بداية لمقطع جديد.

ب- كل حرف ساكن بعد حركة أو مد هو نهاية لمقطع صوتي، وقد يشدد هذا الساكن عند الوقف.

ت- هناك مقطع صوتي ومقطع تأصيلي، وعلاقة الأول بالثاني كعلاقة (قال) بـ (قول)، أي علاقة الفرع المعدول به عن الأصل بالأصل المعدول عنه.

يرى تمام حسّان أنّ الفرق بين المقطع الصوتي والمقطع التأصيلي المجرد يكمن في نقطة واحدة فقط، وهي أنّ بنية بعض الكلمات العربية تستهل في نظام اللّغة بالسّاكن ولكنّ اللّغة العربية لا تبدأ بساكن، فاجتلب الاستعمال الفعلي همزة وصل قبل السّاكن في أسماء معروفة وصيغ محدّدة في ماضي الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما وأمر الثلاثي وفي أداة التعريف. وفي هذه الأخيرة يرى تمام حسّان أنّ قول ابن مالك: «أل حرف تعريف أو اللام فقط»⁽³⁾ فيه إشارة إلى أنّ الهمزة ليست من بنية أداة التعريف، وإنّما هي الأخرى مجتلبة لتكون جسرا يعبر لسان المتكلم فوقه إلى النّطق بالسّاكن، فينطق الهمزة وحركتها والسّاكن الذي بعدها، فيكون المقطع من الناحية الصوتية (ص ح ص)، ولكنّ نظام اللّغة الذي يأبى أن يعترف بأنّ الهمزة جزء من البنية من حقّه أن يقول إنّ هذا المقطع هو (ص) فقط، ولكنّ كثرة ورود الحركة قبله تفاديا للبدء بالسّاكن أو لالتقاء السّاكنين أمكن أن يكون المقطع (ح ص) مع حذف الصّاد الأولى التي هي

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 170.

(2) ينظر: تمام حسّان. خواطر من تأمل لغة القرآن. ص 123. البيان في روائع القرآن. ص 176-177.

(3) ابن مالك. الألفية. ص 16.

بإزاء همزة الوصل. وبالتالي يرد مقطع الوصل بصورتين: صورة صوتية: ورمزها (ص ح ص)، وصورة تأصيلية: ورمزها (ص) فقط أو (ح ص). والصورة الأولى هي الأقرب، والرمز الأول من رمزيه أحوط كما يقول تمام حسّان.

2-2-3 أشكال المقطع الصوتي: تتعدّد زوايا النّظر إلى المقاطع الصوتية كما

يرى تمام حسّان، إذ يمكن «أن يخلق نظام رمزي للمقاطع طبقاً للنّظر الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة»⁽¹⁾ لتعبّر على المستوى الصوتي في اللّغة العربية من أشكال المواقع الصوتية الموضّحة على ضوء ما سيأتي⁽²⁾:

أ- النّظر الأولى: المقاطع تعبير عن نسق منظم من جزئيات التحليل اللّغوي؛ إذ

يرى تمام حسّان أنّ في اللّغة العربية ستّة مقاطع، في كلّ منها صحيح واحد أو أكثر، وعلّة واحدة فحسب، إمّا طويلة أو قصيرة. وإذا كان (ص) رمز للصّحيح، و(ع)⁽³⁾ أو (ح)⁽⁴⁾ رمز للعلّة القصيرة، و(ع ع)⁽⁵⁾ أو (م)⁽⁶⁾ رمز للعلّة الطويلة.

يمكن بناء أنساق منظمة من الرموز لأنساق منظمة من الصّحاح(*) والعلل(**)، لتكوين أشكال المقاطع الآتية:

أ-1- (ع ص) أو (ح ص): يرى تمام حسّان أنّه يوجد في بداية كلّ ما بدئ بهمزة الوصل التي ترد طارئة على الكلمة لينبو اللسان بها نبوة واحدة للوصول إلى نطق

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 170.

(2) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة العربية. ص 164 وما بعدها. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 69.

(3) (ع) رمز العلة استعمله تمام حسّان في كتابه: مناهج البحث في اللّغة. ص 164.

(4) (ح) رمز الحركة استعمله تمام حسّان في: اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 69. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 124. البيان في روائع القرآن. ص 178-179.

(5) (ع ع) رمز العلة الطويلة استعمله تمام حسّان في: مناهج البحث في اللّغة. ص 164.

(6) (م) رمز المد، استعمله تمام حسّان في: اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 69. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 124. البيان في روائع القرآن. ص 178-179.

(*) الصحيح هامش المقطع.

(**) العلة نواة المقطع.

السّاكن، ويكون في أوّل الكلام فقط نحو ما كان على وزن: استفعال- انفعال وافتعال، وفي أفعال هذه المصادر، وفي أداة التّعريف -كما سبق ذكره- وهذا المقطع الصّوتي تشكيلي لا أصواتي؛ لأنّ المقطع العربي من النّاحية الأصواتية لا بدّ أن يبدأ بصوت صحيح، ورمزه (ص ع ص)، فالمقطع الأوّل من كلمة: استخراج - إذا كانت في بداية الكلام- من النّاحية الأصواتية هو مجموع الهمزة والكسرة والسّين السّاكنة أمّا من النّاحية التّشكيلية فيتكون من الحركة والسّين السّاكنة فقط.

أ-2- (ص ع) أو (ص ح): وهو الحرف الصّحيح المتحرك بحركة قصيرة سواء بالكسرة أو الفتحة أو الضّمة، وتحرك ما بعده. نحو: الكاف المفتوحة من: كَتَبَ.

أ-3- (ص ع ص) أو (ص ح ص): وهو الحرف الصّحيح المتحرك بحركة قصيرة إذا سكّن ما بعده، فالحرفان والحركة التي تتوسّطهما يكونان مقطعا، نحو: الميم المفتوحة والحاء السّاكنة من: مَحْمُود.

أ-4- (ص ع ع) أو (ص ح ح): وهو الحرف الصّحيح المتحرك بحركة طويلة كياء المدّ أو ألفه أو واوه نحو: القاف والألف من: قاتل.

أ-5- (ص ع ع ص) أو (ص ح ح ص): وهو الحرف الصّحيح المتحرك بحركة طويلة كياء المدّ أو ألفه أو واوه إذا سكّن ما بعده كالميم والواو والدّال السّاكنة من: محمود.

أ-6- (ص ع ص ص) أو (ص ح ص ص): وهو الحرف الصّحيح المتحرك بحركة قصيرة متلوّ بساكنين كالعين والفتحة والباء والدّال السّاكنتين في: عَبْدُ.

ب-النّظرة الثّانية: المقطع خفقة صدرية أثناء الكلام: وهي نظرة الموسيقيين للمقطع، فأيّ رمز كالنقطة والسّهم كاف لأن يدلّ على المقطع في كافّة كمّياته وأشكاله، إذ يمكن التّعبير عن عدد المقاطع في الفعل الماضي ساكن الباء: كَتَبَ بالرمز (← ←).

يرى تمام حسان أنّ العروضيين بنوا مقاييسهم على هذه النظرة، فقد وصفوا النظام الإيقاعي العروضي باستخدام الشرطية للدلالة على الحركة والدائرة للدلالة على السكون، واعترفوا بثلاث إمكانات إيقاعية، كل رمز فيها يدلّ على أكثر من بنية إيقاعية وهي كالاتي:

ب1/ (-): وتدلّ على (ص ع)

ب2/ (0 -): وتدلّ على (ع ص) أو (ص ع ص) أو (ص ع ع)

ب3/ (00 -): وتدلّ على (ص ع ع ص) أو (ص ع ص ص)

فالشرطية (-) تدلّ على صحيح متحرك بحركة قصيرة، والدائرة (0) تدلّ على الصحيح الساكن وكذا على الحركة الطويلة، وأمّا إذا اجتمع هذان الأخيران أو تكرر الصحيح الساكن فيرمز لهما بدائرتين (0 0).

ج- النظرة الثالثة: المقطع وحدة تركيبية؛ إذ يرى تمام حسان أنّ اللغة العربية

تحتوي ستّ وحدات تركيبية هي: 1- 2- 3- 4- 5- 6.

د- النظرة الرابعة: المقاطع كميات معيّنة وأشكال؛ فأما عن الكميات فهي ثلاث؛ إذ

يرمز للمقطع القصير بالرمز (ق)، ورمز المتوسط هو (م) وأما الطويل فرمزه (ط). وأمّا عن الأشكال؛ المقطع الذي ينتهي بعلّة هو مقطع مفتوح، ويرمز لكلمة مفتوح بالرمز (ف)، والمقطع الذي ينتهي بصحيح هو مقطع مقفل بالرمز (ل)، والمقطع الذي ينتهي بصحيحين مشكلان بالسكون هو (ل ل).

وعلى ضوء الكميات والأشكال يرى تمام حسان أنّ المقاطع العربية ستّة هي:

ح-1- (ق ل) ويدلّ على (ع ص) ومثاله: أداة التعريف.

ح-2- (ق ف) ويدلّ على (ص ع) ومثاله: باء الجرّ المكسورة.

ح-3- (م ل) ويدلّ على (ص ع ص) ومثاله: لم.

ح-4- (م ف) ويدلّ على (ص ع ع) ومثاله: ما.

ح-5- (ط ل) ويدلّ على (ص ع ع ص) ومثاله: بابّ بالباء الساكنة.

ح-6- (ط ل ل) ويدلّ على (ص ع ص ص) ومثاله: عبْدُ بالدال الساكنة.
ويمكن تلخيص ما سبق ذكره في الجدول الآتي:

| أشكال المقاطع الصوتية وأمثلتها | | | | | | زوايا النظر | |
|--------------------------------|-------------------|----------------------|----------------------|----------------------|----------------------|-------------------|-------------------|
| القصير المقفل | القصير المفتوح | المتوسط المقفل | طويل المد | طويل المد | طويل التسكين | | |
| مثاله: إسْدُ | مثاله: بَ | مثاله: لَمْ | مثاله: لا | مثاله: ضالُّ | مثاله: عبْدُ | | |
| ع ص أو ح ص | ص ع أو ص ح | ص ع ص أو ص ح ص | ص ع ع أو ص ح ح | ص ع ع أو ص ح ح | ص ع ص أو ص ح ص | | النظرة الأولى |
| 0 - | - | 0 - | 0 - | 00 - | 00 - | | النظرة الثانية |
| 1 ر | 2 ر | 3 ر | 4 ر | 5 ر | 6 ر | النظرة الثالثة | |
| ق ل | ق ف | م ل | م ف | ط ل | ط ل ل | النظرة الرابعة | |

يرى تمام حسان أنّ (ح ص) الذي يسمى مقطع الوصل «يحتسب من الناحية الصوتية من قبيل المتوسط المقفل (ص ح ص) بإقامة الصاد التي في مطلع المقطع مقام همزة الوصل وإقامة الحاء مقام حركة الهمزة والصاد الثانية مقام الساكن الذي تمّ التوصل إلى النطق به بواسطة الهمزة وحركتها»⁽¹⁾. وبالتالي فمقطع الوصل (ح ص) أو (ع ص) هو مقطع تشكيلي فونولوجي غير أصواتي، لأنّ بنيته من الناحية الثانية تتغيّر لتصبح (ص ح ص) أي (ص ع ص).

(1) تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن. ص126.

يرى أحمد مختار عمر أنّ «تمام حسّان زاد نوعا جديدا هو (ع س) ومثّل له بأداة التعريف، ولا يصحّ هذا إلا على إسقاط همزة الوصل، واحتساب الحركة التي تليها فقط. وعلى هذا (فأل) التعريفية عنده تبدأ بفتحة ويليهام لام مشكلة بسكون»⁽¹⁾.

تذهب آمنة بن مالك إلى القول بأنّ «الحجّة التي ساقها تمام حسّان لاعتبار همزة الوصل أو أداة التعريف، مقطعا يتكوّن من حركة يعقبا صوت صامت هي حجة واهية - في نظري- لأنّه إذا كان نظام اللّغة يقتضي سكون فاء الفعل، وإطراح همزة الوصل، فمن باب أولى ألاّ يعتدّ بكسرة هذه الهمزة، لأنّها تابعة لها، والأولى أن يقال هنا إنّ النظام المقطعي للّغة العربية يأبى أن تبتدئ الكلمة بمقطع من ص+ص+ح كالمقطع الأول في (أخْرَج) ومن هنا توسّلت العربية بهمزة الوصل، ليصبح لدينا مقطعان هما: ص+ح+ص (أخْ)، ص+ح+ص (رُجْ)، ثم تأتي بقية المقاطع بعد ذلك؛ أي أنّ النظام الفونولوجي لا يقتضي وجود مقطع يتكون من ح+ص وإنما وجود مقطع يتكون من ص+ص+ح وقد تخلّصت العربية من هذا اللون المقطعي لأنّ الذوق العربي يأبى التقاء ساكنين خاصّة في أوّل الكلمة»⁽²⁾.

إنّ ما ردّت به آمنة بن مالك على تمام حسّان لا يحمل جديدا، وإنّ ما اقترحتّه بديلا لما رأته محضورا في اللّغة العربية يعد محضورا أيضا، فتمام حسّان ذكر بأنّ مقطع الوصل يرد بصورتين الأولى استعمالية صوتية ورمزها (ص ح ص) والثانية تأصيلية تنظيمية ورمزها (ح ص)، وصرّح بأنّ رمز الصّورة الأولى أحوط من رمز الثانية. كما أنّ البديل الذي اقترحتّه آمنة بن مالك فيه نظر؛ إذ أنّ النظام الفونولوجي لا يقتضي وجود مقطع يتكون من (ح ص) وإنما يقتضي وجود مقطع يتكوّن من (ص ص ح) الذي تخلّصت منه اللّغة العربية لأنّ الذوق العربي يأبى هذا اللون المقطعي لالتقاء

(1) أحمد مختار عمر. دراسة الصوت اللغوي. ص 301-302.

(2) آمنة بن مالك. مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي (دراسة وتقييم). رسالة دكتوراه دولة في فقه اللغة.

إشراف: خليل ابراهيم العطية. 1987. ص 391.

السّاكنين فيه خاصّة في أوّل الكلمة، وعليه فالبدال المحضور لشكل محضور في اللّغة العربية هو اللابدل، وبالتالي فأمنة بن مالك اكتفت بالوصف الفونولوجي فقط ولم تعط بديلا؛ فالبنية (ص ص ح) تخرج عن خصوصيات المقطع العربي، فأغلب الدّارسين يجمعون على أنّ المقطع الصّوتي في اللّغة العربية يتميّز بما يأتي⁽¹⁾:

- 1- يبدأ المقطع في اللّغة العربية دائما بصوت صائت مثل المقطع الأوّل في: علم ودرس. وإمّا بنصف صامت مثل المقطع الأوّل من: ولد- يوم.
 - 2- يتبع الصّامت الصّائت الذي يشكّل بداية المقطع.
 - 3- لا يبدأ المقطع العربي بصامتين كما لا يبدأ بصوت أي حركة.
 - 4- ينتهي المقطع في اللّغة العربية إمّا بصائت قصير أو طويل.
 - 5- لا يتكوّن المقطع في اللّغة العربية من صوامت فقط.
 - 6- يتكوّن المقطع في العربية من وحدتين صوتيتين أو أكثر، إحداها حركة، فلا وجود لمقطع من صوت واحد، أو مقطع خال من حركة.
- ومن جملة خصائص المقطع العربي يلاحظ أنّ الخاصية الثالثة قد سقطت من (ح ص) الذي اقترحه تمام حسّان، ومن (ص ص ح) الذي اقترحه آمنة بن مالك كبديل عن الأوّل؛ فالمقطع الصّوتي في اللّغة العربية لا يبدأ بحركة ولا بصامتين، وإمّا يبدأ بصامت واحد وهي الخاصية الأولى.

إنّ كون اللّغة العربية لا تبتدئ بساكن مجرد من الحركة أجاز استعارة همزة وصل متحرّكة بكسرة نحو: استخرج، أو بضمة نحو: أخرج، أو بفتحة نحو: أخرج، وذلك تيسيرا للسان حتّى ينبو نبوة واحدة ليصل إلى الصّحيح السّاكن، حتّى لا يقال إنّ هذا الأخير- أي الصّحيح المجرد من الحركة- يمكن أن يكوّن بمفرده مقطعا فتسقط الخاصية الخامسة النّافية لأن يتكوّن المقطع العربي من الصّوامت فقط، كما تسقط الخاصية السادسة النّافية

(1) ينظر: كمال بشر. علم الأصوات. ص 509. عصام نور الدين. علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا). ص 95.

لوجود مقطع من صوت واحد أو مقطع خال من الحركة، ناهيك عن كون صامت واحد مجرد من الحركة هو ما يتكوّن منه المقطع الصوتي كما أشار إلى ذلك تمام حسان في قوله: «إذا اعتبرنا (ص) دالة على كلمة صحيح، استطعنا أن نقرّر أنّ [من] تراكيب المقاطع العربية: (ص) وهو المقطع الأقصر الذي يمثّل حرفاً صحيحاً مشكلاً بالسكون مثل لام التعريف وسين الاستفعال، ولا بدّ في هذا الحرف الذي يكوّن مقطعا كاملاً أن يكون مشكلاً بالسكون مثلوا بحرف متحرّك وأن يكون في بداية الكلمة حتّى يصدق عليه أنّه حين يمتنع الابتداء به تسبقه همزة الوصل»⁽¹⁾ فلا يعقل أن يكون الجزء هو الكلّ نفسه، خاصّة وأنّ «المقطع هو وحدة صوتية أكبر من الفونيم»⁽²⁾، «وأنّ الفونيم في أحد معانيه يقصد به معنى الحرف»⁽³⁾ كما سبق ذكره. وعليه فإنّ رمز الصّورة الصوتية لمقطع الوصل (ص ح ص) أولى من رمز الصّورة التنظيمية التّأصيلية (ح ص)، ورمز (ح ص) أولى من رمز (ص) فقط؛ لأنّ الصّحيح المجرد من الحركة لا يكوّن بمفرده مقطعا صوتياً، خاصّة إذا ورد في أوّل الكلمة في بداية الكلام؛ إذ يشير تمام حسان إلى أنّ نظام اللّغة العربية يعترف بإمكان افتتاح الكلمة العربية بحرف ساكن، ولكنّه لا يجيز الابتداء به نحو: (انطلقوا) فإنّ أول حرف من حروف الكلمة هو التّون الساكنة، أمّا الألف فليست أكثر من وسيلة كتابية تشير إلى موقع الوصل، فهي ليست من بنية الكلمة، ومثلها مثل ألف التفريق بعد الواو من كلمة (انطلقوا) التي دلّت على أنّ الواو للجماعة وليست للجمع، وتظهر فائدة هذه الأخيرة في التفريق بين (قاتلوا زيداً) و(قاتلوا زيد)، فوجود ألف التفريق في المثال الأوّل يدلّ على أنّ الواو للجماعة - أي أنّها ضمير - أمّا غيابها في المثال الثّاني فيدلّ على أنّ الواو للجمع - أي أنّها حرف - ولمّا كانت كلمة (انطلقوا) بحاجة إلى همزة وصل لنطق أوّلها الساكن أصبحت بنيتها المقطعية كالآتي: إن-ط-ل-قو. ولو وقعت هذه الكلمات في وسط الكلام لكان على الحرف السّابق

(1) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 69.

(2) عصام نور الدين. علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا). ص 93.

(3) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 158.

للنّون الساكنة أن يحمل الحركة التي كانت للهمزة التي بُدئ بها الكلام من قبل، وأن يكون هذا الحرف مع النّون الساكنة مقطعا واحدا، فالمقطع الأوّل في الكلمة نفسها في قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَفُوا وَهُمْ يَخَافُونَ﴾ القلم 23 أصبح على شكل (فَن) بدل (عِن) في بداية الكلام، فالنّون الساكنة بمفردها تشكّل نهاية مقطع لا بداية له، إذ بها بدأ المقطع وبها انتهى، وعليه تحتاج إلى همزة وصل لذا يحسن أن يسمّى هذا النوع بمقطع الوصل، والذي يعدّ مقطعا تأصيليا لا يوجد إلّا في الذّهن بواسطة التجريد العقلي، ولا يوجد في الاستعمال⁽¹⁾، وهو في صميم علم التشكيل الصوتي «يحتسب من النّاحية الصوتية من قبيل المتوسطّ المقفل (ص ح ص)»⁽²⁾ أو (ص ع ص) بالنّظر الأولى، ويرمز له (-0) بالنّظر الثانية، ويرمز له (3) بالنّظر الثالثة، ويرمز له (ل م) بالنّظر الرابعة. واعتماد تمام حسان على (ص ح ص) دون (ح ص) في دراسته للإيقاع يجعل عدد المقاطع الصوتية العربية خمسة، ولكنّه يذكر مقطعا سادسا من النّاحية التشكيلية وهو: (ص م ص ص) أو (ص ع ع ص ص) لأنّ: م=ع ع، ويسمّيه مقطع الوقف، ويتكوّن في بنيته من «صوت يتلوه مدّ، وبعد المدّ صوتان ساكنان، ولا يرد هذا المقطع إلّا عند الوقف على مثل: الحاجّ والتأمّ والخاصّ والضالّ. وهو مقطع مرهون بموقع معين»⁽³⁾ فالبنية المقطعية للمثال الأوّل هي: أل- حاجج فرمز المقطع الأخير هو (ص م ص ص) ونتج بعد فك الإدغام الجيم (حاجج) وسلّب حركة الجيم الثانية نتيجة الوقف. في موضع آخر يسوق تمام حسان أمثلة لهذا النوع من المقاطع إذ يقول: «المقطع السادس: صوت يتلوه مدّ وبعد المدّ صوتان ساكنان ولا يرد هذا المقطع إلّا عند الوقف على ألفاظ: حاجّ وتأمّ وخاصّ وضالّ فهو مقطع مرهون بموقع معيّن ويرمز إليه (ص م ص ص) وربما حسُن أن يسمّى مقطع الوقف»⁽⁴⁾. وأغلب الظنّ أنّه خطأ مطبعي لأنّ

(1) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 176-177.

(2) تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 126.

(3) تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 125.

(4) تمام حسان. البيان في روائع القرآن، ص 178.

البنية المقطعية عند الوقف على هذه الألفاظ هي: (ص م ص) وليست (ص م ص ص) لأنّ الوقف يستدعي سلب حركة الحرف الأخير فقط، فنقف عليه ساكنا.

مما سبق ذكره يمكن تلخيص بنية المقاطع الصوتية في اللغة العربية عند تمام

حسان على النحو الآتي:

1- المقطع الأوّل: (ح ص) وهو مقطع الوصل قصير مغلق، نحو: إسْد في إسْتخْرَج.

2- المقطع الثّاني: (ص ح) وهو مقطع قصير مفتوح، نحو: كَ في كَتَبَ.

3- المقطع الثّالث: (ص ح ص) وهو مقطع متوسط مغلق، نحو: يَكُ في يَكْتُبُ.

4- المقطع الرّابع: (ص م) وهو مقطع متوسط مفتوح، نحو: كا في كَاتِبٌ.

5- المقطع الخامس: (ص م ص) وهو مقطع طويل المدّ، نحو: سام.

6- المقطع السّادس: (ص ح ص ص) وهو مقطع طويل التّسكين، نحو: قَبْلُ

ومقطع طويل التّشديد، نحو: شَدَّ (في حالة الوقف).

7- المقطع السّابع: (ص م ص ص) وهو مقطع الوقف، نحو: خامّ في الخامّ.

من هنا يمكن القول إنّ تمام حسان هو أوّل من تنبّه إلى مقطع الوصل (ح ص)

الذي لا يتحقّق في الاستعمال، وإنّما ينظر إليه في الصّورة (ص ح ص)، كما أنّه تنبّه

إلى مقطع الوقف (ص م ص ص).

إنّ دراسة المقاطع الصوتية لمحة من تأملات تمام حسان في القيم الصوتية في

اللغة العربية عامّة والقرآن الكريم خاصّة، إذ يحاول من خلال ذلك أن يكشف عن ظاهرة

الإيقاع كشفا علميا، بإخضاعها لنوع من الوصف فيرى أنّ «في اللغة العربية كلمات

أحادية المقطع مثل: (مَنْ) وثنائيتة مثل (لَمَّا) وثلاثيته مثل (يُقَاتِلُ) ورباعيته مثل (يَتَعَلَّمُ)

وخماسيته مثل (مُتَخَاصِمِينَ) وسداسيته مثل (يَتَجَاهَلُونَ) وسباعيته مثل (مُتَحَدِّثِيهِمَا)»⁽¹⁾،

وإذا كانت «الكلمة التي تتكوّن من مقطع واحد تسمّى أحادية المقطع (monosyllabic)

(1) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 176.

(word) [فإنّ] التي تتشكّل من أكثر من مقطع يطلق عليها متعدّد المقاطع (polysyllabic word)«(1).

يشير تمام حسان إلى أنّ هذا التّنوع في البنية المقطعية في اللّغة العربية وثيق الصّلة بالإيقاع، وما يؤكد ذلك قوله بأنّ «المدخل إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلّا من خلال معرفة المقاطع العربية وكمياتها وقواعد النّبر في الكلام»(*)«(2).

بعد معرفة ماهية المقطع الصوتي وشروطه وكذا أشكاله من خلال معرفة كمياته المختلفة عند تمام حسان، تمّ طرق باب الإيقاع من خلال فتح مصراع واحد، وفيما يأتي يطرق الباب مرة أخرى ليفتح المصراع الثّاني، فيفتح بذلك باب الإيقاع على مصراعيه.

2-3 النّبر (stress):

تجدر الإشارة إلى أنّ «المقطع والنّبر متلازمان؛ فالمقطع حامل النّبر، والنّبر أمانة من أمارات تعرّفه»(3)، وبعد التّعريف على ماهية المقطع الصوتي يسلّط الضّوء على ماهية النّبر التي تظهر فيما سيأتي:

2-3-1 تعريف النّبر: يشير تمام حسان إلى أنّ «المتكلّم نفسه يرى أنّ الصّوت

الذي يتمّ عنده الانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى يتطلّب قدرا من نبض الحجاب الحاجز يزيد من ضغط النّفس على الأوتار الصوتية، فيكون للصّوت من أصوات الكلمة في الجملة عندئذ وضوح في السّمع أكثر ممّا يكون لما يحيط به من أصوات. هذا الوضوح السّمعي النسبي يسمّى النّبر»(4).

(1) كمال بشر. علم الأصوات، ص 504.

(*) ورد خطأ مطبعي في القول: قواعد النثر والأصل قواعد النبر.

(2) تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 123. البيان في روائع القرآن. ص 175.

(3) كمال بشر. علم الأصوات. ص 503.

(4) تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 179-180. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 126-127.

ويقول تمام حسان أيضا إن: «كون صوت من الأصوات في الكلمة أقوى من بقيتها يسمى التبر؛ فالتبر إذا موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع في الكلمة وفي المجموعة الكلامية. وحده أنه وضوح نسبي لصوت أو لمقطع إذ قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتغيم»⁽¹⁾.

2-3-2 عوامل التبر: يرى تمام حسان أن التبر يكون -كما ذكر آنفا- نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتغيم.

أ- عامل الكمية: وقد سبقت الإشارة إليه، وعلى سبيل التذكير فالكمية فكرة تقسيمية تجريدية، تنسب إلى الحرف والمقطع، والمقصود بها هو الطول والقصر في المقاطع الصوتية والحروف الصحيحة وحروف العلة⁽²⁾.

ب- عامل الضغط: ويرى تمام حسان أن «الضغط بمفرده لا يسمى نبرا ولكنه يعتبر عاملا من عوامله، ومع هذا فإنه يعتبر أهم هذه العوامل، ذلك لأن التبر يعرف بدرجة الضغط على الصوت أكثر مما يعرف بأي شيء آخر أو لأن الضغط في صورتيه صورة القوة وصورة التهمة يتسع مجال تطبيقه على التبر أكثر مما يتسع مجال العوامل الأخرى»⁽³⁾.

يعرف الضغط من ناحيتين هما: الناحية العضلية والناحية الصوتية؛ «أما من الناحية العضلية فالضغط مجهود يخرج به الهواء من الرئتين وكل دفعة منه يصحبها إحساس عضلي لهذا السبب. وأما من الناحية الصوتية فإنه ينتج أثرا يعرف بالعلو يتوقف على مدى الموجات الذبذبية التي تسبب الإحساس بالصوت»⁽⁴⁾.

(1) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 194.

(2) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 191 وما بعدها.

(3) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 194.

(4) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 194.

ج- عامل التنغيم: وهو العامل الثالث من عوامل النّبر، والتنغيم هو «ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام»⁽¹⁾ وسيتم التفصيل في ماهيته لاحقاً.

3-3-3 أنواع النّبر: قبل التّطرق إلى أنواع النّبر، تجدر الإشارة إلى أنّ «النّبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصّرفي»⁽²⁾ أي أنّ النّبر هو عملة بوجهين، الأوّل صوتي والثّاني صرفي. ويؤكد تمام حسّان ذلك بقوله: «لا نكون مبالغين إذا قلنا إنّ النّبر في الكلمات العربية موقعية تشكيلية وصرفية في نفس الوقت»⁽³⁾.

يرى تمام حسّان أنّ موقعية النّبر في التّشكيل الصوتي في اللّغة العربية على نوعين هما النّبر الصّرفي والنّبر الدّلالي، وفيما يأتي تفصيل ذلك.

أ- النّبر الصّرفي:

أ-1- تعريف النّبر الصّرفي: ويسمّيه تمام حسّان أيضاً بنبر القاعدة أو نبر النّظام الصّرفي، إذ ينسب إلى الكلمة المفردة أو الصّيغة الصّرفية المفردة⁽⁴⁾. ويطلق عليه أيضاً: نبر الكلمة المفردة، ويشير إلى أنّ الأفراد هنا بالمعنى الإملائي وإن كانت مركّبة بالمعنى النحوي بواسطة وصل الضمائر والحروف الزائدة. وذلك لأنّ الكلمة المفردة معنى مفرد والمعنى المفرد لا يتّصف بالإفادة، والإفادة هي غاية الاتّصال اللّغوي، والأولى بهذا الأخير أن يكون من خلال سياق لغوي مركّب من مختلف العلاقات: النّحوية والدّلالية⁽⁵⁾. وأمّا ابراهيم أنيس فيسمّي هذا النوع نبر الكلمة⁽⁶⁾. لأنّه ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السّمع عن بقية ما حوله من أجزائها، ومرجع هذا الوضوح السّمعي إلى

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 198.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 194.

(3) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 195.

(4) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 172

(5) ينظر: تمام حسّان. البيان في روائع القرآن. ص 181.

(6) للاستزادة ينظر: إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. ط5. مكتبة الأنجلو. مصر. 1979. ص 174.

عنصرين يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت وانخفاضه، وهي ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين، ليفرغ ما فيهما من الهواء، فتؤدي زيادة كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية فيكون من ذلك علو الصوت. ويرتبط العنصر الآخر بتوتر التماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت؛ أي أن النبر يأتي من التوتر والعلو في الصوت اللين يتصف بهما موقع معين من مواقع الكلام، فينتج عن هذا التوتر والعلو وضوحا سمعيا على مستوى مقطع صوتي في كنف الكلمة المفردة، وهذا ما له وظيفة صرفية تتمثل في إبراز القيم الخلفية التي تفرق مع الكمية بين معنى صرفي ومعنى صرفي آخر نحو: فَعَلَ - فاعِلٌ - فَعِيلٌ إذ يمكن التفريق بين هذه الصيغ من خلال الكمية، فكمية البنية المقطعية: فَعَلَ = ص ح + ص ح + ص ح، أما فاعِلٌ = ص ح ح + ص ح ح ص، في حين أن: فَعِيلٌ = ص ح + ص ح ح ص، وبهذا يمكن التفريق بين موضع النبر في هذه الصيغ؛ إذ يكون على المقطع الأول في المثالين الأول والثاني، أما في المثال الثالث فيكون على المقطع الثاني⁽¹⁾.

ولأن عدد الصيغ الصرفية كثيرة بالمقارنة مع عدد المقاطع الصوتية في اللغة العربية، يرى تمام حسان أنه يحسن دراسة مواضع النبر على ضوء ترتيب المقاطع الصوتية في الصيغ الصرفية، لتكون قواعد النبر قليلة وسهلة الضبط، وللتذكير فالمقاطع الصوتية في اللغة العربية عند تمام حسان التي يمكن اعتمادها لمعرفة مواضع النبر هي:

| نوع المقطع الصوتي | رمز المقطع الصوتي | صفات المقطع الصوتي |
|-------------------|-----------------------|--------------------|
| النوع الأول | ص ح أو ص ع | قصير مفتوح |
| النوع الثاني | ص ح ص أو ص ع ص | متوسط مقل |
| النوع الثالث | ص ح ح أو ص ع ع أو ص م | متوسط مفتوح |
| النوع الرابع | ص م ص | طويل المدّ |

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 170-171.

| | | |
|--------------|---------|---------------------------|
| النوع الخامس | ص ح ص ص | طويل التّسكين أو التّشديد |
| النوع السادس | ص م ص ص | مقطع الوقف |

أ-2- أقسام النّبر الصّرفي: ينقسم النّبر بحسب القاعدة من حيث القوّة والضعف

إلى قسمين هما:

أ-2-1- القسم الأوّل: النّبر الأوّلي (Primary stress): ويكون في كلّ الكلمات

والصّيع دون استثناء، وتضبطه قواعد مطّردة وهي⁽¹⁾:

القاعدة الأوّلي: يقع النّبر الأوّلي على المقطع الأخير في الكلمة أو الصّيغة في

الحالات الآتية:

- إذا كان هذا المقطع طويلا، سواء أكان طويل المدّ (ص م ص)، نحو: مَفْعولٌ. أم
طويل التّسكين أو التّشديد (ص ح ص ص)، نحو: بَدْرٌ - شَدُّ.

- إذا كان هذا المقطع مقطع وقف (ص م ص ص)، نحو: البارُّ.

- إذا كانت الكلمة وحيدة المقطع وقع عليه النّبر، أيّا كانت كمّيته (ص ح)، (ص ح
ص)، (ص ح ح)، (ص م ص) نحو على التّرتيب: قِ - فُمْ - ما - حاجٌ.

القاعدة الثّانية: يقع النّبر الأوّلي على المقطع ما قبل الأخير من الكلمة أو الصّيغة في
الحالات الآتية:

- إذا كان هذا المقطع متوسّطا (ص ح ص) أو (ص ح ح) والمقطع الأخير قصيرا
(ص ح) نحو: اسْتَلَقِ (تَل = أوّلي) - حَذَارِ (ذَا = أوّلي).

- إذا كان هذا المقطع متوسطا (ص ح ص) أو (ص ح ح) والمقطع الأخير متوسطا
أيضا، نحو: مُقَاتِلٌ (قا = أوّلي) - اسْتَوْتِقُ (تَوْ = أوّلي).

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 172 وما بعدها. والبيان في روائع القرآن. ص 180 وما
بعدها. وخواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 127 وما بعدها.

- إذا كان المقطع ما قبل الأخير قصيرا (ص ح) في إحدى الحالتين الآتيتين:

• بدأت به الكلمة نحو: صُوْر.

• سبقه المقطع الأقصر ذو الحرف الوحيد الساكن الذي يستعين بهمزة الوصل

للنطق به نحو: انطَلِقْ.

- إذا كان المقطع ما قبل الأخير طويلا (ص م ص ص) اغتفر فيه التقاء الساكنين،

ولم يكن الأخير طويلا مثله، فيقع النّبر الأولي على ما قبل الأخير نحو: حُوْبَقَّة (حُ+وَيْفُ+قَه).

القاعدة الثالثة: يقع النّبر الأولي على المقطع الثالث من الآخر في الحالات الآتية:

- إذا كان هذا المقطع قصير (ص ح) متلوا بقصيرين (ص ح)+(ص ح)، نحو: عَلْمُك- لَنْ يَصِلَ - أَكْرَمَكَ.

- إذا كان هذا المقطع قصير (ص ح) متلوا (ص ح) بقصير (ص ح) ومتوسّط (ص ح ح)، نحو: لَمْ يَصِلُوا.

- إذا كان هذا المقطع متوسّطا (ص ح ص) متلوا بقصيرين نحو: أُخْرِجَ.

- إذا كان هذا المقطع متوسّطا (ص ح ص) متلوا بقصير (ص ح) ومتوسّط (ص ح ص) نحو: بَيْنَكُمْ.

القاعدة الرابعة: يقع النّبر الأولي على المقطع الرابع من الآخر، في الحالات الآتية:

- إذا كان المقطع الأخير قصيرا (ص ح) وقبله ثلاثة مقاطع قصار من النوع الأوّل (ص ح) مثله، نحو: وَجَدَكَ، ضَرَبَكَ.

- إذا كان المقطع الأخير متوسّطا (ص ح ص) أو (ص ح ح) وقبله ثلاث مقاطع قصار من النوع الأوّل (ص ح) نحو: بَقْرَةٌ- يَرِثُنِي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ النّبر الأوّلي لا يقع على مقطع سابق لهذا المقطع الرَّابِع من الآخر.

أ-2-2- القسم الثاني: النّبر الثانوي (Secondary stress): ويكون في «الكلمات ذوات المقطعين فأكثر»⁽¹⁾؛ فالكلمة المفردة إذا تعدّدت مقاطعها حتّى صارت من حيث مطلق حركاتها وسكناتها بوزانٍ كلمتين قصيرتين لم تقنع بنيتها بالنّبر الرّئيسي الأوّلي، وإنّما تضع على موقع ممّا يسبق هذا النّبر نبرا آخر أقلّ قوّة من ذلك يسمّى النّبر التّانوي، وبالتالي يأتي النّبر التّانوي قبل النّبر الأوّلي ليوجّد توازنا بين أجزاء الكلمة من حيث الكميّة؛ إذ يُخلَق نوعٌ من التّوازن بين كميّة المقطع المنبور نبرا ثانويا وما يليها. ويكون ذلك عادة في الكلمات التي ترد بوزان كلمتين قصيرتين نحو^(*): صاقّاتٌ = صافٌ + فاتٌ = قالٌ + قالٌ. يَسْتَنْبِقُونَ = لَيْسَ يَهُونَ⁽²⁾.

ويوجد النّبر التّانوي «على مسافات محدّدة من النّبر الأوّلي»⁽³⁾؛ فإذا كان النّبر الأوّلي يحدّد على ضوء قواعد من نهاية الكلمة صوب بدايتها، فإنّ النّبر التّانوي يكون من النّقطة التي وقع عليها النّبر الأوّلي بنفس الاتجاه إلى بداية الكلمة؛ أي في اتّجاه معاكس لمجرى ترتيب الكلمة في الحالتين⁽⁴⁾.

يخضع النّبر التّانوي أيضا لجملة من القواعد المطّردة، ويمكن تلخيصها فيما يلي⁽⁵⁾:

(1) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 196.

(*) ذكر تمام حسان أنّ: مُسْتَقِيمٌ = جاءَ أَمْسٌ. في حين أنّ البنية المقطعية لهما مختلفة وهي كالآتي: مُسْتَقِيمٌ = مُسَدٌ + تَقِيمٌ (0//0+/0+0/0) - جاءَ أَمْسٌ = جا + ء + أَمْسٌ (00/0+/0+//0).

(2) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 182. وخواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 128.

(3) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 196.

(4) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 174.

(5) للاستزادة ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 196. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 174. البيان في روائع القرآن. ص 182.

- القاعدة الأولى: يقع النّبر على المقطع السّابق للنّبر الأوّلي مباشرة إذا كان هذا السّابق مقطعا طويلا (ص م ص)، نحو: صاقت = صاف (ثانوي) + فات (أولي) / ضالين = ضال (ثانوي) + لين (أولي).

- القاعدة الثانية: يقع النّبر الثّانوي على المقطع الثّاني ممّا يسبق النّبر الأوّلي إذا كان هذا الثّاني متوسّطا (ص ح ص) أو (ص ح ح) والذي بينه وبين النّبر الأوّلي مقطعا قصيرا (ص ح)، نحو: مُستقيم = مُسَد + ت + قيم (ثانوي + 0 / أولي).

أو كان الذي بين النّبر الثّانوي والنّبر الأوّلي مقطعا متوسّطا من النّوع (ص ح ص)، نحو: يَسْتَخْفون = يَسَد + تَخُ + فون (ثانوي + 0 / أولي) =

أو من النّوع: (ص ح ح)، نحو: عاشَرناهُم = عا + شَر + نا + هم (ثانوي + 0 / أولي + هم) =

- القاعدة الثالثة: يقع النّبر الثّانوي على المقطع الثّالث ممّا يسبق النّبر الأوّلي فيما يأتي:

• إذا كان هذا الثّالث قصيرا (صح) وبينه وبين النّبر الأوّلي مقطعان قصيران من نفس النّوع، نحو: كَلِمَتان = ك + ل + م + تان (ثانوي + 0 / 0 + أولي) =

• إذا كان هذا الثّالث متوسّطا (ص ح ص) وبينه وبين النّبر الأوّلي مقطعان قصيران، نحو: مُحْتَرَمان = مُد + ت + ر + مان (ثانوي + 0 / 0 + أولي) =

• إذا كان هذا الثالث قصيرا (ص ح) وبينه وبين النّبر الأوّلي مقطع متوسّط

(ص ص ح)، نحو: يَسْتَقِيمُونَ = يَسُدُّ + تَدُّ + قِي + مُونَ

= (0/0+ثانوي+//0+أولي)

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنه لا يقع النّبر الثّانوي على سابق ممّا سبق ذكره.

يلخّص تمام حسّان الفروق الجوهرية بين النّبر الأوّلي والنّبر الثّانوي فيما يأتي (1):

- النّبر الأوّلي أصلي والثّانوي فرعي.

- النّبر الأوّلي يحسب من آخر الكلمة أو الصّيغة؛ أي يحسب بالتّراجع من نقطة انتهاء الكلمة، أمّا الثّانوي فيحسب بالتّراجع من نقطة وقوع النّبر الأوّلي.

- النّبر الأوّلي أقوى من النّبر الثّانوي الذي يتميّز بالضعف، لأنّ ضغط الحجاب الحاجز على الرّئتين عند إيقاعه أضعف منه عند إيقاع النّبر الأوّلي.

- النّبر الأوّلي مطلب صرفي مسرحه الكلمة المفردة، أمّا النّبر الثّانوي فمطلب إيقاعي يتحقّق في إحدى بيئتين: أولاها إذا طالت بنية الكلمة حتى احتاج النّطق بها إلى إيجاد توازن صوتي بين أجزائها. وثانيها بيئة السّياق الذي تدعو الحاجة فيه إلى الإيقاع بسبب ما يعرض له من إرباك نبر الكلمات بسبب اللّواصق والحروف والأدوات التي تعرض في السّياق.

- أنّ المسافة بين النّبر الأوّلي والنّبر الثّانوي قد تصلح أن تكون بمقدار كلمة عربية نحو: يَسْتَعِينُونَ فالنّبر الأوّلي فيها على المقطع الأخير (نون)، والنّبر الثّانوي على المقطع الأوّل منها (يسدُّ)؛ أي أنّ كمية الحركات والسّكنات الشاغلة لمسافة ما قبل النّبر الأوّلي والممثلة في (يسْتَعِي) هي مقدار كلمة عربية نحو: يَرْتَقِي - يَسْتَقِي. ولكن كون

(1) ينظر: تمام حسّان. البيان في روائع القرآن. ص 185 وما بعدها. خواطر من تأمل لغة القرآن. ص 130.

هذه الكمية جزء من الكلمة وليست كلمة تامة وقع عليها النبر ثانويا في حين أنّ الكلمات التامات المستقلات المساويات لها في الكمية والوزن يقع عليها النبر أوليا.

إنّ المتأمل للكلام المتواصل ليلحظ تشابه المسافات بين نبر وآخر، أو تقارب الشبه بينهما، فقد يكون بين النبرين مقطع واحد أو مقطعان أو ثلاثة على أكثر تقدير دون أن يقع النبر على أحد هذه الثلاثة. وقد يقع النبر على واحد منها وقد يتنوع بين أولي وثانوي، وهذا التشابه والتقارب في المسافة بين كل نبر وما يليه يضيف جرسا موسيقيا تأنس له الأذن وترتاح له النفس وهو ملمح من ملامح الإيقاع الذي تتميز به كلّ لغة عن غيرها. ففي اللغة العربية كلما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها والعكس صحيح؛ فإذا تباينت الكميات بين نبر وآخر ولم تتقارب أحسّ كلّ من المتكلم والسّامع تعثرا في الكلام، أمّا إذا تقاربت الكميات أو انتظم اختلافها حسن إيقاعها. وعلى سبيل التمثيل لا الحصر يسوق تمام حسان أمثلة لذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَيَبْرُقُ يُجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ البقرة 19.

يرى تمام حسان أنّ الإيقاع يحدث من انتظام التوافق بين دفعات النبر أو انتظار أنماط ائتلافها في مجموعات، ويظهر ذلك من خلال تقطيع الآية إلى دفعات نبرية مع وضع علامة (x) على كل موضع نبر (1):

أَوْكَ (x) - صَيْبٍ (x) - مِّنَ السَّ (x) - مَاءٍ (x) - فِيهِ ظُلُّ (x) - مَاتٌ وَ (x) - رَعْدٌ وَ (x) -
بَرْقٌ (x) - يَجْعَ - لُونَ (x) - أَصَا (x) - بَعْهُمُ (x) - فِي آ (x) - ذَانِهِمُ (x) - مِّنَ الصَّ -
وَاعِقِ (x) - حَذَرَ الْ (x) - مَوْتِ (x) - وَالْ لَاهُ مُ (x) - حَيْطٌ (x) - بِالْكَافِ (x) - رِينَ (x).

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 184 وما بعدها. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 128 وما بعدها.

بهذا يكون تمام حسّان وبحق «أول من استنبط قواعد النّبر في اللّغة العربية بشكل منظم ومقتن»⁽¹⁾، وهو بهذا يستحضر آلية التّقييد لتيسير دراسة ظاهرة صوتية مطّردة في اللّغة العربية.

2-4 التّغيم (Intonation):

تجدد الإشارة إلى أنّ «اللّغويين العرب القدماء^(*) عرفوا كثيرا من الظواهر اللّغوية لكنهم لم يصطلحوا عليها مثلما اصطلح عليها الدّرس اللّغوي الحديث، وظهرت على شكل تطبيقات لهم في أثناء ما درسوا، ومن هذه الظواهر التّغيم»⁽²⁾. ويصرّح تمام حسّان بذلك إذ يقول: «التّغيم في اللّغة العربية الفصحى غير مسجّل ولا مدروس»⁽³⁾.

تجدد الإشارة إلى أنّ التّغيم ظاهرة صوتية حاضرة في الدّرس اللّغوي القديم من النّاحية التّطبيقية، غائبة من النّاحية التّنظيرية لغياب تعريف صريح له رغم حضور بعض المصطلحات الدّالة على التّغيم كاللّحن والتّغم.

2-4-1 تعريف التّغيم: يقول تمام حسّان: «إذا سمع أحدنا غيره يتكلم فإنّه

سيلاحظ أنه لا يجعل كلّ أجزاء الجملة من كلامه في طبقة صوتية واحدة وإنّما يرفع صوته بأحد أجزائها إلى طبقة أعلى من الصّوت مع بقية الأجزاء وذلك ما يعرف بالتّغيم،

(1) ديوان أصدقاء المغرب. الدكتور تمام حسّان وأثره في البحث الأكاديمي المغربي. مقال منشور على الرّابط:

fayade@yahoo.de. يوم 2010/03/10م. محرك البحث: Ask

(*) منهم: سيبويه. الكتاب. ج1. ص301 وما بعدها. الفارابي. الموسيقى الكبير. ص109 (تحدث عن اللّحن والتّغم). ابن جني. الخصائص. ج3. ص269.

(2) تحسين عبد الرّضا الوزان. الصوت والمعنى في الدرس اللّغوي عند العرب في ضوء علم اللّغة الحديث. ط1. دار دجلة، الأردن. 2011م. ص402.

(3) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص228.

وبه يرتبط معنى الجملة إثباتاً أو استفهاماً أو غير ذلك»⁽¹⁾ وبهذا «يمكن تعريف التنغيم بأنه ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام»⁽²⁾.

2-4-2 أقسام التنغيم العربي: يقسم نظام تنغيم الفصحى من وجهتي نظر

مختلفتين هما⁽³⁾:

أ- **الوجهة الأولى:** ينقسم التنغيم حسب شكل النغمة المنبورة الأخيرة في المجموعة

الكلامية إلى لحنين:

الأول: ينتهي بنغمة هابطة على آخر مقطع منبور، ورمزها: ♣ . ويكون اللحن

الأول في: الإثبات والنفي والشروط والدعاء والتقرير والطلب والاستفهام غير المبدوء بهل أو همزة.

الثاني: ينتهي بنغمة صاعدة على آخر مقطع منبور، ورمزها: ♠ . كما قد ينتهي

بنغمة ثابتة أو مسطحة على آخر مقطع منبور، ورمزها _ أو غير منبور، ورمزها • . ويكون الثاني في الاستفهام المبدوء بهل أو الهمزة، وفي المجموعة الكلامية التي لم يتم بها المعنى كالاكتفاء بفعل الشرط عن جوابه.

ب- **الوجهة الثانية:** ينقسم التنغيم حسب المدى بين أعلى نغمة وأخفضها في

الصوت سعة وضيقاً إلى ثلاثة أقسام:

الأول: المدى الإيجابي أو الواسع.

الثاني: المدى النسبي أو المتوسط.

الثالث: المدى السلبي أو الضيق.

(1) تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 126.

(2) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 198.

(3) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 199 وما بعدها. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 229.

يؤكد تمام حسّان أنّ مجموع هذه التقسيمات يقع في ستّة نماذج تنغيمية مختلفة، هي كلّ ما في اللّغة العربية من نماذج التّغيم، تضبطها موازين تنغيمية ستّة هي (1):

✓ الإيجابي أو الواسع الهابط: ويستعمل في تأكيد الإثبات كقولك في جواب من أنكر نحو: أنت فعلت هذا؟ وفي تأكيد الاستفهام بكل أدواته ما عدا الهمزة وهل، نحو: أين كنت؟

✓ الإيجابي أو الواسع الصاعد: ويستعمل في تأكيد الاستفهام بهل أو الهمزة نحو: هل جيئت؟

✓ النسبي أو المتوسّط الهابط: ويستعمل للإثبات غير المؤكد، نحو: لقد قابلت أخاك على دراجته.

✓ النسبي أو المتوسّط الصاعد: ويستعمل في الاستفهام بغير أداة، نحو: أنت مجنون؟

✓ السّلبّي أو الضيق الهابط: ويستعمل في تعبيرات الأسف والتحسر والتّسليم بالأمر، نحو: لا حول ولا قوة إلّا بالله.

✓ السّلبّي أو الضيق الصاعد: ويستعمل في عبارات العتاب والتّمني نحو: ليت الشباب يعود يوماً.

يشير تمام حسّان إلى أنّ الاصطلاحات (إيجابي) و(نسبي) و(سلبّي) هي بطاقات لمدلولاتها العلمية التي لا تتطابق كثيراً مع المعنى المعجمي العام؛ إذ يستعمل المدى الإيجابي بعلوه الصّوتي في الكلام الذي تصحبه عاطفة مثيرة، ممّا يأتي إلى إثارة أقوى للأوتار الصّوتية بإخراج كمّية أكبر من الهواء الزّفيرى، باستعمال نشاط أشدّ من حركة الحجاب الحاجز. وأمّا المدى النسبي فيستعمل في الكلام غير العاطفي، ويكون بين أعلى وأخفض نغمة كلامية في المحادثة، لأنّه ليس هناك سعة مطلقة ولا ضيق مطلق

(1) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 199 وما بعدها.

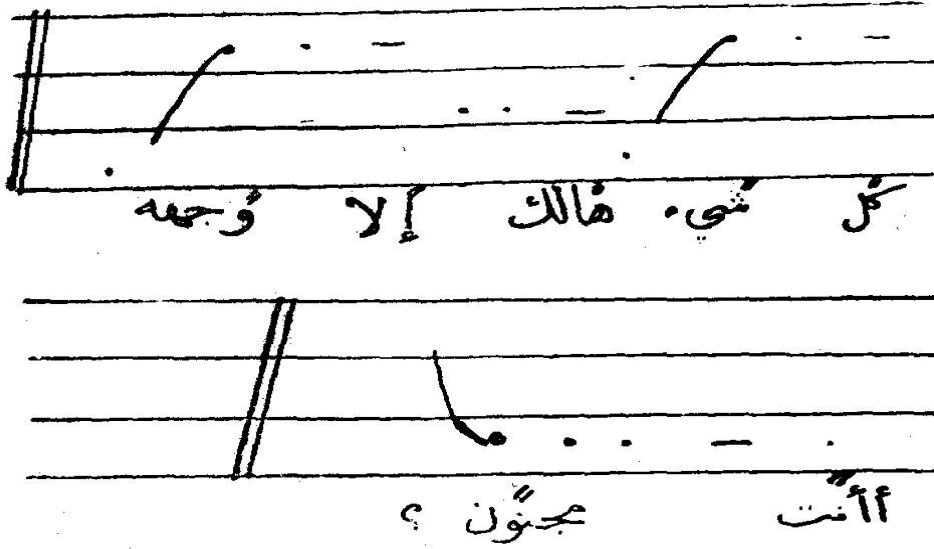
بل كلّ شيء في هذا المجال نسبي. وأمّا المدى السلبي بانخفاضه الصوتي فيستعمل في الكلام الذي تصحبه عاطفة تهبط بالنشاط الجسمي العام كالحزن مثلاً.

بآلية التّقابل المصطلحي يفرّق تمام حسان بين النّغمة واللّحن، فيرى أنّ النّغمة صاعدة كانت أم هابطة أم ثابتة هي تنعيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية، في حين أنّ اللّحن هو مجموعة النّغمات المرتّبة في المجموعة الكلامية مع نظرة خاصة إلى النّغمة المنبورة الأخيرة من هذا التّرتيب. ولتوضيح ذلك يشير تمام حسّان إلى أنّ التنعيم يكتب كما تكتب الموسيقى على خطوط أفقية، ولأنّ المدى يتنوّع بين الإيجابي والنّسبي والسلبي كانت الخطوط الأربعة تحصر بينها مسافات ثلاث، سفلها لكتابة المدى السلبي الضيق، وهي وما فوقها لكتابة المدى النّسبي المتوسّط، والثلاث جميعاً لكتابة المدى الإيجابي الواسع⁽¹⁾.

يشير تمام حسان إلى أنّ ترقيم التنعيم هو كترقيم الكتابة، تحمل العلامة فيه من الكتابة محلّ الشّهيق لاسترجاع النّفس من الكلام، وكلّما جاءت سكتة وجب وجود علامة ترقيمية. وفي التّرقيم علامتان ترقيمتان هما: خط رأسي واحد للدلالة على وقفة دون تمام الكلام وخطّان رأسيان للدلالة على تمامه. ويمثّل تمام حسّان لما سبق بما يأتي⁽²⁾:

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 200.

(2) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 201.



2-4-3 وظائف التنغيم: يلخصها تمام حسان فيما يأتي (1):

أ- الوظيفة النحوية: يساعد التنغيم على تحديد نوع الأسلوب في الجملة من إثبات أو نفي أو تعجب أو استفهام تغيب فيه الأداة وغير ذلك. كأن تقول لمن يكلمك ولا تراه (أنت محمد) مقرراً ذلك أو مستفهماً عنه؛ إذ تختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام، ولكن كل شيء فيها عدا التنغيم يبقى في المثال على ما هو عليه سواء ترتيب الكلمات في الجملة أو البناء وحركته في الكلمة الأولى أو الإعراب وحركته في الكلمة الثانوية، والنبر الثانوي على الهمزة، والأولي على الحاء. فكل ذلك لا يصلح أساساً للتفريق بين الإثبات والاستفهام ولكن التنغيم هو أساس الخلاف الوحيد بينهما.

ب- الوظيفة الأصواتية: وهي النسق الأصواتي الذي يستنبط منه التنغيم، أي طريقة رفع الصوت وخفضه.

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 198.

ج- الوظيفة الدلالية: وتظهر إلى جانب علوّ الصوت وانخفاضه في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع في النموذج التنغيمي الذي يقوم من الأمثلة المنطوقة مقام الميزان الصّرفي من أمثلته في العربية.

د- الوظيفة الترقيمية: يرى تمام حسّان أنّ «التنغيم في الكلام يقوم بوظيفة التّرقيم في الكتابة غير أنّ التنغيم أوضح من التّرقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة. وربّما كان ذلك لأنّ ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما يستعمله التّرقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشّرطة وعلامة الاستفهام»⁽¹⁾، هذه الأخيرة التي يمكن أن تغيب تماما في الكلام المكتوب، إلّا أنّ التنغيم يبقى حاضرا في هذا الكلام منطوقا.

يختم تمام حسّان حديثه عن التنغيم بقوله: «وكم أجد في نفسي أمنية حارة أن ينظّم المجمع اللّغوي دراسات للتنغيم تنتهي بخلق مستوى صوابي موحد للقراءة والإلقاء في البلاد العربية كلّها، حتى لا تكون العربية الفصحى خاضعة في كلّ إقليم للعادات النطقية العامية، وحتى لا يجد العربي غرابة في إلقاء أخيه العربي، فيكون أقدر على فهمه»⁽²⁾. وهي دعوة طيبة تصبو إلى الارتقاء بموازين التنغيم في اللّغة العربية الفصحى عن غيرها من اللّهجات العامة. وهذه دعوة لمواصلة مسيرة البحث في ظواهر صوتية كان لتتمام حسّان قصب السبق في الاهتمام بها بشهادة أغلب الدّارسين، على سبيل التّمثيل لا الحصر ما قاله محمد صلاح الدّين الشّريف: «للنّبر والتنغيم عند تمام حسّان قيمة لا نجدها عند غيره من العرب إلّا قليلا»⁽³⁾.

(1) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 226.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 204.

(3) محمد صلاح الدّين الشّريف. النّظام اللّغوي بين الشّكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسّان "اللّغة العربية معناها ومبناها". ص 201.

الفصل الثّاني:

جهود تمام حسان وآليات تيسيره للدرس الصّرفي

بعد تسليط الضّوء على معطيات الدّرس الصّوتي عند تمام حسّان الذي يرى أنّ الصّوتيات قد انتفعت بتركة الأصوات، سيطرق باب الصّرف الذي بدوره ينتفع بتركة الصّوتيات في مجال المباني الأولى لعلم الصّرف، الأمر الذي فطن إليه النّحاة العرب؛ إذ رأوا أنّ اللّغة العربية لا يمكن أن يفهم نحوها وصرّفها فهما صحيحا إلاّ بعد دراسة أصواتها(1).

يشيد تمام حسان بفضل النّحاة القدامى في دراسة الصّرف «التي عنوا فيها بالأصول والزوائد وبيان المشتق والجامد وتحديد أشكال الصّيغ من إعلال أو إبدال أو قلب أو حذف. وهذه الشّعبة من دراسة اللّغة وإجادة القول فيها أفردت الصّرفيين العرب بمكان لا يُدانيه أيّ مكان آخر في عالم اللّغويين قديما أو حديثا، ولا يزال كشفهم عن النّظام الصّرفي العربي موضع الإعجاب والاحترام، وسيظلّ دائما كذلك في نظر اللّغويين في مختلف أنحاء العالم»(2).

ورغم إشادة تمام حسّان بجهود القدامى المحمودّة في الدّرس الصّرفي إلاّ أنّه «لم ينظر إلى معطياته الموروثة على أنّها مسلّمات ثابتة، بل إنّها ستظلّ بحاجة إلى مراجعة وإعادة نظر حتّى تستطيع أن تواكب الجديد، وإلاّ تحوّلت إلى متن جامد يشلّ حركة التّفكير»(3). ولهذا تعدّدت آليات تيسيره للدرس الصّرفي وتنوّعت بين النّقد والنّقض والتّجديد. ويظهر ذلك فيما سيأتي من الحديث عن أهمّ محاور الدّراسة الصّرفية التي نعتها تمام حسّان بمنهج الصّرف(*) أو البنية، أو ما يطلق عليه الأوربيون (Morphology). ويرى أنّ طبيعة هذه الدّراسة أن تتناول النّاحية الشّكلية التّركيبية،

(1) يُنظر: تمام حسّان. الفكر اللّغوي الجديد. ص30. اللّغة بين المعيارية و الوصفية. ص168.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص15.

(3) حيدر محمد جبر. التّفكير المورفولوجي عند تمام حسّان. مجلّة كلىة الآداب. جامعة بغداد. ع102. ص139.

(*) يُطلق تمام حسّان في مناهج البحث في اللّغة مصطلح مناهج، وفي اللّغة العربية معناها ومبناها مصطلح أنظمة، ويقصد بهما ما اصطلح عليه علماء اللّغة المحدثون مستويات (Levels).

والموازن الصرفية وعلاقتها التصريفية من ناحية والاشتقاقية من ناحية أخرى. ثم تتناول ما يتصل بها من ملحقات صرفية سواء كانت صدورا أم أحشاء أم أعجازا(1).

إنّ المتصفح لمؤلفات تمام حسان يلفي المباحث الصرفية متناثرة بين ثناياها خاصة «كتاب اللغة العربية معناها ومبناها [الذي] يتكفل بتصوّر متكامل للنظام الصرفي في العربية»(2).

أولا- دعائم النظام الصرفي عند تمام حسان:

يرى تمام حسان أنّ النظام الصرفي للغة العربية الفصحى ينبني على ثلاث دعائم هامة هي(3):

- 1- مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم (أي مباني التقسيم كالاسمية والفعلية) وبعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.
- 2- طائفة من المباني التصريفية بعضها صيغ مجردة وبعضها لواصق وبعضها زوائد؛ أي الملحقات المورفيمية التي تسبق الأحشاء أو تلحقها، وبعضها الآخر مباني أدوات.
- 3- طائفة من العلاقات العضوية، التي قد تكون إيجابية؛ أي وجوه الارتباط بين المباني، وقد تكون قيما خلافية؛ أي وجوه الاختلاف والتقابل بين هذه المباني.

إنّ المباني الصرفية (Morphemes) تعبّر عن المعاني الصرفية الوظيفية. وإنّ هذه المباني نفسها أبواب تتدرج تحتها علامات تتحقّق المباني بواسطتها لتدلّ بدورها على المعاني. فالمعاني الصرفية والمباني من نظام اللغة أمّا العلامات المنطوقة أو

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص204.

(2) محمد عبد العزيز عبد الدايم الرفاعي. قراءة النظرية اللسانية في التراث العربي بين المنظورين العربي والغربي (مراجعة وتعليق وتحليل). الرابط: <http://www.alarabiah.org>. محرك البحث: Google.

(3) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص82 وما بعدها.

المكتوبة فهي من الكلام. ويمثّل تمام حسّان في جدول توضيحي للصّلة بين المعاني والعلامات المنطوقة كالآتي:

| المعنى | المبنى | العلامة |
|---------|-----------------------------------|--------------------------------|
| الاسمية | صيغة الاسم | زيد (مثلا) |
| الفعلية | صيغة الفعل (فعل يفعل افعل مثلا) | ضرب-يضرب اضرب (مثلا) |
| الإضمار | الضمير على إطلاقه (هو أو هي مثلا) | هو-هي بخصوصهما (مثلا) |
| التعريف | أل (المعرفة) على إطلاقها | (أل) كتاب (مثلا) |
| التأنيث | النّاء (المؤنّثة) | فاطمة (مثلا) |
| التثنية | الألف والنون (المتّى) | الزيد (ان) (مثلا) |
| التكلم | ضمير المتكلم على إطلاقه | (أنا) أخذتُ (كتابي) (مثلا) |
| الغيبة | ضمير الغائب على إطلاقه | ضرب (ه) (هو) في بيت (ه) (مثلا) |

يشير تمام حسّان إلى أنّ مباني التصريف هي المسرح الأكبر للقيم الخلافية بين الصّيغ المختلفة التي تعدّ فروعاً على مباني التقسيم، ويظهر ذلك فيما يأتي (1):

I - مباني التقسيم: وهي في نظر تمام حسّان حجر الزاوية في النظام الصّرفي للغة العربية الفصحى، لأنّها من المعاني الصّرفية التي ينقسم الكلام على أساسها إلى سبعة أقسام. ومباني التقسيم هي: الاسم ومعناه الاسمية، الصّفة ومعناها الوصفية، الفعل ومعناه الفعلية، الضمير ومعناه الإضمار، الخالفة ومعناها الإفصاح، الظرف ومعناه الظرفية، الأداة ومعناها معنى التعليق بها. وتتفرّع هذه الأخيرة إلى صيغ وصور مطلقة، إلا أنّ المباني الصّرفية تقتصر على الثلاثة الأولى منها فقط، لكونها مبان لها صيغ صرفية وترجع إلى أصول اشتقاقية؛ فكلّ من الاسم والصّفة والفعل مبان على الترتيب للاسمية والوصفية والفعلية. على نقيض الضمير والخالفة والظرف والأداة فمبانيها صور مجردة لا صيغ لها، ولا ترجع إلى أصول اشتقاقية. وبآلية التمثيل يوضّح تمام حسّان أنّ

(1) ينظر: تمام حسّان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 86 وص 133 وما بعدها.

المبنى الأكبر (ضمير المفرد المذكر الغائب) هو وصف لمبنى مجرد يصدق من ذلك الضمير في حالاته الرفع أو النصب أو الجرّ، وفي الانفصال أو الاتصال أو الاستتار. وكلّ حالة من هذه الحالات السّت تعدّ فروعاً من المبنى الأكبر. وتتحقّق بعلامة مختلفة عمّا تتحقّق به الأخرى، كما أنّ العلامة لا توجد في النّص المنطوق أو المكتوب. وعليه فما قيل عن المثال سالف الذّكر أي الضمير يقال عن الخالفة والظرف والأداة؛ فمباني هذه الأقسام الأربعة غير اشتقاقية لا صيغ لها ولا توليد فيها «ولكنّها تدخل ضمن نطاق الصّرف لأنّها تدلّ على معانٍ وظيفية صرفية عامّة. وهنا موضع الاختلاف بين القدامى والدّكتور تمام؛ فالأقدمون يستبعدون من الصّرف كلّ ما لم يُعلم اشتقاقه كالحروف (الأدوات) والضمائر، في حين أنّها عند أستاذنا تندرج تحت مظلة الصّرف»⁽¹⁾.

II - مباني التصريف: يلخصها تمام حسان في: المتكلم ومعناه التّكلم،

والمخاطب ومعناه الخطاب، والإضمار للإشارة ومعناه الإشارة، والغائب ومعناه الغيبة، والموصول ومعناه الوصل، والمفرد ومعناه الإفراد، والمثنى ومعناه التثنية، والمجموع ومعناه الجمع، والمذكر ومعناه التذكير، والمؤنث ومعناه التأنيث، والمعرف ومعناه التعريف، والنكرة ومعناه التّكثير. ويرى أنّ مباني التصريف تنفّرع إلى لواصق وزوائد كالضمائر المتصلة وعلامات التثنية والجمع والتأنيث والتعريف وغيرها؛ أي أنّ مباني التصريف تتمثّل في صور التعبير عن المعاني التصريفية الآتية:

أ - الشّخص: والمقصود به التّكلم والخطاب والغيبة.

ب - العدد: والمقصود به الإفراد والتثنية والجمع.

ت - النّوع: والمقصود به التذكير والتأنيث.

ث - التّعيين: والمقصود به التعريف والتّكثير.

(1) عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر (1932-1985). ط1. دار الكتاب الجديد المتّحدة. بيروت لبنان. 2013. ص 177.

يعبر تمام حسان عن جملة هذه المعاني بواسطة الملحقات المورفيمية المتمثلة في الصدور وهي السوابق والأحشاء وهي الدواخل، والأعجاز وهي اللواحق. ويعبر عن التكلم والخطاب والغيبة في الفعل الماضي بضمائر المتكلم أو المخاطب أو الغائب. وفي الفعل المضارع بحروف المضارعة (أنيت)، وليس في صيغة الأمر إلا المخاطب. أما مورفيم الأفراد أو التثنية أو الجمع والتأنيث أو التذكير والتعريف أو التنكير فهي مباني شكلية للتعبير عن معاني تصريفية.

III- العلاقات العضوية بين مباني التقسيم ومعانيه ومباني التصريف

ومعانيه: وتعد العلاقات العضوية مركز النظام الصرفي، وهي على نوعين: إيجابية تُمثّلها وجوه التشابه بين المباني، وسلبية تُمثّلها المقابلات أو القيم الخلفية؛ أي وجوه الاختلاف بين المبنى والآخر والمعنى والآخر كالتقابل بين: التعريف والتنكير، والتأنيث والتذكير، والأفراد والجمع، والتجرد والزيادة، والاسم والفعل، وعلى هذا الأساس تفترق الصيغ. وللتوضيح أكثر وبآلية الجدولة يلخص تمام حسان ما سبق فيما يأتي (1):

| العلامة | التقسيم | | التصريف | |
|---------|-------------------|------------------|--------------------------|--------------------------|
| | المعنى | المبنى | المعنى | المبنى |
| ضرب | الفعلية والمضي | صيغة فعل | الإسناد للغائب | الاستنار |
| يضرب | الفعلية والمضارعة | صيغة يفعل | الإسناد للغائب | الاستنار |
| اضرب | الفعلية والأمرية | صيغة أفعل | الإسناد للمخاطب | الاستنار |
| هو | الإضمار | صورة الضمير | التذكير والأفراد والغيبة | صورة ضمير الرفع |
| هي | الإضمار | صورة الضمير | التأنيث والأفراد والغيبة | صورة ضمير الرفع |
| الكتاب | الاسمية | الاسم (فعال) | التعريف | أل على إطلاقها |
| فاطمة | الاسمية (العلمية) | صيغة فاعل | التأنيث | التاء على إطلاقها |
| الزيدان | الاسمية | الاسم (صيغة فعل) | التعريف والتثنية | أل والألف والنون |
| أنا | الإضمار | صورة الضمير | التكلم والأفراد | صورة ضمير المتكلم المفرد |
| أخذت | الفعلية والمضي | صيغة فعل | الإسناد للمتكلم | تاء المتكلم |

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 84-85.

| | | | | |
|-------|----------------|---------------------|--------------------------|--------------------|
| كتابي | الاسمية | الاسم (فعال) | التكلم | ياء المتكلم |
| ضربهُ | الفعلية والمضي | صيغة فَعَلَ | الغيبة والإفراد والتذكير | ضمير الغائب المتصل |
| في | الظرفية | صورة الحرف (في) | لا تتصرف | _____ |
| بيته | الاسمية | الاسم (صيغة فَعَلَ) | الغيبة والإفراد والتذكير | ضمير الغائب المتصل |

لخص تمام حسان في الجدولين السابقين العلاقة بين معاني التقسيم ومبانيه وبين معاني التصريف ومبانيه، إذ تكمن العلاقة بين معاني التقسيم ومباني التصريف في أنّ التكلم والخطاب والغيبة تولد القيم الخلافية بين الضمائر والأفعال، فتكون أساس اختلاف صور هذه وإسناد تلك، ولا تفعل ذلك بين الصفات ولا الخوالب ولا الظروف ولا الأدوات ولا الأسماء؛ لأنّ الظاهر دائماً في قوّة ضمير الغائب. ثمّ إنّ الإفراد والتثنية والجمع تولد القيم الخلافية بين صيغ الأسماء والصفات وصور الضمائر، ولا تتصل بالأفعال إلاّ لمعنى المطابقة للاسم أو الضمير. وأمّا التعريف والتذكير فيولدان القيم الخلافية بين الأسماء، وقد يولدانها بين الصفات دون البواقي.

يشير تمام حسان إلى أنّ النظام الصرفي للغة العربية الفصحى يمكن أن يوضح في صورة جدول بُعد الرأسي مباني التقسيم - سالفة الذكر - وبُعد الأفقي مباني التصريف - سالفة الذكر أيضاً - وهو بذلك كما تشير فاطمة بكوش «قد استطاع أن يُدخل بعداً آخر غير البعد الخطّي على الدّراسة الصرفية، هو البعد الاستبدالي أو البراديجماتي أو كما سمّاه البعد الرأسي... ويبدو د. تمام حسان هنا معتمداً على ثنائية دوسوسير (النّظمي/الاستبدالي Syntagmatic/Paradigmatic)، لاسيما أنّه يفرّق بين الدّراستين بقوله إنّ الفكرة الرأسية (الاستبدالية) تبنى على الخلافات الشكلية في المادة الواحدة؛ أي اختلاف الصّيغة في مقابل الفكرة الأفقية (النّظمية) التي تبنى على العلاقات بين الأبواب النّحوية في السّياق. وسنحاول في أدناه رسم إحداثية مباني التصريف ومباني التقسيم على وفق تصوّر د. تمام حسان لاتّجاه الدّراسة الصرفية⁽¹⁾:

(1) فاطمة الهاشمي بكوش. نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 130-131.

مباني التّقسيم(*)

| | | |
|---------|-----------------------|---------|
| | الاسم | |
| | الفعل | |
| | الضمير | |
| | مباني التّصريف | |
| المتكّم | المخاطب | الإضمار |
| الإشارة | | |
| | الغائب | الموصول |
| | الواصل | المفرد |
| | | |
| | الخالفة | |
| | الظرف | |
| | الأداة | |

ثانيا - ماهية المورفيم Morpheme:

هو اصطلاح هام في الدّرس الصّرفي كما يرى تمام حسّان، ويسمّيه الوحدة الصّرفية. ويشير إلى أنّ الكثير من الباحثين في اللّغة يغمض عليهم المراد بهذا المصطلح إلى درجة الخلط في تفسيره وتطبيقه خلطا كبيرا. ومن القلّة التي فقّهت المعنى التّقليدي لمصطلح المورفيم يذكر تمام حسّان فنديريس (Vendryes)، الذي يرى أنّ المورفيمات عناصر صرفية تربط بين الأفكار التي يتكوّن منها المعنى العام للجملّة، وهذه الأفكار واضحة في السيمانتيّيمات (Semantemes) أو نواة المعنى المعجمي. والسيمانتيّيم هو عنصر لغوي يعبّر عن الفكرة التي في الدّهن نحو: الحصان يجري؛ فسيمانتيّيم الحصان فكرة، وسيمانتيّيم الجري فكرة أخرى، والمورفيم هو العنصر الذي يعبّر عن العلاقة الكامنة

(*) سقطت الصّفة من مباني التّقسيم.

بين هاتين الفكرتين، ففكرة الجري مرتبطة عموماً بالحصان. وبهذا يكون المورفيم في عمومه عنصراً أصواتياً(*) يدلّ على العلاقات بين الأفكار في الجملة(1).

اعتقد تمام حسّان بأنّ فندريس ممّن وضّحوا المعنى التقليدي للمورفيم فاستند عليه، إلا أنّ حلمي خليل رأى أنّه من الغريب أن يعتمد تمام حسّان في تعريفه للمورفيم على فندريس لا على بلومفيلد. الأمر الذي جعل تحديده لهذا المصطلح غير واضح؛ فقد اعتمد تعريف فندريس للمورفيم على أنّه عناصر صرفية تربط الأفكار التي يتكوّن منها المعنى العام للجملة، وهذه الأفكار واضحة في السيمانتيمات، وشرح تمام حسّان تعريف المورفيم بأنّه العنصر المعبر عن الفكرة التي في الدّهن، ومثّل لذلك بجملة: الحصان يجري؛ فرأى أن السيمانتيم في هذه الصّورة عنصر لغوي يعبر عن الفكرة التي في الدّهن كفكرتي الحصان والجري، وأنّ المورفيمات تعبر عن العلاقات بين هذه السيمانتيمات. وبناء على ذلك حدّد مصطلح المورفيم على أنّه عنصر صوتي أو مقطع أو عدّة مقاطع تدلّ على العلاقات بين الأفكار في الجملة. وهذا التعريف - على حدّ قول حلمي خليل - ليس إلاّ نوعاً واحداً من أنواع المورفيمات(2).

بآلية التّقابل المصطلحي يميّز تمام حسّان بين ثلاثة اصطلاحات يتّصل بعضها ببعض هي: الباب، المورفيم والعلامة؛ فيرى أنّ الباب وسيلة تقسيمية يعبر عنه مورفيم معيّن. والمورفيم وحدة صرفية في نظام المورفيمات متكاملة الوظيفة، وكلّ نظام مورفيمي له علاقة بنظام الأبواب. أمّا العلامة فهي العنصر الذي يعبر عن المورفيم تعبيراً شكلياً وتوجد في النّطق. والعلاقة بين العلامة والمورفيم أشبه ما تكون بعلاقة الصّوت بالحرف.

(*) صوت أو مقطع أو عدّة مقاطع.

(1) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 204-205.

(2) ينظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص 204.

ويمثل تمام حسان للترابط بين هذه الاصطلاحات الثلاثة بباب الفاعل الذي يعبر عنه مورفيم خاص هو الاسم المرفوع وعلامته الضمة في محمد مثلا⁽¹⁾.

إن اعتماد تمام حسان على آلية التقابل المصطلحي بين الباب والمورفيم والعلامة يهدف إلى تيسير المفاهيم التي يركز عليها الدرس الصرفي من المنظور المعاصر، إلا أن هناك من يرى أن حدود مصطلح الباب لا يقتصر على مستوى دون آخر من مستويات البحث اللغوي؛ إذ يقول حيدر محمد جبر: «لا أرى مسوغاً لجعله مفهوماً يقابل المصطلحين الأنفي الذكر»⁽²⁾. وعليه يمكن الرد على حيدر محمد جبر بأن مسوغ التقابل المصطلحي الذي أقامه تمام حسان بين الباب والمورفيم والعلامة قوي؛ ذلك أن «التاء في ضربت علامة تدلّ على مورفيم الفاعلية الذي يدلّ على باب الفاعل في النحو»⁽³⁾. أكد تمام حسان أن هذه الاصطلاحات يتصل بعضها ببعض، وتنبّه إلى احتمال أن تثير هذه الفكرة نقاشاً إذ قال: «ولقائل أن يقول إنّنا لم نسمع عن ما تسميه مورفيم الفاعلية في دراسة الصرف، ولكننا سمعنا عن باب الفاعل في النحو. والجواب على ذلك أن نمثّل بوجهي عملة النقد، وبصفحتي الورقة، حيث تتعدّد جهات الشيء الواحد، فالفاعل ذو وجهين: وجه صرفي تدلّ عليه العلامة، ويمكن وصفه بأنه شكلي وهذا هو المورفيم، ووجه نحوي تدلّ عليه الوحدة الصرفية التي هي المورفيم، ويوصف بأنه وجه تقسيمي يبنّي على العلاقات في السياق وهو الباب. فالفاعل إذاً مورفيم باعتبار، وباب باعتبار آخر. وليس هناك تناقض إذاً بين التسميتين الصرفية والنحوية»⁽⁴⁾.

يشير حلمي خليل إلى أن كلّ ما ذكره تمام حسان من التقسيمات سألقة الذكر، تتدرج تحت مفهوم المورفيم؛ «فالمورفيم إمّا أن يكون مورفيماً حرّاً (Free Morpheme) مثل: كتاب وقلم وأنا وهو، أو مورفيماً مقيداً (Bound Morpheme) وهو عنصر لغوي

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 206-207.

(2) حيدر محمد جبر. التفكير المورفولوجي عند تمام حسان. ص 139.

(3) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 224.

(4) تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 224.

لا يستخدم منفرداً، وإنما يستخدم عادة مع مورفيم حرّ مثل ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المضارعة وتاء التأنيث وغيرها. أو مورفيماً صفرياً (Zero Morpheme) وهو مورفيم يدلّ عدم وجوده على وجود مورفيم محذوف أو مستتر أو مقدّر مثل الضمائر المستترة والصيغ في المشتقات والإسناد في الجملة»⁽¹⁾.

يوضّح حلمي خليل ما سبق ذكره مؤكّداً «أنّ مباني النّقسيم ومعاني النّصريف التي استخدمها الدكتور تمام لا تكاد تخرج عن واحد من المورفيمات السابقة، كلّها أو بعضها، مثال ذلك:

في الفعل: ضرب، يمكن تحليله مورفولوجياً على النحو الآتي:

- 1- مورفيم حرّ يتمثّل في الجذر ضَ رَ بَ.
- 2- مورفيم صفرى يتمثّل في الصيغة (فَعَلَ) التي تدلّ على المعنى والفعلية.
- 3- مورفيم صفرى آخر هو الضمير المستتر، ويدلّ على الإسناد للغائب.
- 4- مورفيم مقيد يتمثّل في حركة الفتح التي تدلّ على البناء.

وفي الاسم: الكتاب، يمكن تحليله على النحو الآتي:

- 1- مورفيم مقيد يتمثّل في الألف واللام التي تدلّ على التعريف.
- 2- كتاب مجردة من التعريف، مورفيم آخر.
- 3- مورفيم صفرى يتمثّل في صيغة فِعال التي تدلّ على الاسمية.

وفي الضمير: هو

- 1- مورفيم حرّ يدلّ على الانفصال والتذكير والإفراد والغيبة.
- 2- مورفيم صفرى يتمثّل في علاقة البناء.
- 3- مورفيم صفرى يتمثّل في حالة الإعراب، أي الرفع.

وفي الحرف: في، وهو مورفيم حرّ يدلّ على الظرفية، وصفرى يدلّ على البناء»⁽²⁾.

(1) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص232.

(2) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص233-234.

ثالثاً - أقسام الكلم:

يرى تمام حسان أنّ «من أهمّ ما يلفت الانتباه في نظام الصّرف هو أقسام الكلم، وهي أهم ما يُقدّمه الصّرف للنحو، ويُقدّم النظام الصّرفي عدداً من الرّؤى والدراسات التي يسخرها لإيضاح التّقلّبات التي تخضع لها هذه الأقسام من حيث أصل الوضع ومن حيث أصل الاشتقاق ومن حيث معاني الصّيغ المجرّدة. ومعظم الوسائل المستعملة في كلّ ذلك مأخوذ ممّا قدّمه نظام الصّوتيات لنظام الصّرف»⁽¹⁾.

إنّ أقسام الكلم من المباحث التي لم ينظر إليها تمام حسان على أنّها من المسلّمات الثّابتة، فاعتمد آلية نقد القديم إلى جانب آلية التجديد المنهجي فيه، إذ يقول: «ولقد قسم النّحاة القدماء الكلمات على أسس لم يذكرها لنا. وإنّما جابهونا بنتيجة هذا التّقسيم إلى اسم وفعل وحرف؛ ولكننا إذا نظرنا إلى هذا التّقسيم في ضوء الدّراسات اللّغوية الحديثة أمكننا أن نصل إلى شيئين: أنّ الكلمات العربية يمكن أن ينقد تقسيمها القديم... [و] أن هذا التّقسيم يبني على أسس (*) يمكن استخدامها في تقسيم الكلمات تقسيماً جديداً»⁽²⁾.

بآلية نقض التّقسيم الثّلاثي القديم للكلم: اسم، فعل وحرف، ذهب تمام حسان في كتابه: مناهج البحث في اللّغة مذهب إبراهيم أنيس بأنّ أقسام الكلام العربي أربعة هي: الاسم، الفعل، الضمير، والأداة⁽³⁾. ثمّ أعاد النّظر في هذا التّقسيم الرّباعي ليحمله سباعياً في كتابه: اللّغة العربية معناها ومبناها، وهذه الأقسام السّبعة هي: الاسم، الصّفة، الفعل، الضمير، الخالفة، الظرف والأداة. ويشير أيضاً إلى بعض مواطن الضّعف في التّقسيم الذي ارتضاه النّحاة من قبل، فرأى أنّ التّفريق على أساس من المبني فقط أو المعنى

(1) تمام حسان. الفكر اللّغوي الجديد. ص 30-31.

(*) أورد تمام حسان أسساً بنى عليها التّقسيم الجديد هي: 1- الشّكل الإملائي المكتوب. 2- التّوزيع الصّرفي.

3- الأسس السّياقية. 4- المعنى الأعمّ أو معنى الوظيفة. 5- الوظيفة الاجتماعية. للاستزادة ينظر: تمام

حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 230.

(2) تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 230.

(3) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 237.

فقط ليس هو الطريقة المثلى التي يمكن الاستعانة بها في أمر التمييز بين أقسام الكلم، ولأنّ أمثل الطرق أن يتمّ التفريق على أساس من الاعتبارين مجتمعين؛ فيبنى على طائفة من المباني ومعها جنبا على جنب طائفة من المعاني، فالأولى تمثل الجانب الشكلي، وتشتمل على الأسس الآتية: الصّورة الإعرابية، الرتبة، الصيغة، الجدول، الإلصاق، التّضام، الرّسم الإملائي. وأمّا الثّانية فتمثّل الجانب الوظيفي، وتشتمل على الأسس الآتية: التّسمية، الحدث، الزّمن، التعلّيق، والمعنى الجملي. وفيما يأتي تعريف موجز بهذه الأسس(1):

I - أسس التّقسيم السّباعي من حيث المبنى:

1- الصّورة الإعرابية: وتعني قبول قسم أو أكثر من أقسام الكلم للعلامة الإعرابية من عدمه دون غيره من الأقسام.

2- الرتبة: هي قرينة لفظية تُعين على تحديد المعنى المقصود، كأن تحتلّ واو المعية رتبة الصّدارة والتّقدّم على المفعول معه، و واو الحال على جملة الحال.

3- الصيغة الخاصّة: وتعني أن يمتاز قسم أو أكثر من أقسام الكلام بصيغة أو أكثر من الصيغ الصرفية دون غيره من الأقسام.

4- قابلية الدّخول في الجدول: وتعني إمكانية تصنيف قسم أو أكثر من أقسام الكلم في جدول أو أكثر من الجداول الثّلاث الآتية:

أ- جدول الإلصاق (Morphological Scatter):

وفيه يعرف ما يلحق الكلمة من الصّدور والأحشاء والأعجاز ذات المعنى الصرفي. وبه يُكشف ما تقبله الكلمة وما لا تقبله من اللّواصق.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 230 وما بعدها. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 90 وما بعدها.

ب- جدول التصريف (Conjugation Table):

وهو جدول يحكي قصة العلاقات الاشتقاقية بين الصيغة والصيغة الأخرى من خلال المثال. ويمثّل له تمام حسّان بأن يعتمد إلى الفعل الماضي في مادة ما، فيُنظر فيما إذا كان له مضارع وأمر أولم يكن، نحو كلمة فُلُس فلا يوجد تحت مادتها فعلا ثلاثيا ماضيا ولا مضارعا ولا أمرا ولا صفة فاعل ولا مفعول ولا مبالغة ولا تفضيل لذا فهي اسم وليست صفة على عكس كلمة سهّل.

ج- جدول الإسناد (Predication Table):

ويمثّل له تمام حسّان بأن يعتمد إلى الفعل الماضي أو المضارع أو الأمر فيسنده بحسب الضّمائر، وهذا ما له صلة بمعاني التصريف.

5- الاتّصال باللّواصق من عدمه: وهو أن تتّصل الكلمات بأنواع خاصّة من اللّواصق كأداة التعريف وتاء التّأنيث وغيرها، أو ألاّ تقبل هذه اللّواصق.

6- التّضام وعدمه: والمقصود بالتّضام هنا غير اتّصال اللّواصق بالكلمة، فاتّصال اللّواصق ضمّ جزء كلمة إلى بقية هذه الكلمة. أمّا التّضام فهو أن تطلب إحدى الكلمتين الأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداها تستدعي الأخرى كعلاقة التّضام بين المضاف والمضاف إليه.

7- الرّسم الإملائي أو الشّكل الإملائي المكتوب: وهو أساس مهم من أسس التّفريق بين طائفتين من الكلمات مثلا كأن تكون إحداها في صيغة الجمع (مسلمون) والأخرى في صيغة المفرد (مجنون). وقد لا يُجدي الرّسم الإملائي في مثل التّفريق بين الضّميرين (هُم يَجِدُونَ) و(يَجِدُهُمْ)، فيُحتكم إلى الموقع في السّياق.

II- أسس التّقسيم السّباعي من حيث المعنى:

1- التّسمية: أي أن يدلّ قسم الكلام على مسمّى من عدم ذلك؛ فالاسم يدلّ على

مسمّى على عكس الضّمير الذي لا يدلّ على مسمّى إلاّ بمعونة الاسم.

2- الحدث: وهو أن يدلّ قسم الكلام على الحدث دلالة تضمّنية من عدم ذلك؛ فالفعل يدلّ على الحدث بخلاف الصّفة التي تدلّ على موصوف بالحدث لا على الحدث نفسه.

3- الزّمن: وهو أن يدلّ قسم الكلام على الزّمن دلالة وظيفية صرفية أو ألا يدلّ على ذلك.

4- التّعليق: ويقصد بع العلاقات النّحوية كالإسناد والتّخصيص والنّسبة والتّبعية، وتحت كلّ فروع.

5- المعنى الجملي: وهو أن تحمل الأداة تلخيص أسلوب الجملة إيجابا بوجودها أو سلبا بعدمها حين تقوم القرينة على المعنى المراد مع حذف الأداة، وذلك كالأستغناء عن أداة الاستفهام عند الاتّكال على قرينة النّغمة⁽¹⁾.

وبهذا يكون تمام حسان «أول من ارتضى التّقسيم السّباعي للكلم، وبزّره من حيث المعنى والمبنى»⁽²⁾. وفيما يأتي تفصيل موجز لهذا التّقسيم السّباعي⁽³⁾:

القسم الأوّل: الاسم: ويُقسّمه تمام حسان إلى خمسة أقسام هي⁽⁴⁾:

1- الاسم المعين وهو الذي يسمّي طائفة من المسمّيات الواقعة في نطاق التّجربة كالأعلام والأجسام.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 230 وما بعدها. تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 86 وما بعدها.

(2) عبد الرّحمن العارف. تمام حسان رائدا لغويا (كتاب تنكاري). ص 30.

(3) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 90 وما بعدها. الخلاصة النّحوية. ص 39 وما بعدها.

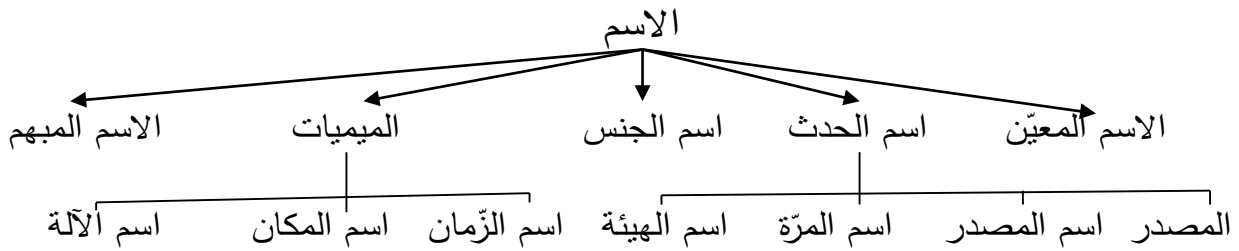
(4) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 90.

2- اسم الحدث ويصدق على المصدر واسم المصدر واسم المرّة واسم الهيئة، وهذه الأسماء الأربعة دالّة على المصدرية، وذات طابع واحد في دلالتها إمّا على الحدث أو عدده أو نوعه، وتدرج تحت عنوان: اسم المعنى.

3- اسم الجنس ويندرج تحته اسم الجنس الجمعي كعرب وترك، واسم الجمع كنساء وإبل.

4- الميميّات وهي مجموعة من الأسماء ذات الصّيغ المشتقة المبدوءة بالميم الرّائدة(*)، وهي: اسم الزّمان واسم المكان واسم الآلة.

5- الاسم المبهّم ويضمّ طائفة الأسماء التي لا تدلّ على معيّن إذ تدلّ على الجهات والأوقات والموازن والمقاييس والأعداد ونحوها. وتحتاج عند إرادة تعيين مقصودها إلى وصف أو إضافة أو تمييز أو غير ذلك من طرق التّضام. فمعناها معجمي لا وظيفي ومسمّاهها غير معيّن، نحو: فوق، قبل، وقت، شبّر، صاع. ويستعين تمام حسان بالية التّشجير ليوضّح علاقة كلّ من الأقسام بالآخر(1):



- سمات الاسم من حيث المبنى والمعنى: للاسم بجميع أقسامه سالفه الذّكر سمات تميّزه عن غيره من أقسام الكلم هي(2):

(*) ليس منها المصدر الميمي رغم ابتدائه بميم زائدة لأنّه إن اقترب من هذه الأسماء الثلاثة صيغة فإنّه يتّفق مع المصدر من جهة دلالاته على ما يدلّ عليه المصدر.

(1) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 91.

(2) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 92-96.

1- من حيث الصّورة الإعرابية: بجرّ الاسم لفظاً ولا تشاركه في ذلك من أقسام الكلم إلاّ الصّفات، على نقيض الأفعال والخوالف والأدوات. أمّا الضّمائر والظّروف فتُجرّ محلاً لا لفظاً لأنّها من المبنيات إلاّ ما شدّ من مثني الإشارة والموصول.

2- من حيث الصّيغة: يمتاز الاسم عمّا سواه من أقسام الكلام بصيغتي المرّة والهيئة وصيغ الزّمان والمكان وأبنية المصادر، كما يمتاز عن الصّفة بأقسامها الخمسة: الفاعل والمفعول والمشبّهة والمبالغة والتّفضيل.

3- من حيث قابلية الدّخول في جدول: يقبل الاسم الدّخول في جدول الإلصاق، ولا يدخل الجدول التّصريفية إلاّ اسم الحدث والميميات.

| جدول إلصاق | جدول تصريف | جدول إسناد |
|---|-----------------------|------------|
| الاسم المعين اسم الجنس الاسم المبهم | اسم الحدث الميميات | |

4- من حيث الرّسم الإملائي: يمتاز الاسم بقبول التّوين إملائياً بالضمّتين في حالة الرّفْع، وبالألف والفتحتين في حالة النّصب، وبالكسرتين في حالة الجرّ.

5- من حيث اتّصاله باللّواحق وعدمه: إنّ الأسماء فيما عدا اسم الحدث والميميات لا تقبل الدّخول في جدول غير الجدول الإلصاقية. فتقبل الأسماء أنواعاً خاصّة من اللّواحق كأداة التّعريف وتاء التّأنيث وعلامتي التّثنية والجمع.

6- من حيث التّضام وعدمه: للأسماء حالات من التّضام لا يشاركها فيها غيرها إلاّ على التّوسّع، كالإضافة المحضة حيث يكون الاسم في مكان المضاف، وهو مكان لا يحلّ فيه الضّمير أبداً. ولا تحلّ فيه الصّفة إلاّ على معنى الإضافة اللفظية، ومن قبيل الكشف عن الاسم بواسطة التّضام افتقار الميميات على التّمييز مثل: وقت العصر.

7- من حيث الدلالة على مسمّى: يمتاز الاسم عن جميع أقسام الكلم الأخرى بدلالته على مسمّى؛ فالاسم المعين مسمّاه المعين، واسم الحدث مسمّاه الحدث، واسم الجنس مسمّاه الجنس، والميميات مسمّاهها زمان الحدث أو مكانه أو آله، والاسم المبهم يدلّ على مسمّى غير معين.

8- من حيث الدلالة على حدث: من أقسام الاسم اسم الحدث، وهو القسم الثاني الذي يضمّ المصادر المختلفة، وهذه الأخيرة تدلّ على الحدث أو عدده أو نوعه.

9- من حيث التعلّيق: من جهة الإسناد يقع الاسم بكلّ أنواعه موقع المسند إليه إلاّ اسم الحدث من المصادر فيقع أحيانا موقع المسند بواسطة إضافة معنى الزّمن إليه. أمّا من جهة التّخصيص فإنّ الأسماء تكون منصوبة على معنى التّعدية أو السببية أو المعية أو الظرفية. أمّا من حيث التّسبية فإنّ الأسماء تُجرّ على هذا المعنى إمّا باقترانها بالحروف الجارّة أو بالإضافة. وأمّا التّبعية فإنّ الأسماء تقع بيانا وبدلا. أمّا من حيث التّعلّيق فالاسم الظاهر يقع عموما موقع ضمير الغائب المتّصل والمنفصل، المرفوع والمنصوب والمجرور، إلاّ في النّداء فالأجود أن يُعدّ واقعا موقع ضمير المخاطب بقريئة نداء المخاطب دون غيره من الضّمائر، مثل: يا أبجر ابن أبجر.

القسم الثاني: الصّفة وهي ما صيغ للدلالة على موصوف بالحدث. ويرى تمام حسّان أنّ مفهومها يختلف عن مفهوم الاسم الذي ارتضاه النّحاة حين قالوا: الاسم ما دلّ على مسمّى. الأمر الذي ضمن استقلاليتها في نظره عن بقية أقسام الكلم، وأدرج تحتها ما يأتي⁽¹⁾:

1- صفة الفاعل: لأنّ اسم الفاعل هو الصّفة الدّالة على فاعل الحدث.

2- صفة المفعول: لأنّ اسم المفعول هو الصّفة الدّالة على الحدث ومفعوله.

(1) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص99.

3- صفة المبالغة: لأن صيغة المبالغة هي الصفة الدالة على فاعل الحدث على سبيل المبالغة.

4- الصفة المشبهة: لأن الصفة المشبهة تدل على فاعل الحدث على سبيل الدوام والتبوت.

5- صفة التفضيل: لأن اسم التفضيل هو ما دل على موصوف بالحدث على أساس تفضيله على غيره ممن يتصف بنفس الحدث.

- سمات الصفة من حيث المبنى والمعنى: يبرر تمام حسان إفراده للصفة بقسم

خاص من أقسام الكلام بما تتميز به عن غيرها من سمات من حيث الشكل والوظيفة(1):

1- من حيث الصورة الإعرابية: تشبه الصفة الاسم في قبول لفظها لحركة الجر إفادة حالة الجر كعلاقة نسبة. وتختلف عنه في قبولها الجزم والإسكان في غير الوقف.

2- من حيث الصيغة: تشبه الصفة الاسم وتختلف عن بقية أقسام الكلم بتمييزها بصيغ خاصة مشتقة من أصولها لتكون أوصافا كآتي:

| | | | | | | |
|--------|-------|-------|-------|-------|-----------|-------|
| الصيغة | فَعَل | فَعِل | فَعُل | فَعِل | فَعُل | فُعَل |
| الاسم | فَلَس | فَرَس | كَبِد | عَضُد | إِبِل | عُنُق |
| الصفة | سَهْل | بَطَل | حَذِر | يَقْظ | إِبِد (*) | جُنُب |

3- من حيث قابلية الدخول في الجدول: تدخل الصفات في الجدول الإصاقي والجدول التصريفي دون الجدول الإسنادي(2):

| | | |
|-----------|------------|------------|
| جدول إصاق | جدول تصريف | جدول إسناد |
| الصفة | _____ة | |

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص100.

(*) أتان إبد أي ولود.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص101.

4- من حيث الإلصاق وعدمه: الصّفة كالاسم من جهة الإلصاق، فكلاهما يقبل الجرّ والتّوئين والتّعريف بأل وبالإضافة إلى ضمائر الجرّ المتّصلة، هذا من ناحية المبنى أمّا من ناحية معنى الإلصاق فيختلفان، ويظهر ذلك في الأساس الآتي⁽¹⁾:

5- من حيث التّضام: تشبه الصّفة الاسم من حيث الإلصاق فكلاهما يقبل التّوئين، إلّا أنّ التّوئين في الأسماء للتّمكين؛ أي الخلو ممّا يمنع من الصّرف، أمّا التّوئين في الصّفات فهو لتفريغ الصّفة لإحدى علاقتي الإسناد والتّخصيص. حيث يتبعها المرفوع مع العلاقة الأولى والمنصوب مع العلاقة الثّانية. والصّفة من حيث التّضام تلتقي مع الاسم من ناحية ومع الفعل من ناحية أخرى، فتقبل كما يقبل الاسم النّداء وأن تكون مسندا إليه وأن تكون مضافا أو مضافا إليه، وتقبل كما تقبل الأفعال أن تكون مسندا وتكون كذلك متعدّية أو لازمة فتضام المفعول به مباشرة أو بواسطة حرف.

6- من حيث الدّلالة على الحدث: تدلّ الصّفة على الموصوف بالحدث.

7- من حيث الدّلالة على الزّمن: لا تدلّ الصّفة دلالة صرفية على الزّمن في الإفراد، وإنّما تُشرب معنى الزّمن التّحوي في السّياق من باب تعدّد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.

8- من حيث التّعليق: تقبل الصّفة أن تكون مسندا فتؤدّي وظيفة شبيهة بوظيفة الفعل في التّعليق، حيث تطلب مسندا إليه أو منصوبا أو تكون خبرا لمبتدأ. ثمّ هي كذلك تقبل أن تكون مسندا إليه فتكون فاعلا، نحو: جاء الحسن وجهه. أو نائب فاعل، نحو: حُمِدَ المصون شرفه. أو مبتدأ، نحو: خير منك يفعل هذا.

كما أنّ الصفات تخصّص غيرها كالأسماء ويخصّصها غيرها كالأفعال فتكون الصّفة مثلا مفعولا به ويكون لها مفعول به. ويرى تمام حسان أنّ هناك سنّة مبرّرات

(1) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربيّة معناها ومبناها. ص 102.

تدعو إلى أن تكون الصفات قسماً خاصاً من الكلم، وهي: الصيغة والجدولة والتضام والتعليق والدلالة على الموصوف بالحدث وعلى الزمن النحوي⁽¹⁾.

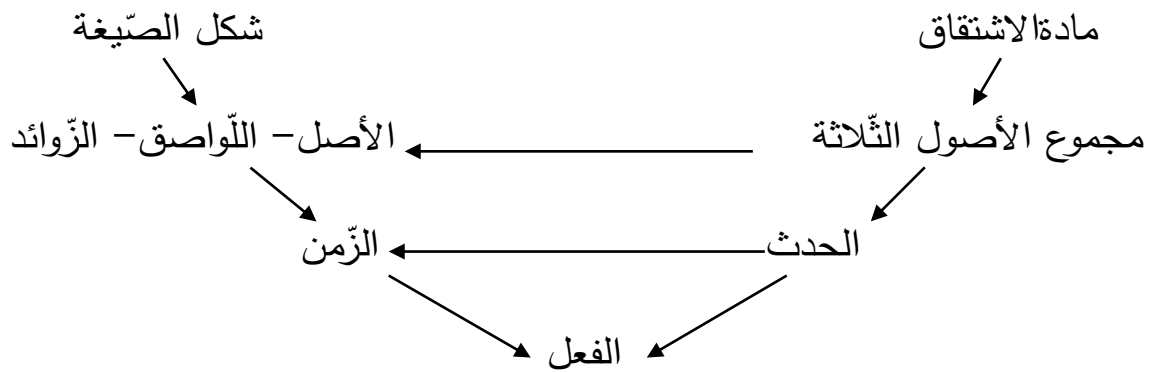
وافق فاضل مصطفى السّاقى أستاذه تمام حسان في جعل الصفة قسماً مستقلاً قائماً بذاته، إذ يقول: «إنّ هناك فروقا شكلية أوضحها الأستاذ تمام، وكلّها صالحة لتكريس الفرق بين الصفات وبين بقية أقسام الكلم»⁽²⁾.

القسم الثالث: الفعل وهو ما دلّ على اقتران حدث وزمن، ودلّ بصيغته على المضيّ أو الحالية أو الاستقبال، وذلك عندما يكون قيد الإفراد. وينقسم إلى ماض ومضارع وأمر. ذكر تمام حسان تعريف النّحاة للفعل بأنّه ما دلّ على حدث وزمن. ثمّ فصل الحديث عن أمرين هما:

1- دلالة الفعل على الحدث: وتأتي عن إشراكه مع مصدره في مادة واحدة.

2- دلالة الفعل على الزمن^(*): وتأتي على المستوى الصرفي من شكل الصيغة، وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق.

وبآلية التشجير يوضّح تمام حسان العلاقة بين الحدث والزمن على النحو الآتي⁽³⁾:



(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص103.

(2) فاضل مصطفى السّاقى. أقسام الكلام العربي. ص145.

(*) سيتم الحديث بالتفصيل عن الفرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي في الفصل الثالث.

(3) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص104.

يُعرِّج تمام حسان إلى النظام الزمّني الصرفي في اللّغة العربية الفصحى، فيرى أنّ صيغة (فَعَلَ) ونحوها تبدو مقصورة على الماضي، وأنّ صيغتي (يَفْعُلُ) و(أَفْعَلُ) ونحوهما إمّا أن يكونا للحال أو الاستقبال، ولا يتحدّد لأيّ منهما أحد المعنيين إلاّ بقرينة السّياق. ما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الدّلالات الزّمنية تتأثّر تأثراً كبيراً بعلاقاتها في السّياق، فقد تدلّ صيغة (فَعَلَ) على الاستقبال في الدّعاء والشّروط، كما تدلّ صيغة المضارع المنفي على ما مضى من الزّمن. ومن هنا استخلص تمام حسان أنّ النّحاة لم يحسنوا النّظر في تقسيمات الزّمن في السّياق العربي؛ إذ كان عليهم أن يدركوا طبيعة الفرق بين مقرّرات النّظام ومطالب السّياق، ثمّ أن ينسبوا الزّمن الصرفي إلى النّظام الصرفي وينسبوا الزّمن النّحوي إلى مطالب السّياق.

بآلية التّفريق يكون تمام حسان «أول من فرّق بين الزّمن الصرفي البسيط والزّمن النّحوي المعتمد على السّياق»⁽¹⁾. وتيسيرا لهذه المفاهيم يشير تمام حسان إلى أنّ الزّمن هو المكوّن الثاني - إلى جانب الحدث - لصيغة الفعل؛ وكما سبق ذكره تدلّ (فَعَلَ) ونحوها على الماضي، وتدلّ (يَفْعُلُ) و(أَفْعَلُ) وما كان على قبيلهما على الحال أو الاستقبال. ويؤكّد تمام حسان على أنّ الزّمن الذي تدلّ عليه صيغة الفعل عند الإفراد هو زمن صرفي؛ وأنّ الصّيغة بمفردها مفهوم صرفي صرف. أمّا إذا وضعت في السّياق فإنّ الزّمن النّحوي يطغى على الزّمن الصرفي.

بآلية الجدولة يوضّح تمام حسان ذلك على النّحو الآتي⁽²⁾:

(1) عبد الرّحمن العارف. تمام حسان رائدا لغويا. ص 30.

(2) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النّحوية. ص 61.

| الصيغة | زمنها الصرفي | المثال | الزمن النحوي | ملاحظات |
|--------|--------------|-------------------------|-----------------|---|
| بارك | ماض | بارك الله فيك | مستقبل (دعاء) | الدعاء: طلب شيء لم يحدث. |
| يزور | حال | إن تزرنني أكرمك | استقبال | الشروط: تعليق أمر على آخر في المستقبل. |
| يحدث | حال | لم يحدث هذا | مضي | نفي المضارع بلم يدل على المضي. |
| أحسن | ماض | ما أحسن زيدا | حاضر (تعجب) | التعجب: تعبير عن انفعال حاضر. |
| قام | ماض | هلاً قمت | استقبال (تحضيض) | التحضيض: حث على إحداث شيء لم يحدث |
| قام | ماض | ليتني قمت | ماض (تمن) | التمني: ينصرف إلى تجربة سابقة هنا. |
| قام | ماض | لو قام زيد لقام عمرو | ماض (امتناع) | لو: عبرت عن امتناع حدث لامتناع حدث في الماضي. |

- سمات الفعل من حيث المبنى والمعنى: يلخصها تمام حسان فيما يأتي (1):

1- من حيث الصورة الإعرابية: يختص الفعل المضارع من بين الأفعال بقبول

الجزم فلا يشاركه فيه قسم آخر من أقسام الكلم؛ فالفعل الماضي لا يُجزم لفظاً، وإنما يُجزم محلاً حين يكون شرطاً. ولا جزم لفعل الأمر من أي نوع؛ لأنّ الجزم حالة إعرابية تختلف عن البناء على السكون.

2- من حيث الصيغة الخاصة: تمتاز الفعال بوجود ست صيغ قياسية للفعل الثلاثي،

وصيغ أخرى لما زاد عن الثلاثة، وهناك أيضاً صيغ لما بُني للمعلوم وأخرى لما بُني للمجهول. وبهذه الصيغ يتميز الفعل من غيره من أقسام الكلام.

3- من حيث قابلية الدخول في الجدول: يتميز الفعل عن غيره من أقسام الكلم

بقبوله الدخول في جميع أنواع الجداول على النحو الآتي (2):

| جدول إسناد | جدول تصريف | جدول إصاق |
|------------|------------|-----------|
| _____ل | _____ع | _____الف |

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 106-107.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 101.

4- من حيث الإلصاق وعدمه: تمتاز الأفعال بقبول اللّواصق التي لا تُلصق بغيرها، ومنها الضّمائر المتّصلة في حالة الرّفْع والسّين ولام الأمر وحروف المضارعة وتاء التّأنيث.

5- من حيث التّضام: تختصّ الأفعال بقبول التّضام مع قد وسوف ولم ولن ولا النّاهية.

6- من حيث الدّلالة على الحدث: تدلّ الأفعال على الحدث دلالة تضمّنية؛ فالحدث جزء معناها، فهي تدلّ إلى جانبه على الزّمن، على خلاف المصدر الذي يمثّل الحدث كلّ معناه، والصفة التي تدلّ على موصوف بالحدث لا على الحدث نفسه.

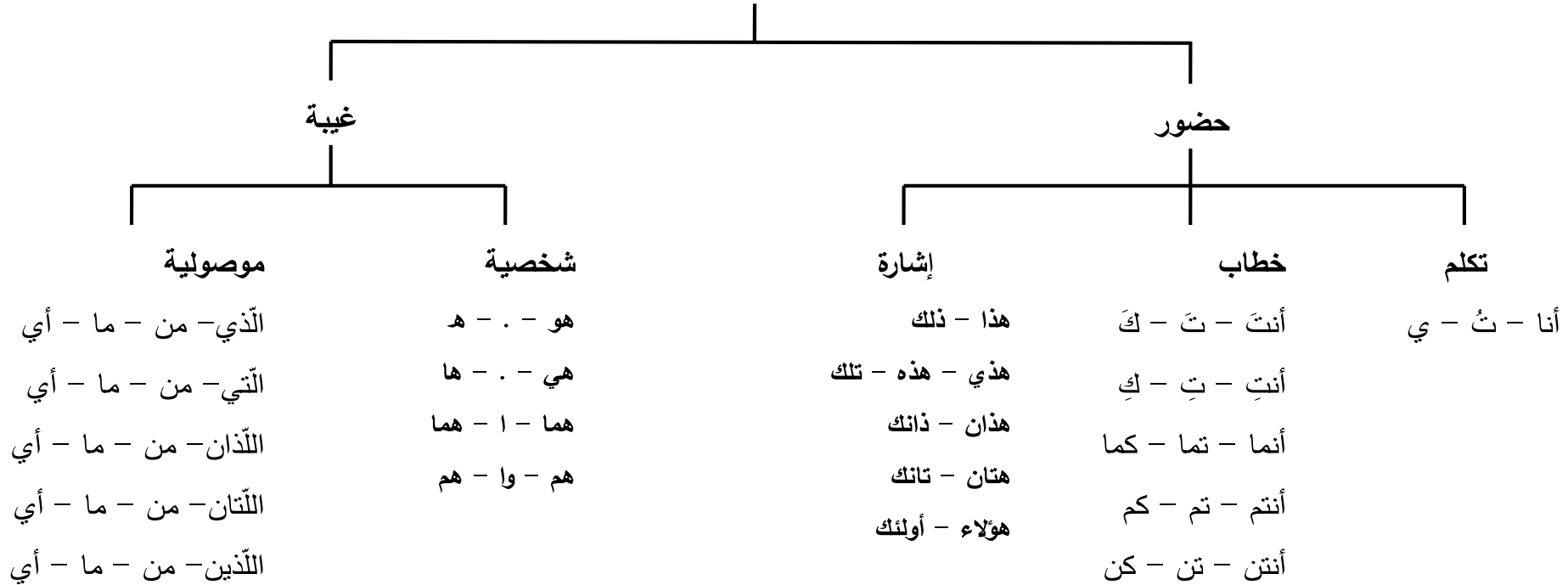
7- من حيث الدّلالة على الزّمن: تدلّ الأفعال على الزّمن بصيغتها دلالة وظيفية صرفية مطّردة، على خلاف الصّفة التي لا تتّصل بمعنى الزّمن إلّا نحوياً من خلال السّياق، وكذا خلاف الأدوات الفعلية النّاسخة مثل: كان وكاد وأخواتهما، لأنّ الزّمن وحده هو معنى هذه النّواسخ.

8- من حيث التّعليق: يقتصر الفعل على أداء وظيفة المسند في السّياق، ولا يؤدّي وظيفة المسند إليه أبداً عكس الاسم.

القسم الرّابع: الضّمير وهو ما دلّ على مطلق حاضر أو غائب. ويرى تمام حسّان أنّ المعنى الصّرفي العامّ الذي يعبر عنه الضّمير هو عموم الحاضر أو الغائب دون دلالة على خصوص الغائب أو الحاضر. كما يرى أنّ الحضور قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن، وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها أو حضور إشارة كهذا وفروعها. أمّا الغيبة فقد تكون شخصية كما في هو وفروعها، وقد تكون موصولية كما في الذي وفروعها. وبآلية التّخطيط أو التّشجير يبيّن تمام حسّان العلاقة بين هذه الأقسام⁽¹⁾:

(1) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 108-109.

الضمير



- سمات الضّمير من حيث المبنى والمعنى: يلخصها تمام حسّان بما يأتي (1):

1- من حيث الصّورة الإعرابية: كلّ الضّمائر مبنيات لا تظهر عليها الحركات الإعرابية، وإنّما تنسب إلى محلّها الإعرابي. كما لا تقبل التّنوين.

2- من حيث الصّيغة: كلّ الضّمائر لا تنتمي إلى أصول اشتقاقية، وهي تقترب من حيث المبنى من طابع الظّروف والأدوات.

3- من حيث الرّتبة: تكون الضّمائر ذات مراجع متقدّمة عليها في اللفظ أو في الرّتبة أوفيها معا. والأغلب في هذا المرجع أن يكون اسما ظاهرا محدّد المدلول، ومن هنا يكون تحديد دلالة هذا الظاهر قرينة لفظية تُعيّن الإبهام الذي كان الضمير يشمل عليه بالوضع، لأنّ معنى الضّمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما فلا يدلّ دلالة معجمية إلاّ بضميمة المرجع، وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدلّ الضّمير على معيّن، وتقدّم هذا المرجع لفظا أو رتبة أوهما معا ضروري للوصول إلى هذه الدّلالة.

4- من حيث الإلصاق: كما تكون الضّمائر المنفصلة مباني تقسيم تكون الضّمائر المتّصلة مباني تصريف، فتقوم بدور اللّواصق التي تلصق بغيرها من الكلمات. أمّا إلصاق غيرها بها فيتمثّل في حرف الإشباع وهاء التّنبيه.

5- من حيث التّضام: الضّمائر تضام الأدوات في حالة النّداء والقسم. وتضام حروف الجرّ والعطف والاستثناء. ويحتاج الضّمير إلى ضميمة توضّحه من مرجع أو صلة، ويكون الضّمير مضافا إليه فيضام المضاف ولكنّه لا يكون هو مضافا أبداً.

6- من حيث الرّسم الإملائي: الضّمائر المتّصلة لواصل لا تستقلّ في الكتابة عمّا لصقت به، فهي من ناحية الشّكل الإملائي المكتوب أجزاء كلمات لا كلمات.

(1) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص111-113.

7- من حيث التسمية: لا تدلّ الضمائر على مسمى إلاّ بمعونة الاسم، فتقلب دلالتها من وظيفية إلى معجمية بواسطة المرجع.

8- من حيث التعليق: يرى تمام حسان أنّ الضمائر تلعب دورا هاما جدا في علاقة الربط، فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، ومن هنا يؤدي إلى تماسك أطراف الجملة.

القسم الخامس: الخالفة ويرى تمام حسان أنّ الخوالب كلمات تتعمل للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه، وهي أربعة أنواع(1):

1- خالفة الإخالفة: ويسمّيها النّحاة اسم الفعل، ويقسمونها اعتبارا ودون سند من المبني أو المعنى إلى اسم فعل ماض نحو: هيهات، واسم فعل مضارع نحو: وي، واسم فعل أمر نحو: صه.

2- خالفة الصّوت: ويسمّيها النّحاة اسم الصّوت، ويرى تمام حسان أنّه لا يقوم دليل على اسميتها لا من حيث المبني ولا من حيث المعنى، وضرب لها أمثلة نحو: كخ للطفل، وبسبس للقطّة، وهاها لحكاية الضّحك.

3- خالفة التّعجب: ويسمّيها النّحاة صيغة التّعجب، ويرى تمام حسان أنّه ليس هناك دليل على فعليتها. وللتوضيح أكثر يذكر صيغتي التّعجب:

| | | |
|---|---|---|
| <p>التركيب كلّ مسكوك idiomatic كالأمثال التي لا تتغير.</p> | } | <p>ما: أداة تعجب أفعل: خالفة منقولة عن التفضيل زيداً: المفضل وقد أصبح متعجبا منه</p> |
| <p>التركيب كلّ مسكوك ثابت والمعنى هو التعبير عن الانفعال والتأثر.</p> | } | <p>أفعل: صورة أخرى من أفعل التفضيل ب: مضمّنة معنى اللام زيد: المفضل وقد أصبح متعجبا منه</p> |

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص113-118.

4- خالفة المدح أو الذّم: ويريد بهما تمام حسّان فعلي المدح أو الذّم: نعم أو بنس.

- سمات الخالفة من حيث المبنى والمعنى: تتميّز الخوالف عن بقية أقسام الكلم بما يأتي:

1- من حيث الرتبة: جميع الخوالف تأتي مع ضمائم معيّنة. والرتبة بين الخالفة وبين ضميمتها محفوظة، كالرتبة بين نعم وضميمتها، والرتبة بين خالفة التعجب وبين الأداة، والرتبة بين أفعل وبين ما لحقت به الباء بعده.

2- من حيث الصيغة: جميع الخوالف صيغ مسكوكة (Idioms) لذا فهي محفوظة الرتبة.

3- من حيث الإلصاق: تلحق نون الوقاية بصيغة واحدة من هذه الخوالف هي (ما أفعل) كما تلتصق تاء التأنيث بنعم وبنس.

4- من حيث التّضام: تأتي الخوالف مع ضمائم معيّنة من الأدوات والمرفوعات والمنصوبات والمجرورات.

5- من حيث الدلالة على الزمن: يرى تمام حسّان أنّ الخوالف لا ترتبط بمعنى زمني خاص.

6- من حيث التعليق: تقوم الخوالف بدور المسند دون المسند إليه.

7- من حيث المعنى الجملي: إنّ جميع الجمل المركبة من الخوالف وضمائمها جمل إفصاحية إنشائية، وبهذا تختلف الخوالف عن بقية أقسام الكلم.

القسم السادس: الظرف وهو القسم المقصور على عدد من الألفاظ الجامدة المبنية الدّالة على زمان نحو: إذ- إذا- إذّا- لما- أيّان- متى. أو الدّالة على مكان نحو: أين- أنى- حيث. أمّا غير ذلك ممّا يستعمل استعمال الظرف فهو منقول إلى الظرفية.

- **سمات الظرف من حيث المبنى والمعنى:** وضع تمام حسان الظروف في قسم مستقل من أقسام الكلم، لأنّها تتميز عن غيرها بما يأتي(1):

1- من حيث الصّورة الإعرابية: جميع الظروف من المبنيات.

2- من حيث الرتبة: الظروف رتبها التّقدّم على مدخولها سواء مفرداً أم جملة، ولكنّها تكون حرّة الرتبة في الجملة عامّة.

3- من حيث الصّيغة: ظروف الزّمان: إذ- إذا- إذّا- لما- أيّان ومتى. وظروف المكان: أين- أنى وحيث، لا تتصرّف إلى صيغ غير صيغها لأنّها من غير المشتقات.

4- من حيث التّضام: بعض هذه الظروف قد يسبقه الحرف نحو: منذ متى، ومن أين وإلى أين، ومن حيث، وإلى حيث. والضّمائم التي بعد هذه الظروف إمّا تكون كلاً من المفرد والجملة كما في أيّان ومتى وأين وأنى. وإمّا أن تكون الجمل فقط كما في حيث وإدّا وإذّ ولما، وبعض هذه الظروف تتبعه ما نحو: إذّا- إذّا- متى ما- أينما وحيثما. وهذه الصّور من صور التّضام تفرد الظروف بطابع خاص دون غيرها من أقسام الكلام.

5- من حيث التسمية: هذه الظروف لا تدلّ على مسمّى، ومعناها وظيفي وليس معجمياً، وهي تؤدّي وظيفة الكناية عن الزّمان أو المكان.

6- من حيث الدلالة على الزّمن: في الظرف كناية عن زمان اقتران حدثين.

(1) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 119- 122.

7- من حيث التّعليق: الظّروف في اللّغة العربيّة تعبيرات عن معنى الجهة، ووضع الظّرف في السّياق وضع المفعول فيه، ومن هنا يقال عن الظّرف إنّه متعلّق بالفعل لأنّه يفيد إسناد الفعل بجهة معيّنة.

القسم السّابع: الأداة يرى تمام حسان أنّ الأداة مبنى تقسيمي يؤدّي معنى التّعليق، ويشتمل هذا القسم على الأدوات وحروف المعاني. والعلاقة التي تعبّر عنها الأداة إنّما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة في السّياق. وتنقسم الأداة إلى قسمين⁽¹⁾:

1- **الأداة الأصليّة:** وهي الحروف ذات المعاني كحروف الجرّ والنّسخ والعطف.

2- **الأداة المحوّلّة:** وقد تكون: ظرفية أو اسمية أو فعلية.

وتشترك جميع الأدوات في دلالتها على معنى وظيفي عام وهو التّعليق، ثمّ تختصّ كلّ طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصّة كالنّفى والنّداء والقسم والتّدبئة... بالإضافة إلى ما للأداة من وظيفة الرّبط داخل الجملة كحروف الجرّ والعطف، وجملة هذه الأدوات تشترك في عدم دلالتها على معان معجمية.

- **سمات الأداة من حيث المبنى والمعنى:** تتميز الأدوات عن سائر أقسام الكلم

بمميّزات من حيث الشّكل والمعنى هي⁽²⁾:

1- **من حيث الرّتبة:** رتبة الأدوات هي الصّدارة فحرف الجرّ يتقدّم على المجرور،

وحرف العطف يتقدّم على المعطوف، وهكذا فكلّ أداة في اللّغة العربيّة الفصحى تحتفظ برتبة خاصّة، وهذه الرّتبة تعين على تحديد المعنى المقصود بالأداة.

(1) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربيّة معناها ومبناها. ص123.

(2) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربيّة معناها ومبناها. ص125-128.

2- من حيث التّضام: الأدوات جميعا ذات افتقار متأصل إلى الضّمائم؛ إذ لا يكتمل معناها إلاّ بها، فلا يفيد حرف الجرّ إلاّ مع المجرور، ولا حرف العطف إلاّ مع المعطوف.

3- من حيث الرّسم الإملائي: الأدوات كالضّمائر منها المتّصل ومنها المنفصل، فإذا كانت الأداة على حرف واحد كانت أداة متّصلة بما يأتي بعدها من ضميمة، مثل: باء الجرّ في (بمحمد)، ولامه في (لمحمد). وأمّا إذا جاءت الأداة على أكثر من حرف واحد فإنّ النّظام الإملائي يفصلها في الكتابة عن ضميتها مثل: (عن محمد) و(على محمد). ولا ينبغي عند وصل الأداة اعتبارها إحدى اللّواصق، لأنّ الفرق بين الأداة المتّصلة وبين اللّاصقة واضح في أنّ الأداة إذا حذفت بقي بعدها ما اتّصلت به دالا على معناها الذي كان له، أمّا اللّاصقة إذا انفصلت عمّا لصقت بهزال معنى صرفيا أو نحويا كان عند وجود الإلصاق كالتثنية أو الجمع أو التّأنيث.

4- من حيث التّعليق: إنّ المعاني التي تؤدّيها الأدوات هي نوع من التّعبير عن علاقات في السّياق، وواضح أنّ التّعبير عن العلاقة معنى وظيفي لا معجمي، فالأدوات هي من أهمّ وسائل التّعليق في اللّغة العربية.

5- من حيث المعنى الجملي: إنّ الأداة حين تحمل تلخيص أسلوب الجملة قد تحمله إيجابا بوجودها أو سلبيا بعدمها، حين تقوم القرينة على المعنى المراد مع حذف الأداة، وذلك كالاستغناء عن أداة الاستفهام أو العرض عند الاتّكال على قرينة النّغمة، كأن تقول لرجل رآك تأكل تمرا مثلا: (تأكل؟) بنغمة العرض والمعنى (ألا تأكل؟) فهنا حيث تغني النّغمة عن الأداة فيصبح معنى الأداة قد تحقّق رغم حذفها بواسطة ما يسمّى الدّالة العدمي (Zero Morpheme)؛ أي دلالة عدم وجود الأداة (وهو الحذف) على المعنى الذي يكون عند وجودها.

هذا هو التّقسيم السّباعي الجديد وأسسّه الذي ارتضاه تمام حسّان بديلا عن القسمة الثلاثية عند النّحاة، وإذا كان تمام حسّان يرى أنّ «التّقسيم الذي جاء به النّحاة بحاجة إلى إعادة النّظر بإنشاء تقسيم جديد مبني على استخدام أكثر دقّة لاعتباري المبنى والمعنى»⁽¹⁾، فإنّ النّقاد قد وضعوا تقسيمه السّباعي للكلم في ميزان النّقد، فانشطروا بين مؤيّد ومعارض.

فمن ليف المؤيدين لتقسيم تمام حسّان للكلم تلميذه فاضل مصطفى السّاقى، إلاّ أنّه يعيب على أستاذه ما عابه هو شخصا عن السّلف؛ إذ يقول: «وبصرف النّظر عن صحّة هذا التّقسيم، لأنّه موافق للتّقسيم الذي استنبطناه من أقوال النّحاة وآرائهم، ولأنّنا في الحقيقة نرتضيه، فإنّ الأستاذ تمام جابهنا به دون أن يهيب الأذهان له كما جوبه هو وغيره من قبل النّحاة بتقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف. وأعتقد أنّه أدرك صعوبة هذه المجابهة على الباحث، فوضع بعد ذلك الأسس الشّكلية والوظيفية التي يمكن أن يبني عليها تقسيم الكلم، أطلق على الشّكلية منها اسم المباني وعلى الوظيفية اسم المعاني»⁽²⁾.

في موضع آخر يجهر فاضل مصطفى السّاقى برأيه فيقول: «وفي اعتقادي أنّ الأستاذ تمام - وهو أحد علماء اللّغة المعاصرين - بنى أفكاره على أساس فهمه لطوائف الكلمات ودلالاتها ومراقبته لاستعمالها في اللّغة، ودراسته لها مبني ومعنى، بشكل أعطى لمسألة التّصدّي لها البحث بُعدًا قيّمًا، غير أنّ الطّريقة التي عالج بها الأستاذ هذه المسألة تفترض أنّ القراء على علم تام بمعاني النّحو، واستقراء كامل لقضاياها ومسائله، وأنّ هؤلاء القراء مهياون نفسيا وعلميا لتقبّل هذا العلم الجديد، وهذه الطّريقة التي عالجنا بها موضوع التّقسيم، وإن اتّفقت الطّريقتان من حيث الهدف، وهو ارتضاء التّقسيم السّباعي والتّدليل على صحّته والدّفاع عنه [لأنّه] تقسيم جديد أكثر دقّة من التّقسيم القديم، يقرّر

(1) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص88.

(2) فاضل مصطفى السّاقى. أقسام الكلام العربي من حيث الشّكل والوظيفة. ص139.

أنّ أقسام الكلم في العربية سبعة هي: الاسم والصّفة والفعل والخالفة والضّمير والظرف والأداة»⁽¹⁾.

نلّفني من المؤيدين له أيضا حيدر محمد جبر؛ إذ يقول: «أمّا موضوع أقسام الكلمة فقد كان فيه تمام حسّان أكثر دقّة؛ إذ اعتمد معياري المبني والمعنى في التقسيم الذي تضمّن سبعة أصناف للكلمة، جاعلا لكلّ منها علاماته الخاصّة، ممّا جعل تمام حسّان أقرب إلى التّجديد المنهجي منه إلى المحاولة المجرّدة، ولعلنا لا نبتعد عن الحقيقة إذ قلنا إنّ تمام حسّان حاول ألاّ يكون نسخة مكرّرة من المقاربات التي قدّمها باحثون في هذا المجال، ممّا حداه إلى تقديم تقسيم سباعي يقوم على أساس مزدوج قوامه المبني والمعنى، ومن هنا فإنّ طبيعة الجهد الذي قدّمه تمام حسّان لم تكن مطابقة للمقاربات المورفولوجية التي تبناها لسانيون عرب على الرّغم ممّا يجمعها من مناط مشترك ترجع جذوره إلى المنهج البنيوي الوصفي، وعلى هذا فإنّ صورة المعالجة لدى تمام حسّان تتألّق فيها إبداعات الابتكار وتتضاءل ملامح التّبعية المفرطة»⁽²⁾.

إلى جانب حيدر محمد جبر الذي جعل تمام حسّان أقرب إلى التّجديد المنهجي منه إلى المحاولة المجرّدة في تقسيمه للكلم، نجد محمد صلاح الدّين الشّريف الذي يرى أنّ تمام حسّان «قد اعتمد في تقسيمه الكلام على منهج جيّد يقوم على البحث عن السّمات التي يتميّز بها كلّ قسم عن غيره من الأقسام. وقسم السّمات إلى نوعين تقسيما يعكس شدّة اهتمامه وتشبّهه بالتّنائي (معنى/مبنى). فهي سمات مبنوية وسمات معنوية. ولا بدّ للقسم من توقّف بعض النوعين إن لم يتوقّف الكل، ورغم التزامه بهذا التّنائي المركّب من المعنى والمبنى في تمييز كلّ قسم من الأقسام فإنّه قد ترك التزامه وأهمله في تعريف

(1) فاضل مصطفى السّاقى. أقسام الكلام العربي من حيث الشّكل والوظيفة. ص 165 - 166.

(2) حيدر محمد جبر. التّفكير المورفولوجي عند تمام حسّان. مجلّة كلىة الآداب. جامعة بغداد. ع: 102. ص 137 و 143.

أغلب الأقسام، فقد كان إلى التّعريف بالمعنى أميل، وكان التجاؤه إلى المبنى أقلّ وأندر»⁽¹⁾.

ومن لفيف المعارضين للتقسيم السّباعي لتّمّام حسّان يُذكر على سبيل التّمثيل لا الحصر عزّ الدين مجدوب الذي ينتصر للتقسيم القديم؛ إذ يرى «أنّ التقسيم الثلاثي الذي خلفه النّحاة العرب يبدو - بمقتضى فرض قوي- ملائماً لبنية المضمون في اللّسان العربي لأنّه كان قائماً على أساس شكلي حسب مستويات تركيبية مختلفة هو إمكانية ائتلاف الكلم فيما بينها. ولم يكن قائماً على أساس مادة المضمون مثلما توهم بذلك بعض التّعريفات، وقد تعدّر على المحدثين فهم القدامى لأنّه غاب عنهم أنّ الجملة بنية هرمية تأتلف في الكلم بعضها مع بعض، ولعلّ توضيحنا لموقف القدامى هو الذي يفسّر عجز المحدثين عن اكتشاف قسم جديد للكلم أغفله النّحاة، إذ لم تزد اجتهاداتهم على إخراج أقسام فرعية من قسم إلى قسم. بل إنّ اجتهاداتهم انبنت في بعض الأحيان على مادّة المضمون كما يدلّ على ذلك تقسيم تّمّام حسّان للاسم في مشروعه الجديد، حين اقترح الجمع فيما سمّاه الاسم المعين (وهو القسم الفرعي الأوّل ضمن باب الاسم) بين العلم واسم الجنس، وحتى لا نغمط تّمّام حسّان حقّه، نقول: لئن فات تّمّام حسّان فهم القدماء في هذا الباب، لأنّه لم يتفطن إلى ضرورة ترتيب المقاييس الشّكلية منازل حسب أهمّيّتها، ترتيباً تقتضيه البنية الهرمية للجملة، ولئن توهم أنّه يمكن تلافي عدم تجانس المقاييس الشّكلية بالجمع بين المعنى والمبنى، وهو ما أوقعه في الاعتماد على مادة المضمون، فإنّه حدس بهذا المبدأ المكمل لمبدأ ائتلاف الكلم عندما اعتبر ما سمّاه المعاني التّقسيمية الاسمية والفعلية والحرفية حجر الزّاوية في النّظام الصّرفي والبعد الرّأسي منه، ولكنّ إصراره على اعتبار مبحث أقسام الكلم من مباحث الصّرف بالإضافة

(1) محمد صلاح الدين الشّريف. النّظام اللّغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها. مجلّة حوليات الجامعة التونسية. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة. ع 17. 1979. ص 211-212.

إلى أسباب أخرى منها قلة إحكام صياغة النّظرية السّياقية للمعنى التي اشتهر بها أستاذه فيرث هو الذي منعه من إِبصار قيمة المبدأ الذي حدس به»⁽¹⁾.

ممن انتصروا أيضا للقسمة الثلاثية للكلم على حساب القسمة السّباعية لتمام حسّان نلّفي حيدر جبّار عيدان وضرغام علي محسن، إذ يريان أنّ «تمام حسّان قد عوّل في تقسيمه للكلم على أكثر من جهة أو أساس، ونحن بهذه الأسس الشّكلية والمعنوية الكثيرة نستطيع أن نتشعب بالتقسيم إلى أكثر من سبعة أقسام، وفي هذا التشعب بالتقسيم ما لا يقبله المنهج العلمي... [كما أنّ] تمام حسّان قد سقط في تداخل الأقسام، حينما أقرّ بمبدأ إمكان نقل لفظ من قسم من أقسام الكلم إلى استعمال قسم آخر غير القسم الذي ينتمي إليه، ومن ذلك مثلا ذهابه إلى أنّ أسماء الزّمان والمكان (كاليوم والسّاعة، وأمام ووراء) قد يتوسّع فيها، فتنقل من اسميتها وتستهمل استعمال الظروف من باب تعدّد المعنى الوظيفي للكلمة الواحدة. وقد رُدت هذه الفكرة لأنّ معيار تعدّد المعنى الوظيفي معيار غير علمي، لأنّه غير منضبط لأنّ ذلك ينفي أن تكون الوظيفة معيارا للتقسيم، وسيشكل على الدّكتور تمام فصله الصّفات عن الأسماء بداعي أنّها تشترك مع الأفعال في سمات أخر، وتأسيسا على ما تقدّم يكون التقسيم الثلاثي الذي جاء به النّحاة القدماء أدقّ بكثير؛ إذ توافرت فيه شروط القسمة العلمية من جهة ومن جهة أخرى أنّ المحدثين لم يأتوا بقسم جديد لم يلتفت إليه النّحاة، فكلّ الأقسام التي ذكروها موجودة في تقسيمهم، وهذا التّطابق إن دلّ فإنّما يدلّ على دقّة تقسيم القدماء للكلم وحسن قراءتهم لمكوّنات اللّغة العربي»⁽²⁾.

مما سبق ذكره تجدر الإشارة إلى أنّ غريلة آراء المؤيدين والمعارضين للتقسيم السّباعي لتمام حسّان تُفضي إلى النّقاط الآتية:

(1) عز الدّين مجدوب. المنوال النّحوي قراءة لسانية جديدة. ط1. دار محمد علي الحامي. الجمهورية التونسية. 1998. ص244 وما بعدها.

(2) حيدر محمد عيدان وضرغام علي محسن. النّحو الوصفي بين الدّكتور مهدي المخزومي والدّكتور تمام حسّان (دراسة في موارد الاتفاق والاختلاف). كآية الآداب. جامعة الكوفة. ص147 وما بعدها.

- إنّ تمام حسان قد وقع فيما عابه على القدماء، فقد «فاجأنا بالتقسيم السّباعي قبل أن يستخدم الأسس التي وضعها للتفريق بين الأقسام، وعلى الرّغم من صحّة هذا التقسيم، فإنّ الطّريقة التي اتّبعها في علاج هذه المسألة هي طريقة إعطاء النتائج قبل سرد المقدمات، ولا تخفى صعوبة تقبّل الأفكار الجديدة في مثل هذه المسألة المهمّة بالتّباع مثل هذه الطّريقة؛ إذ من المفروض أن نضع أولاً الأسس التي يتمّ بموجبها التفريق، ثمّ نتناول طوائف الكلمات، فنفرّق بينها بموجب تلك الأسس لا أن نحدّد الأقسام أولاً، ثمّ نضع ما نسمّيه أسسا للتفريق بينها»⁽¹⁾.

- إنّ اعتماد تمام حسان معيار تضافر المعنى مع المبنى في تقسيمه السّباعي للكلم-رغم تغليب المعنى على المبنى أحيانا- قد أخرجه من دائرة التّبعية المفرطة إلى دائرة الإتيان بالبدل بعد نقد ونقض التقسيم القديم، علماً أنّ هذا البديل يدخل في إطار التّجديد المنهجي لا التّجديد في المادّة؛ لأنّ ما ذكره تمام حسان في القسمة السّباعية للكلم هو تفصيل دقيق لما ورد مجملاً في القسمة الثلاثية. وبآلية إعادة التّرتيب المنهجي عمد تمام حسان إلى جعل الأقسام الفرعية في التقسيم القديم أقساماً مستقلة في التقسيم الجديد.

- إنّ جهد تمام حسان في تقسيم الكلم محمودٌ، فحتّى من عارض تقسيمه السّباعي وانتصر للتقسيم الثلاثي لم يستطع أن يبخره حقّه في الاعتراف بإبداعه؛ فعزّ الدين مجدوب الذي نفى عن تمام حسان فهمه للقمامي من جهة، واستعابه لمنهج اللسانيات الحديثة ممثلاً في نظرية فيرث السياقية من جهة أخرى، لم يستطع -على حدّ قوله- أن يغمطه حقّه في الحدس بمبدأ الجمع بين المعنى والمبنى المكمل لمبدأ ائتلاف الكلم، ويستدرك بقوله: إلاّ أنّ انبهاره بنظريّة أستاذه هو الذي منعه من إِبصار قيمة المبدأ الذي حدس به.

(1) فاضل مصطفى السّاقى. أقسام الكلام العربي. ص 165.

- عاب حيدر جبّار عيدان وضرغام علي محسن علي تمام حسّان كثرة الأسس التي بنى عليها تقسيمه للكلم، فقد اعتمد في تقسيمه الرباعي على خمسة أسس عامّة هي: الشّكل الإملائي المكتوب والتّوزيع الصّرفي والأسس السياقية ومعنى الوظيفة أو المعنى الأعم والوظيفة الاجتماعية⁽¹⁾.

كما اعتمد في تقسيمه السّباعي على سبعة أسس شكلية هي: الصّورة الإعرابية، الرّتبة، الصّيغة، الجدول، الإلصاق، التّضام والرّسم الإملائي. وعلى خمسة أسس وظيفية وهي: التّسمية، الحدث، الرّمن، التّعليق والمعنى الجملي⁽²⁾.

يشاطر حيدر جبّار عيدان وضرغام علي محسن الرّأي في كثرة الأسسفاضل مصطفى السّاقي، إذ يقول: «إنّ الأستاذ تمام ذكر أسسا عديدة فأبقى على بعض الأسس التي تناولها في كتابه مناهج البحث في اللّغة، وأضاف أسسا أخرى استند عليها في عملية التّقسيم الجديد»⁽³⁾، وهو أمر يحتاج إلى إعادة نظر؛ فتعدّد وتنوّع أسس تقسيم الكلم مدعى إلى التّعسير لا التيسير، ولكن ما يشفع لتمام حسّان قوله: «ينبغي لنا أن ننّبّه قبل كلّ شيء إلى أنّه ليس معنى إيراد هذه المباني والمعاني جميعا أنّ كلّ قسم من أقسام الكلم لابدّ أن يتميّز من قسيمه من هذه النّواحي جميعا، إذ يكفي أن يختلف القسم في بعض هذه المباني والمعاني. فالمهم ألاّ يكون التّفريق من حيث المباني فقط وإن تعدّدت أو المعاني فقط وإن تعدّدت أيضا، إذ لابدّ من أن يتضافر اعتبار المبنى واعتبار المعنى في التّفريق في قسم بعينه وبين بقية الأقسام»⁽⁴⁾.

كما أنّ حيدر جبار عيدان وضرغام علي محسن قد سلّمنا بأنّ «تمام حسّان قد سقط في تداخل الأقسام، حينما أقرّ بمبدأ إمكان نقل لفظ من قسم من أقسام الكلم إلى

(1) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 230 وما بعدها.

(2) ينظر: تمام حسّان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 87 وما بعدها.

(3) فاضل مصطفى السّاقي. أقسام الكلام العربي. ص 138.

(4) تمام حسّان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 90.

استعمالات قسم آخر غير القسم الذي ينتمي إليه»⁽¹⁾. وهذا ما جعلهما ينظران إلى أنّ معيار النّقل وتعدّد المعنى الوظيفي للكلمة الواحدة بعين نقص، ووصفاه بأنّه معيار غير منضبط وغير علمي على نقيض عبد الرّحمن العارف الذي جعله من الأوليات التّمامية، إذ يرى أنّ تمام حسّان هو «أول من قال بمبدأين هاميين في وظائف أقسام الكلم هما: النّقل وتعدّد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، وفسّر بهما من ظواهر الاستعمال ما كان قبل مستعصيا على التّفسير المقنع»⁽²⁾.

يشير تمام حسّان نفسه إلى أنّما أضافه نموذج كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها أنّه كشف عن نقل اللفظ من القسم الذي ينتمي إليه من أقسام الكلم إلى قسم آخر ليبدل بعد الانتقال على معنى غير الذي كان له من قبل. والنّقل عام وليس خاصّاً للمفردات دون تراكيب الجمل من معناها الأصلي إلى معنى آخر بوجود قرينة تدلّ على المعنى الجديد للجملة، كما يكون مع النّقل المفرد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ آل عمران 08 فقد نقل معنى إذ من ظرف لما مضى من الزّمن إلى معنى الأداة المصدرية، فأصبحت بمعنى أن ويسوق تمام حسّان مثالا آخر لنقل معنى أداة الاستثناء إلاّ إلى معنى الاستدراك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ طه 2-3.

إلى جانب فكرة النّقل يشير تمام حسّان إلى أنّ نموذج اللّغة العربية معناها ومبناها قد اشتمل على فكرة تعدّد المعنى (الوظيفي والمعجمي) للمبنى الواحد. ويصرّح بأنّ النّحاة كانوا على علم بهذا الأمر بدليل أنّه العمود الفقري لبعض المؤلّفات النّحوية(*) إلاّ أنّهم

(1) حيدر جبار عيدان وضرغام علي محسن. النّحو الوصفي بين الدّكتور مهدي المخزومي والدّكتور تمام حسّان. ص148.

(2) عبد الرّحمن حسن العارف. تمام حسّان رائدا لغويا. ص30.

(*) مثل: مغني اللّبيب لابن هشام، والجني الدّاني للمراذي، ووصف المباني للمالقي، والمعجم إذ لا تكاد تجد كلمة مفردة ذات معنى واحد غير متعدّد.

- على حدّ قوله- لم يعطوا هذه الظّاهرة حقّها من العناية ولم يمنحوها ما تستحقّه من الاهتمام فيما عدا إشارات لم يقصد بها التّنظير⁽¹⁾.

تجدر الإشارة إلى أنّ تمام حسّان نفسه على وعي تام بخطورة موضوع النّقل وتعدّد المعنى الوظيفي للمبنى الصّرفي الواحد، إذ يقول: «وهو موضوع واسع الأطراف في دراسة اللّغة العربية الفصحى، وسيّضح بالأمثلة خطر هذه الظّاهرة (ظاهرة التّعدّد والاحتمال في المعنى الوظيفي) في طرق تركيب اللّغة العربية وأساليبها المتنوّعة»⁽²⁾.

انطلاقاً من أنّ للمجتهد أجران إن أصاب، وأجر المحاولة إن جانب الصّواب، فلتتمام حسّان أجر المحاولة في بعض الأمور، وأجرا الإصابة في كثير منها. خاصّة وأنّه لا ينكر فضل المتقدّمين وينهل من مصطلحاتهم، ويعترف ببواكير عربية نبتت في أرض التّراث، إذ يقول: «في التّراث العربي أفكار لا تتنافى مع النّتائج الحديثة تنافياً تامّاً، ولكنها تختلف عن هذه النّتائج، ومن ذلك أقسام الكلم التي وردت في كتابي: اللّغة العربية معناها ومبناها مثلاً؛ إذ ما يزال الاسم أحد أقسام الكلم، وكذلك الفعل وما زالت الحروف كلّها واقعة تحت عنوان الأداة. ولكن الفارق المهم بين التقسيمين أنّ النّظرة الحديثة كشفت عن عموم في مفهوم الاسم لدى النّحاة شمل أقساماً أخرى كالصّفات والضمائر والظّروف، وأنّ مفهوم الفعل قد اتّسع لديهم أيضاً حتّى شمل بعض الخوالف والنّواسخ، وأنّ مفهوم الأداة في الفهم الحديث يشمل الحروف والنّواسخ كما فهمها النّحاة»⁽³⁾.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. اجتهادات لغوية. ص 89.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 98.

(3) تمام حسّان. قضايا الحداثة في اللّغة العربية. مقالات في اللغة والأدب. ج 2. ص 276.

رابعاً - الصّيغة الصّرفية والميزان الصّرفي:

يرى تمام حسّان أنّ الصّيغة تُطلق على العلامة الصّرفية بالنّسبة إلى المورفيم، وعلى الميزان الصّرفي بالنّسبة للأمتلة المختلفة، وأنّ الصّيغة بعدها علامة على المورفيم لا يدخلها الإعلال، أمّا بعدها ميزانا صرفيا فيدخلها هذا الأخير، نحو: الاستقامة مثال من أمثلة علامة الاستفعال الدّالة على مورفيم الطّلب والصّيورة، ولكنّها على وزن استقالة، وهذا هو الفارق بين اعتباري الصّيغة المختلفين اللّذين لهما مهمّة خاصّة في تقرير حقائق البنية اللّغوية الصّرفية⁽¹⁾.

يوكّد تمام حسّان على أنّ التّفريق بين الصّيغة وهي مبنى صرفي وبين الميزان وهو مبنى صوتي تفريق هام جدّا له من الأهميّة ما يكون منها للتّفريق بين علمي الصّرف والأصوات. فإذا اتّفق هيكل الصّيغة في صورته مع هيكل الميزان في الفعل: (ضرب) الذي صيغته (فعل) وميزانه (فعل) وصيغة الأمر منه (اضرب) على وزن (أفعل)، فإنّهما يختلفان في أمثلة أخرى نحو: الأمر من الفعل (وقى) على مثال (أفعل) هو (ق)، وهذا الحرف الوحيد الموجود من الفعل يقابل العين المكسورة (ع) في الصّيغة. وعليه يمكن القول إنّ هذه العين المكسورة التي تقف بإزاء الفعل في صورته النّهائية تمثّل الميزان ولا تمثّل الصّيغة. وفي هذه النّقطة يخالف تمام حسّان علماء الصّرف اللّذين يصرون على وحدة الصّيغة والميزان⁽²⁾.

يرى تمام حسّان أنّ النّحاة القدامى أنشأوا نظاما كاملا من الصّيغ الصّرفية للكلمات المشتقّة في اللّغة العربية، ونسبوا إلى الصّيغ المجرّدة معاني وظيفية كالطلب والمطاوعة والتكّلف وغيرها. وأنّهم كانوا يعدّون الصّيغة الصّرفية ميزانا للكلمة، فإذا حُذِفَ أحد حروفها حُذِفَ ما يقابله من صيغتها وجعل الباقي ميزانا لها. ويُمثّل تمام حسّان لذلك

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 207 وما بعدها.

(2) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 145.

بفعل الأمر من (وَعَدَ) وهو (عُدَّ) فيرى أنّ حذف حرف الواو وهي فاء الكلمة في الفعل يؤدّي حذفها من الصّيغة فيصير الوزن (عِلُّ) بكسر العين وسكون اللّام. ويؤكد تمام حسّان أنّ النّحاة لم يفرّقوا نظريا بين الصّيغة والميزان؛ فرأوا أنّ (قال) و(رمى) ونحوهما على وزن (فَعَلَ) دون مراعاة لما فيها من إعلال. في حين أنّ النّظرة الحديثة توصلت إلى وجود فرق بين الصّيغة والميزان بدليل أنّ الصّيغة قالب صرفي والميزان مقياس صوتي، فصيغة فعل الأمر (عُدَّ) هي (افْعَلْ) بسكون الفاء وكسر العين، ولكنّ ميزانه (عِلُّ)، أي أنّ الصّيغة تجعله من باب ضرب، والميزان يعترف بالحذف الذي حدث في الصّيغة⁽¹⁾.

يقول حيدر محمد جبر عن هذا الأمر إنّ «تمام حسّان في النّظر إلى البنية في اللّغة العربية معناها ومبناها يُعدّل موقفه في هذا المجال تعديلا يناسب طبيعة العربية واشتقاقها؛ إذ يرى أنّ البنية بمعناها المورفيمي ينظر لها من زاويتين، هما: المبنى الصّرفي (الصّيغة) والمبنى الصّوتي (الميزان). وعلى هذا فلا أرى تطورا للمفهوم البنائي للمورفيم، كما يقول بعض الباحثين، بل ثمة تعديل أرجع تمام حسّان إلى الدائرة نفسها التي انطلق منها باحثون مثل عبد الرّحمن أيّوب الذي رأى أنّ البنية تقوم على ثنائية (المادة والوزن)»⁽²⁾.

تجدد الإشارة إلى إنّ حيدر محمد جبر بقوله: «لا أرى تطورا للمفهوم البنائي المورفيم، كما يقول بعض الباحثين» مشيرا إلى فاطمة الهاشمي بكوش، يكون قد قولها ما لم تقله هي؛ إذ كانت أمينة في نقل تعريف المورفيم لتمام حسّان في كتابه: مناهج

(1) تمام حسّان. قضايا الحداثة في اللّغة العربية. مقالات في اللّغة والأدب. ص 277.

(2) حيدر محمد جبر. التفكير المورفولوجي. ص 140.

البحث في اللغة بأنه: اصطلاح تركيبى بنائى وأنه نظام من المورفيمات متكاملة الوظيفة⁽¹⁾.

يبرّر تمام حسان اعتماده آلية التّمييز بين الصّيغة بوصفها علامة صرفية على المورفيم كوحدة صرفية، وبين الصّيغة بوصفها ميزانا صرفيا بوجود فرق بين بين معنى العلامة الصرفية التي هي الصّيغة، وبين معنى الكلمة التي هي المثال؛ فالمعنى الأول وظيفي والثاني معجمي. ولتيسير الفكرة أكثر يعتمد تمام حسان آلية التمثيل بالصّيغة الصرفية (فَاعَل) الدّالة على مورفيم المشاركة كما أنّها صيغة فعلية لها معنى وظيفي، ثمّ هي بتحديدّها الشكلي وبناء وسطها وآخرها على الفتح تختلف عن صيغة اسم الفاعل وصيغة الأمر منها. ففي كلّ ما سبق لا يظهر المعنى المعجمي للصّيغة كما في جادل وناضل التي توجد معانيها مفصّلة في المعجم، وعليه يمكن القول إنّ المعنى الوظيفي نحوي والمعنى المعجمي عرفي اجتماعي⁽²⁾.

يُشير تمام حسان إلى أنّ الصّيغة الصرفية قد يكتنفها الغموض، فلا تكون بمفردها كافية للدلالة على المورفيم، ممّا يولّد الحاجة إلى الاستعانة بالمثال للتّوضيح، وإن لم يفك المثال طلاس الغموض كانت الحاجة ملحة إلى الاستعانة بالسياق، نحو: صيغة (فَعَل) تشترك بين الصّفة المشبّهة وبين المصدر كشهّم وضرب، فإذا غمّضت الصّيغة شرحها المثال كما في عدل يُستعان بالسياق كوسيلة نحوية لتحديد المعنى الصرفي⁽³⁾.

يؤكد تمام حسان في كلّ مرّة على أنّ للكلمة العربية أصول اشتقاقية ثلاثة، ولها صيغة صرفية تختلف عن صيغ أخرى لكلمات أخرى، وأنّ هذا ما دفع النّحاة إلى أن يرمزوا لكلّ حرف من الأصول الثلاثة برمز يُعرفُ به موضعه من الكلمة؛ فرمزوا للحرف

(1) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش. نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 146. تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 206.

(2) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 207 - 208.

(3) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 208.

الأول بالفاء وسموه فاء الكلمة، وللتأني بالعين وسموه عين الكلمة، وللتأني باللام وسموه لام الكلمة، وإذا كان في الكلمة أي حرف زائد أبقوه على حقيقته. ويُمثّل تمام حسان لذلك بالموازن الصرفية التي منها نشأ مفهوم الميزان الصرفي:

| | | |
|--------------|---------|--------------|
| ضَرَبَ | على وزن | فَعَلَ |
| إِنطَلَقَ | على وزن | إِنفَعَلَ |
| إِجْتَمَعَ | على وزن | إِفْتَعَلَ |
| إِسْتَخْرَجَ | على وزن | إِسْتَفَعَلَ |

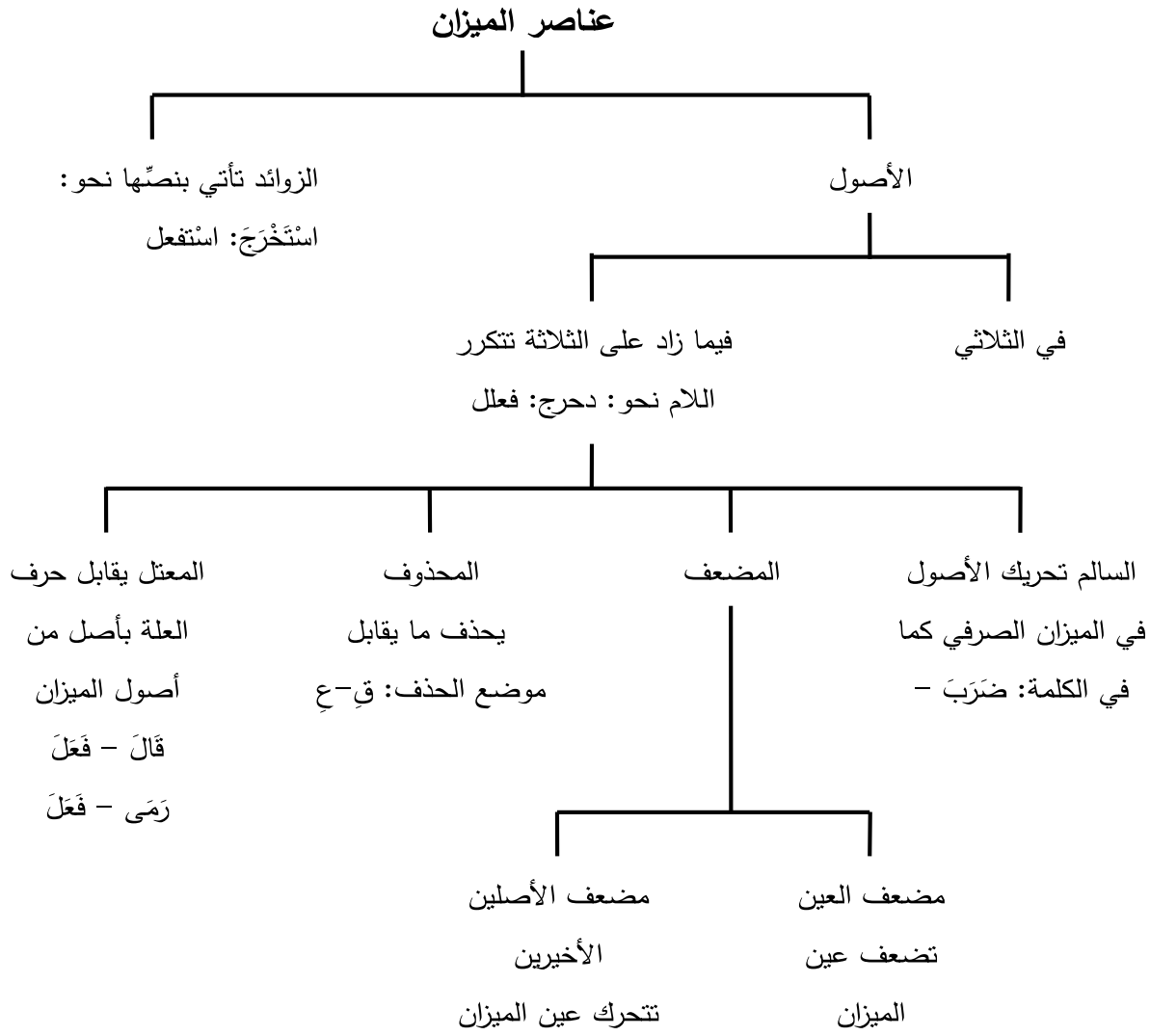
ينشأ عن تضعيف عين الكلمة بتشديدها تضعيف ما يُقابلها في ميزانها الصرفي، نحو: كَرَّمَ على وزن فَعَلَ.

كما ينشأ من تضعيف اللام أن تكون العين واللام في مقابل المضعف، نحو: مَدَّ أصلها مَدَدَ على وزن فَعَلَ، فأدغمت العين واللام لكرهة توالي المثليين في اللغة العربية التي تُحبُّ تيسير النطق واقتصاد الجهد. أمّا إذا زادت الأصول عن ثلاثة كما في دَحْرَجَ فإنّ الميزان الصرفي يكون بتكرار اللام على وزن: فَعَلَلَّ. وإذا حُذِفَ أحد أصول الكلمة حُذِفَ ما يقابلها في الميزان نحو صيغة الأمر من وَقَى، وَفَى، وَعَى هي على الترتيب: ق، ف، ع، أي لم يبق من أصول الكلمة إلاّ عينها⁽¹⁾.

يلخص تمام حسان عناصر الميزان الصرفي لبعض الصيغ الصرفية بآلية التشجير على النحو الآتي⁽²⁾:

(1) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 42-43.

(2) تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 43.



يُصَرِّحُ تَمَامُ حَسَّانٍ عَنِ إِمْكَانِيَّةِ دُخُولِ الصِّيْغَةِ الصَّرْفِيَّةِ فِي الْجَدْوَلِ كَمَا تَدْخُلُ الْأَمْثَلَةُ، وَأَنَّ مِنْ خَوَاصِّ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِمْكَانِيَّةَ تَصْرِيفِ الصِّيْغَةِ مِنْ غَيْرِ الْإِسْتِعَانَةِ بِأَمْثَلَتِهَا، نَحْوُ:

| الأمْر | المضارع | الماضي | الضمائر | |
|--------------|---------------|-----------------|---------|---------|
| | أَفْتَعِلُ | أَفْتَعَلْتُ | أنا | المتكلم |
| | نَفْتَعِلُ | أَفْتَعَلْنَا | نحن | |
| أَفْتَعِلُ | تَفْتَعِلُ | أَفْتَعَلْتِ | أنتِ | المخاطب |
| أَفْتَعِلِي | تَفْتَعِلِينَ | أَفْتَعَلْتِ | أنتِ | |
| أَفْتَعِلَا | تَفْتَعِلَانِ | أَفْتَعَلْتُمَا | أنتما | |
| أَفْتَعِلُوا | تَفْتَعِلُونَ | أَفْتَعَلْتُمْ | أنتم | |
| أَفْتَعِلْنَ | تَفْتَعِلْنَ | أَفْتَعَلْتُنَّ | أنتن | |

| | | | |
|--------|-----|---------------|---------------|
| الغائب | هو | أَفْتَعَلَ | يَفْتَعِلُ |
| | هي | أَفْتَعَلَتْ | تَفْتَعِلُ |
| | هما | أَفْتَعَلَا | يَفْتَعِلَانِ |
| | هما | أَفْتَعَلَتَا | تَفْتَعِلَانِ |
| | هم | أَفْتَعَلُوا | يَفْتَعِلُونَ |
| | هنّ | أَفْتَعَلْنَ | يَفْتَعِلْنَ |

إنّ الخاصية سالفة الذكر كغيرها من الخواص تجعل اللّغة العربية محظوظة جدّاً بوجود هذه الصّيغ الصرفية التي تُعدّ من أهمّ أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق، رغم أنّ الصّيغة الصرفية هي جزء من المنهج لا من اللّغة نفسها، والكلام يكون على شرط اللّغة، نحو: خَرَجَ مُحَمَّدٌ بِالْأَمْسِ، وليس: فَعَلَ مَفْعَلٌ بِالْفَعْلِ، لأنّ هذا ليس من اللّغة(1).

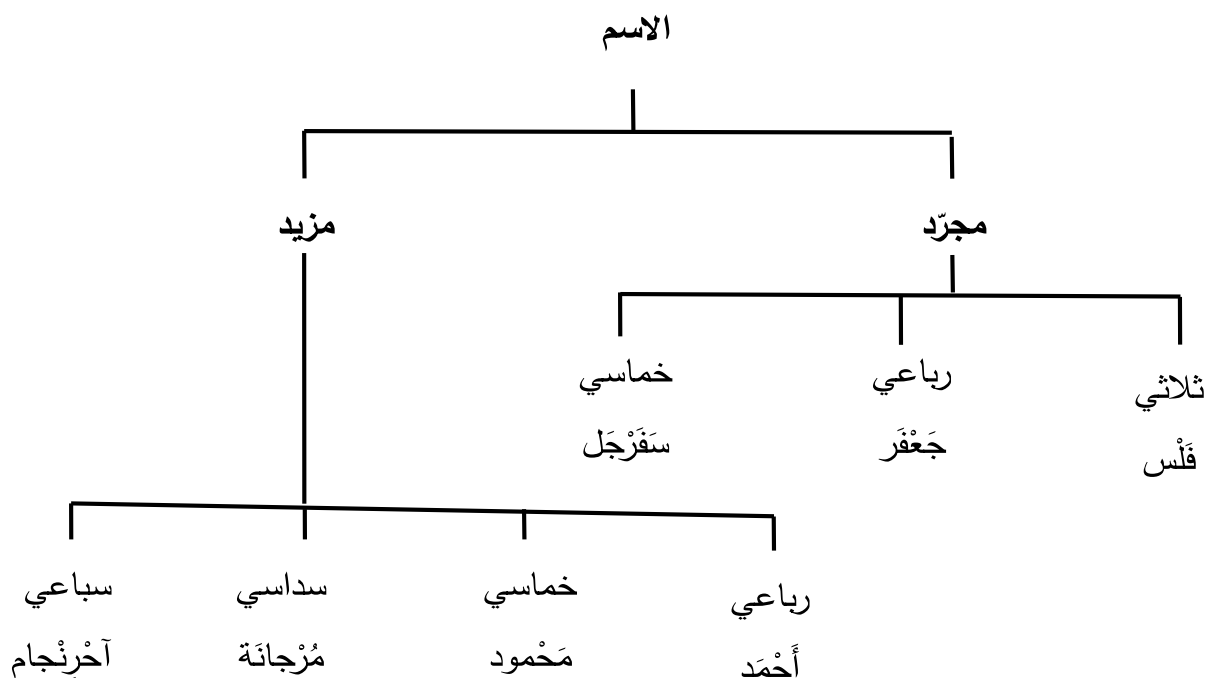
يرى تمام حسان أنّ الصّيغ الصرفية مبان فرعية، وأنّ أصولها هي المباني التقسيمية الثلاثة، وهي: الاسم والصفة والفعل دون غيرها من أقسام الكلام؛ فلا صيغة للضمائر ولا للخوالب ولا للظروف ولا للأدوات في عمومها، على نقيض الأسماء التي لها صيغ تختلف عن صيغ الصفات وعن صيغ الأفعال(2).

انطلاقاً من الأصول والزوائد كعناصر أساسية للنظام الصرفي، يمكن القول إنّ هذه المباني التقسيمية الثلاثة دون غيرها من أقسام الكلم تنفرد بالتجرّد والزيادة؛ إذ لا يصلح هذا المصطلح إلّا على الأسماء والصفات والأفعال لكونها عناصر ذات أصل اشتقاقي. ويلخصّ تمام حسان ذلك باليتي التشجير والجدولة ويعتمد آلية التعليق وعلى سبيل التمثيل لا الحصر نذكر ما يأتي:

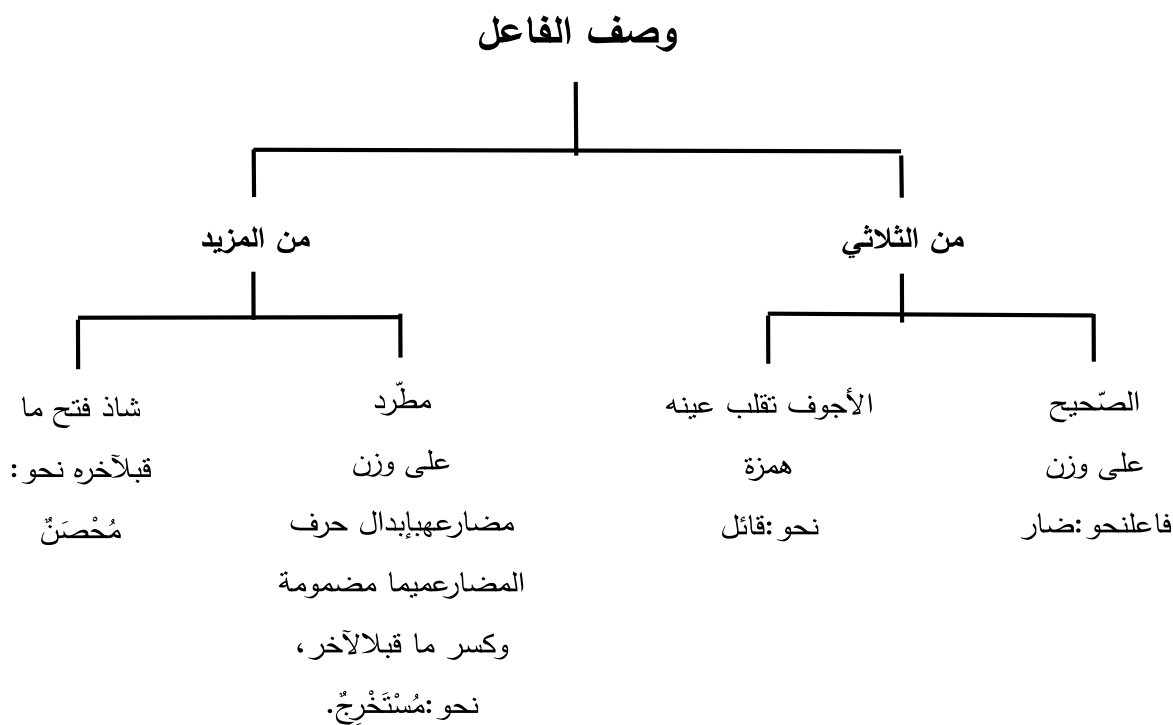
(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 209-210.

(2) للاستزادة ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 136.

1- صيغ الأسماء وأوزانها ومنها (1):



2- صيغ الأوصاف وأوزانها ومنها (2):



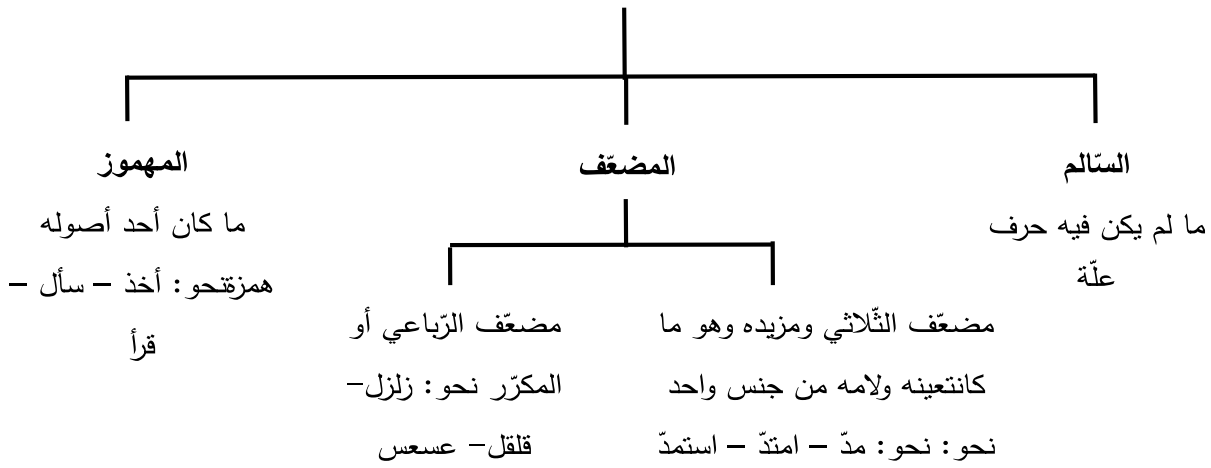
(1) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 43.

(2) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 51.

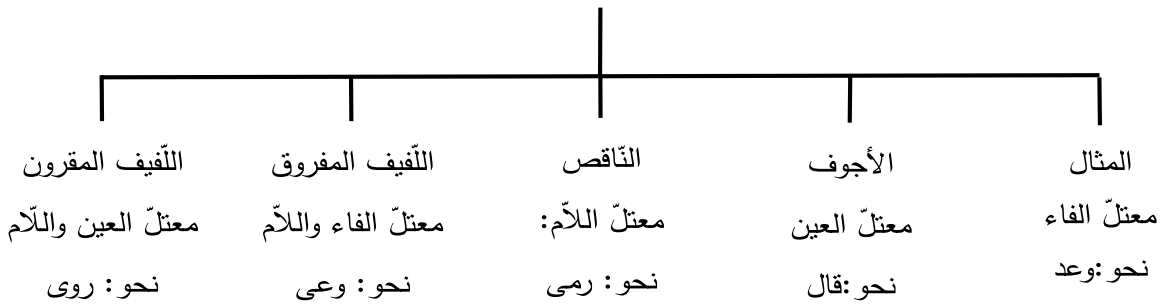
3- صيغ الأفعال وأوزانها:

من منطلق الأصول دون الزوائد ينقسم الفعل إلى صحيح ومعتلّ؛ فأما الأول فهو ما كانت أصوله صحيحة، ويسمّى الفعل الصّحيح. وأما الثاني فهو ما كان أحد حروفه ألفا أو واوا أو ياء، ويسمّى الفعل المعتلّ، ويوضح تمام حسان ذلك بآلية التشجير على النحو الآتي (1):

أقسام الصّحيح



أقسام المعتلّ



(1) ينظر: تمام حسان. الخلاصة التّحوية. ص62.

من منطلق الأصول والزوائد ينقسم الفعل إلى مجرد ومزید، فأما الأوّل فهو ما اكتفى بالأصول دون الزوائد؛ أي ما خلا من حروف الزيادة (سألتمونيها)، ويكون ثلاثيا نحو: ضَرَبَ، أو رباعيا نحو: دَحْرَجَ، وأما الثاني فهو ما زاد عن الأصول الثلاثة في الثلاثي، وعن الأصول الأربعة في الرباعي. ويلخص ذلك بالآتي الجدولة والتشجير فيما يأتي:

- صيغ وأوزان الفعل الثلاثي المجرد: ستة هي (1):

| المثال | صيغة المضارع | صيغة الماضي |
|------------------|--------------|-------------|
| فَتَحَ: يَفْتَحُ | يَفْعُلُ | فَعَلَ |
| ضَرَبَ: يَضْرِبُ | يَفْعِلُ | فَعَلَ |
| نَصَرَ: يَنْصُرُ | يَفْعُلُ | فَعَلَ |
| عَلِمَ: يَعْلَمُ | يَفْعُلُ | فَعَلَ |
| حَسِبَ: يَحْسِبُ | يَفْعِلُ | فَعَلَ |
| حَسَنَ: يَحْسُنُ | يَفْعُلُ | فَعَلَ |

- صيغ وأوزان الفعل الرباعي المجرد: يشير تمام حسان إلى أنّ الصرّفيين أحصوا للأفعال الرباعية المجردة سبعة صيغ هي (2):

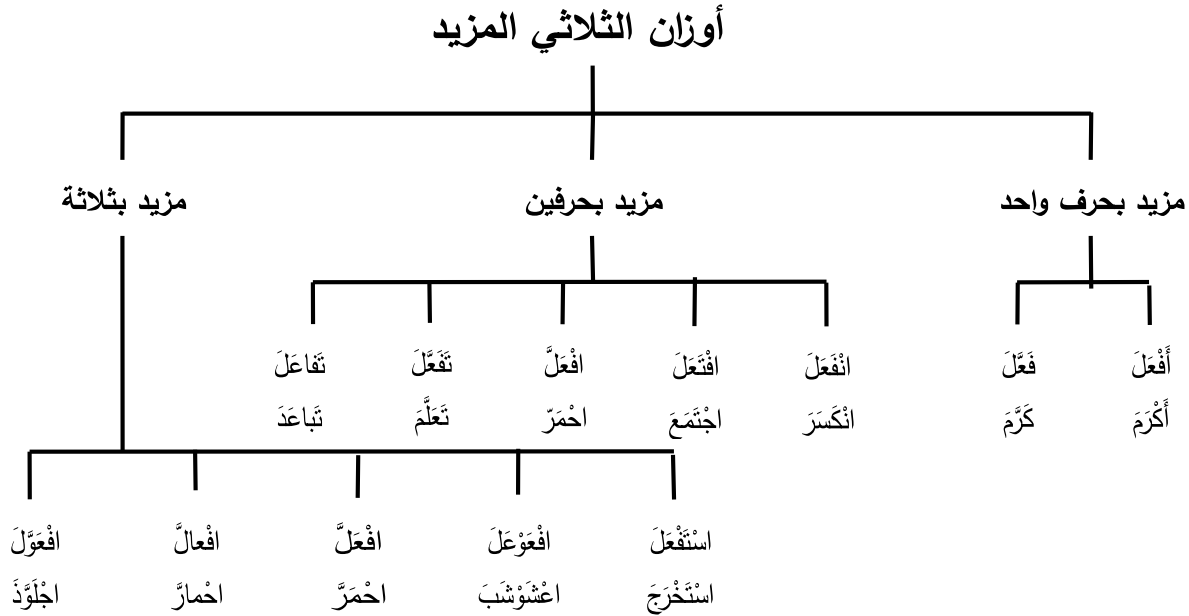
| وزن الفعل | مثال |
|-----------|--|
| فَعَّلَ | جَلَبَبَ - دَحْرَجَ - زَغَرَدَ - عَزِيدَ - فَرَّقَعَ |
| فَوَعَلَ | جَوْرَبَ |
| فَعُوَلَ | رَهَوَاكَ |
| فَيَعَلَ | بَيَّطَرَ |
| فَعِيلَ | شَرَّيْفَ |
| فَعَلَى | سَلَّقَى |
| فَعَعَلَ | قَلَّنَسَ |

(1) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 63.

(2) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 64.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ تمام حسان قد وقع في تناقض، فقد عنون الجدول بأوزان الرباعي المجرد، وعلّق بعد الجدول بقوله: «ويلاحظ أنّه عدا الوزن الأول (فَعَلَّ) الذي تكرّرت فيه الباء. نجد أحد الأصول الأربعة فيما عداه من حروف الزيادة وهي الواو والياء والألف والنون»⁽¹⁾. فلا يُعقل أن يكون الحرف الواحد من الأصول والزوائد في الآن نفسه، فإمّا أن يكون أصلاً، فيكون الفعل رباعياً مجرداً - وهو الأرجح - وإمّا أن يكون زائداً فيكون الفعل مزيداً.

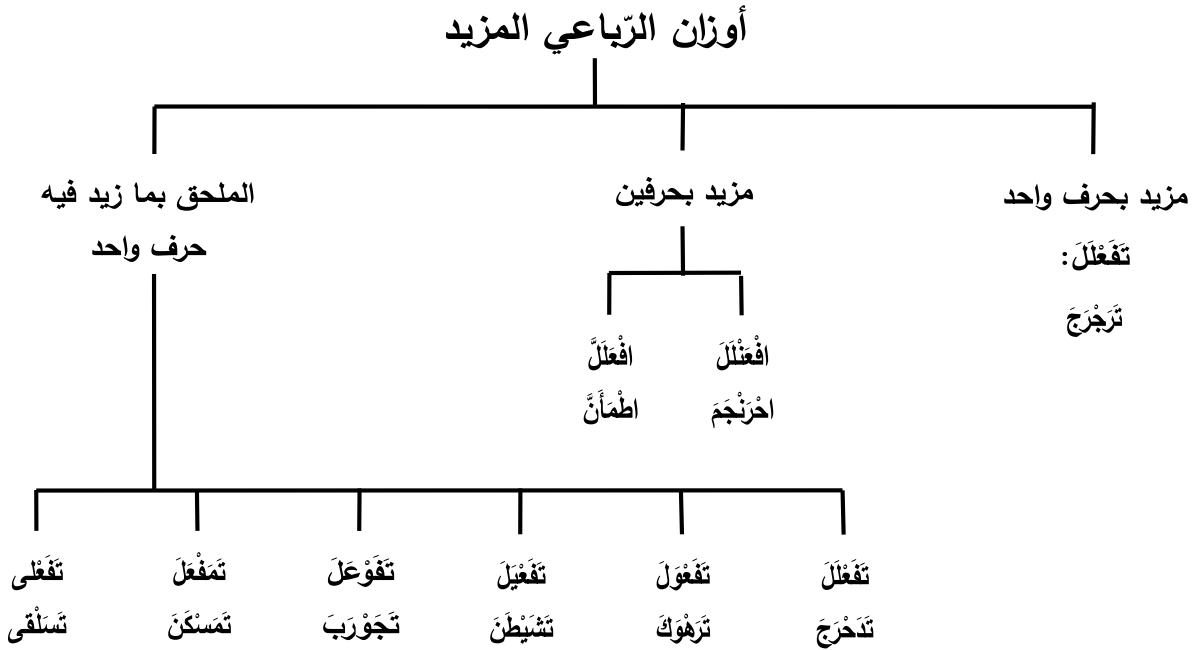
- صيغ وأوزان الفعل الثلاثي المزيد: يُلخصها تمام حسان بآلية التشجير كما يأتي⁽²⁾:



(1) تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 64.

(2) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 64.

- صيغ وأوزان الرباعي المزيد وملحقاته: لخصها تمام حسان في المشجر الآتي:



- معاني صيغ الزوائد:

نهل تمام حسان من الموروث الصرفي، فوافق الصرفيين في الكثير من الأمور وخالفهم في بعضها، وأشار إلى أنّ «الصرفيين قد آثروا أن ينسبوا المعاني مرّة إلى الصيغ ومرّة إلى ما سمّوه حروف الزيادة، وصار من الممكن لهم في الخالتين أن يعبروا عن حقائق المباني الصرفية دون قصور. أمّا نحن [يقول تمام حسان] فلاعتبرنا عملية نفضّل أن ننسب الطلب أو الصيرورة إلى الاستفعال كلّه لا إلى السين والتاء، والمطابوعة إلى الانفعال كلّه لا إلى النون الساكنة، وبذلك نكون قد وصلنا إلى قرار بشأن المبني الدال على واحد من هذه المعاني الصرفية، فاعتبرنا مبني الصيغة فرعا على مباني التقسيم وهي: الاسم وتحتته صيغ والصفة وتحتتها صيغ، والفعل وتحتته صيغ أيضا»⁽¹⁾.

في موضع آخر ينبّه تمام حسان إلى أنّه لم يقل معاني حروف الزوائد لأنّ حروف الزيادة ليست من حروف المعاني، فهي لا تستقلّ عن الصيغة، ومن ثمّ كان العنوان

(1) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 144.

معاني صيغ الزوائد، مع العلم بأن المعنى الوظيفي لكل صيغة منها قد يتعدّد بحسب السياق، فيحتاج المقصود به إلى قرائن سياقية:

| المعنى | أَفْعَلْ | فَعَلَ | اسْتَفْعَلَ | انْفَعَلَ | فَاعَلَ | افْتَعَلَ | تَفَاعَلَ | تَفَعَّلَ | افْعَلَّ |
|----------------------|----------|---------|-------------|-----------|---------|-----------|-----------|-----------|----------|
| التعدية | أَكْرَمَ | كَرَّمَ | | | | | | | |
| الصيرورة | أَلْبَنَ | قَوَّسَ | اسْتَحْجَرَ | | | | | | |
| السلب والإزالة | | قَشَّرَ | | | | | | | |
| الاستحقاق | أَحْصَدَ | | | | | | | | |
| اعتقاد الشيء على صفة | أَعْظَمَ | | اسْتَبْخَلَ | | | | | | |
| المطاوعة | أَفْطَرَ | | اسْتَقَامَ | انْكَسَرَ | | اعْتَدَلَ | تَبَاعَدَ | تَكَسَّرَ | |
| المشاركة | | | | ماشى | | اخْتَصَمَ | تَقَاتَلَ | | |
| الموالة | | | | والى | | | | | |
| التكثير | | طَوَّفَ | | | | | | | |
| النسبة إلى أصل الفعل | | كَفَّرَ | | | | | | | |
| التوجه | | شَرَّقَ | | | | | | | |
| اختصار الحكاية | | هَلَّلَ | | | | | | | |
| الاجتهاد في الطلب | | | اكتسب | | | | | | |
| قوة اللون أو العيب | | | | | | | | | احمَرَّ |
| التدرج | | | | | | | تَزَايَدَ | تَجَرَّعَ | |
| التظاهر | | | | | | | تَنَاطَمَ | | |
| الطلب | | | | | | | | | |
| التكلف | | | | | | | | تَصَبَّرَ | |

بهذا يفرّق تمام حسان بين الصيغة الصرفية والميزان الصرفي؛ لأنّ الصيغة مفهومها ثابت فوقى يقى مثلاً على صيغة فَعَلَ يَفْعَلُ، ولكنها أعلت بال حذف في فاء الكلمة وهي الواو، فتحول المضارع من يوقى (يَفْعَلُ) إلى يقى (يَعِلُ) فكان ذلك وزنه لا صيغته. وبهذا اختلفت الصيغة عن الميزان، فالمعيار الذي يحدّد الصيغة هو أصل الوضع، وما

يمثّل الميزان الصّرفي هو البقاء على الأصل أو العدول عنه عن طريق القلب أو الحذف أو النّقل (1).

يشير تمام حسّان إلى إمكانية حدوث تشابه بين صيغتين صرفيتين مع اختلافهما في المعنى، ولاستبانة معنى كلّ منهما يلجأ إلى آلية الاعتماد على القرائن على النّحو الآتي (2):

1- صيغة فاعلٍ: بمعزل عن السّياق، وبعدها مبنى غير منطوق تصلح لمعنيين،

هما:

أ- اسم الفاعل من فَعَلَ.

ب- فعل أمر من فاعَلَ.

فبالوقوف على الكلمة المفردة (قاتِلٌ) تصلح للدّلالة على اسم الفاعل وعلى فعل الأمر، ولترجيح كفة معنى دون الآخر يتمّ الاعتماد على قرائن متنوّعة كالجدول الإلصاقي والجدول التّصريفي والجدول الإسنادي والسّياق. فأما على مستوى الجدول الأوّل فإنّ قبول الكلمة للألف واللام دلالة على أنّها اسم فاعل، وإنّ قبولها لنون النسوة دلالة على أنّها فعل أمر. وأما على مستوى الجدول الثّاني فإذا انحازت الكلمة إلى مقتول وقتال وقتيل فهي اسم فاعل، وإذا انحازت إلى قاتل يُقاتلُ فهي فعل أمر. أما على مستوى الجدول الثّالث فإنّ قبول الكلمة الإسناد إلى ضمائر الخطاب دلالة على أنّها فعل أمر وإلا فلا. وأما التّفريق بالسّياق فتوضّحه المقابلة بين: القاتِلُ يُقتلُ وقاتِلٌ من قاتلك.

2- صيغة فَعَلَ: وتصلح للاسم المعين كالبيّت وللمصدر كضرب وللصفة كشهم،

والقرائن اللفظية هي الحكم بين تعدّد المعاني لصيغة فَعَلَ، نحو: كلمة عدل تصلح أن تكون مصدرا وصفة مشبهة، واعتماد قرينة الجدول الإلصاقي لا تكفي للفصل بين

(1) ينظر: تمام حسّان. الخلاصة النّحوية. ص 65-66.

(2) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 147 وما بعدها.

المعنيين؛ إذ لا يمكن إصاق (أل) ولاصقة التثنية وضمائر المتصلة دون الوقوف على المعنى المقصود من الكلمة، فتعتمد قرينة الجدول التصريفي، هذا الأخير الذي يسمح لمعنى الصّفة المشبّهة بالدّخول فيه ولا يسمح للمصدر لأنّه اسم والأسماء لا تتصرّف. أمّا اعتماد قرينة الجدول الإسنادي فتأبى الكلمة - سواء أكانت مصدرا أو صفة مشبّهة- الدّخول فيه، فيتّم اللّجوء إلى كبرى القرائن اللفظية لترجيح كفة أحد المعنيين وهي قرينة السياق، نحو:

- العَدْلُ أساس الملك (الكلمة تفيد المصدر)

- هو الحكم العَدْلُ اللّطيف الخبير (الكلمة تفيد الصّفة المشبّهة).

3-صيغة تَفَعَّلُ: وتصلح للفعل المضارع المسند إلى المخاطب وإلى الغائبة، نحو:

أنتَ تَكْتُبُ، وهي تَكْتُبُ. وقرينة الرّبط هي الفاصل بين المعنيين، فإذا عاد الضّمير المستتر على مخاطب فالإسناد للمخاطب، وإذا عاد على غائبة فالإسناد إلى غائبة.

4- صيغة تفاعل وأخواتها: صيغة تفاعلا صالحة للماضي المسند إلى ألف الاثنين

والمضارع المجزوم المسند إليها، والأمر المسند إليها أيضا، نحو:

إن تَقَابَلَا تتازعا: الفعلان في الجملة صالحان للماضي و المضارع.

إن تَقَابَلَا فتتازعا: الأوّل صالح لهما، والثاني أمر بقرينة الفاء الجوابية، واو جعلنا

الفاء عاطفة لصلح الفعل بعدها للماضي والمضارع، وصارت جملة الشرط بحاجة إلى

جواب.

إنّ ما قيل في صيغة تفاعل يقال في أخواتها من الصّيغ الآتية: تفاعلوا وتفاعلن

وتفعلوا وتفعلن وتفاعل وتفعّل، ويظهر ذلك فيما يأتي (*):

- صيغة تفاعل: نحو: تُقاتل

(* يشير تمام حسّان إلى أنّ الأمثلة التي تحمل رقما بعينه تحمل وجه الشبّه فيما بينها. والمضارع في كلّ ذلك على حذف إحدى التّاءين كما في "ولا تتنازعا".

| | | |
|------------|-----------------|--------------------------------------|
| أنا | تَقَاتَلْتُ | إن أَتَقَاتَلْ |
| نحن | نَقَاتَلْنَا | إن نَتَقَاتَلْ |
| أنتَ | تَقَاتَلْتَ | (1) إن تُقَاتَلْ (حذف تاء الزيادة) |
| أنتِ | تَقَاتَلْتِ | (2) إن تُقَاتَلِي (حذف تاء الزيادة) |
| أنتما | تَقَاتَلْتُمَا | (3) إن تُقَاتِلَا (حذف تاء الزيادة) |
| أنتم | تَقَاتَلْتُمْ | (4) إن تُقَاتِلُوا (حذف تاء الزيادة) |
| أنتنَّ | تَقَاتَلْتُنَّ | (5) إن تُقَاتِلْنَ (حذف تاء الزيادة) |
| هو | تَقَاتَلَ | إن يَتَقَاتَلْ |
| هي | تَقَاتَلَتْ | (1) إن تَتَقَاتَلْ (حذف تاء الزيادة) |
| هما (مذكر) | (3) تَقَاتَلَا | إن يَتَقَاتِلَا |
| هما (مؤنث) | تَقَاتَلَتَا | (3) إن تَقَاتِلَا (بحذف تاء الزيادة) |
| هم | (4) تَقَاتَلُوا | إن يَتَقَاتِلُوا |
| هنَّ | (5) تَقَاتَلْنَ | إن يَتَقَاتِلْنَ |

- صيغة تَفَعَّلَ: نحو: تَزَيَّنَ، بدخولها الجدول التصريفي تتشابه خمس حالات، ويظهر ذلك فيما يأتي:

| | | |
|--------|----------------|--|
| أنا | تَزَيَّنْتُ | إن أَتَزَيَّنُ |
| نحن | تَزَيَّنْنَا | إن نَتَزَيَّنُ |
| أنتَ | تَزَيَّنْتَ | (1) إن تُزَيَّنْ (مع حذف تاء الزيادة) |
| أنتِ | تَزَيَّنْتِ | (2) إن تُزَيَّنِي (مع حذف تاء الزيادة) |
| أنتما | تَزَيَّنْتُمَا | (3) إن تُزَيَّنَا (مع حذف تاء الزيادة) |
| أنتم | تَزَيَّنْتُمْ | (4) إن تُزَيَّنُوا (حذف تاء الزيادة) |
| أنتنَّ | تَزَيَّنْتُنَّ | (5) إن تُزَيَّنْنَ (حذف تاء الزيادة) |
| هو | تَزَيَّنَ | إن يَتَزَيَّنُ |
| هي | تَزَيَّنَتْ | (1) إن تَتَزَيَّنْ (حذف تاء الزيادة) |

| | | |
|------------|-----------------|--------------------------------------|
| هما (مذكر) | (3) تَزَيَّنَا | إن يَتَزَيَّنَا |
| هما (مؤنث) | تَزَيَّنْتَا | (3) إن تَزَيَّنَا (بحذف تاء الزيادة) |
| هم | (4) تَزَيَّنُوا | إن يَتَزَيَّنُوا |
| هنّ | (5) تَزَيَّنَ | إن لم يَتَزَيَّنَ |

5- صيغة المصدر والجمع: نحو:

- نحن نخطب قعودا أو وقوفا مصدر: قعد و وقف أو جمع: قاعد و واقف.
 - نحن نخطب قياما أو جلوسا مصدر: قام و جلس أو جمع: قائم و جالس.
 - نحن نريد حلولا مصدر: حَلَّ يحلُّ أو جمع: حلٌّ.
 - نحن ننشد حضوراً مصدر: حَضَرَ أو جمع: حاضر.
- إنّ كلّ القرائن اللفظية في هذه الحالة تقف عاجزة أمام الفصل بين هذه الصيغ
أمواد هي أم جموع. ولا يتم ذلك إلاّ بالاعتماد على المقام وهو منبع القرائن الحالية.

خامسا - نظام الاشتقاق وأبعاده عند تمام حسّان:

يشير تمام حسّان إلى أنّ التّحويين والصّرفيين قد لاحظوا وجود ارتباط وضعي بين الكلمات المتّحدة الأصل المختلفة الصّيغة من جهة اللفظ والمعنى، وأنّ الكلمة العربية ذات أصول ثلاثة يعبر عنها في الميزان الصّرفي بفاء الكلمة وعينها ولامها، وأنّها تأتي مرتّبة بهذا التّرتيب. وأنّ هذا الارتباط الملاحظ لفظي أولا لأنّ حروف الأصل توجد في الصّيغتين المترابطتين بنفس التّرتيب، وإن اختلف الهيكل العليّ في كلمة عنه في الأخرى، فلا بدّ أن ترد الكلمتان إلى أصل واحد. وأنّ هذا الارتباط معنوي ثانيا لأنّ الكلمتين اللّتين توصفان هذا الوصف تعبران عن معنى عام واحد تختلفان في دائرته، كما تختلف الصّيغتان، لا كما تختلف المادّتان المعجميتان، إذ لا بدّ أن تُردّ الكلمتان إلى مادّة واحدة.

يشير تمام حسّان - في نفس السّياق - إلى أنّ الكلمات العربية تأتي على هيئات صرفية معيّنة تسمّى الصّيغ، وأنّ الخلاف بين الكلمات من النّاحية التّركيبية هو في الواقع اختلاف بين هذه الصّيغ، هذا الأخير هو اختلاف صرفي من ناحية اللفظ، معجمي من ناحية المعنى، وإذا اغتفر استعمال علم المعجم في تحديد المفهومات الصّرفية، جاز القول بأنّ الاشتقاق هو: ردّ لفظ إلى آخر لموافقته إيّاه في حروفه الأصليّة، ومناسبتة له في المعنى⁽¹⁾.

بصياغة أخرى يشير تمام حسّان - في تعريفه للاشتقاق - إلى أنّ الكلمات التي هي على صيغ مختلفة تقوم بينها صلة رحم معيّنة قوامها اشتراك هذه الكلمات بصيغها المختلفة في أصول ثلاثة معيّنة، فتكون فاء الكلمة وعينها ولامها فيهن واحدة. وهذه الصّلة تدرس في الصّرف تحت اسم الاشتقاق، وفي المعجم تحت اسم الاشتراك في المادّة.

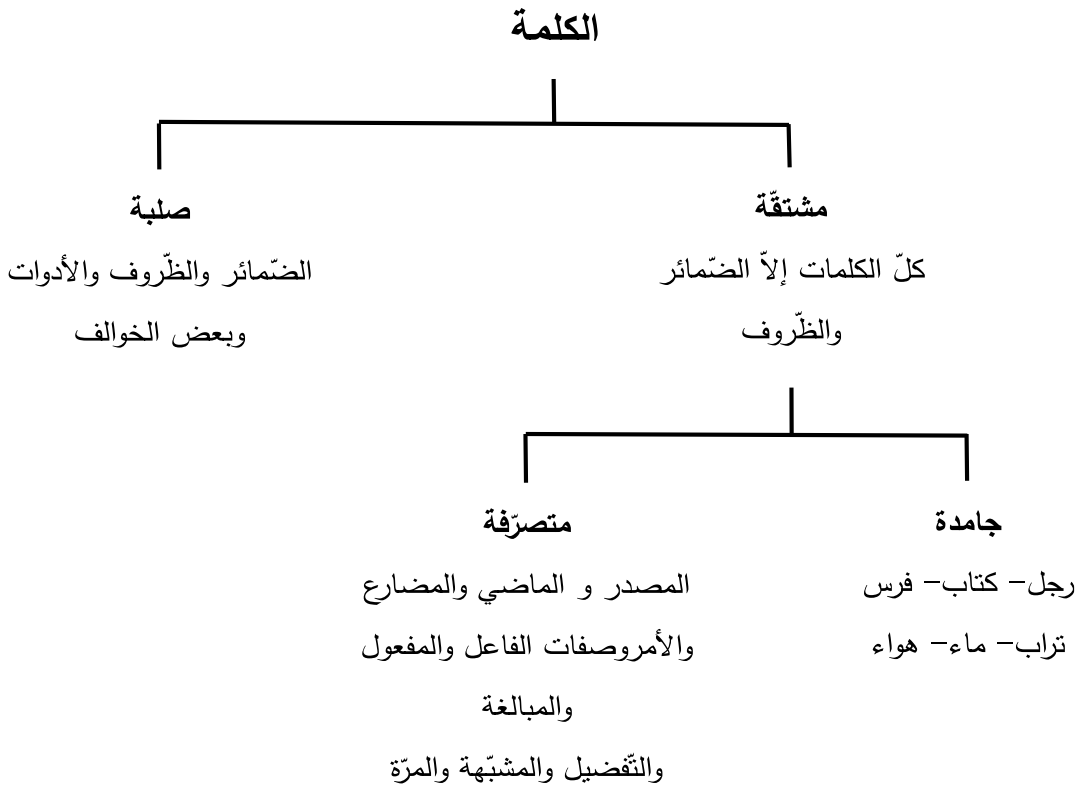
(1) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 211-212.

يضيف تمام حسّان أنّ الاختلاف بين الصّرفيين والمعجميين تعدّى تسمية الظاهرة إلى المنهج وطريقة النّظر، فطائفة الصّرفيين نظرت إلى المسألة من وجهة نظر المعنى الوظيفي وكذا التّجرد والزيادة؛ فأما المعنى الوظيفي الذي تشترك فيه كلّ المشتقات هو صلتها بمعنى الحدث الذي يوجد في أصفى صوره في المصدر لأنّه المشتقّ الوحيد الذي لا يضمّ إلى الحدث معنى آخر كالزّمن في الفعل، وفاعل الحدث في صفة الفاعل، ومفعول الحدث في صفة المفعول، الأمر الذي جعل البصريين يعدّونه أصلاً للاشتقاق على خلاف الكوفيين الذين نظروا إلى المسألة من ناحية التّجرد والزيادة، فأروا أنّ المجرد من بين هذه الصّيغ أقرب إلى الأصالة من المزيد، وأنّ الفعل الماضي الثلاثي المجرد المسند إلى المفرد الغائب نحو (ضَرَبَ) أكثر تجرّداً من غيره، فجعلوه أصل المشتقات، فجعلوه أصل المشتقات.

بآلية النّقد والنّقض للقديم وآلية التّجديد بإعطاء البديل يؤكّد تمام حسّان أنّ أصل الاشتقاق ليس المصدر كما قال البصريون ولا الفعل الماضي المجرد كما قال الكوفيون، وإنّما الأصول الثلاثة وهي فاء الكلمة وعينها ولامها هي أصل اشتقاق الكلمة وذوات رحمها، وينبّه إلى أنّ هذا الاعتبار يقتضي أن تكون كلّ كلمات اللّغة العربية مشتقة ما عدا الضّمائر والظّروف والأدوات وبعض الخوالب. ولهذا يعدّ تمام حسّان الاشتقاق دراسة صرفية مسوقة لخدمة المعجم، ويرى أنّ الأجدى في دراسة مشكلة الاشتقاق - كما سمّاها- أن يعدّل الصّرفيون بها عن طريقهم إلى طريق المعجميين. فإذا صحّ إيجاد رابطة بين الكلمات فينبغي ألاّ نجعل واحدة منها أصلاً للأخرى وإنّما - على حدّ قوله- نعود إلى صنيع المعجميين بالربط بين الكلمات بأصول المادّة، فنجعل هذا الرّبط بالأصول الثلاثة أساس منهجنا في دراسة الاشتقاق؛ فكلّ من المصدر والفعل الماضي مشتق منها.

يُضيف تمام حسان أنّ هذا الفهم الجديد للاشتقاق يتبعه أمر آخر هو تقسيم الكلمات المشتقة إلى متصرفّة وجامدة؛ فأما الأولى فهي التي تتّضح الصلات بين بعضها وبعض بواسطة تقليب حروف مادّتها على صيغ مختلفة كالأفعال والصفات. وأما الثانية فهي التي لا يمكن فيها ذلك كرجل وفرس وكتاب. فيكون المصدر بهذا الفهم مشتقاً متصرفاً لأنّ صيغته تعدّ إحدى الصيغ التي تنقلّب عليها أصول المادّة، وكذلك يُعدّ الفعل الماضي المجرد مشتقاً متصرفاً. ويوضّح تمام حسان ذلك بآلية التشجير على النحو الآتي (1):

وبوضع تمام حسان للاشتقاق بين الجمود والتصرف، يرى أنّ معنى الجمود يختلف

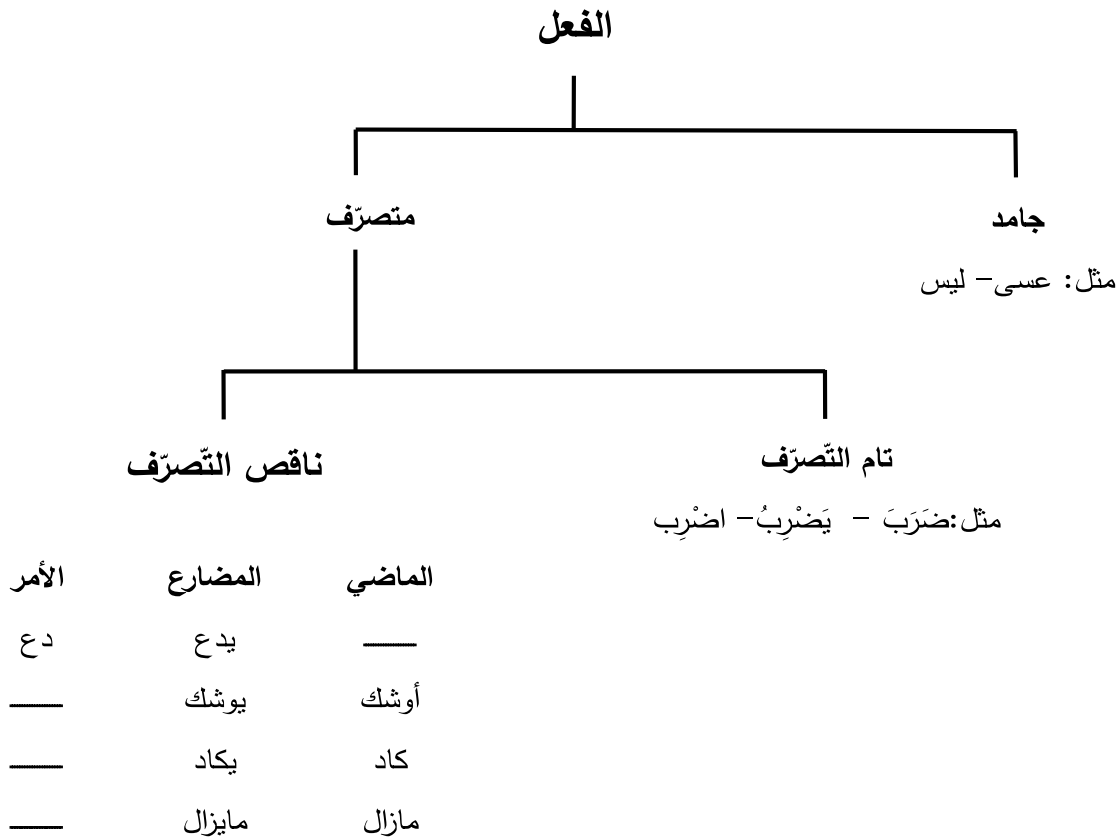


بالنسبة للأسماء عنه بالنسبة للأفعال؛ فالجامد من الأسماء ما لم يُؤخذ من غيره، فلا تقوم علاقة لفظية بينه وبين غيره من حيث حروفه الأصلية، وعكسه المشتقّ الذي ينتمي إلى أصل اشتقاقي يجمع بينه وبين عدد من الألفاظ يشترك معه في حروفه الأصلية، ولكنّه يختلف معه في الصيغة الصرفية.

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 166 وما بعدها.

يمثل تمام حسان لذلك بألفاظ منقطعة الرّحم اللفظية بعناصر كان يمكن أن تشاركها في حروفها الأصلية وتقترب من معانيها، نحو: رجل، ماء، تراب، زمان وغيرها، على نقيض أوصاف مثل: ضارب، منصور، كريم، أكبر وغيرها، التي لها علاقة بكلمات أخرى تشاركها في أصولها الثلاثة وفي عموم المعنى وتختلف عنها في البنية الصرفية.

أمّا جمود الفعل فعكسه المتصرف وليس المشتق؛ فالفعل الجامد يلزم صورة واحدة كالماضي مثلاً فلا يأتي منه مضارع ولا أمر، أمّا إذا كان الفعل متصرفاً فهو على ضربين: أحدهما تام التصرف فتأتي منه الصيغ الثلاث (فَعَلَ - يَفْعَلُ - افْعَلْ)، وثانيهما ناقص التصرف فلا تأتي منه واحدة من صوره الثلاث، نحو: مازال - ماقتيء - مابرح - كاد - أوشك - يدع، والجامد نحو: عسى - حرى - خلا وغيره. وبآلية التشجير يوضّح تمام حسان ذلك بالمشجر الآتي (1):



(1) ينظر: تمام حسان. الخلاصة التحوية. ص 42.

بهذا يرى تمام حسّان أنّ الجمود مصطلح ذو وجهين؛ أحدهما عكس الاشتقاق وينطبق على الأسماء، والثّاني عكس التّصريف وينطبق على الأفعال⁽¹⁾.

يُمكن عدّ ما عبّر عنه تمام حسّان بالفهم الجديد للاشتقاق على أنّه ينضوي تحت آلية التّجديد في مقابل ما أتى به علماء العربية القدامى في موضوع الاشتقاق وأصله، لا ما أتى به المحدثون، فحيدر جبار عيدان وضرغام علي محسن يقولان: «لم يكن الدّكتور تمام حسّان أوّل من وصل إلى هذا الرّأي، بل قد سبقه إلى ذلك الأصوليون من المحدثين وكذلك الدّكتور عبد الله درويش»⁽²⁾.

في حين يقول محمد حيدر جبر: «يقترح تمام حسّان أساساً جديداً في موضوع الجامد والمشتق في علم الصّرف؛ إذ يرى أنّ الصّحيح تقسيم الكلمات المشتقة على متصرفة وجامدة»⁽³⁾.

وتوفيقاً بين الرّأيين يمكن القول إنّ تمام حسّان يمضي في خطّ متّصل، يمثّل اتّجاهاً عاماً لدى معظم الدّارسين في الميدان المورفولوجي⁽⁴⁾.

هذا عن آلية التّجديد فأما عن آلية النّقد والنّقض فتظهران فيما ذهب إليه تمام حسّان من أنّ وجهة النّظر الصّرفية إلى مسألة الاشتقاق هي وجهة نظر تجعل بعض الصّيغ أصلاً وتجعل الأخرى فروعا عليه، وتفترض أنّ كلّ مادّة مواد اللّغة قد بدأت في صورة المصدر أو في صورة الفعل الماضي، ثمّ عكف النّاس عليها يشتقّون منها ويفرّعون عليها حتّى تصل اللّغة إلى مرحلة تستنفذ فيها حاجتها إلى المزيد من مشتقات هذه المادّة أو تتوقف عن الاشتقاق لأنّها فرغت من الصّياغة على مثال كلّ المباني الصّرفية الممكنة.

(1) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النّحوية. ص 41-42.

(2) حيدر جبار عيدان وضرغام علي محسن. النّحو الوصفي بين الدّكتور مهدي المخزومي والدكتور تمام حسان (دراسة في موارد الاتفاق والاختلاف بينهما). ص 146.

(3) محمد حيدر جبر. التّفكير المورفولوجي عند تمام حسان. ص 145.

(4) ينظر: عبد الصّبور شاهين. المنهج الصّوتي للبنية العربية. بيروت. 1980. ص 107-108.

وليس شيء أبعد من طبيعة نشأة اللغة وتطورها من هذا الافتراض - يضيف تمام حسان - فالمعروف أنّ بعض المواد يتّسع لعدد من الصيغ الاشتقاقية أكثر ممّا يتّسع البعض الآخر؛ أي قد توجد صيغة مستعملة في مادة ومهجورة في مادة أخرى، ويمثّل تمام حسان لذلك بصيغة (فَعَلَ) التي توجد من مادّة (و ق ع)، ولا توجد من مادّة (و د ع)، وتحقّق المطاوعة من (كسر) بصيغة (انفعل) وعدم تحقّقها بهذه الصيغة من (ركب) لأنّ هذه الصيغة وتلك مهجورتان في المادّتين (و د ع) و (ر ك ب)⁽¹⁾.

ما سبق ذكره حال دون اقتناع تمام حسان برأي علماء العربية عامّة؛ إذ يصرّح بذلك فيقول: «والواقع أنّ الصّعوبات تقوم فعلا دون الاقتناع برأي البصريين أو برأي الكوفيين على حدّ سواء»⁽²⁾. فقد نقض رأي أهل البصرة ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي بجعل المصدر أصل الاشتقاق، موجّها النّقد للبصريين عامّة، إذ يقول: «فأمّا للردّ على البصريين فأنا أسألهم عن (كان) الناقصة (وهي عندهم فَعَلَ) ألها مصدر أم لا مصدر لها. إنّ مذهبهم يقول إنّ كان الناقصة لا مصدر لها ومع ذلك يعتبرونها مشتقة فما أصل اشتقاقها؟»⁽³⁾.

وعمّا لاحظته تمام حسان على رأي البصريين يقول حيدر محمد جبر: «ليس من شك أنّ ملاحظة تمام حسان تعوزها الدقّة في جانب منها، إذ لا يخفى أنّ (كان) الناقصة لها مصدر وهو (الكون) وقد نبّه على ذلك النّحويون بشواهد احتضنتها مصنّفاتهم، ومع ذلك فإنّ تمام حسان لم يبق دائرا في هذا الفلك الذي دارت فيه آراء القدماء، إذ تجاوز تلك الدائرة التي اقتصرت معطياتها على التّوجيه العقلي في معرفة أصل الاشتقاق، ومال

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 167.

(2) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 167.

(3) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 167.

إلى إخضاع الظاهرة لمعايير منهجية، إذ رأى ضرورة أن يسلك الصّرفيون طريق المعجميين في هذا الميدان»⁽¹⁾.

وجّه تمام حسّان نقده للخليل خاصّة إذ يقول: «وأعجب لعقبري مثل الخليل ابن أحمد إذ نراه وهو أبو المعجميين يجعل الحروف المفرّقة أصلاً لمفردات معجمه ثمّ نراه وهو [على] رأس البصريين يقول إنّ أصل الاشتقاق هو المصدر. ولو أنّ الذين جرّدوا أصل الاشتقاق اعترفوا بأنّ الأصل هو هذه الحروف الثلاثة (وقد سلّموا بأنّها ترمز لفاء الكلمة وعينها ولامها) لكانوا أصدق مع أنفسهم، لأنّ كلّ التحليلات الصّرفية تقوم على افتراض أنّ هذه الحروف الثلاثة هي أصول الاشتقاق. وحسبنا أن نتأمّل المقصود بمصطلحاتهم مثل: المجرّد والمزيد والصّحيح السّالم والصّحيح المهموز والمثال والنّاقص واللّفيف، وفي اعترافهم بأنّ التثنية والتّصغير تردّ الأشياء إلى أصولها»⁽²⁾.

يضيف تمام حسّان أنّه «وعلى الرّغم من إصرار النّحاة البصريين ومنهم الخليل بالطّبع على أنّ أصل الاشتقاق هو المصدر، وجدنا الخليل يبني كتاب العين وهو أول معجم في العربية على مداخل من الحروف الأصلية الثلاثة، ويورد تحت هذه الحروف كلّ مشتقات المادّة ممّا يدعوننا إلى الزّعم بأنّ الخليل قد عدّ الأصول الثلاثة هي أصل الاشتقاق عملاً وإن لم يصرّح بذلك»⁽³⁾.

أمّا عن نقضه لرأي الكوفيين في عدّ الفعل الماضي المجرّد أصلاً للاشتقاق، فيقول تمام حسّان: «وأما للرّدّ على الكوفيين فإنّ (يَدْعُ) و(يَدْرُ) في رأيهم لا ماضي لهما، وهما مشتقان على رغم ذلك، فما أصل اشتقاقهما إذا؟»⁽⁴⁾.

(1) حيدر محمد جبر. التّكبير المورفولوجي عند تمام حسان. ص 144.

(2) تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص 90.

(3) تمام حسان. قضايا الحدّثة في اللّغة العربية. مقالات في اللّغة والأدب. ج 2. ص 276.

(4) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 167.

إذا نظر تمام حسّان إلى رأي البصريين ورأي الكوفيين في أصل الاشتقاق بعين ناقدة، فإنّ حيدر جبار عيدان وضرغام علي محسن أيضاً قد نظرا إلى البديل الذي أتى به تمام حسّان بعين النّقد، إذ قالوا: «إنّ الرّأي القائل بأصالة المادّة، وإنّ الكلمات كلّها مشتقة منها في نظرنا لا يمكن أن نتصوّره، إذ إنّ من شروط الاشتقاق الاتّفاق في المعنى بين المشتقّ والمشتقّ منه، وهذا غير حاصل في الاشتقاق من الحروف المبعثرة مادامت مجردة عن المعنى، فكان لا بدّ أن تولّف الحروف كلمة لها معنى خاص في الوضع، حتّى يمكن الاشتقاق، وبهذا نرجع إلى الرّأي القائل بأنّ الكلمات بعضها أصل وبعضها الآخر فرع، الذي حاول تمام حسّان التّخلّص منه ولم يفلح؛ إذ إنّه في الوقت نفسه أقرّ بأصالة بعض الكلمات مثل: الضّمائر والظّروف والأدوات وبعض الخوالف»⁽¹⁾.

يؤكد تمام حسّان على أنّ بعض النّحاة الأقدمين كان يستهجن أن يجعل صيغة أصلاً لصيغة أخرى، وعليه فالقول بأنّ كلمة أو صيغة ما أصل لكلمة أو صيغة أخرى مردود في القديم والحديث. فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرّد العلاقة بين الكلمات، واشتراكها في شيء معيّن خير من أن تقوم على افتراض أصل منها وفرع، ويدلّل تمام حسّان على ذلك بالرّأي الذي تفتنّ إليه السيوطي حين قال: «قالت طائفة من النّظار: الكلم كلّ أصل»⁽²⁾. فالحروف الأصلية الثلاثة -التي تعدّ جذور اللّغة العربية- هي القدر المشترك بين الكلمات المترابطة من النّاحية اللفظية، كما أنّ هذه الأخيرة - أي كلمات اللّغة - كلّها مشتقة، فقد «قالت طائفة من المتأخّرين اللّغويين: كلّ الكلم مشتقّ؛ ونُسب ذلك إلى سيبويه والرّجاج»⁽³⁾.

(1) حيدر جبار عيدان وضرغام علي محسن. النّحو الوصفي بين الدّكتور مهدي المخزومي والدكتور تمام حسان (دراسة في موارد الاتّفاق والاختلاف بينهما). ص 146.

(2) السيوطي. المزهرة في علوم اللّغة وأنواعها. مج 1. ط 3. دار التّراث. القاهرة. (دت). ص 348.

(3) السيوطي. المزهرة. مج 1. ص 348.

ينوّه عبد الرّحمن العارف برأى تمام حسّان في الاشتقاق، إذ يقول: «وهناك أمر جدير بالتّويه هنا، وهو تلك الإشارة الخاطفة من الدّكتور تمام إلى الفرق بين الاشتقاق والتّصريف، وصرّح بأنّ الاشتقاق يدور حول الأصول، في حين أنّ التّصريف يدور حول الأصول والزّوائد معاً، ممّا يعني أنّ التّصريف أعمّ من الاشتقاق»⁽¹⁾.

سادساً - الملحقات الصرفية أو اللّواصق:

غاص تمام حسّان في ميدان اللّغة العربية فتوصّل إلى أنّ الاشتقاق حلقة وصل بين الصّرف والمعجم، إذ يرى أنّ «الكلمة العربية ذات ثلاثة أصول ترتبط بها من النّاحية الاشتقاقية، وأنّ هذه الأصول الثلاثة إلى جانب استعمالها من النّاحية الصرفية تتخذ مادّة للكلمة من النّاحية المعجمية [وقد] فطن إلى ذلك المعجميون ولم يفتن إليه الصّرفيون»⁽²⁾.

فالاشتقاق في نظره - كما سبق ذكره - «دراسة صرفية مسوقة لخدمة المعجم، كما [أنّ] المباني والزّيادات والملحقات دراسة صرفية مسوقة لخدمة النّحو»⁽³⁾.

إنّ انتصار تمام حسّان للأصل التّلاثي للاشتقاق جعله ينظر إلى الصّيغ الرّباعية في اللّغة العربية نظرة مغايرة لما يقوله الصّرفيون عن بعضها إنّه من مزيد التّلاثي، وعن بعضها الآخر إنّه أصلي في حروفه الأربعة. الأمر الذي دفعه إلى طرح السّؤال الآتي: ما عسى أن يكون علاج المنهج الحديث لهذه الرّباعيات؟

يجيب تمام حسّان عنه بأنّ المنهج التّقليدي في البحوث الصرفية قد عدّ الهمزة في نحو (أَكْرَمَ)، والتّضعيف في نحو (كَرَّمَ) من الزّيادات التي يُؤتى بها لغرض نحوي هو التّعديّة. ويُضيف بأنّ الفعل الماضي مضموم العين (كَرَّمَ) من الأفعال اللّازمة، في حين

(1) عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص 178.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 216-217.

(3) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 169.

أَنَّ (أَكْرَمَ) و(كَرَّمَ) متعدّيان. ويشير إلى أنّ الحروف الأصلية الثلاثة في هذه الصّيغ الثلاث هي: الكاف والرّاء والميم، وأنّ ما زاد عن ذلك فهو من اللّواصق أي الملحقات الصّرفية. كذلك الحال بالنّسبة لحرف اللّين في (قَاتَلَ) و (قَوَّيَلَ)، فالحروف الأصلية في هذين الفعلين هي: القاف والنّاء واللّام، أمّا الألف والواو المديّتان فهما من الملحقات الصّرفية التي جيء بها للتّعبير عن قيمة خلافية شكلية موازية لقيمة خلافية في المعنى، فالفرق بيّن بين صيغتي (قَتَلَ) و(قَاتَلَ) وبين (قُتِلَ) و(قُوِّتِلَ) من ناحية المعنى والمبنى معا.

يضيف تمام حسّان نوعا آخر من الملحقات الصّرفية وهو تکرّر فاء الكلمة بين العين واللّام، ويمثّل لذلك بأفعال ثلاثية نحو (جَرَ) و(كَفَّ) وغيرها، ويرى أنّ الرّباعيات منها تتکرّر فيه الفاء بين عنصري الحرف المشدّد بعد فكّه نحو (جرجر) و(كفكف). وبهذا يجعل تمام حسّان الفاء المكرّرة في مثل ما سبق زيادة صرفية إلحاقية لا حرفا أصليا بشهادة الصّيغة الثلاثية المجرّدة⁽¹⁾.

يرى حيدر محمد جبر أنّ الأسس التي ارتكز عليها تمام حسّان في هذا الرّأي «تلامس جذور جزء منها ما ذهب إليه أحمد بن فارس (ت395هـ) الذي رجّح أنّ كثيرا من الصّيغ الرّباعية غير أصلية، وتُصاغ بطريقة (النّحت) من خلال كلمتين من أصول ثلاثية»⁽²⁾.

إذا تشابهت أفكار تمام حسّان ببعض ما ذهب إليه ابن فارس⁽³⁾، فإنّها تختلف عمّا ذهب إليه غيره من القدامى، فقد نفى وجود صيغ رباعية أو خماسية في اللّغة العربية، ونظر إليها على أنّها ثلاثية مزيدة بحرف أو حرفين. والرّيادة - في نظره - زيادة حرّة، دون نظر إلى نوع الحرف المزيد، وإلى ارتباطه بأحد الحروف الأصلية.

(1) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص217- 218.

(2) حيدر محمد جبر. التّفكير المورفولوجي عند تمام حسّان. ص146.

(3) للاستزادة ينظر: ابن فارس. الصّاحبي في فقه اللّغة. تح: السيّد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. (دت). ص461.

بآلية التمثيل يوضح ما سبق ذكره من خلال أفعال في اللغة العربية يعدها ثلاثية مزيدة في حين يعدها الصرّفيون رباعية أصلية الحروف الأربعة نحو (دحرج) و(زغرد) وغيرها؛ إذ يرى تمام حسان أنّ كلا الفعلين ثلاثي، فأما مادة الأول (دَحَج) فمزيدة بحرف الحاء، وأما مادة الثاني (عَرَدَ) فمزيدة بحرف الزاي، وأنّ صيغة الثلاثي وما زيد عنها تؤدّي نفس المعنى أو تقاربه. وهو بهذا يخالف الصرّفيين في نقطة أخرى وهي حصر حروف الزيادة في (سألتمونيها) بجعل كلّ الحروف الأبجدية صالحة لأن تكون زائدة، وهذا في نظره ما يعزّز دعوى ثلاثية الكلمة العربية تعريفا كاملا⁽¹⁾.

في موضع آخر يؤكد تمام حسان الفكرة نفسها فيقول إنّ «حروف الزيادة في اللغة الفصحى ليست قاصرة عند حروف (سألتمونيها) فكلّ حرف في اللغة العربية صالح من الناحية العملية لأن يكون زائدا لمعنى. ولنا أن نسوق الأمثلة الآتية للتدليل على هذا الزعم:

| | | | | |
|----------|------------------|--------|---------|-------|
| دَحْرَجَ | ذات صلة بالثلاثي | دَحَجَ | والمزيد | الحاء |
| زَعْرَدَ | ذات صلة بالثلاثي | عَرَدَ | والمزيد | الزاي |
| شَقَلَبَ | ذات صلة بالثلاثي | قَلَبَ | والمزيد | الشين |
| عَرَيْدَ | ذات صلة بالثلاثي | عَرَدَ | والمزيد | الباء |

وليس واحد من هذه الحروف الأربعة المزيدة يعدّ من حروف (سألتمونيها)⁽²⁾.

يرى تمام حسان أنّ (دَحْرَجَ) فعل ثلاثي مزيد بحرف الحاء بدليل قوله السابق والقول اللاحق، إذ يقول: «وهناك طائفة من الأفعال في اللغة العربية تعتبر رباعية أصلية الحروف الأربعة في نظر الصرّفيين، ولكننا نرى أنّ أحد هذه الحروف مزيد، حتّى ولم

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 219- 220.

(2) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 153.

يكن من حروف (سألتمونيها) فمن ذلك: دَحْرَجَ - دَرَجَ فأنت ترى أنّ الفعل الرباعي ذو مادة ثلاثية»(1).

وعليه يمكن القول إنّ الفعل دَحْرَجَ في نظر تمام حسان هو: فعل ثلاثي مزيد بحرف الحاء ومادته الأصلية هي: دَرَجَ، وهو رأي فيه نظر لأنّ تمام حسان نفسه يقول: «أمّا إذا زادت الأصول عن ثلاثة كما في (دَحْرَجَ) فإنّ الميزان يكون بتكرار اللام فيقال إنّ وزنها (فَعَلَلٌ)»(2).

كما أنّه ساق الفعل (دَحْرَجَ) مثلا لوزن (فَعَلَلٌ) كأحد أوزان الرباعي المجرد(3).

وعليه فإذا كانت المادة الثلاثية الأصلية للفعل (دَحْرَجَ) هي (دَرَجَ)، وإذا كان ميزانه الصرفي هو (فَعَلَلٌ) أي بتكرار اللام، فإنّ حروف المثال تقابل الميزان على النحو الآتي:

| | | | |
|----|----|----|----|
| دَ | حَ | رَ | جَ |
| فَ | عَ | لَ | لَ |

من ثمة فالحرف المزيد الذي يقابل اللام المكررة هو: الرّاء أو الجيم وليس الحاء التي تُعدّ عين الفعل ولا يمكن حذفها لأصالتها.

تجدر الإشارة أيضا إلى أنّ تمام حسان نفسه قد وقع في تناقض؛ إذ ذهب مذهب الصرفيين الذين انتقدهم واستحضر مثالهم في عدّ (دَحْرَجَ) فعلا رباعيا أصليّ الحروف الأربعة، إذ يقول: «وقد يزداد الرباعي أيضا بواسطة لواصق وزيادات ليؤدّي معاني صرفية مختلفة عما يؤدّيها منها الرباعي المجرد، وذلك كما يأتي: زيادة التاء في أول فَعَلَلٌ لتصير تَفَعَّلَ، نحو: تَدَحْرَجُ»(4).

(1) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 219.

(2) تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 43.

(3) تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 64.

(4) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 139.

في موضع آخر يقول: «المجرد ما خلا من حروف الزيادة (التي تتمثل في لفظ سألتمونيها) وهو إمّا ثلاثي كضربَ وإمّا رباعي كدَحْرَجَ»⁽¹⁾.

انطلاقاً من أنّ الكلمة هي نواة الدرس الصرفي، تجدر الإشارة إلى أنّ الملحقات الصرفية ليست كلمات، وإنّما هي أجزاء من كلمات، لعدم إمكانية استقلالها بنفسها⁽²⁾.

I - أنواع الملحقات الصرفية:

يشير تمام حسان إلى أنّ الملحقات الصرفية كحروف الزيادة والأدوات والضمائر المتصلة، لها معانٍ وظيفية لا معجمية^(*)، وتتّوَع إلى ثلاثة أنواع هي⁽³⁾:

1 - صدور (Prefixes): والصدّر - على حدّ تعبير تمام حسان - ما ألحق بأوّل

الكلمة وتصدّرها، ليؤدّي معنى صرفياً معيناً. وأشهر الصدور في اللّغة العربية:

- حروف المضارعة (أنيت) نحو: الياء التي تصدر كلمة (يحترمونها)، وعبرت عن مورفيم المضارعة.

- همزة التّعدية المفتوحة نحو: أكرم.

- حركة همزة الوصل في أوّل الافعال نحو: الاجتماع.

- حركة همزة الوصل والنون الساكنة في أوّل الانفعال نحو: الانفصال.

- حركة همزة الوصل والسين والتاء في الاستفعال نحو: الاستخراج.

- التاء المفتوحة في تفعل نحو: تخرّج.

- التاء المفتوحة في تفاعل نحو: تسامح.

- التاء والميم في تمفعل نحو: تمنطق.

(1) تمام حسان. الخلاصة النّحوية. ص 63.

(2) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 224.

(*) مثل كاف الخطاب كضمير متّصل من النّاحية الوظيفية ترد مفعولاً أو مضافاً إليه. ولكن من النّاحية المعجمية لا نجد لها مدخلاً معجمياً خاصاً في المعجم.

(3) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 220 وما بعدها.

- 2- أحشاء (Infixes): والحشو - كما عرّفه تمام حسان - ما جاء في وسط الكلمة ليؤدّي معنى صرفيا معيّنا فيها. وأشهر الأحشاء في اللّغة العربية:
- تاء الافتعال في نحو: يحترمونهم المعبّرة عن مورفيم الافتعال.
 - التّضعيف في مضعّف العين من التّلاثي نحو: كرم.
 - الفاء المكررة في نحو: هدّهذ.
 - الزيادة الحرّة في وسط الكلمة شرط أن يكون حشوها بين حرفين أصليين نحو الفعل: دَحْرَجَ من دَرَجَ.

- 3- أعجاز (Suffixes): والعجز - عند تمام حسان - ما ألحق بآخر الكلمة، فأدّى معنى وظيفيا نحويا أو صرفيا. وأشهر الأعجاز في اللّغة العربية:
- الضّمائر المتّصلة نحو: (الواو) و(هم) في يحترمونهم؛ فالواو علامة تعبّر عن مورفيم الفاعلية، الذي يعبّر عن باب الفاعل أي المسند إليه أو العمدة، وأمّا (هم) فهو علامة على مورفيم المفعولية المعبّر عن باب المفعول أي باب الفضلة.
 - نون الوقاية في نحو: يحترمونهم، وهي علامة على مورفيم الرّفْع الذي يعبّر عن باب رفع الفعل المضارع في حالة تجرّده من النّاصب أو الجازم.
 - حركات الإعراب وحروفه.
 - علامة التّأنيث.

II - معاني الملحقات الصرفية:

بألية التّمثيل وضّح تمام حسان أنّ الكلمة الواحدة يمكن أن تضمّ مجموعة من المورفيمات، ففي كلمة (يحترمونهم) طائفة من المورفيمات هي: المضارعة والافتعال والفاعلية أو العمدية والرّفْع والمفعولية أو الفضلية. وهذه المعاني جميعا وظائف تؤدّيها الإلحاقات في الكلمة، ويختصّ كلّ منها بملحق خاص به، لكلّ منها معنى هو الوظيفة

التي يؤدّيها، أو بعبارة أخرى هو المورفيم الذي يعبر عنه. فمعنى الملحقات إذاً وظيفي أولاً وقبل كلّ شيء⁽¹⁾.

يشير تمام حسان إلى أنّ هناك عدّة معانٍ صرفية عامّة تؤدّي بواسطة الملحقات الصرفية أي اللواصق منها⁽²⁾:

1- الشّخص (التكلم والخطاب والغيبة): ويعبر عن الشّخص بضمائر الرّفْع المتّصلة في الفعل الماضي، وبحروف المضارعة في المضارع، ودلالاتها معيّنة بالنّسبة للهمزة التي تعين المتكلم وللنون التي تعين المتكلمين، أمّا التّاء فإن لم يشاركها غيرها عند الخطاب، فإنّها هي نفسها تشارك الياء في الغيبة، وبهذا تكون الياء أقوى على تعيين الغائب من التّاء على تعيين المخاطب. وأمّا فعل الأمر فجميعه لشخص واحد هو المخاطب.

2- العدد (الإفراد والتثنية والجمع): ويدلّ على العدد الضّمائر في الأفعال واللواصق الحرفية في الصّفات والأسماء؛ فالتّاء المضمومة المقترنة بالفعل الماضي تدلّ على المتكلم الواحد، وتعبر نون الجماعة المتكلمة (نا) المقترنة بالماضي عن ضمير المتكلمين.

هذا عن الضّمائر في الأفعال أمّا عن اللواصق الحرفية في الصّفات والأسماء، فيعبر فيها عن العدد بالواو والنون أو الياء والنون للجمع، والألف والنون أو الياء والنون للمثنى، وبعدم ذلك للإفراد، وبالألف والتّاء لجمع المؤنث وهكذا.

3- النّوع (التذكير والتأنيث): ويعبر عن النّوع في أفراد الأسماء بالصّاق التّاء بالمؤنث وكذلك الألف المقصورة والهمزة الممدودة، وبعدم ذلك للمذكّر، وأمّا في الجمع

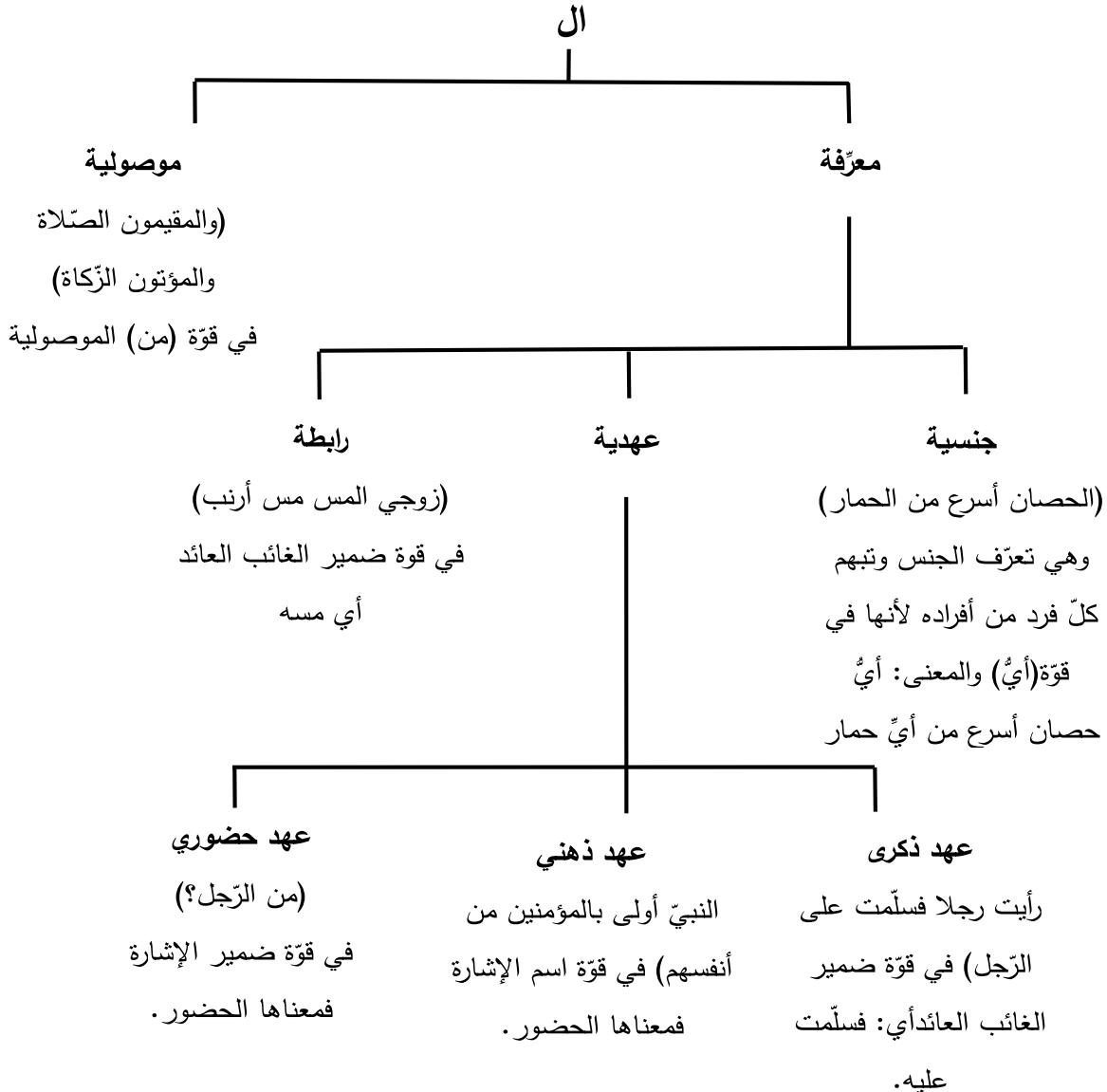
(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 221.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 156 وما بعدها.

فبالألف والتاء للمؤنث في مقابل علامات أخرى يعرف بها الجمع في حالة التذكير، أمّا في الأفعال فبتاء التأنيث ونون النسوة.

4- التّعيين (التّعريف والتّكثير): ولا يكون التّعيين إلاّ للأسماء، فإذا وردت (أل)

مع الصّفات فهي ضمير موصول وليست أداة تعريف، ومردّ ذلك إلى طبيعة دلالة الصّفة لا إلى (أل) نفسها. والفرق بين النكرة من الأسماء في حالة التّكثير وبينها في حالة التّعريف هو إلصاق (أل) بها في حالة التّعريف. بألية التشجير يلخص تمام حسان معاني (أل) التي تعدّدت بين التّعريف والموصولية على النحو الآتي:



مما سبق استنتج تمام حسّان أنّ الضّمائر المتّصلة هي أوسع اللّواصق مجالا، لأنّها يمكن أن يُستفاد منها ثلاثة معان هي: الشّخص والعدد والنّوع، ثمّ حروف المضارعة لأنّها يُستفاد منها الشّخص والعدد ولواصق التّثنية والجمع، حيث يُستفاد منها العدد والنّوع أيضا. أمّا لواصق التّأنيث فتفيد النّوع عند مقابلتها بصيغ المذكر، وتفيد العدد عند مقابلة التّاء بالنّون. ويستنتج أيضا أنّ أضيّق اللّواصق مجالا هي أداة التّعريف خاصّة من النّاحية التّطبيقية.

من باب: الرّجوع إلى الأصل فضيلة، نلّفى تمام حسّان - الذي أسهب الحديث عن معاني اللّواصق والملحقات الصّرفية- ينتصر لمنهج القدامى في إفرادهم بابا خاصّا لمعاني صيغ الزّوائد؛ فبإضافتهم لكلمة صيغ إلى الزّوائد يجعلون المعاني الوظيفية ممّا تفيده الصّيغ لا الزّوائد في ذاتها، ويرى أنّ هذا هو المنهج السّليم الأمثل؛ إذ أنّ المعنى الوظيفي الصّرفي ينسب للصّيغة المزيدة كلّها لا إلى زوائدها. غير أنّه يعيب على القدامى جعلهم في الوقت نفسه لحروف الزّيادة لواصق لا زوائد لتعليقهم معنى ما بحروف الزّيادة أحيانا، كإشارتهم لمعنى التّاء في افعل هو الافتعال ويسمّونها تاء الافتعال، ولمعنى السّين والتّاء في استفعل هو الطّلب.

إنّ تمام حسّان في ذلك مصيب لأنّ اللّواصق أعمّ وأشمل من الزّوائد، فهذه الأخيرة محتواة في الأولى، وجزء منها إلى جانب الأدوات والضّمائر المتّصلة.

سابعا - الجدول التّصريفى والتّوزيع الصّرفى:

I - الجدول التّصريفى: يشير تمام حسّان إلى أنّ دراسة الصّرف ومنهجه لا تكون إلّا دراسة رأسية في شكل جدول سواء أكان تصريفيا أم اشتقاقيا، وذلك في مقابل أفقية السّياق، ويوضّح ذلك بالآلية التّمثيل المجدول والتّعليق على النّحو الآتي:

| الضمائر | الماضي (ضَرَبَ) | الأمر (اعتذر) |
|---------|-----------------|---------------|
| أنا | ضَرَبْتُ | |
| نحن | ضَرَبْنَا | |
| أنتَ | ضَرَبْتَ | اعْتَذِرْ |
| أنتِ | ضَرَبْتِ | اعْتَذِرِي |
| أنتما | ضَرَبْتُمَا | اعْتَذِرَا |
| أنتم | ضَرَبْتُمْ | اعْتَذِرُوا |
| أنتن | ضَرَبْتُنَّ | اعْتَذِرْنَ |
| هو | ضَرَبَ | |
| هي | ضَرَبَتْ | |
| هما | ضَرَبَا | |
| هما | ضَرَبْتَا | |
| هم | ضَرَبُوا | |
| هنّ | ضَرَبْنَ | |

يرى تمام حسان أنّ الفكرة الرأسيّة تُبنى على الخلافات الشكّلية في المادّة الواحدة، فاختلاف الصّيغة يتسبّب عن التّكبيفات الصرفية المناسبة. وأنّ الملحقات الصرفية تدخل أيضاً في صيغ الجدول الرّاسي؛ فالتّاء المضمومة في (ضَرَبْتُ) تدخل في تصريف الفعل، كما يدخل ضمير الجماعة المتكلمة (نا) في (ضَرَبْنَا)، والتّاء المفتوحة في (ضَرَبْتَ) والمكسورة في (ضَرَبْتِ)، و(تُما) في (ضَرَبْتُمَا) و(تُم) في (ضَرَبْتُمْ) وغيرها⁽¹⁾.

يبين تمام حسان أنّ الجدول التصريفي يقوم على أساس التّطريز اللّغوي أيضاً،

وليزيد الفكرة وضوحاً ساق الجدول الآتي:

(1) للاستزادة يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللّغة. ص 223-224.

| جمع | | مثنى | | مفرد | | |
|-------------|-------------|-----------|-------------|----------|----------|-------|
| مؤنث | مذكر | مؤنث | مذكر | مؤنث | مذكر | |
| ضَرَبْتُ | | ضَرَبْنَا | | ضَرَبْتُ | ضَرَبْتَ | متكلم |
| ضَرَبْتَنِي | ضَرَبْتَكُم | ضَرَبْنَا | ضَرَبْتُمَا | ضَرَبْتِ | ضَرَبْتِ | مخاطب |
| ضَرَبْنَا | ضَرَبُوا | ضَرَبْنَا | ضَرَبْنَا | ضَرَبْتِ | ضَرَبْتَ | غائب |

يُشَبِّه تمام حسان هذا الجدول التصريفي برقعة الشطرنج؛ فخطوطه الرأسية ستة هي: المفرد المذكر، المفرد المؤنث، المثنى المذكر، المثنى المؤنث، الجمع المذكر، جمع المؤنث. وأما خطوطه الأفقية فثلاث هي: المتكلم، المخاطب والغائب. وفيه مربعات يمتلئ كل منها بصيغة خاصة، بينها وبين الصيغ الأخرى قيم خلافية. وبعض المربعات أكبر من البعض الآخر؛ فـضَرَبْتُ مثلاً تحتلّ مربعاً واحداً في قسم المتكلم سواء المفرد المذكر أو المفرد المؤنث. وكذا ضَرَبْنَا فتحتلّ مربعاً واحداً في قسم المتكلم سواء المثنى المذكر أو المثنى المؤنث أو جمع المؤنث⁽¹⁾.

II- التوزيع الصرفي: يرى تمام حسان أنّ المقصود من التوزيع الصرفي هو

التحديد لا التصريف؛ فالصيغة الصرفية (ضارب) موقوف عليها بالسكون بمعزل عن السياق لا يمكن تحديدها تحديدا صرفياً دقيقاً، لأنها تصلح أن تكون اسم فاعل أو فعل أمر. وما يساعد على الفصل في هذا الأمر هو أحد الشئيين:

أ- ورودها في السياق الذي يساعد على تحديدها بعلاقاتها المتشابكة.

ب- وضعها في توزيع صرفي على النحو الآتي:

| ضارب | ضارب | ضارب | ضارب |
|-------------|------------|---------|-------|
| ضارب | ضارب أباه | الضارب | ضاربي |
| ضاربة أبيها | ضاربة أباه | الضاربة | ضاربا |

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 224-225.

| | | | |
|--------|-----------|----------------|---------------|
| ضاربوا | الضّاربان | ضاربان أباهما | ضاربا أبيهما |
| ضارين | الضّريتان | ضاربتان أباهما | ضاربتا أبيهما |
| | الضّاريون | ضاريون أباهم | ضاربوا أبيهم |
| | الضّاريات | ضاريات أباهنّ | ضاريات أبيهن |

من خلال جدول التّوزيع الصّرفي الرّأسي، يتّضح من كلّ طائفة المقصود من الصّيغة الصّرفية (ضارب⁽¹⁾).

ثامنا - ظاهرة الإدغام:

ينطلق تمام حسّان في دراسة الإدغام ممّا وصل إليه سيبويه، ساعيا إلى التّيسير عن طريق آلية التّلخيص، إذ يقول: «اهتمّ سيبويه بظاهرة الإدغام هذه حتّى جعلها مناط دراسته للأصوات العربية كلّها. وسنحاول فيما يلي أن نلخص نظرة سيبويه إلى ظاهرة الإدغام تلخيصا يقربها إلى طريقة التّناول الحديثة للظواهر الموقعية ويذهب ببعض ما في أسلوب سيبويه من غموض وتعقيد يصادفها القارئ أحيانا»⁽²⁾.

إنّ الإدغام عند سيبويه أنواع يلخصها تمام حسّان فيما يأتي:

النّوع الأوّل: إدغام المثّلين؛ وهو الإدغام في الحرفين اللّذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه كاللّام واللّام في كلمتين متتاليتين، ويستعير تمام حسّان رموز العروضيين لتلخيص الحالات التي تستدعي إدغام المثّلين بجعل الحرف المتحرّك على صورة (-) والسّاكن على صورة (٥)، نحو: توالي خمسة حروف متحرّكة فيدغم ثالثها في رابعها، وهي أحسن حالات الإدغام، مثل:

(1) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللغة. ص 225 - 226.

(2) تمام حسّان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 279.

(-- ٥ --) = (-----)

(جَعَلَ لَكَ) = (جَعَلَ لَكَ) = (جَعَلَكَ) (1).

النوع الثاني: إدغام المتقاربين؛ وهو الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد أو من مخارج متقاربة، وهي ثلاثة أقسام (2):

القسم الأول: يحوي من الحروف ما لا يدغم في مقاربه، ولا يدغم فيه مقاربه. وحروفه (ء ا و ي)؛ فهذه الطائفة تأتي الإدغام في جميع صوره.

القسم الثاني: يحوي من الحروف ما لا يدغم في مقاربه، ولكن يدغم فيه مقاربه، وحروفه (م ف ر ش)، نحو:

1- الميم لا تدغم في الباء، نحو: أكرم به، ولكن الباء تدغم في الميم، نحو:

اصْحَبْ مَطْرًا = اصْحَمَّطْرًا.

2- الفاء لا تدغم في الباء، نحو: اعْرِفْ بَدْرًا، ولكن الباء تدغم في الفاء للتقارب، نحو: اذْهَبْ فِي ذَلِكَ = اذْهَقِّي ذَلِكَ.

3- الراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة، نحو: اجْبُرْ لَبْطَةَ واخْتَرْ نَقْلًا، ولكن قد تدغم اللام والنون في الراء، نحو: هَلْ رَأَيْتَ = هَرَأَيْتَ، وَمَنْ رَأَيْتَ = مَرَأَيْتَ.

4- الشين لا تدغم في الجيم، نحو: انْفُشْ جَرَسًا، ولكن تدغم الجيم في الشين، نحو: اَخْرِجْ شَيْئًا = اَخْرِشِيئًا.

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 281.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 279 وما بعدها.

القسم الثالث: ويحوي من الحروف ما يدغم في مقاربه، ويدغم فيه مقاربه، على النحو الآتي:

1- الهاء والحاء: و يقعان من حيث التّقدّم والتّأخّر على صورتين:

ه ح = ح ح، نحو: اجبَه حَمَلًا = اجْبَحَمَلًا، فالإدغام حسن لقرب المخرجين واتّفاقهما في الهمس والرّخاوة. ولكنّ البيان أحسن لاختلاف المخرجين، ورفض حروف الحلق الإدغام.

ح ه = ح ه، فلا تدغم الحاء في الهاء، نحو: امدَح هِلَالًا؛ لأنّ ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام.

2- الهاء والعين: ويقعان من حيث التّقدّم والتّأخّر على صورتين أيضا:

ه ع = ح ح، نحو: اجبَه عِنْبَةً = اجْبَحِنْبَةً، ولكنّ البيان بعدم الإدغام أحسن لأنّ الهاء لا تدغم في العين لمخالفتها إياها في الهمس والرّخاوة، وكذا رفض حروف الحلق للإدغام.

ع ه = ح ح، نحو: اقطع هِلَالًا = اقطَحَلَالًا، لقرب المخرجين ولأنّ الأقرب إلى الفم لا يدغم فيما وراءه، ولكنّ البيان أحسن.

3- العين والحاء: ويقعان من حيث التّقدّم والتّأخّر أيضا على صورتين:

ع ح = ح ح، نحو: اقطع حَمَلًا = اقطَحَمَلًا، ويحسن كلّ من الإدغام والبيان لأنّهما من مخرج واحد.

ح ع = ح ح، نحو: امدَح عَرَفَةً = امدَحَرَفَةً(*)، ولكنّ البيان هنا أحسن.

4- الغين والحاء: وتردان على صورتين:

(*) اللّهجات الحديثة العامية تفضّل العين المشدّدة بدلا من الحاء كلّما كانت العين ثانية المتقاربين، نحو: امدَح عَرَفَةً = امدَحَرَفَةً.

غ ح = خ خ، نحو: ادمَغَ خَلْفًا = ادمَخَلْفًا، وهذا الإدغام حسن ولكنّ البيان أحسن.

خ غ = غ غ، نحو: اسلَخَ غَنَمَكَ = اسلَغَنَمَكَ، والبيان أحسن؛ لأنّ الغين مجهورة، والخاء والغين حلقيتان لا تحبذان الإدغام.

5- القاف والكاف: وهما على صورتين:

ق ك = ك ك، نحو: إلْحَقْ كَلْدَةً = إلْحَكَلْدَةً، ويتساوى الإدغام مع البيان لقرب المخرجين وكون القاف والكاف من حروف اللسان مع اتفاقهما في الشدّة.

ك ق = ق ق، نحو: إنْهَكُ قَطْنَا = إنْهَقَطْنَا ، فالإدغام حسن ولكنّ البيان أحسن.

6- الجيم والشين: ولأنّ نسق (ش ج) لا إدغام فيه، فهما على صورة واحدة هي:

ج ش = ش ش، نحو: إبعَجْ شَبَنًا = إبعَشَبَنًا، فالإدغام حسن لأنّ الجيم والشين من حروف وسط اللسان ومن مخرج واحد، ولكنّ البيان يساوي الإدغام في الحسن.

7- اللام والراء: ولأنّ نسق (ر ل) يمتنع الإدغام فيه، نحو: إجْبِرْ لَبِطَةً، وبالتالي فهما على صورة واحدة هي:

ل ر = ر ر، نحو: اشْعَلْ رَجَبَةً = اشْعَرَجَبَةً ، والبيان هنا حسن ولكنّ الإدغام أحسن.

8- النون والراء: ولأنّ الرّاء لا تدغم في النون، فهما على صورة واحدة هي:

ن ر = ر ر، نحو: مَنْ رَأَيْتَ = مَرَأَيْتَ، وهنا يكون الإدغام بغنة وبغيرها لقرب المخرجين على طرف اللسان، والتّماتل في الشدّة.

9- النون واللام: لا تدغم اللام في النون، وعليه فهما صورة واحدة هي:

ن ل = ل ل، نحو: مَنْ لَكَ = مَلَّكَ، ويكون الإدغام هنا بغنة وبلا غنة، وعلة ذلك قرب النون من اللام على طرف اللسان.

10- النون والميم: لا تدغم الميم في النون، وصورتها الوحيدة هي:

ن م = م م، نحو: مَنْ مَعَكَ = مَمَعَكَ، وأدغما لأنّ صوتهما واحد، وكذا لاتّفاقهما في الجهر والخروج من الخياشيم.

11- النون والباء: إذا تقدّمت الباء على النون فلا إدغام في ذلك، وإذا كان العكس

تُدغم النون في الباء فتقلّب النون ميما لا باءً لبعدها في المخرج، ولخلوّها من الغنة، فتبدل بالميم لأنّها أشبه الحروف بالنون وبالباء، على النحو الآتي:

ن ب = م ب، نحو: مَنْ بِكَ = مَمِيكَ و عَنبِر = عَمْبِر.

12- النون والواو: لا إدغام عند تقدّم الواو على النون، ولهما صورة واحدة هي:

ن و = و و، نحو: مَنْ وَجَدَ = مَوَّجَدَ، والإدغام هنا بغنة وبغيرها، لأنّ الواو من مخرج ما أدغمت فيه النون وهو الباء والميم.

13- النون والياء: لا إدغام حيث تتقدّم الياء على النون، ولكنّ العكس:

ن ي = ي ي، نحو: مَنْ يَكُونُ = مَيَّكُونُ، والإدغام هنا يكون بغنة وبغيرها، لأنّ الياء أخت الواو.

14- النون وحروف الفم: لا إدغام عند تقدّم أحد الحروف الفموية على النون، ولكن:

النون ثمّ أيّ حرف فموي = إخفاء النون، نحو: مَنْ جَاءَ و مَنْ كَانَ وَمَنْ قَالَ، وذلك بجعلها غنة منّقة في التوقيت مع وضع اللسان في مخرج حرف الفم الذي يأتي بعد النون، وإطالة مدّة النطق بهذا الحرف المصاحب للغنة حتّى يصير بمقدار حرفين أولهما ساكن والثاني متحرّك.

15- النون و حروف الحلق: فيها البيان دون الإدغام.

16- جميع الحروف ثمّ النون: فيها البيان دون الإدغام، إلاّ اللام فيجوز فيها الإدغام والبيان أحسن، نحو: هل نرى = هنرى.

17- لام التعريف: تدغم في الحروف الشمسية (ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن)، ولا تدغم في البواقي لأنها قمرية.

18- لام غير التعريف: كما فيهلّ وبلّ مع بقية الحروف، فالإدغام في بعضها حسن، مثل: الرّاء والطّاء والدّال والثّاء والصاد والرّاي والسّين، نحو: هل رأيت = هرائت، وفي بعضها ضعيف، مثل: الظّاء والثّاء والدّال، وفي بعضها الآخر أضعف، مثل: الضّاد والشّين، والنون لإدغامها فيها أقبح.

بالنظر إلى العلل التي جاء بها سيبويه للإدغام والإظهار في هذه المقاربات، واستنادا إلى آلية التّقييد استخلص تمام حسان القاعدة التي تختفي وراء إدغام المقاربات، ولخصها فيما يأتي (1):

أ- يكون الإدغام إذا تقارب مخرجا الحرفين المتتاليين أو اتفق هذان الحرفان في الصّفة؛ أي طريقة النطق كالشدّة والرّخاوة أو القيمة الصّوتية كالتّنعيم والترقيق أو وضع الصّوت كالجهر والهمس.

ب- يكثر الإدغام بين حروف الفم من الغار إلى اللّهاة، إذ يقول سيبويه: «إنّما أصل الإدغام في حروف الفم واللّسان» (2).

ج- لا يكون الإدغام إذا تباعد مخرجا الحرفين المتتاليين، إذ لا يتمّ الإدغام بين حروف اللّسان وحروف الحلق.

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 288 وما بعدها.

(2) سيبويه. الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. ج 4. ط 5. مكتبة الخانجي. القاهرة. 2009م. ص 448.

د- إذا تجاور حرفان من غير حروف الفم فإنّ أقربهما إلى الفم لا يدغم في بعدهما منه. أمّا العكس فإنّه يدغم، كما حدث في نسق (ه ع)، إذ أدغمت الهاء في العين سابقة لها أو لاحقة بها، وكان الإدغام في الحالتين على صورة (ح ح).

النوع الثالث: الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا؛ وهو مطرد لكثرة حالات

وروده، مع ضرورة الاستناد إلى بعض القواعد الهامة التي سطرها سيبويه، مثل:

أ- لا تدغم الحروف (ز س ص) في الحروف (ت ث د ذ ط ظ) وإن أدغمت هي فيها.

ب- لا تدغم الحروف (ز س ص) في (ض) ولا يُدغم هو فيها.

ج- ما أدغم من حروف طرف اللسان وهو ساكن يُدغم وهو متحرك كما يحدث للمثلين، وهو كالمثلين حسناً وقبلاً وإخفاءً.

د- تُدغم تاء الافتعال بعد (ث د ذ ز ص ض ط ظ) فيما قبلها، أو تتحوّل إلى دال بعد (د ذ ز) وإلى طاء بعد حروف الإطباق (ص ض ط ظ) (*)، نحو:

إضْجَرَ ← إضْطَجَرَ وقال البعض على القياس: إضْجَرَ.

ه- الأصل في الإدغام أن يجعل الأوّل من جنس الآخر.

وبعد هذا يورد تمام حسان المداخل الأحد عشر جاعلاً ثاني الحرفين عنواناً وأولهما

هو التفصيل، على النحو الآتي (1):

1- التاء وما يسبقها:

ظ ث = ث ث، نحو: احفظ ثابتاً = احفظ ثابتاً والإدغام أكثر وأجود.

ذ ث = ث ث، نحو: خذ ثابتاً = خذ ثابتاً والإدغام أكثر وأجود.

(* وهو عكس ما تقرره القاعدة (ه) الأخيرة.

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 290-292.

ت ث = ث ث، نحو: اُنْعَتُ ثابتا = اُنْعَتَابِتَا

2- الذال وما يسبقها:

ظ ذ(*) = ذ ذ، نحو: اَحْفَظُ ذَلِكَ = اَحْفَذَلِكُ والإدغام أكثر وأجود.

ث ذ = ذ ذ، نحو: اُبْعَثُ ذَلِكَ = اُبْعَذَلِكُ والإدغام أكثر وأجود.

ذ ذ = ذ ذ، نحو: اُبْعُدُ ذَلِكَ = اُبْعَذَلِكُ

3- الظاء وما يسبقها:

ذ ظ = ظ ظ، نحو: خُدْ ظَالِمًا

ث ظ = ظ ظ، نحو: خُدْ ظَالِمًا = خُظَالِمًا

ث ظ = ظ ظ، نحو: اُبْعَثْ ظَالِمًا = اُبْعَظَالِمًا

ظ ظ = ظ ظ، نحو: اِهْبِطْ ظَاهِرًا = اِهْبِظَاهِرًا

4- السين وما يسبقها:

ص س = س س، نحو: اَفْحَصْ سَالِمًا = اَفْحَسَالِمًا

ز س = س س، نحو: رَزُّ سَلِيمًا = رَسَلِيمًا

ت س = س س، نحو: ذَهَبْتُ سَلْمِي = ذَهَبَسَلْمِي والبيان عربي حسن

د س = س س، نحو: قَدْ سَمِعْتُ = قَسَمِعْتُ والبيان عربي حسن

ز س = س س، نحو: مُذْ سَاعَةٍ = مُسَاعَةٍ والبيان أمثل

ظ س = س س، نحو: اَحْفَظْ سَلْمَةً = اَحْفَسَلْمَةً

5- الزاي وما يسبقها:

ص ز = ز ز، نحو: اَفْحَصْ زَهْرَةً

س ز = ز ز، نحو: اَحْبَسْ زَهِيرًا = اَحْبَزَهِيرًا

(*) وردت (ظ ز) وهو خطأ مطبعي والصواب (ظ ذ)، في اللغة العربية معناها ومبناها. ص 290.

ط ز = ز ز، نحو: اضْبِطْ زَهِيرًا = اضْبِرْ زَهِيرًا والبيان عربي حسن
ظ ز = ز ز، نحو: احْفَظْ زَهِيرًا = احْفَرْ زَهِيرًا
ذ ز = ز ز، نحو: مُذْ زَمَان = مُزْمَان

6- الصاد وما يسبقها:

س ص = ص ص، نحو: احْبِسْ صَابِرًا = احْبِصَّابِرًا
ت ص = ص ص، نحو: انْعَثْ صَابِرًا = انْعَصَّابِرًا
ذ ص = ص ص، نحو: حُذْ صَابِرًا = حُصَّابِرًا
ز ص = ص ص، نحو: أَوْجِزْ صَادِقًا = أَوْجِصَّادِقًا

7- الدال وما يسبقها:

ت د = د د، نحو: انْعَثْ دَاوُدَ = انْعَدَّادُودَ والبيان جائز
ذ د = د د، نحو: حُذْ دَاوُدَ = حُدَّادُودَ
ط د = د د، نحو: اضْبِطْ دَخْلَكَ = اضْبِدَّخْلَكَ والبيان جائز

8- الطاء وما يسبقها:

د ط = ط ط، نحو: انْفُذْ طَالِبًا = انْفُطَّالِبًا والبيان جائز
ت ط = ط ط، نحو: انْعَثْ طَالِبًا = انْعَطَّالِبًا
ظ ط = ط ط، نحو: احْفَظْ طَالِبًا = احْفُطَّالِبًا

9- الناء وما يسبقها:

د ت = ت ت، نحو: انْفُذْ تِلْكَ = انْفُتُّتْلِكَ والبيان جائز
ث ت = ت ت، نحو: اِبْعَثْ تِلْكَ = اِبْعُتُّتْلِكَ
ط ت = ت ت، نحو: انْفُطْ تِلْكَ الْكَلِمَةَ = انْفُتُّتْلِكَ الْكَلِمَةَ والبيان جائز

10- الضّاد وما يسبقها:

ط ض = ض ض، نحو: خَالِطُ ضَيْفِكَ = خَالِضَيْفِكَ
 ت ض = ض ض، نحو: ثَارَ فَضَجَّتْ ضَجَّةً رَكَائِبُهُ = ثَارَ فَضَجَّضَجَّةً رَكَائِبُهُ
 ظ ض = ض ض، نحو: أَحْفَظُ ضَيْفَكَ = أَحْفُضَيْفَكَ
 ذ ض = ض ض، نحو: خُذْ ضَيْفَكَ = خُضَيْفَكَ
 ث ض = ض ض، نحو: ابْعَثْ ضَيْفَكَ = ابْعَضَيْفَكَ

11- الشّين وما يسبقها:

ط ش = ش ش، نحو: اضْبِطْ شَاكِرًا = اضْبِشَاكِرًا
 ت ش = ش ش، نحو: انْعَتْ شَاكِرًا = انْعَشَاكِرًا
 د ش = ش ش، نحو: انْقُدْ شَاكِرًا = انْقُشَاكِرًا
 ض ش = ش ش، نحو: عَارِضْ شَاكِرًا = عَارِشَاكِرًا
 ظ ش = ش ش، نحو: احْفَظْ شَاكِرًا = احْفُشَاكِرًا والبيان عربي جيّد
 ذ ش = ش ش، نحو: خُذْ شَاكِرًا = خُشَاكِرًا
 ث ش = ش ش، نحو: ابْعَثْ شَاكِرًا = ابْعَشَاكِرًا

النّوع الرّابع: الحرف الّذي يضارع به حرف من موضعه أو من غير موضعه؛

فالصّاد والشّين والجيم إذا تلتها الدّالّ ألحق بها نوع من الإدغام يتناول الصّفة ولا يتناول المخرج، لأنّ المخرج متقارب ولا يتغيّر، فالصّاد والشّين يلحقها الجهر والجيم تلحقها الرّخاوة إذا جاءت الدّالّ بعدهنّ، نحو:

مصدر = مزدر (بتفخيم الزّاي)

أشّدق = أجّدق

أَجْدَر = أَجْدَر، هذا ما قيده تمام حسّان⁽¹⁾ في حين يرى سيبويه أنّ «من ذلك قولهم في الأجدَر: أَشْدَرُ»⁽²⁾.

النّوع الخامس: قلب السّين صاداً لوجود القاف بعدها في كلمة واحدة، نحو:

سُقْتُ = صُقْتُ، وسَبَقْتُ = صَبَقْتُ.

النّوع السادس: الشّاذ الذي خففوا به ألسنتهم وليس بمطرّد، نحو: سِدْسٌ = سِتٌّ،

وكأنّه مرّ بمرحلة كان فيها سِدْتُ.

انطلاقاً ممّا صرّح به تمام حسّان وهو اعتماده آلية تلخيص نظرة سيبويه إلى ظاهرة الإدغام تلخيصاً ييسرها ويقربها إلى طريقة التّناول الحديثة، وذلك عن طريق شرح نوع الإدغام بما قلّ ودلّ ثمّ إعطاء أمثلة لذلك. إلّا أنّ تمسّك تمام حسّان بأمثلة سيبويه حال - في بعض الأحيان - دون الوصول إلى الهدف المنشود وهو التّيسير، ويظهر ذلك في أمثلة ما سيأتي:

- الرّاء لا تدغم في اللّام ولا في النّون لأنّها مكرّرة، نحو: اجْبُرْ لَبْطَةَ فِدَالَةَ هذا المثال تحتاج إلى تمعّن على نقيض: اخْتَرْ لَفْظًا و كذا المثال الذي قيده اخْتَرَّ نَفْلًا.

ه ح = ح ح، نحو: اجِبَهُ حَمَلًا = اجْبَحَمَلًا

ه ع = ح ح، نحو: اجِبَهُ عِنْبَةً = اجْبَحْنَبَةً

غ ح = خ خ، نحو: ادمَغْ خَلْفًا = ادمَخَلْفًا

ق ك = ك ك، نحو: اغْلُقْ كُرَّاسَكَ = اغْلُكُرَّاسَكَ، ويتساوى الإدغام مع البيان لقرب المخرجين وكون القاف والكاف من حروف اللّسان مع اتّفاقهما في الشّدّة.

(1) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 294.

(2) سيبويه. الكتاب. ج 4. ص 479.

ك ق = ق ق، نحو: اسلُكُ قنَاعَة هذا الطَّرِيق = اسلُقْنَاعَة هَذَا الطَّرِيق، فالإدغام حسن ولكنّ البيان أحسن.

ج ش = ش ش، نحو: أَخْرِجْ شَيْئًا = أَخْرِشَيْئًا، فالإدغام حسن لأنّ الجيم والشين من حروف وسط اللسان ومن مخرج واحد، ولكنّ البيان يساوي الإدغام في الحسن.

ل ر = ر ر، نحو: حَلَّلْ رَأْيًا = حَلَّرَأْيًا ، والبيان هنا حسنٌ ولكنّ الإدغام أحسنُ.

الفصل الثالث:

جهود تمام حسّان وآليات تيسيره للدرس النّحوي

تُعدّ مستويات اللّغة العربية سلسلة مرتّبة الحلقات، فكلّ حلقة لها علاقة بما قبلها وما بعدها؛ فكما مهّد الدّرس الصّوتي للدّرس الصّرفي، هيأ هذا الأخير الأرضية للولوج إلى الدّرس النّحوي، وظلّ لصيقاً به في كثير من القضايا، الأمر الذي يُجيز تسمية هذا المستوى بالتركيبية، خاصّة أين يكون الصّرف والنحو وجهين لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما^(*)، من جهة. ومن جهة أخرى كون هذا المستوى يتصل بوضع وتركيب الكلمات داخل وحدة لغوية أكبر تسمّى الجملة في النّحو التّقليدي. هذا الأخير الذي عرف «جدلاً عميقاً وأحياناً عقيماً منذ عشرات السّنين في العصر الحديث»⁽¹⁾، فقد تعالت الأصوات بنعته بشتّى نعوت العسر والصّعوبة، الأمر الذي غدّى دعوات تيسيره، هذه الأخيرة التي تنوّعت بين الهدامة والبناءة؛ فالأولى تبنت الجدل العقيم ودعت إلى ضرب ما بناه الأوّلون بتبني العامية، وهو أمر خطير، علينا أن نحذره ونحذّر منه. والثانية تبنت الجدل العميق سعياً للوصول إلى نتائج علمية عملية لتيسير النّحو.

فيما يأتي محاولة لتسليط الضّوء على جهود تمام حسان وأهمّ آلياته للوصول إلى غايته المنشودة، وهي تيسير الدّرس النّحوي.

أولاً- التّوفيق المعرفي عند تمام حسان:

يرى تمام حسان أنّ المسالك قد تشعبت إلى طريقين؛ فالأوّل طريق يقود إلى التّراث العربي الخصب، وبعث هذا الأخير وإحيائه دافع لعزّة جديدة لا تقلّ روعة عن التّاريخ العربي نفسه، وأمّا الثّاني فطريق يقود إلى المستقبل، معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف، يمكن أن ترقى به إلى مستوى هذه الأمم. فمن سلك الطريق الأوّل فقط انقطع به التّاريخ عن الحياة، ومن سلك الطّريق الثّاني فقط انقطعت به الحياة عن التّاريخ،

(*) من أمثلة تداخل الصّرف مع النّحو موضوع أقسام الكلم الذي يتناوله تمام حسان في الصّرف مرّة وفي النّحو أخرى.

(1) عبد المجيد عيساني. النّحو العربي بين الأصالة والتّجديد (دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النّحوية). ط1. دار ابن حزم. لبنان. 2008م. ص7.

وفضّل تمام حسّان أن يأخذ بنصيب من التّراث العربي يوحى إليه بالاعتزاز، ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزّة. وهذا المزج بين التّراث والحداثة يعرف بمصطلح التّوفيق المعرفي⁽¹⁾.

ما تجدر الإشارة إليه هو أنّ تمام حسّان عرف من التّراث اللّغوي عامّة والنّحوي خاصّة، ولم يتتكرّر لجهود الأوّلين، بل اعترف بفضلهم، وصرّح بأنّه انطلق من «النتائج الباهرة المشرّفة التي توصل إليها علماءنا الأقدمون في حقل الكشف عن المعنى، والتي وصلتنا في كنوز التّراث العربي، مع محاولة الإفادة من الأفكار والمصطلحات الصّالحة للاستعمال في الحاضر من هذا التّراث، معترفين طول الوقت بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدّراسات اللّغوية في الثقافة العربية وهما سيوييه وعبد القاهر، ويبدو فضل أولهما في حقل التّحليل، كما يبدو فضل ثانيهما في حقل التّركيب»⁽²⁾. وبهذا اهتدى تمام حسّان إلى وجود علاقة شراكة في دراسة الجملة بين علم النّحو بوصفه تحليلي، وعلم المعاني بوصفه تركيبّي؛ فالأوّل ينظّم الأبواب في الجملة، والثّاني ينظّم الجمل في أسلوب كلام متّصل أي في السّياق⁽³⁾.

من هنا يمكن القول بتأثير تمام حسّان بالتّراث، إذ يقول: «لم أخف إعجابي بأصالة التّفكير لدى نحائنا القدماء، ولم أحجم عن وصف بنائهم النّظري الذي جرّده تجريدا من المسموع، بأنّه صرح شامخ وجهد عقلي من الطّراز الأوّل»⁽⁴⁾. أمّا عن غايته في ذلك فيقول: «والغاية التي أسعى وراءها أن ألقى ضوءا جديدا كاشفا على التّراث اللّغوي العربي كلّ، منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللّغة»⁽⁵⁾، أي إلى جانب أنّه عرف من التّراث اللّغوي العربي، نهل أيضا من النّظريات اللّسانية الحديثة كما سبقت الإشارة

(1) ينظر: خالد خليل هادي وغيره. (تمام حسّان في معيار النّقد اللّساني). مجلة الأستاذ. ع203. 2013م. ص252.

(2) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص29.

(3) ينظر: تمام حسّان. الأصول. ص310.

(4) تمام حسّان. الأصول. ص09.

(5) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص10.

إليه. ولكنّ الجدير بالذّكر هو أنّ تمام حسّان لم ينظر إلى التّراث اللّغوي العربي على أنّه قوالب محنّطة جامدة، كما أنّه لم يستلب فكراً بكلّ ما أتت به النظريات اللّسانية الحديثة؛ ومن ذلك عدم التزامه بكلّ مبادئ المنهج الوصفي، خاصّة عندما عكف على تطبيق هذا الأخير على الدّراسات اللّغوية العربية التّراثية، في حين أنّ أساس تطبيق هذا المنهج إنّما هو على اللّغة المنطوقة والمستعملة فعلاً⁽¹⁾، كما يذهب دي سوسير، وعليه فتّمّام حسّان لم يأخذ من المناهج الحديثة إلّا ما ارتضاه وانتقاه.

يرى مصطفى غلفان أنّ تمام حسان جمع بين التّحليل التّوزيعي الذي يهتم بالجانب الشّكلي لمستويات التّحليل اللّغوي، وبين تصوّر فيرث الوظيفي القائم على عدّ اللّغة نشاطاً إنسانياً مرتبطاً بالثقافة التي تندرج فيها هذه اللّغة⁽²⁾.

توكّد حلّيمة عمايرة تأثّر تمام حسّان بنظرية السّياق التي وطّد معالمها أستاذه فيرث، انطلاقاً من حديثه عن اجتماعية اللّغة وإشادته بالمعنى⁽³⁾.

يصرّح تمام حسّان في أكثر من موضع أنّ كلّ دراسة لغوية - بما فيها النّحوية - «لا بدّ أن تتّجه إلى المعنى، فهو الهدف المركزي الذي تصوّب إليه سهام الدّراسة من كلّ جانب»⁽⁴⁾. وأنّ «كلّ دراسة للّغة لا بدّ أن تتّجه إلى الكشف عن المعنى وكلّ نشاط في دراسة اللّغة لا بدّ أن يتّجه إلى فحص المعنى والكشف عنه كشفاً واضحاً»⁽⁵⁾. وقد تجاوز التّنظير لذلك إلى تجسيده تطبيقياً في كتابه اللّغة العربية معناها ومبناها، إذ يقول:

(1) ينظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص 220.

(2) ينظر: مصطفى غلفان. اللّسانيات العربية الحديثة. ص 181.

(3) ينظر: حلّيمة عمايرة. الاتّجاهات النّحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة). ط 1. دار وائل. الأردن. 2006م. ص 44-45.

(4) تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 117.

(5) تمام حسّان. (تشقيق المعنى). مقالات في اللّغة والأدب. ج 1. ص 329.

«وهذا التّشقيق هو ما أسهمت به الدّراسات اللّغوية الحديثة في محاولة الكشف عن المعنى اللّغوي، وسنحاول في هذا الكتاب أن نطبّقه على اللّغة العربية الفصحى»⁽¹⁾.

انطلق تمام حسّان في تنظيم قواعد اللّغة العربية من مبانيها الأصلية وصولاً إلى معانيها، مستندا في ذلك على نظريات علم المعاني عامّة، وأفكار عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز خاصّة، إذ يقول: «النّحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدّعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمّى علم المعاني، حتى إنّه ليحسن في رأبي أن يكون علم المعاني قمة الدّراسة النّحوية... ولقد كانت مبادرة العلامة عبد القاهر رحمه الله بدراسة النّظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي»⁽²⁾.

إنّ إيراد تمام حسّان لعبد القاهر الجرجاني كنموذج تأصيلي لم يكن اعتباطاً، بل كان تأكيداً لجمعه بين الجيد من الحسينيين: التّراث والحداثة، إذ يقول: «أجدي مدفوعاً إلى المبادرة بتأكيد أن دراسة عبد القاهر للنّظم وما يتصل به، تقف بكبرياء كتفاً إلى كتف مع أحدث النّظريات اللّغوية في الغرب، وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التّركيب اللّغوي، هذا مع الفارق الزّمني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر»⁽³⁾.

من هنا يُمكن القول إنّ تمام حسّان في مسعاه التّيسيري للدّرس النّحوي لم يكن مستلباً بالحداثيين، ولم ينكر فضل التّراثيين ولا أسبقيتهم، وجسّد ذلك تنظيراً وتطبيقاً؛ فمقاله: بين عبد القاهر الجرجاني ونعام تشومسكي النّظم والبنية العميقة⁽⁴⁾، يعدّ نموذجاً حيّاً جسّد من خلاله أصالة التّراث الذي يقف جنباً إلى جنب مع الحداثة؛ فقد سلّط فيه الضّوء

(1) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 29.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 18.

(3) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 18 - 19.

(4) للاستزادة: تمام حسّان. مقالات في اللّغة والأدب. ج 2. ص 333 وما بعدها.

على تلاقي مفاهيم نظرية النّظم من بناء وترتيب وتعليق عند الجرجاني مع رأي تشومسكي في البنية العميقة، وما يتولّد عنها من بنيات سطحية، مع الإشارة إلى إمكانية أن تكون فكرة النّظم مصدر التّأثير والإيحاء بفكرة البنية العميقة. وما هذا إلاّ عيّنة من عيّنات تَغْنِي تمام حسّان بأصالة تراثنا اللّغوي العربي، وبصمته البيّنة في الدّرس اللّغوي الحديث، فإلى جانب تبنّيه منهج الوصف انتهج منهج التّأصيل أحياناً، الأمر الذي يؤكّده كثير من الدّارسين(*)؛ فمحمد خليفة الدّناع يَعدُّ تمام حسّان مؤصّلاً للتّراث اللّغوي، إذ يقول: «نلمح في كتبه - مناهج البحث في اللّغة، واللّغة بين المعيارية والوصفية، اللّغة العربية معناها ومبناها، الأصول - أنّه يبحث دائماً عن تلك الحلقة التي عدّها كثير من الباحثين مفقودة، وهي ربط التّراث النّحوي واللّغوي العربي بالنّظريات الحديثة، وهذا يُعدُّ تأصيلاً فوق كونه اعترافاً برصيد الأمّة، [فبعد أن] تحصّل على مؤهّله العلمي (الدّكتوراه) من بريطانيا، عاد وهو أكثر قناعة بقديمتنا الخالد، وأشدّ إصراراً على تبنّي المتون والحواشي، ومحاولة إبرازها ببيراع العالم الكفاء، وأسلوب الباحث المدقّق»⁽¹⁾. ويصرّح بذلك تمام حسّان نفسه، إذ يقول: «عدت إلى الصّلة القديمة التي ربطت بيني وبين كتب التّراث النّحوي، وأعطيتها من اهتمامي قسطاً يعادل أو يفوق اهتمامي بالدراسات اللّغوية الحديثة»⁽²⁾.

يلخّص تمام حسّان دواعي تأليفه للأصول في كون «النّحو العربي لم يُعرض حتّى الآن في صورته المتكاملة، على رغم جهود علماء أفاضل صرفوا الجهد المشكور في استخراج أصوله من بطون الكتب، ومن أقوال النّحاة أنفسهم، [ولكن] من عنى من

(*) منهم: محمود أحمد نحلة. مدخل إلى دراسة الجملة العربية. دار النهضة العربية. لبنان. 1988م. ص74.

(1) محمد خليفة الدّناع. (الأستاذ الدّكتور تمام حسّان مؤصّلاً للتّراث اللّغوي). كتاب تذكاري تمام حسّان رائداً لغويّاً. ص328.

(2) تمام حسّان. الأصول. ص12.

الأولين(*) بتسجيل أصول النحو لا يُعْن أثناء عرض الفكرة بتنظيمها في صورة نظرية متكاملة يشدّ بعضها بعضاً»⁽¹⁾.

يشير تمام حسّان إلى أنّ كتابه الأصول يحوي أفكاراً تمهيدية، فيها تسليط للضوء على الإرث اللغوي العربي عامّة، ورأيه الجديد حول آراء الأقدمين من النّحاة خاصّة. وكان من الطّبيعي أن يسبق ظهوره كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها، إلّا أنّه آثر الإعلان عن جديد أفكاره وإبداعه، لأنّه - وكما يصرّح - لم تتّضح في ذهنه في ذلك الوقت بعض العناصر من أفكار الأقدمين، فرأى أنّه من سوء التّدبير إعلان أفكار غير ناضجة تماماً. ولما اكتمل منهج النّحاة لديه - كما يعتقد - بدأ عهداً جديداً في فهم العربية الفصحى مبناها ومعناها، وألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على التّراث اللّغوي العربي، منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللّغة، فكان ذلك أجراً محاولة تجري بعد سيبويه وعبد القاهر الجرجاني لإعادة ترتيب الأفكار اللّغوية. ومن هنا يمكن القول إنّ تمام حسّان في مسعاه التّيسيري للنحو تبنّى فكرة إعادة عرض النحو في صورته المتكاملة لبناء هيكل نظري ضخم، التزم النّحاة بمضمونه وإن لم يعنوا بصياغته⁽²⁾، وذلك وفق آليات تتوّعت بين النّقد والنّقض والتّجديد وإجمال المفصل وتفصيل المجل وتوضيح الغامض وتيسير العسير، حسب اجتهاده الشّخصي أو على ضوء الدّراسات اللّسانية الحديثة.

ثانياً - آليات نقد تمام حسّان للدرس النحوي:

تتوّعت الآليات لتعدّد زوايا النّظر إلى النحو العربي، ويظهر ذلك من خلال الجوانب الأربعة الآتية:

(*) من أشهر من عنى بتسجيل الأصول -في نظر تمام حسّان- ابن جنّي في الخصائص، فقد تناول معظم أصول النحو بالدّراسة، غير أنّه لم يُعْن بربطها في بناء نظري.

(1) تمام حسّان. الأصول. ص10.

(2) ينظر: تمام حسّان. الأصول. ص12. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص10.

I- الجانب المنهجي: ويقصد به «طبيعة التفكير الذي تناول القدماء به ظواهر النحو وقضاياه، [وقد] حظي هذا الجانب بنصيب أكبر من الدراسات النقدية، وليس في هذا غرابة أو بأس، فالمنهج هو المرتكز الأساس لأي عمل علمي، ولذا فإنّ تناوله بالنقد والتفوييم يعدّ مقدّمة أولى، وبداية طبيعية لتصحيح مسار الفكر أيّا كان نوعه»⁽¹⁾.

انطلق تمام حسّان - كغيره من الميسّرين المعاصرين - من عرض ونقد المنهج النحوي القديم ممهدًا لذلك بتعريفه للمنهج عامّة ولمنهج النحو خاصّة. ففي تعريفه للمنهج خلّص تمام حسّان إلى أنّ اللّغة مسلك اجتماعي يقع في نماذج تركيبية معيّنة، ومجموع كلّ طائفة من النّمادج المتجانسة يكوّن جهازا لغويا معيّنا، وإنّ المنظّمة اللّغوية لأية لغة تتكوّن من مجموعة من الأجهزة المركّبة من نماذج، ومن هذه الأجهزة: الجهاز الصّوتي والصّرفي والنّحوي والمعجمي. ولكلّ جهاز من هذه الأجهزة أصول في تناوله ودراسته، وهذه الأصول تسمّى المنهج»⁽²⁾.

يرى تمام حسّان أنّ منهج النحو هو ما يسلكه النّحوي لدراسة العلاقات بين الأبواب بدل الكلمات فينظر إليها في ضوء علاقاتها النّحوية، هذه الأخيرة التي تتّضح حين تتحوّل الكلمات بالتحليل الإعرابي إلى أبواب؛ ففي إعراب (ضَرَبَ مُحَمَّدٌ عَلِيًّا) لا نقنع بكلمة ضَرَبَ كما هي، بل نسمّيها باسم باب نحوي هو الفعل الماضي، ومُحَمَّدٌ باب الفاعل، عَلِيًّا باب المفعول به؛ أي أنّ تمام حسّان استبعد دلالة المعنى اللّغوي من التحليل النّحوي، ورأى أنّ لكلّ باب معنا وظيفيا مقتفيا في ذلك أثر بلومفيلد، مشيرا إلى أنّ النّحاة قديما قد كانوا في منتهى الصّواب في قاعدة أنّ الإعراب فرع المعنى، ولكنهم طبّقوا لمفهوم المعنى تطبيقا معيبا، حيث صرفوها إلى المعنى المعجمي أو الدّلالي دون المعنى الوظيفي⁽³⁾.

(1) عبد الرّحمن العارف. اتجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص 201-202.

(2) تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 193.

(3) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 226-227.

1- أهم الملاحظات التي سجّلها تمام حسّان على المنهج النحوي القديم:

لقد سبق الحديث عنها بصفة عامة في إجماع المحاولات التيسيرية على أهمّ مأخذ المنهج النحوي القديم، وهنا سيتمّ ذكر أهمّ الملاحظات التي سجّلها تمام حسّان خاصّة على هذا المنهج، ويظهر ذلك فيما يأتي:

أ- تأثر النحو العربي بالنحو السرياني والمنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية:

يقرن تمام حسّان بين النحو السرياني والمنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية كمؤثرات خارجية للنحو العربي، ويذهب إلى أنّ هذا الأخير وُلِدَ عربياً، ونشأ مهتدياً بتجربة السريان، ثمّ تأثر في العصر العباسي بالمنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية نتيجة ترجمة كتب المنطق والفلسفة والرياضيات، التي لم تؤثر على علم المفردات فحسب، وإنّما تعدّت ذلك إلى التأثير في طريقة تركيب الجملة في نصوص المؤلفات المترجمة، ويبدو الفرق بيننا في مراحل اللّغة بين الأدب الجاهلي والإسلامي وبينهما وبين الأدب العباسي، الأمر الذي أخفق النّحاة العرب في إدراكه - على حدّ تعبير تمام حسّان - رغم أنّ كتب تاريخ الأدب تقرّه وتفصّل الحديث فيه⁽¹⁾.

يوضّح تمام حسّان أنّ المنطق على نوعين: أحدهما طبيعي مادي يتطابق فيه العقل مع الواقع كعلاقة الاستدلال بالسماع على القاعدة، ويعتمد الأدلّة الثقلية، وهذا لا يخلو منه تفكير أو ثقافة. وثانيهما صوري وثيق الصّلة بمنطق أرسطو، يتطابق فيه العقل مع نفسه بواسطة قواعد عامّة، ويعتمد الأدلّة العقلية. وهذا النوع من المنطق خلا منه النحو العربي في مرحلة النّشأة، ولكنّه عرفه في مرحلة التطوّر؛ أي بعد القرن الثّاني الهجري (ق2هـ) خاصّة في المجالات الآتية:

(1) ينظر: تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص191-192.

- الحدود والتعريفات، إذ حاول النحاة التقديم لأبواب النحو بحدود منطقية صورية تعتمد على تعريف النوع بالجنس والفصل.
- القسمة العقلية، إذ اعتمد النحاة عليها في عرضهم لمسائل النحو، وقد يكون أحد طرفي القسمة لا وجود له في النحو، فيشير النحوي إلى ذلك ويثبت الطرف الآخر.
- استعمال مصطلحات المنطق في عرض المسائل وتقسيمها.
- العلل النحوية واستعمال الأقيسة المنطقية في تعليقات الشروح والحواشي على عبارات المتون.

إلى جانب الأقيسة والتعليقات في المسائل النحوية كوجه من أوجه تأثر النحو العربي بالمنطق نجد التقسيمات الأرسطية التي خلط فيها النحو بالمنطق، والتي تنطلق من أن للشيء جوهر وكم وكيف وهو في زمان ومكان، ويفهم بالإضافة إلى شيء آخر، ويدرك في وضع معين، وقد يكون مالكا أو مملوكا وفاعلا أو قابلا. ويفصل تمام حسان المقولات الأرسطية العشر محاولا بيان أثرها في التفكير النحوي العربي، ويظهر ذلك فيما يأتي⁽¹⁾:

1- مقولة الجواهر: يرى تمام حسان أن النحاة قد نظروا إلى اللغة نظرتهم إلى المحسوسات والأشياء، فجعلوا للكلمة جوهرًا يتمثل في أصل وضعها، ولا يتغير إلا بإعلال أو إبدال؛ فجوهر (قال) هو (قول)، وجوهر (نهى) هو (نهي). وساق تمام حسان مثلا عمليا لتجريد أصول الكلم في اللغة العربية عند النحاة يجسده ابن جنّي في ما عنونه: (باب في قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف)⁽²⁾، عرض فيه بعض الكلمات العربية التي طرأت عليها عوامل التغيير كالقلب والحذف، واجتهد في تجريد أصول لها، الأمر الذي استنكره تمام حسان مشيرا إلى أن الجوهر اللغوي فيها يبدو في صورة متعدّدة، والتشكّل غير غريب عن الجوهر الفلسفي المنطقي أيضا. وأشار تمام حسان أيضا إلى أن ابن جنّي لا يرى في كلّ هذا التعجرف تعجرفا، وإنما يراه صنعة

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص26 وما بعدها.

(2) ينظر: ابن جنّي. الخصائص. ص483.

وتلطفًا كما رآه النحاة من قبل ومن بعد. وفي هذا يرى تمام حسان أنّ النحاة قد تجاوزوا جوهر الكلمة إلى جوهر الجملة، فاخترعوا فكرة تقدير ما غاب عن أصلها، الأمر الذي رفضه لأنه - على حدّ تعبيره- بليّة فلسفية ميتافيزيقية ومنطقية ابتلي ولا يزال يُبتلى بها النحو العربي. وقناعة تمام حسان بهذا الرأي دفعته إلى إبعاد التقدير الذي يتعارض ومعطيات المنهج الوصفي الذي تبناه في نظرية القرائن النحوية.

أ2- مقولة الكم: يعيب تمام حسان على النحاة والقراء إصرارهم على خلق وحدات فكرية طويلة في دراسة الأصوات العربية، رغم إدراكهم الفرق بين الكمية والمدّة (*). ويمثّل لذلك بالحرف المشدّد الذي تقاس كمّية آدائه بحرفين وإن قصّرت مدّته عن مدّة الحرف المفرد في بعض النطق. ويؤكّد تمام حسان على أنّ الصّوت المفرد الأخير الساكن في الكلام أطول من نظيره المشدّد في الوسط من جهة المدّة، وإن كان أقصر منه من جهة الكمّ. الأمر الذي غيّب فعلياً عند النحاة والقراء لغلبة النظرة المنطقية، ففي (مئى النفس) الفعل مئى- في نظرهم- المشدّد الذي ينتهي بألف طويلة كمّيته تساوي مدّته، رغم أنّ كمّيته أكبر من مدّة نطقه.

أ3- مقولة كيف: وثيقة الصّلة بمقولة الكم؛ فهي تعبّر عن الكيفيات الكمّية. ويلخصها تمام حسان في بعض التسميات التي أطلقها النحاة على أقسام الكلم العربي من منطلق كمّي، كتسمية أنواع الفعل الثلاثي بالمقصور والأجوف والناقص.

أ4- مقولة الزّمان: يلخصها تمام حسان في عدم تفريق النحاة العرب بين الزّمان الفلسفي والزّمن النحوي (*). فالفعل عندهم إن دلّ على حدث مضى قبل زمن المتكلم فهو ماض، وإن دلّ على حدث في الحال أو الاستقبال فهو مضارع، وهذا التقسيم منطقي

(* الكميّة من مفاهيم الفونولوجيا، ترتبط بالطول والقصر في المقاطع والحروف الصّحيحة وحروف العلة. أمّا المدّة فهي من مفاهيم الفونيتيك، وهي اصطلاح أصواتي يقاس بوسائل ميكانيكية.

(* الزّمان الفلسفي يدلّ على كمّية رياضية من كميات التّوقيت بدءًا بالتّواني والدقائق وصولاً إلى الدّهور والعصور. أمّا الزّمن النحوي فيدلّ على زمن الصّيغ داخل سياقها اللّغوي. ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص242.

يبطل في حالة دلالة الفعل المضارع على ما مضى من الزمن مثل الفعل يعلم في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الأحزاب 18. وفي حالة تجاوز الفعل الماضي دلالاته على الماضي إلى دلالاته على الحال والاستقبال نحو الفعل كان في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب 59.

حريّ بالنّحاة - في نظر تمام حسان - أن يُعطوا الزمن النّحوي وظيفة التّفريق بين الصّيغ في السّياق لا الدّلالة على المضيّ والحضور والاستقبال.

أ5- مقولة المكان: يرى تمام حسان أنّها المسؤولة بالتّضامن مع مقولة الكيف عن تقدير الحركات في أواخر الكلمات، ويسوق لنفوذ مقولة المكان على تفكير النّحاة أمثلة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النّجم 3، فتعرب الهوى اسما مجرورا بعن وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة على الألف المقصورة منع من ظهورها تعذر اجتماع النّطق بالألف وبالكسرة في الآن نفسه. وعن وجوب تأخر الفاعل عن فعله يرى تمام حسان أنّه تجسيد فعلي لمقولة المكان التي طبّقها النّحاة على الجملة الفعلية من منطلق منطقي.

أ6- مقولة الإضافة: يمثّل تمام حسان لتبني النّحاة العرب مقولة الإضافة في أنّ كلّ فعل يضاف إليه فاعله، وإن لم يكن هذا الأخير مذكورا في الجملة عمد النّحاة إلى تقديره تماشيا مع منطوق المقولات، نحو: (زَيْدٌ قَامَ) ففاعل الفعل قام مستتر تقديره هو، رغم أنّ صيغة الفعل الماضي تدلّ ودون حاجة إلى تقدير على أنّ الفاعل مذكّر غائب، ولو كان غير ذلك لتغيّرت صيغة الفعل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ورغم وجود زيد في الجملة إلاّ أنّه مبتدأ لا يصلح أن يكون فاعلا لتحكّم مقولة المكان؛ لأنّ الفاعل يأتي بعد الفعل لا قبله.

7- مقولة الوضع: مثل تمام حسّان لخضوع النّحو العربي لفكرة الوضع بأنّ الجملة رغم عدم إمكانية ظهور حركة إعرابية عليها جُعِل لها وضع إعرابي معيّن، كأن تكون مثلاً في محلّ نصب مقول القول بعد الفعل قال وما دلّ على معناه.

8- مقولة الملّك: يرى تمام حسّان أنّ هذه المقولة مسؤولة - إلى حدّ كبير - عن الأهميّة التي أولاها النّحاة العرب للحركات في دراساتهم، فقد انصبّ اهتمامهم على الحرف الصّحيح بجعل الحركة ملك يمينه ووصفا له، فإمّا أن يكون منصوباً أو مجروراً أو مرفوعاً.

9-10 مقولة الفاعلية والقابلية: يشير تمام حسّان إلى أنّ المتون العربية تسمّي مقولة الفاعلية (أَنْ يَفْعَلْ)، ومقولة القابلية (أَنْ يَنْفَعِلْ)؛ أي المفعولية. ويؤكّد أنّ هاتين المقولتين مسؤولتان عن أهميّة نظرية العامل في النّحو العربي القائلة بأنّ النّصب والخفض والجزم لا يكون إلاّ بعامل لفظي، وأنّ الرّفْع منها يكون بعاملين لفظي ومعنوي. ومثّل لذلك بقول النّحاة عن ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا، أنّ الرّفْع الذي في زيد، والنّصب الذي في عمرو إمّا أحدثه الفعل ضَرَبَ، وهذا باطل عقلاً وشرعاً، على حدّ تعبير ابن مضاء، ويرى تمام حسّان أنّ هذا الأخير قد عالج المسألة علاجاً منطقياً، فهو إن كان قد ألغى عاملاً فقد فرض عاملاً آخر لا تجيزه الدّراسات اللّغوية الحديثة، وهو أنّ المتكلّم هو العامل النّحوي الذي يرفع وينصب بنفسه، وهذا غير صحيح لأنّ المتكلّم مقيد بالقواعد، وهنا استعمل تمام حسّان آلية نقد نقد النّحو العربي.

من خلال ما سبق تقصّي تمام حسّان آثار المقولات العشر في النّحو العربي مؤكّداً تأثر النّحاة بالمنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية. وفيما سيأتي تسليط للضوء على بعض آرائه التي لقيت ردود أفعال بين تأييد ونقد ونقض، وذلك على سبيل التّمثيل لا الحصر (*):

(* كثيرة هي الدّراسات التي سبقت طرح قضية التأثير والتأثر بين المنطق الأرسطي والنّحو العربي، فهناك من نفاها مطلقاً، مثل: محمد الطنطاوي. نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة. ط2. مطبعة وادي الملوك. القاهرة. 1947م. ص12 وما بعدها. علي عبد الواحد وافي. فقه اللّغة. ط8. دار نهضة مصر. القاهرة. (دت). ص213. وهناك من أثبتها

أيدت زينب عفيفي تمام حسّان وضمت صوتها إلى صوته في أنّ المقولات المنطقية حاضرة في الأبواب النّحوية، فتري أنّ الجوهر في المنطق يرادفه الفعل في النّحو العربي ومقولة كيف يلخصها اسم الهيئة والصّفة المشبهة وأفعال التّفضيل، ومقولة المكان يضارعها اسم المكان، ومقولة الزّمان يماثلها اسم الزّمان، ومقولة الفاعلية لاسم الفاعل، والانفعالية لاسم المفعول⁽¹⁾.

نقض إدريس مقبول ما ذهب إليه تمام حسّان، وأنكر تأثر النّحاة العرب بالفلسفة اليونانية والمنطق، مؤكّدا أنّ مقولات النّحو العربي تختلف عن مقولات أرسطو عددا وطبيعة ومضمونا، ناهيك عن ارتباطها باللّغة اليونانية، فرأى أنّ كلّ محاولة لإسقاطها على النّحو العربي تؤدّي إلى التّحريف والتّعسف والتّكلّف في ردّ خصوصيات بنية العربية إلى هذه المقولات⁽²⁾.

إنّ ما أشار إليه إدريس مقبول لم يكن خفيا على تمام حسّان الذي عاب محاولة قولية النّحو العربي وفق ما تمليه مقولات المنطق الأرسطي قصرا، ويظهر ذلك خاصّة في الصفحات الأولى من أول إصداراته مناهج البحث في اللّغة، إذ يقول: «سوف يرى من يتتبع تاريخ الدّراسات اللّغوية [والنّحوية خاصّة] أنّ هذه الدّراسات كانت جزءا لا يتجزأ من التّفكير الفلسفي القديم، وسوف يرى قارئ الفلسفة اليونانية أنّ هذه الفلسفة قد افترضت اللّغة اليونانية مقياسا للّغات العالم، وبنيت على ذلك اعتقادا تخطئه الدّراسات اللّغوية

مطلقا مثل: إبراهيم مدكور. في اللّغة والأدب. دار المعارف. مصر. 1970م. ص 41 وما بعدها. أمين الخولي. مناهج تجديد في النّحو و البلاغة والتّفسير والأدب. ط1. دار المعرفة. القاهرة. 1961م. ص 72 وما بعدها. وهناك من أثبت أصالة نشأة النّحو وأثبت تأثره بالفلسفة اليونانية، مثل: عبد الله درويش. تطوّر النّحو العربي. مجلة الأزهر. ج 4/5. مج 31. 1959م. ص 458.

(1) ينظر: زينب عفيفي. فلسفة اللّغة عند الفارابي. دار قباء. القاهرة. 1997م. ص 72.

(2) ينظر: إدريس مقبول. الأسس الابدستمولوجية والتّداولية للنّظر النّحوي عند سيبويه. ط1. عالم الكتب الحديث. الأردن. 2006م. ص 19.

الحديثة، هو أنّ دراسة اللّغة اليونانية في تراكييها وطرقها صادقة على كلّ لغات العالم»⁽¹⁾.

يضيف تمام حسّان أنّ «عناصر بنية اللّغة العربية تختلف اختلافاً بيناً عن بنية لغة اليونان، فليس في لغة اليونان إعراب ولا حرّية رتبة ولا تثنية، وليس فيها تعدّد لأنماط الجمل بين الاسمية والفعلية»⁽²⁾.

وضع خالد الكندي أفكار تمام حسّان على مائدة النقاش، ما تعلقّ منها بتأثر النّحاة بالمنطق الأرسطي عامّة والتّعليل النّحوي خاصّة؛ فعن مسألة تأثر النّحو العربي بمقولات أرسطو العشر في أقيسته وتعليقاته التي أكّدها تمام حسّان، فيرى خالد الكندي أنّ إمعان النّظر فيها يبيّن أنّها مقولات عامّة تهّم الكثير من العلوم، وعليها مراعاتها، ومن البدهة أنّ يهتم النّحو العربي بالزّمن لأنّه متعلّق بالفعل والظّروف الزّمانية، وبالمكان لأنّ منه اسم المكان، وبالفاعلية في باب الفاعل، وبالمفعولية في باب المفعول به واسم المفعول، وغيرها من المقولات المنطقية في مقابل الأبواب النّحوية. ويؤكد خالد الكندي أنّ تمام حسّان نفسه لم يعد يؤمن بتأثير هذه المقولات على النّحو العربي لا سيما بعد أن وضع كتابه الأصول⁽³⁾.

أمّا عن مسألة التّعليل النّحوي فأشار خالد الكندي إلى أنّه يخالف قول تمام حسّان في أنّ العلل التي كانت في عهد نشأة النّحو - كعهد الخليل وسيبويه - هي العلل الصّورية التي يرتضيها علم اللّغة الحديث، والتي تتمثّل في قولهم: هكذا نطق العرب، ويشير إلى

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 22.

(2) تمام حسّان. (وضع المصطلح العربي في النّحو العربي). مقالات في اللّغة والأدب. ج 2. ص 119.

(3) ينظر: خالد الكندي. التّعليل النّحوي في الدّرس اللّغوي القديم والحديث. ط 1. دار المسيرة. عمان. 2007م. ص 255.

أنّه - وبعد البحث- توصل إلى أنّ أكثر العلل التي ساقها الخليل وسيبويه من العلل الغائية التي تحاول الكشف عن سرّ وجود بعض الظواهر في العربية⁽¹⁾.

تجدد الإشارة إلى أنّ تمام حسّان أثبت أصالة الفكر اللغوي عامّة والنحوي خاصّة، ولم يمسس بأيّ أسّ من أسس عربيته في مرحلة النشأة الأولى، فبعد أن وظّف آلية استقراء النحو العربي وتقصّى من خلالها مكامن تأثره بالمنطق والفلسفة اليونانية إمّا مباشرة أو عن طريق السريانية. وبعد عرضه لجملة من المقدمات خلّص إلى نتيجة أنّ النحو العربي مرّ بمرحلتين:

- المرحلة الأولى تتمثّل في مرحلة الميلاد والنشأة الأولى، أي القرن الأول والثاني، وكان النحو فيها عربيا خالصا معتمدا المنهج الاستقرائي، خاليا من المنطق الصوري الأرسطي. وما حواه من أفكار منطقية لا تخرج عن نطاق ما هو طبيعي مادي لا يخلو منه تفكير أو ثقافة. وهذا يفنّد ما ذهب إليه خالد الكندي في أنّ علل الأوائل من النحاة العرب غائية. ويؤكد ذلك تمام حسّان في الأصول، إذ يقول: «إنّ اعتماد الثقافة العربية على النصوص في أول أمرها ما كان ليحرمها نعمة التفكير المنطقي الذي يتطلّبه الاجتهاد، ولكن هذا المنطق الطبيعي لم يكن منطق أرسطو، وإنّما كان نتاج تكوين العقل الإنساني الذي منحه الله للعرب واليونان وسائر الأمم والشعوب»⁽²⁾. وفي موضع آخر يقول: «والمعروف أنّ بداية النحو لم تشهد تأثيرا للفكر اليوناني في البيئة العربية، ولم نسمع أنّ أحداً من الذين أنشأوا النحو كان يستعمل منطق أرسطو ولا يعرف لغة اليونان بدءاً بعلي بن أبي طالب وانتهاءً بالخليل وسيبويه»⁽³⁾.

في موضع حديثه عن أصول النحو والنحاة يقول تمام حسّان: «ليس في النحو ما يمكن أن يبرّر دعوى الزاعمين أنّ العرب أخذوا نحوهم عن اليونان، وأنهم نقلوا أقيسة

(1) ينظر: خالد الكندي. التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث. ص183.

(2) تمام حسّان. الأصول. ص49.

(3) تمام حسّان. (وضع المصطلح العربي في النحو العربي). مقالات في اللغة والأدب. ج2. ص119.

اليونان إلى نحوهم، لأنّ قياس النّحاة كلّه يحمل طبيعة الانتحاء، ولو كان ما استعمله النّحاة منطلقاً صورياً لمنعتهم صورية هذا المنطق من الاختلاف، ولكننا نرى الخلافات بين النّحاة لا حدود لها، ممّا يدلّ على أنّ منطقتهم هو المنطق الطّبيعي الذي يستعمله النّاس في تفكيرهم العادي»⁽¹⁾.

- المرحلة الثّانية تتمثّل في مرحلة التّطوّر، أي بعد القرن الثّاني، وفيها لم يستطع النّحاة العرب أن يتخلّصوا من قبضة أرسطو السّحرية، ولا من نفوذ منطق الصّوري القياسي خاصّة بعد عصر التّرجمة، فاستفحل تأثر النّحو العربي فيها بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي عامّة ومقولاته العشر خاصّة، وبصورة واضحة لا يمكن إنكارها. وقد تجاوز تمام حسّان التّنظير لهذه المسألة، فقد رصدها تطبيقياً من خلال ذكره لمجالات تأثر النّحاة بالفكر اليوناني بعد القرن الثّاني؛ أي أنّ هذا الأثر جاء والنّحو هيكل بنيوي كامل، ومن شأن البنية أن تكون جامعة مانعة، ومن هنا اقتصر التأثير على الشّروح والجدل في المسائل، وهو تأثير لا يعني المتقدّمين ولا يعني نشأة النّحو على أيّة حال⁽²⁾.

تتقاطع أغلب الدّراسات مع ما ذهب إليه تمام حسّان في مسألة أصالة النّشأة الأولى للنّحو العربي، وهي حجر الأساس إذا قورنت بمسألة الاختلاف في بداية التأثير، التي وإن كانت فلا اختلاف في كونها بعد النّشأة بزمن يضمن نضج النّحو العربي وتطوّره.

يظهر تأييد عبد القادر المهيري لهذا الرّأي في قوله: «وإن وجد المنطق سبيلاً بمقولاته ومبادئه وفرضياته فليس ذلك في عهد نشأته، وإنّما ابتداء من القرن الثالث حين أصبح النّحو ميدان مناقشات لا حدّ لها، ومجادلات هدفها الإقناع على أساس متطلّبات العقل لا على أساس مقتضيات اللّغة»⁽³⁾.

(1) تمام حسّان. (أصول النّحو وأصول النّحاة). المناهل. ع 10. 1 نوفمبر 1977م. ص 82.

(2) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 33.

(3) عبد القادر المهيري. نظرات في الثّراث اللّغوي العربي. ط 1. دار الغرب الإسلامي. لبنان. 1993م. ص 92.

أمّا عبد الرّحمن الحاج صالح فينتصر هو الآخر لفكرة أنّ النّحو العربي لم يتأثّر في نشأته ولا عند اكتهاله في زمان الخليل وسيبويه بمنطق أرسطو إطلاقاً؛ أيّ أنّه يجزم على غياب المنطق الأرسطي في نشأة النّحو العربي، مقرّاً بأصالته، مشيراً إلى أنّ تأثّر الأخير منهما بالأوّل لم يكن إلّا في عصر ابن السّراج الذي درس المنطق عند الفارابي بعد موت شيخه المبرّد؛ أيّ في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرّابع(1).

ذهب وليد عاطف الأنصاري نفس المذهب بنفي تمنطق النّحو العربي في مرحلة النّشأة المحصورة في القرنين الأوّل والثّاني للهجرة، وبإثبات التّأثّر الجزئي للنّحاة العرب بالمنطق الأرسطي في القرن الثالث للهجرة، والتّأثّر الكلّي في القرن الرّابع للهجرة(2).

بعد ذكر ما سبق من الآراء على سبيل التّمثيل لا الحصر(*)، تجدر الإشارة إلى أنّها وإن اختلفت في تحديد زمن تأثّر النّحو العربي بالمنطق الأرسطي، فهي تتفق على ما ذهب إليه تمام حسّان في أصالة نشأة النّحو العربي وهو الأرجح.

(1) للاستزادة ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح. بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية. موفم للنشر. 2007م. ج1. ص42 وما بعدها. ج2. ص268 وما بعدها.

(2) ينظر: وليد عاطف الأنصاري. نظرية العامل في النّحو العربي عرضاً ونقداً. ط2. دار الكتاب الثّقافي. الأردن. 2014م. ص10 وما بعدها.

(*) للاستزادة ينظر: عبد الرحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص203 وما بعدها.

ب- طغيان المعيارية على الوصفية في النحو العربي:

ينطلق تمام حسّان من حتمية التفريق بين النحو التعليمي والنحو العلمي، وذلك لاختلافهما في المنهج؛ فيرى أنّ «الأول قياسي والثاني استقرائي، والأول معياري والثاني وصفي، والأول قاعدة تُراعى والثاني بحث يسجّل وصف اللّغة أثناء عملها في مرحلة من مراحل وجودها»⁽¹⁾؛ أي أنّ النحو التعليمي ينطلق من القاعدة معياراً يقيس عليه سائر الأمثلة التي تتدرج تحته، أمّا النحو العلمي فينطلق من وصف اللّغة أثناء عملها في مرحلة ما من مراحل وجودها، ثمّ يستقرىء من خلال الأمثلة المشتركة قاعدة تجعلها تحت باب معيّن. ومن هنا يمكن القول إنّ القاعدة في منهج النحو التعليمي أسبق إلى الوجود من الأمثلة على عكسها في منهج النحو العلمي.

بآلية التفريق بين النحو العلمي والنحو التعليمي يسرّ تمام حسّان التفريق بين المنهج الوصفي والمنهج المعياري. هذا الأخير الذي يرى أنّه قد طغى على الدرس اللّغوي العربي عامّة، والنحوي منه خاصّة، ولخصّ ذلك فيما يأتي:

ب1- القياس التعليل: يشير تمام حسّان إلى أنّ النّظر في القياس والتعليل عند النّحاة العرب يحيلنا إلى استبعاد اعتمادهم على الاستقراء في منهج بحثهم في اللّغة العربية اعتماداً مقصوداً رغم حضوره القوي، ذلك أنّ الاستقراء لم يُستخدم بعده منهجاً إلّا في القرن السابع عشر الميلادي (ق17م)، وبالتالي فالأوائل من النّحاة اتّخذوا لأنفسهم طريقة الملاحظة الذاتيّة لما آنسوا في أنفسهم من فصاحة كانت في الحقيقة مؤهّلتهم الوحيد لبدء استنتاج قواعد النحو. وبعد شيوع اللّحن سنّ الخليل سنّة الرّحلة إلى الصّحراء، ولكن النّحاة قد أخذوا التعليل لبعض المسائل من الأعراب الوافدين على البصرة، كالأعرابي الذي ردّ على من سأله كيف يقول: جاءتته كتابي فاحتقرها بقوله: أليس صحيفة؟ ويرى تمام حسّان أنّ الأمور ما هكذا تؤخذ؛ فالمسلّم به أنّ البحث في اللّغة

(1) تمام حسّان. (منهج النّحاة العرب). حوليات كآية دار العلوم. 1969-1970م. ص35.

واستتباط قواعدها بحث علمي يتطلّب منها سليماً، والمسلم به أيضاً أنّ الوصول إلى المنهج السليم درجة لا يتمتع بها إلاّ الصّفوة من العلماء، وإن كان الأعرابي الأمّي فيصلا في صحّة النطق، فلا يمكن أن يكون فيصلا في التجريد، وبهذا يكون اتكال النّاحة على مثل هذه التّعليّلات خطأ في المنهج⁽¹⁾.

تجدد الإشارة إلى أنّ القياس والتّعليل وجهان متلازمان لعملة واحدة هي المعيارية، ويرى تمام حسان أنّهما من أهم مظاهرها؛ فالقياس عنده أنواع^(*)، ويختلف بين المتكلم والباحث؛ في أنّ وظيفة الأول منهما هي مراعاة معايير اجتماعية معيّنة يقيس عليها كلامه ويطبّقها في الاستعمال عن غير وعي منه. وهذه الظاهرة تبدأ عند الفرد في طفولته، كأن يفرّق بين المؤنث والمذكر، نحو: هذا طويل وهذه طويلة، ثم يطرأ له موقف لغويّ يقتضي استعمال مؤنث أحمر فيقول عن طريق القياس أحمر وأكبر أكبر وعطشان عطشانة، ثم يعدل عن هذا التّعميم كلّما اكتشف قاعدة فرعية تقيّد هذا الإطلاق، فيعرف أنّ مؤنث الأولى حمراء والثانية كبرى والثالثة عطشى. أمّا عن وظيفة الثاني منهما، فيرى تمام حسان أنّ الباحث إذا لجأ إلى الصّوغ القياسي فإنّه يكون قد استعار لنفسه موقف المتكلم عن قصد ووعي منه. ويمثّل لذلك بما صاغه سلامة موسى من كلمات جديدة على مثال كلمات أخرى جرى استعمالها في العصر العبّاسي أيام التّرجمة، نحو: تعريب كلمة فندقة لدراسة طرق إدارة الفنادق، وقد قاس هذه الكلمة على فلسفة وسفسطة، بوضعها في قالب عربي من حيث أصواتها وصيغها. ويؤكّد تمام حسان في الصّوغ

(1) ينظر: تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص32-36.

(*) يذكر تمام حسان أنواعاً للقياس، نحو:

- 1- القياس المنطقي: وهو ضربان؛ طبيعي عام نفكر بواسطته في الحياة اليومية، كأن نعرف أنّ الكلّ أكبر من الجزء. ومنطق أرسطيّ ذو أشكال أربعة هي: المادية، الفاعلية، الصّورية، الغائية.
- 2- القياس الاستعمالي: هو انتحاء كلام العرب، وهنا لا يكون القياس نحواً وإنّما تطبيقاً للنحو، كتوليد مفردات جديدة انتحاء لما سُمع في مختلف المراحل.
- 3- القياس النّحوي: هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، وهو تنظير للقياس الاستعمالي.

للاستزادة ينظر: تمام حسان. الأصول. ص151 وما بعدها. (أصول النّحو وأصول النّاحة). المناهل. ع10. ص81-

القياسي عامّة على ضرورة موافقة الكلمات الجديدة للذوق اللغوي العام، وما يخالف منها هذا الأخير يُرفض. وهذا ما يثبت - في نظره - معيارية الصّوغ القياسي الذي يتّخذ القاعدة أساساً مفروضاً على المتكلّم، ويتنوّع بحسب الاطراد والاستعمال إلى أربعة أضرب:

- مطّرد في القياس والاستعمال معاً، نحو: قامَ زيدٌ، وهو - كما يقول تمام حسّان - الغاية المطلوبة والمثابة المنوبة.

- مطّرد في القياس شاذ في الاستعمال، نحو: ماضي يدعُ.

- مطّرد في الاستعمال شاذ في القياس، نحو: استنوّقَ الجملُ.

- شاذ في القياس والاستعمال معاً، نحو: ثوبٌ مصوونٌ.

من هذا المنطلق يؤكد تمام حسّان عدم صلاحية القياس النحوي لأن يكون منهجاً للبحث اللغويّ منضمّاً بذلك إلى كمال بشر ومحمد عيد⁽¹⁾ وغيرهم من طائفة مؤبدي رفض ابن مضاء القرطبي للقياس.

يشير عبد الرحمن العارف إلى أنّه قد «يظنّ ظانُّ أنّ هذه دعوة لرفض القياس كليّة، وليس الأمر كذلك»⁽²⁾، فالصّوغ القياسي - كما يرى تمام حسّان - على جانب من الأهميّة في مسابرة اللّغة العربية لظروف الحضارة الحديثة، فالمجمع اللغوي تولّى مهمّة وضع اسم لكلّ مخترع، واصطلاح لكلّ فكرة منهجية في أيّ فرع علمي، بإحدى طرق الصّيغة كالتعريب والترجمة والارتجال، شريطة مراعاة الصّوغ القياسي كأن لا تخرج الصّيغة الجديدة عن قالب الصّوتي والصّرفي للّغة العربية. وهذا الشرط كغيره من الشّروط يجعل عملية الصّوغ القياسي معيارية، ولكن - وكما يقول تمام حسّان - هذه العملية على معياريتها لا تدخل في صلب المنهج؛ فهي تتصل بنشاط مستعمل اللّغة لا

(1) للاستزادة ينظر: كمال بشر. دراسات في علم اللّغة (القسم الثّاني). ط2. دار المعارف. مصر. 1971م. ص56. محمد عيد. أصول النحو العربي في نظر النّحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللّغة الحديث. ط4. عالم الكتب. 1989م. ص102 وما بعدها.

(2) عبد الرحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص216.

بمنهج من يبحث فيها. وشتان هنا بين المتكلم والباحث؛ فما يقوم به الأوّل معياري، أمّا ما يقوم به الثّاني فوصفي للواقع اللّغوي كما هو. وهنا يوكّد تمام حسّان أنّ اعتراف المنهج الوصفي بفكرة الصّوغ القياسي لا يُعدّ خيانة، فهو لم يعترف بها كفكرة منهجية وإنّما لاحظها ووصفها كنشاط لغويّ، دون تقييم وإصدار أحكام. لأنّ المنهج الوصفي يتّخذ الاستقراء والوصف بدل القياس والمعياريّ آليات علمية لدراسة اللّغة.

كما سبقت الإشارة إليه فإنّ تمام حسّان يوكّد أنّ تأثر النّحو بالمنطق لم يكن مقصوراً على القياس بل تعدّاه إلى التّعليل^(*)، هذه الحقيقة المعيارية المرتبطة بالعلّة الغائية التي تقع جواباً عن السّؤال: لماذا تتمّ هذه الظّاهرة أو تلك؟ ونقوم على الحدس والتّخمين ممّا بعدها عن روح البحث العلمي، كونها تركة التّحوّل الذي أصاب النّحو من الطّابع العلمي إلى الطّابع التّعليمي. على نقيض العلّة الصّورية التي تعدّ حقيقة وصفية، والتي تقع جواباً عن السّؤال: كيف تتمّ هذه الظّاهرة أو تلك؟ وتقوم على وصف الكيفية التي يتمّ بها السلوك اللّغوي ما جعلها في صميم روح البحث العلمي، كونها تركة عصر النّشأة الأولى، وتبدو في قولهم: "العرب تقول كذا" أو "هكذا قالت العرب". وهذا ما يبرّر اعتراف البحث اللّغوي بالعلل الصّورية ورفضه للعلل الغائية لارتباطها بأمر غيبية لا سبيل لاختبار صدقها أو كذبها ممّا يبعدها عن المنهج الوصفي، وكذا كونها نتيجة تحوّل النّحو العربي من طابع البحث العلمي إلى طابع التّلقين التّعليمي⁽¹⁾. فالنّحاة العرب تناولوا العلّة والتّعليل على ضوء العلل المادية والفاعلية والصّورية والغائية الأرسطية، ممّا أخرجها من حقل الدّراسات اللّغوية المحضّة. ويستعير تمام حسّان للتّمثيل للعلل والأقيسة بما ذكره ابن مضاء في باب ما يجب أن يسقط من النّحو العلل النّواني والثّوالت، وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من: (قامَ زيدٌ) لم رُفِع؟ فيقال لأنّه فاعل، وكلّ فاعل مرفوع، فيقول:

(*) في المنطق الأرسطي أربع علل هي: 1- مادية: مادّة الشّيء. 2- فاعلية: صانع الشّيء. 3- صورية: شكل الشّيء وتركيبه. 4- غائية: الغرض من الشّيء؛ مثل: كرسي: 1- مادّته: الخشب. 2- صانعه: النّجار. 3- تركيبه: مقعد+أرجل+مسند. غايته: الجلوس عليه. للاستزادة ينظر: تمام حسّان. الأصول. ص 189. (1) ينظر: تمام حسّان. الأصول. 168.

ولم رُفِعَ الفاعل؟ فالصّواب أن يُقال له: هكذا نطقت العرب وثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر. ويضيف أنّ الفرق بين العلل الأوّل والثّواني والثّالث يكمن في أنّ الأوّل تعليمية تفيد حكماً نحويّاً، وتؤدّي إلى المعرفة بنطق العرب، أمّا الثّواني فقياسية، والثّالث جدلية ليس لها جواب مقنع فتؤدّي إلى إخراج الدّرس النّحوي من طبيعته والميل به إلى المنطق القياسي الذي لا يصلح للدّراسات العلمية؛ لأنّه يوجد القاعدة أوّلاً ثمّ يبحث عمّا يدخل تحتها من مفردات. على نقيض المنطق الاستقرائي الذي يصلح للبحث العلمي، لأنّه يستقصي المفردات أوّلاً ثمّ يوجد جهة الشّركة بينها ليتّخذها نتيجة البحث أو قاعدته⁽¹⁾.

بآلية التّمثيل يشرح تمام حسّان بعض علل النّحاة في رفع المرفوعات، ونصب المنصوبات، وبناء المبنيات، وإعراب المعربات، ويؤكد من خلال ذلك أنّ التّعليل قد خلق نظرية العامل، ويمثّل لذلك أنّ المبتدأ مرفوع بعلة الابتداء، ولكنّ اختلاف البصريين عن الكوفيين في قياس نعم وبئس مثلاً جعلهم يختلفون في تحديد العامل في بعض الحالات، فالمبتدأ عندهم مرفوع بالخبر، والخبر مرفوع بالمبتدأ، وهذا التّعارض في تحديد العلة دفع تمام حسّان إلى إعادة النّظر في منهج النّحاة واقتراح بديل عن نظرية العامل.

ب2- المستوى الصّوابي: وثيق الصّلة بالقياس فهو معيار الصّواب والخطأ، يرتضي الأوّل منهما ويرفض الثّاني في الاستعمال، ويؤكد تمام حسّان أنّ المستوى الصّوابي فكرة لا تتصل باللّغة فحسب، وإنّما تتناول كلّ ناحية من نواحي النّشاط الاجتماعي؛ أي أنّه يُراعى فيه عنصران أساسيان، هما: **العنصر الأوّل:** هو الوضوح، ويسدّ الحاجة اللّغوية فيحقّق المعنى الوظيفي. و**العنصر الثّاني:** هو المطابقة، ويسدّ الحاجة الاجتماعية فيحقّق المعنى الاجتماعي.

(1) ينظر: تمام حسّان. الأصول. ص48 وما بعدها. مناهج البحث في اللّغة. ص32-33.

يشير تمام حسان إلى أنّ لكلّ لغة أو لهجة مستواها الصّوابي الخاص، ولا بدّ لمن يريد التكلّم بغير لغته أو لهجته أن يتعلّم مطابقة جميع عناصر مستواها الصّوابي من أصوات ومفردات وصيغ ونبر وتنغيم، ومن ثمّ لا يمكن أن يقال إنّ المستوى الصّوابي فكرة من منهج اللّغة، وإنّما هو معيار لغويّ ومقياس اجتماعي في الآن نفسه.

يحاول تمام حسان إبراز ما لمنهج النّحاة وما عليه فيما يتصل بفكرة الصّواب والخطأ، بالنّظر إلى اللّغة على أنّها جهاز عرفي أوجدها المجتمع لقضاء حاجاته، فهي آداته التي لا بدّ أن تخضع للاعتبارات الاجتماعية. ويعترف النّحاة في أخذها - أي اللّغة - بمبدأي السّماع والقياس، ويرى تمام حسان أنّ الأخير منهما إن جاز الاعتراف بفائدته في حياة اللّغة وفي استخدامها عملياً فلا يمكن قبوله كفكرة منهجية في بحوث اللّغة لأنّه فردي وليس اجتماعياً، أمّا السّماع - في نظره - فهو الفيصل في الصّواب والخطأ، لأنّ المجتمع هو الذي يملك اللّغة ويتطور بها من عصر إلى عصر، ومن هذا المنطلق يحكم تمام حسان على أنّ تحكيم النّحاة قواعدهم وأصولهم فيما سُمع عن العرب خطأ منهجي في جملته وتفصيله، وليس من حقّ النّحوي غير الفصيح أن يخطئ الأعرابي الفصيح إلّا إذا وجد السّماع ضده (1).

بآلية التّمثيل بكلمة السيّد يُيسرّ تمام حسان فكرة المستوى الصّوابي الذي يتغيّر من النّاحية التاريخية جرّاء تطوّر اللّغة في مستوياتها المختلفة؛ فما كان صواباً في الماضي يصبح خطأ في الحاضر، وخطأ اليوم يصبح صواب الغد، والعكس صحيح إذا أراد المجتمع اللّغوي أن يتبنّاه في الاستعمال، فالسيّد كلمة استعملت في الماضي في مقابل العبد، ثم استعملت بمعنى صاحب النّفوذ والسّلطان، ثمّ استعملت في العزّل، ثمّ اختصّ بها الهاشميون؛ فكلّ من يلقّب بالسيّد يُعدّ هاشمياً، ثمّ أصبحت اسماً مذكّراً بالتّعريف أو التّنكير (2)، ومن خلال هذا المثال يؤكّد تمام حسان أنّ المستوى الصّوابي وثيق الصّلة

(1) ينظر: تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص42 وما بعدها.

(2) ينظر: تمام حسان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص59 وما بعدها.

بالجانب الاجتماعي وكذا بالجانب التاريخي الذي يُترجمه التطّور اللّغوي في مختلف المستويات وعبر مختلف العصور.

يشير عبد الرّحمن العارف إلى أنّ «المعيارية في المستوى الصّوابي تكمن في أنّه أصبح فكرة دراسية يراعيها الباحث، بدل أن يكون فكرة اجتماعية يراعيها المتكلّم، ممّا أدّى إلى إغفال الجانب الاجتماعي للتّحليل اللّغوي»⁽¹⁾. ويرى تمام حسّان أنّ «إغفال العنصر الاجتماعي في اللّغة يحرم الدّراسة من أقوى خصائص هذا الموضوع المدروس، ويجعل الوصف في هذا المنهج الوصفي يتناول وجها شكليا من المسألة، ويُهمل وجهها الآخر الذي يُمثّل جوهرها وروحها»⁽²⁾.

يؤكد تمام حسّان دون كلل على أنّ «العالم الباحث ينظر إلى مشكلة الصّواب والخطأ من زاوية اجتماعية ترى الاستعمال سنّة متبّعة، والمعلّم ينظر (وهو على حق) إلى هذه المشكلة من زاوية فرض القاعدة على الاستعمال. الباحث يستنبط القاعدة بالأسلوب العلمي من المستعمل، والمعلّم يفرضها بالأسلوب التّعليمي على الاستعمال نفسه. والصّواب عند الباحث ما جرى به الاستعمال وعند المعلّم ما حدّدته القاعدة»⁽³⁾.

ب3- العامل النّحوي: وهو «ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب»⁽⁴⁾؛ أي أنّ العامل يتجلّى في أواخر الكلم في شكل علامات إعرابية تترجم حالات إعرابية، فالفتحة للفتح والضّم للكسرة للجرّ وغيرها. وتتنوّع العوامل النّحوية بين اللفظية والمعنوية، يلخّصها المشّجر الآتي⁽⁵⁾:

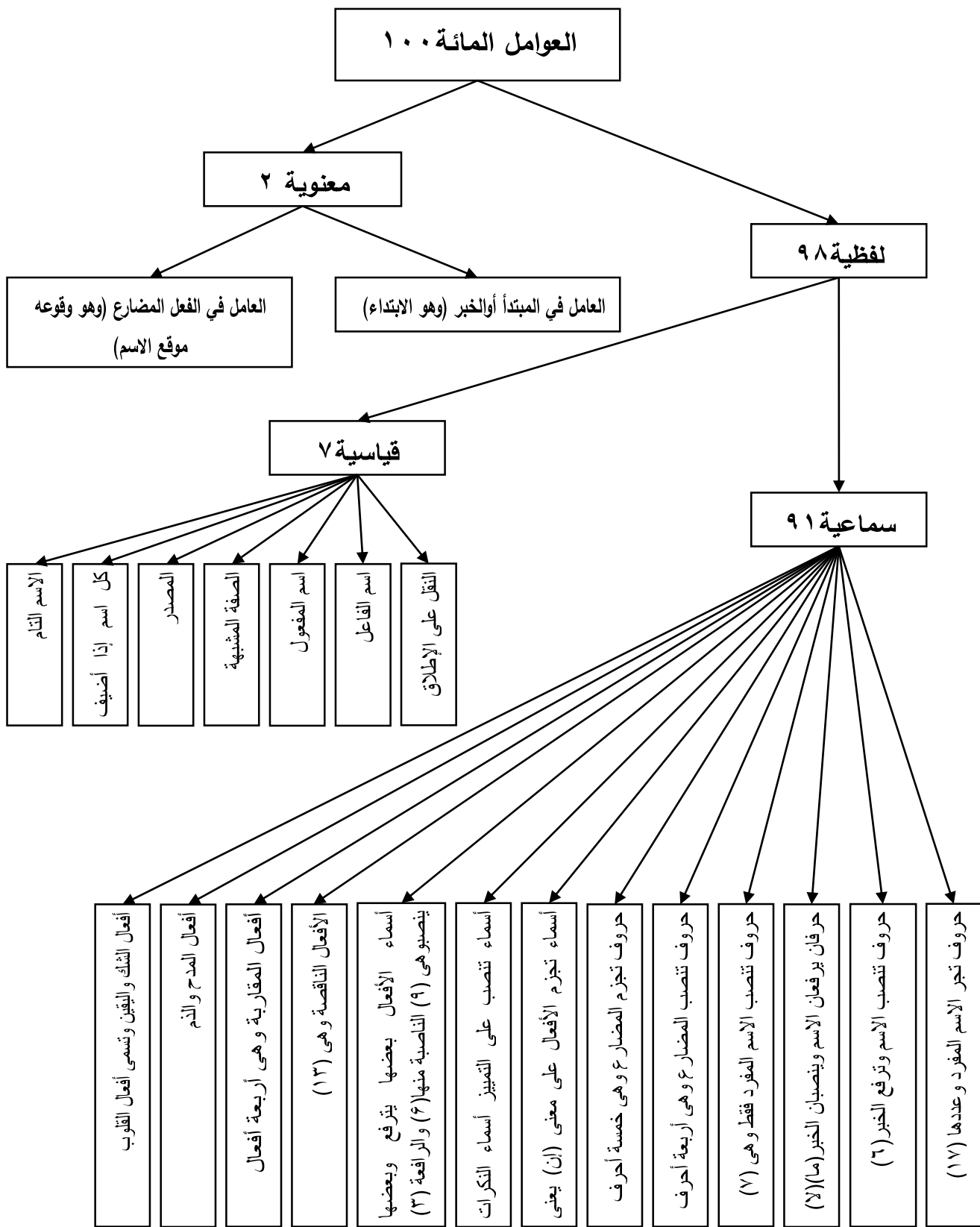
(1) عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص 225.

(2) تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص 16.

(3) تمام حسّان. (درجات الصّواب والخطأ في الاستعمال العربي). مقالات في اللّغة والأدب. ج 2. ص 195-196.

(4) الشّريف الجرجاني. التّعريفات. تح: نصر الدّين تونسي. ط 1. شركة ابن باديس للكتاب. الجزائر. 2009. ص 239.

(5) ينظر: عبد القاهر الجرجاني. العوامل المائة النّحوية في أصول علم العربية. تح: زهران البدرابي. ط 2. دار المعارف. القاهرة. 1988م. ص 9.



من خلال هذا المشجّر يمكن القول إنّ العوامل النحوية كما يقرّها عبد القاهر الجرجاني مائة(*)، تتوزّع على النحو الآتي:

ب3-1 عوامل لفظية: يُلحقها النّحاة بما يتلفّظ به اللّسان «كمن وإلى، في قولك: سرت من البصرة إلى الكوفة، فإن من وإلى عاملان لفظيان يعرفان بالقلب ويتلفّظان باللّسان»⁽¹⁾. والعوامل اللفظية قسمان هما:

القسم الأوّل: عوامل لفظية سماعية تخضع للسمع وهي واحد وتسعون عاملاً، تتوزّع على ثلاثة عشر نوعاً، وهي:

النوع الأوّل: سبعة عشر حرفاً يجزّ الاسم فقط، وهي: على، إلى، من، في، عن، حتّى، اللّام، الكاف، ربّ، مذ ومنذ، واو وتاء وباء القسم، حاشاء، عدا، خلا.

النوع الثّاني: ستّة حروف تنصب الاسم وترفع الخبر، وهي: إنّ، أنّ، كأنّ، لكنّ، ليت، لعلّ.

النوع الثّالث: حرفان يرفعان الاسم وينصبان الخبر، وهما: لا وما الشّبّهتان بليس.

النوع الرّابع: سبعة أحرف تنصب الاسم المفرد فقط، وهي: واو المعية، إلّا الاستثنائية، وخمسة للنداء، وهي: الهمزة، يا، أيّا، هيا، أي.

النوع الخامس: أربعة حروف تنصب الفعل المضارع، وهي: أن المصدرية، لن، إذن، كي.

(*) هناك من يرى أنّ العوامل النحوية متئان وواحد، ينظر: محمد بن مهدي ظافر العمراني. التحفة المهدية شرح العوامل النحوية. ط1. دار الآثار. القاهرة. 2008م. ص15.
(1) عبد القاهر الجرجاني. العوامل المائة. ص84.

النّوع السّادس: خمسة حروف تجزم الفعل المضارع، وهي: إن، لم، لما لام الأمر، لا النّاهية.

النّوع السّابع: تسعة أسماء على (إن) للشّروط والجزاء تجزم الأفعال، وهي: مَنْ، أي، ما، متى، مهما، أينما، أتى، حيثما، إذما.

النّوع الثّامن: أربعة أسماء تنصب نكرة على التّمييز، وهي: كم، كأين، كذا، عشرة إذا ركّبت مع الأعداد من اثنين إلى تسعة.

النّوع التّاسع: تسعة أسماء أفعال؛ ثلاثة ترفع هي: هيهات، شتان، سرعان. وستة تنصب هي: رويد، بلّة، هاء، دونك، عليك، حيّهل.

النّوع العاشر: ثلاثة عشر فعلا ناقصا يرفع الاسم وينصب الخبر هي: كان وأخواتها: ليس، صار، أمسى، أصبح، ظلّ، بات، أضحى، مادام، مازال، ما انفك، ما فتى، ما برح.

النّوع الحادي عشر: أربعة أفعال مقاربة ترفع اسما واحدا هي: عسى، كاد، كرب، أو شك.

النّوع الثّاني عشر: أربعة أفعال مدح وندم ترفع الاسم المعرّف بلام التّعريف وبعده اسم مرفوع يسمّى المخصوص بالمدح مع: نعم وحبّذا أو بالذّم مع: بئس وساء.

النّوع الثّالث عشر: سبعة أفعال، منها: أفعال الشّك ثلاثة وهي: ظننت، حسبت، خلت. أفعال القلوب أو اليقين ثلاثة وهي: علمت، رأيت، وجدت. والسّابعة تتوسّط بين الشّكّ واليقين وهي: زعمت.

القسم الثّاني: عوامل لفظية قياسية تخضع للقياس على ما سُمع من كلام العرب، وهي سبعة أنواع:

النّوع الأوّل: الفعل.

النّوع الثّاني: اسم الفاعل.

النوع الثالث: اسم المفعول.

النوع الرابع: الصفة المشبهة.

النوع الخامس: المصدر.

النوع السادس: الاسم المضاف.

النوع السابع: الاسم التام، وهو الذي يضاف إلى غيره كأن يكون منونا، مثل: راقوداً، خلاً.

ب3-2 عوامل معنوية: يُلحقها النحاة بما يدركه القلب، ولا دخل للسان فيه، «فاسمها يدلّ عليها، إنّها معنى من المعاني لا نطق فيه، هو معنى يعرف بالقلب، ليس للفظ فيه حظ... وهي أمران؛ الأوّل: العامل في المبتدأ والخبر. الثّاني: العامل في الفعل المضارع الرّفْع»⁽¹⁾؛ أي أنّ «عامل الرّفْع في المبتدأ والخبر هو الابتداء، وعامل الرّفْع في المضارع لوقوعه موقع الاسم»⁽²⁾.

تجدر الإشارة إلى أنّ نظرية العامل النحوي قد شغلت صفحات كثير من المؤلفات القديمة^(*) منها والحديثة^(**)، وانشطر دارسوها بين مؤيّد لها داع لإبقائها، ومعارض لها داع لإلغائها، فأسالوا فيها حبرا كثيرا شرحا ونقدا ونقضا. وتّمّام حسّان واحد ممّن دعوا «للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية»⁽³⁾، ماضيا في ذلك على هدي ابن مضاء القرطبي الذي دعا إلى إلغاء العامل النحوي، الأساس والرّكن الرّكين الذي

(1) محمد عيد. أصول النحو العربي. ص209-210.

(2) عبد المجيد عيساني. النحو العربي بين الأصالة والتّجديد (دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النحوية). ص89.

(*) الخليل بن أحمد الفراهيدي. الجمل في النحو. تح: فخر الدّين قباوة. ط1. مؤسسة الرّسالة. سوريا. 1985م. ص55 ومابعداها. وسيبويه. الكتاب. ج1. تح: عبد السّلام هارون. ط3. مكتبة الخانجي. مصر. 1988م. ص13 ومابعداها.

(**) إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. ط3. مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنّشر. مصر. 1992م. ص53 ومابعداها.

(3) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص189.

بنى عليه النحاة القاعدة النحوية⁽¹⁾، وثار على تعليقاتهم وتقديراتهم التي كانت - في نظره - سببا في تعقيد الدرس النحوي، إذ يقول في كتابه الرد على النحاة: «قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادّعاؤهم أنّ النصب والخفض والجزم لا يكون إلاّ بعامل لفظي، وأنّ الرفع منها يكون بعامل لفظي وبمعامل معنوي»⁽²⁾.

إنّ محاولة ابن مضاء القرطبي تجسّد ارتباط التيسير النحوي بعلماء الكوفة رغم نشأة النحو بالبصرة. وانطلاقاً من نظرية العامل يوظّف تَمَام حَسَّان آليّة نقد آراء النحويين القدامى عامّة و«يرى أنّ هناك مشاكل كثيرة في قبول آراء النّمودج البصري»⁽³⁾ خاصة.

يعدّ تَمَام حَسَّان ابن مضاء القرطبي من رواد التّجديد في منهج الدّراسات اللّغوية والتّيسير النّحوي، إذ يقول: «ولعلّ أول محاولة لها خطرها في هذا الباب هي محاولة ابن مضاء الأندلسي الظّاهري المذهب، الذي دعا إلى اعتبار ما هو مستعمل فحسب من صيغ اللّغة، دون الحاجة إلى التّفكير والتّعليل»⁽⁴⁾.

إنّ تأثر تَمَام حَسَّان برأي ابن مضاء القرطبي في نظرية العامل أثار نقاش بعض الدّارسين، فبهاء الدّين عبد الوهاب عبد الرّحمن يقول: «من الغريب حقّاً أن يذهب باحث مثل تَمَام حَسَّان إلى تأييد نقد ابن مضاء المتهافت لنظرية العامل»⁽⁵⁾.

(1) للاستزادة ينظر: بكري عبد الكريم. أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي. ط1. دار الكتاب الحديث. الجزائر. 1999م. ص131 وما بعدها.

(2) ابن مضاء القرطبي. الرد على النحاة. تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. ط1. دار الكتب العلمية. لبنان. 2007م. ص13.

(3) عيسى متقي زادة. (دراسة المحاولات التيسيرية في النحو العربي عند المحدثين). مجلة اللّغة العربية وآدابها. جامعة إعداد المدرّسين. السنة السادسة. ع11. 2010-2011م. ص112.

(4) تَمَام حَسَّان. مناهج البحث في اللّغة. ص12.

(5) بهاء الدّين عبد الوهاب عبد الرّحمن. (الموازنة بين نظرية العامل ونظرية تضافر القرائن في الدرس النحوي). خواطر نحوية. جامعة الطائف. مايو 2015م. ص20.

على سبيل الرّد على بهاء الدّين عبد الوهاب عبد الرّحمن تجدر الإشارة إلى أنّ القول باقتفاء تمام حسّان لأثر ابن مضاء القرطبي في إلغائه لنظرية العامل وما يترتّب عنها لا يعني اقتناع الأوّل بكلّ ما أتى به الثّاني، فهو يؤيّد في أمور ويعارضه في أخرى؛ إذ يعترف له بقصب السّبق في نقد منهج النّحاة مرّة، فيقول: «ومن الطّلائع الذين هاجموا الكثير من الأفكار التّقليدية في النّحو العربي ومنها التّقدير ابن مضاء القرطبي»⁽¹⁾. كما يعترف له بإصابة الهدف مرّة أخرى، إلّا أنّه - وبآلية نقد النّقد - يوجّه ملاحظات فوروية على ما لم يستحسنه من الآراء، إذ يقول ناقدا رأيه في فكرة تقدير النّحاة ما غاب من جوهر الجملة مشيرا إلى أنواع الدّلالة، فيقول: «ولا شكّ أنّ ابن مضاء مصيب فيما يقول، وإن كنت آخذ عليه أنّه لم يسلم من قيود المنطق حين تكلم عن الدّلالة اللفظية ودلالة اللّزوم^(*) والدراسات اللّغوية لا تعترف بدلالة اللّزوم، وإنّما تعتبر دلالات الألفاظ بذواتها»⁽²⁾.

بعد إشارة تمام حسّان إلى أنّ «ابن مضاء أيضا ممّن هاجموا نظرية العامل فأبانوا فسادها إلى أقصى حدود الإبانة [وأنته] يعالج المسألة علاجاً منطقياً»⁽³⁾، استدرك مباشرة فقال: «وإن كان قد بيّن فساد وجهة نظر النّحاة، فقد تورّط في كتابه في دعوى لا يمكن السّماح بها وهي أنّ العامل النّحوي هو المتكلّم، فهو إن ألغى عاملاً فقد فرض عاملاً آخر لا تجيزه الدراسات اللّغوية الحديثة، لأنّ المتكلّم لا يرفع ولا ينصب بنفسه وإنّما بحسب القواعد»⁽⁴⁾ المستتبطة بالاستقراء ممّا تواتر من كلام العرب «فإذا كان الفاعل مرفوعاً في النّحو فلأنّ العرف ربط بين فكرتي الفاعلية دون ما سبب منطقي واضح، وكان من الجائز جدّاً أن يكون الفاعل منصوباً، والمفعول مرفوعاً، لو أنّ المصادفة

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 27.

(*) دلالة اللّزوم مثل دلالة السّقف على الحائط.

(2) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 27.

(3) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 31.

(4) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 31.

العرفية لم تجر على النحو الذي جرت عليه»⁽¹⁾. ومراد تمام حسّان من كلامه هذا غياب عوامل تعمل الرّفْع والنّصب والجرّ والجزم، وحضور قواعد هي في صميم عرف اللّغة العربية يتمّ على أساسها كلّ ذلك. ناهيك عن كون فكرة أنّ العامل هو المتكلم أصلاً ليست من أفكار ابن مضاء وإنّما أخذها عن ابن جنّي الذي يقول: «فأمّا في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرّفْع والنّصب والجرّ والجزم إنّما هو للمتكلّم نفسه، لا لشيء غيره. وإنّما قالوا: لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامّة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ، وهذا واضح»⁽²⁾.

عن الأمر نفسه يعقّب عباس حسن بقوله: «أمّا العامل (المتكلم) فلن يعرف ضبط أواخر الكلمات، وما يتّصل بها، وما ينشأ عن تصرّفها إلّا إذا كان عربياً أصيلاً، ينطق اللّغة العربية بفطرتة، وتجري على لسانه طائعة بغير أمارات مرشدة، ولا علامات يستوحيا الضبط، ويستبينها ما يتطلّبها المقام من حركة دون حركة، ومن ضبط دون آخر»⁽³⁾.

من هنا يمكن القول إنّ تمام حسّان لم يبلغ العامل النحوي إلغاءً مطلقاً، وإنّما جعله قرينة واحدة وهي قرينة الإعراب على خلاف النّحاة القدامى الذين جعلوه نظرية كاملة سمّوها نظرية العامل. ويردّد تمام حسّان دون ملل أنّ العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى ولا قيمة لها دون غيرها من القرائن، وأنّ ما أثير حول العامل النحوي من ضجّة لم يكن أكثر من مبالغة أدّى إليها النّظر السطحي⁽⁴⁾. وهو بهذا لا ينفي القيمة الدّالية للحركة الإعرابية، فهي - كما يرى لحسن بلبشير - فونيم في الكلمة كغيرها من الفونيمات «له قيمته وأثره في الإفصاح عمّا في النّفس من معنى، فيكون تغيّرها محقّقاً

(1) تمام حسّان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص53.

(2) ابن جنّي. الخصائص. ج1. ص111.

(3) عباس حسن. اللّغة والنّحو بين القديم والحديث. (دط). دار المعارف. مصر. 1966م. ص190 - 191.

(4) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص205-206.

لما في نفس المتكلّم من معنى يريد الإبانة والإفصاح عنه. فإذا قال المتكلّم: الأسدُ (بالضّمة) فإنّ السّامع يدرك أنّه قد أراد نقل خبر ليس غير، ولكنّه إن قال: الأسدُ (بالفتحة) فإنّ المعنى يتغيّر إلى معنى التّحذير... فما كان التّغيير في الحركة إلّا نتيجة للتّغيير في المعنى، وليست الحركة نتيجة لأثر عامل كما يرى النّحاة»⁽¹⁾، وإنّما نتيجة الإفصاح عمّا في نفس المتكلّم بغية إيصاله إلى السّامع. وتجدر الإشارة إلى أنّ «تمام حسّان يعدّ بحق أوّل الباحثين العرب استعمالاً لمصطلح الإفصاح، وإدراكاً لوظيفته التّأثيرية والانفعالية... [و] أنّ مصطلح الإفصاح حديث النّشأة في الدّراسات النّحوية والبلاغية العربية... فأوّل من ساقه إلى الدّرس اللّغوي العربي تمام حسّان، فتردّد صداه في مؤلّفاته في أزيد من موضع وأكثر من مرجع، ثمّ ذاع صيته من بعدُ بين شتّى الدّارسين العرب الذين لا يرضون بالتّقليد الأعمى منها»⁽²⁾.

إذا كان لحسن بلبشير يرى أنّ الحركة الإعرابية لا تعدّ نتيجة لأثر عامل، وتغيّرها هو نتيجة للتّغيير في المعنى فإنّ ابتسام عبد الكريم رمضان تنتصر لما أقرّه علماء العربية الأوائل وهو أنّ «العمل النّحوي في أيّ تركيب لا يمكن أن يُكشَفَ إلّا من خلال الحركة الإعرابية على أواخر الكلمات، وهي حركة أوجدها عامل معيّن»⁽³⁾.

من هنا يمكن القول برجاحة كفة أنّ الحركة الإعرابية ما هي إلّا جزء مهم من كلّ أهم، تتكاتف أجزاءه وفق قواعد معيّنة للوصول إلى الغاية المنشودة.

(1) لحسن بلبشير. (الدّراسات اللّغوية بين الأصالة والمعاصرة). مجلّة الأثر. ع8. جامعة ورقلة. الجزائر. ماي 2009م. ص22.

(2) ليلي كادة. (مدارات مصطلح الإفصاح في الدّراسات التّراثية والمعاصرة). مجلّة المخبر: أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري. جامعة محمد خيضر. بسكرة. ص1-10.

(3) ابتسام عبد الكريم رمضان. (مؤشّرات العمل النّحوي بين القدماء والمحدثين). قسم اللّغة العربية. كليّة الآداب. جامعة عمر المختار. الجبل الأخضر. البيضاء. ليبيا. ص المقدّمة.

ب4- الرواية والرواية في ضوء المنهج: يرى تمام حسّان أنّ النّظر إلى منهج النّحاة القدماء من حيث الرواية والرواية لا يعلو على النّقد أيضاً، وهو وثيق الصّلة بما اصطلح عليه الأوّلون بالسّليقة(*) التي يُقصد بها الخليقة(**)، وخليقة الإنسان- في نظر تمام حسّان- أن يتواصل بواسطة لغة يكتسبها بأقلّ توجيه متعمّد في الطّفولة في محيط الأسرة الصغيرة والكبيرة، وهذا هو الأساس الذي يبني عليه معنى السّليقة؛ أي أنّ تعلّم الطّفّل لغة أمّه ومجتمعه هو السّليقة عند تمام حسّان، فقد كان العربي يكتسب لغته الفصحى من خلال الممارسة والاستعمال دون أن يدرك ما لها من نظام نحوي أو صرفي، وكان يسمّى هذا النوع من الاكتساب السّليقة، ويرى أنّ الأقدمين أخطأوا فهمها وظنّوها جِبِلَّةً وخليقة، وهذه الأخيرة - أي الخليقة- بكونها انطباع الإنسان على اتّخاذ لغة ما تعين السّليقة التي هي اكتساب لغة بعينها، وعملية الاكتساب في ديمومة مادامت الحياة الاجتماعية مستمرة، ومادامت اللّغة في تطوّر. ويبرّر تمام حسّان حكمه على الأقدمين، بخطأ افتراضهم أنّ العربي كان عبداً للّغة العربية مسلوب الإرادة من تحوير نطقه بها، ممّا أدى إلى خطأ في منهج بحثهم في النّحو(1).

بآلية التّقابل المصطلحي بين السّليقة والخليقة يخلص تمام حسّان إلى أنّ السّليقة هي اكتساب اللّغة في مرحلة خاصّة من حياة الإنسان هي مرحلة الطّفولة، أمّا الخليقة فهي أنّ الإنسان بطبعه حيوان ناطق، من طبعه أن يتّخذ لنفسه أيّ لغة، ومن هنا فالخليقة تدفع إلى السّليقة؛ أي أنّ طبع النّاطقية يدفع إلى اكتساب لغة بعينها، فالخليقة والسّليقة معا هما عنصران يكوّنان شخصية الإنسان بوصفه متكلماً وبعده فرداً يعيش في المجتمع(2).

(*) السّليقة عند تمام حسّان موضوع من دراسة اللّغة.

(**) الخليقة عند تمام حسّان موضوع من علم الاجتماع.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. (السّليقة بين النّحو العربي والنّحو التّوليدي). مقالات في اللّغة والأدب. ج2. ص214. اجتهادات لغوية. ص25.

(2) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. (الخليقة والسّليقة). مقالات في اللّغة والأدب. ج1. ص325.

صحيح أنّ بعض القدماء يعتقدون أنّ اكتساب اللّغة طبع لا تطبّع فيه، إلاّ أنّ الكثير منهم يمسك العصا من الوسط؛ فيرى أنّ اللّغة تجمع الطّبع والتّطبّع في الآن نفسه، فابن جنّي - على سبيل التّمثيل لا الحصر - في باب اللّغة: أتواضع هي أم إلهام؟ يقول: «وجوّزنا فيها الأمرين جمعياً [فقد] وقع في أوّل الأمر بعضها، ثمّ احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه، لحضور الدّاعي إليه، فزيد فيها شيئاً فشيئاً، إلاّ أنّه على قياس ما كان سبق منها في حروفه، وتأليفه، وإعرابه المبين عن معانيه، لا يخالف الثّاني الأوّل، ولا الثّالث الثّاني، غير أنّ كلام أهل الحضرة مضاهٍ لكلام فصحاء العرب في حروفهم، وتأليفهم إلاّ أنّهم أخلّوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح. وهذا رأي أبي الحسن(*)، وهو الصّواب»(1).

إنّ ما يراه ابن جنّي صواب ينظر إليه تمام حسان بعين ناقدة بنفي الطّبع مطلقاً وإثبات التّطبّع في اكتساب اللّغة، ويؤيّد في ذلك أغلب الدّارسين المعاصرين، ومنهم إبراهيم أنيس الذي يرى أنّ تقديس القدماء للسّليقة هو ما أدّى إلى اضطراب قواعدهم(2)، ويدعم هذا الرّأي عبد الرحمن العارف الذي يقول: «وهذا ما تؤيّد؛ حيث لو كانت السّليقة طبعاً ما تطرّق اللّحن إلى الفصحاء من الأعراب؛ لأنّ الطّبع لا يتغيّر، وهذا صحيح، ونضيف إليه أنّ فهمهم للسّليقة كان من نتائجه قصر الاحتجاج اللّغوي على فترة معيّنة، ومكان معيّن، وقبائل معيّنة، ممّا أدّى إلى عدم دقّة منهج بحثهم النّحوي في هذا الجانب، ونصل إلى القول في مسألة اكتساب اللّغة: إنّ المعيارية لا تتّضح فيها أو في السّليقة اللّغوية في حدّ ذاتها، وإتّما فيما نتج عنهما من ربط الفصاحة والنّقاء اللّغوي ببيئة محدّدة، وزمان وجنس معيّنين، أو بمعنى آخر النّظر إلى اللّغة على أنّها كائن ثابت (جامد)، غير قابل للتّغيير والتّطور، وذلك ما أثبت الدّرس اللّساني الحديث خطأه، وعدم صوابه»(3).

(*) أبو الحسن هو الأخفش الأوسط.

(1) ابن جنّي. الخصائص. ج2. ص20.

(2) للاستزادة ينظر: إبراهيم أنيس. من أسرار اللّغة. ط6. مكتبة الأنجلو المصرية. 1978م. ص34 وما بعدها.

(3) عبد الرحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص228-229.

أمّا عن مناقشة تمام حسّان لتوثيق الروايات التي اعتمد عليها النحاة، فيشير إلى الكثير من حالات التزييف والوضع التي سجّلها تاريخ النحاة عن طريق السماع المباشر^(*)، وتاريخ الرواة عن طريق السماع غير المباشر عن طريق الرواية^(**)، الأمر الذي يفتح باب الطعن في بعض شواهد النحو، ويبتهم أصالتها وصحتها، وهو ليس بالهين لأنّ ما مسّ البعض ينعكس على الكلّ، ولا يسلم منه إلاّ ما قام على صحته دليل⁽¹⁾.

ج- التّحديد الزّمني والمكاني للبيئة اللّغوية والخلط بين مستويات الأداء اللّغوي:

ينطلق تمام حسّان في هذه المسألة من أنّ الخطأ يؤدّي - لا محالة - إلى الخطأ فيرى أنّ العرب سمحوا لمنهجهم بأن «يشمل لهجات القبائل المتعدّدة، ويأذن لنصوصها الجاهلية والإسلامية أن يستشهد بها في دراسة نحوية شاملة للأمشاج المختلفة من النّظم الكلامية، فاتّسعت عليهم دائرة القول، وبذلك تسرّب الكثير من الشّعْر المصنوع والشّاهد المسبوك إلى دراسات النّحاة»⁽²⁾.

ما يحسب على علماء العربية اعتمادهم في التّقييد على لغة الشّعْر عامّة وعلى المنحول منه خاصّة، وبألية التّمثيل يشير تمام حسّان إلى أن سيّد كتب النحو وهو كتاب سيبويه قد اشتمل على خمسين بيتا مجهولة النسب، وعلى بيت مصنوع دسّه أبو يحيى اللّاحقي على سيبويه، ويروى أنّ الأوّل منهما قال: «سألني سيبويه عن شاهد في تعديّ فعل، فعملت له هذا البيت:

حَذِرْ أُمُورًا لَا تُخَافُ وَآمِنْ مَا لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ»⁽³⁾

(*) يذكر تمام حسّان أمثلة عن وضع النحاة أنفسهم منها أنّ ابن دريد كان وضّاعا بشهادة نفطويه والأزهري.

(**) يذكر تمام حسّان أمثلة عمّا أخذه النحاة عن الرواة منها: خلف الأحمر في البصرة، وحماد الراوية في الكوفة.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. اجتهادات لغوية. ص 26 وما بعدها.

(2) تمام حسّان. اجتهادات لغوية. ص 27.

(3) سيبويه. الكتاب. ج 1. ص 113.

يعقّب تمام حسّان عن عدم اقتصار النّحاة في دراسة النّحو على عصر معيّن من عصور اللّغة، فيؤكّد أنّ كون اللّغة ترجمان المجتمع ووعاء تجاربه يجعلها تختلف من عصر إلى عصر من حيث المفردات والصّيغ وطرق تركيب الجمل وبنيتها، وهذا صحيح، فكلّ عصر بصمة في اللّغة تجعل القاموس المستعمل فيه يختلف عن السّابق وعن اللاحق، فالخارج من السّابق بآء، نحو: سجنجل، والدّاخل إلى اللاحق وافد، نحو: دمعة مهراقة⁽¹⁾.

بعد موجة من النّقد والتّحليل يستدرك تمام حسّان ويقول: «ولا ينبغي مطلقاً أن يظنّ أنّ النّقد هنا لقيمة عمل النّحاة، إنّما هو للمنهج»⁽²⁾، وفي موضع آخر يقول: «ذلك تقويم لمنهج النّحاة لا لقيمة عملهم، وهو طعن في أصول المنهج لا في النّحاة أنفسهم، وأنّ الناظر في النّحو العربي على الصّورة التي دوّنه بها سيبويه ليجد صرحاً عالياً من الفكر يعجب المرء أن يتم بناؤه في حقبة يسيرة مع شدّة الحاجة إلى الأدوات؛ وأولى هذه الأدوات المنهج السّليم»⁽³⁾.

يشير أيضاً إلى أنّ غاية النّحاة العرب تبرّر وسيلتهم؛ فحرصهم على حماية النّص القرآني من اللّحن ألزمهم بتحديد زمان معيّن ومكان محدّد^(*)، ودفعهم إلى اختيار اللّغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم دون لغة التّخاطب العادية ليستخرجوا منها النّحو، ملتئماً لهم أعدارا يمكن تلخيصها فيما يأتي:

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. اجتهادات لغوية. ص 29.

(2) تمام حسّان. اجتهادات لغوية. ص 39.

(3) تمام حسّان. اجتهادات لغوية. ص 44.

(*) زمان الاحتجاج اللّغوي: يسمّى عصر الاستشهاد؛ وهو نهاية القرن الثاني الهجري في الحضر، ونهاية القرن الرابع الهجري في البادية. ومكان الاحتجاج اللّغوي: ستّ قبائل؛ وهي: قيس، تميم، أسد، هذيل، بعض طي، وبعض كنانة.

- للنّحاة العرب قصب السّبق؛ فقد كانوا طلائع في الإبداع، وعذر الطّليعة أنّه لم يتهيأ لها الاستفادة ممّا سبق، فحسبها أن أنارت الطّريق ومهدتها دون أن تكون عالية على حكمة موروثه.

- نسبة القصور إلى النّحاة لا تستقيم على إطلاقها؛ لأنّهم لم يعتمدوا النّصوص المنطوقة، بل استنبطوا قواعدهم من مادّة مكتوبة لا تفرّق سطورها بين لهجة وأخرى، ومع ذلك فقد لاحظوا اختلاف أشكال الفصحى على ألسنة القبائل من النّاحية التركيبيّة(*).

- إنّ المنهج الحديث المسلّط على عملهم لم يكن معروفا آنذاك، وعليه لا يُعقل لوّمهم لأنّهم خالفوا مقاييس وطرق منهجية لم يكن لها وجود في زمانهم.

إنّ التّسليم بما سبق ذكره يجعلنا ندين لنحائنا الأقدمين بالاعتذار، ونلتمس لهم العذر - كما يقول تمام حسّان - ونعترف لهم بالجميل؛ لأنّ صنيعهم كان منسجماً تمام الانسجام مع الظّروف التي صادفتهم⁽¹⁾.

II- الجانب التّقيدي:

يرى تمام حسّان أنّ التّقييد هو طريقة من طرق الوصف في دراسة اللّغة، ولا أثر للمعيارية فيه، ويظهر دور التّقييد بعد الملاحظة والتّقسيم والاصطلاح، إذ ينظر الباحث في أنواع التّشابه المطّردة بين المفردات التي تمّ استقراؤها، فيصفها بإيجاز، نحو: حين يقع الاسم مسندا إليه يكون مرفوعا، ولا يتحوّل عن هذا الرّفْع إلّا في حالات خاصّة. والقاعدة - في نظره - ليست قانونا يفرضه الباحث على المتكلّمين، وإنّما هي تعبير عن شيء لاحظه الباحث، ووصفه بما قلّ ودلّ. وعلى الباحث أن يراعي الأساسيات الآتية في التّقييد⁽²⁾:

(*) من هذه التراكيب أنّ الحجازيين ينصبون خبر(ما) فيجعلونها عاملة، ولكنّ التّميين يرفعونه فيجعلونها غير عاملة.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. الأصول. ص 97 وما بعدها.

(2) ينظر: تمام حسّان. اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة. ص 154 وما بعدها.

- 1- أن القاعدة وصف لسلوك عملي معيّن في تركيب اللّغة، ويلاحظ أن يكون هذا السلوك مطّرداً حتّى يعبّر عنه بالقاعدة.
- 2- أن القاعدة جزء من المنهج لا جزء من اللّغة.
- 3- أن القاعدة عامّة لا كليّة؛ أي أن تتّصف بالعموم، وليس من الضّروري أن تتّصف بالشّمول.
- 4- أن تكون القاعدة مختصرة قدر الإمكان، فإذا طالت فقدت عنصراً هاماً من فائدتها العملية.
- 5- ولأنّ القاعدة نتيجة من نتائج الاستقراء، يجب إيراد أمثلة كثيرة وشواهد لتكون سنداً للقواعد وإيضاحاً لها.

يعلّق عبد الرّحمن العارف على هذه الأسس؛ إذ يتحفّظ على الأساس الأوّل ويقبل ما بقي من الأسس، إذ يقول: «إننا نرى أنّ القول باطراد القواعد أمر غير ممكن، بل إنّه ليس حلاً ناجعاً لاضطراب القاعدة النّحوية. وأمّا ما ذكر سوى ذلك من مبادئ لوضع القواعد النّحوية فأحسب أنّها تصلح لتكون أساساً متيناً يُبنى عليه، وتصوراً منهجياً يمكن من خلاله تلافي نواحي النقص في هيكل التّحديد والقاعدة»⁽¹⁾.

III- الجانب التّعليمي والجانب التّأليفي:

إنّ الجانب التّعليمي وثيق الصّلة بسبل تيسير النّحو التّعليمي، عن طريق استغلال مختلف الآليات في مختلف المستويات التّعليمية. «ويرتبط هذا الجانب بجانب التّأليف النّحوي، فتيسير النّحو كما يكون من النّاحية المنهجية العلمية يكون من النّاحية التّربوية أيضاً، وذلك بتأليف كتب النّحو التّعليمية الميسرة»⁽²⁾.

(1) عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص 247-248.

(2) عبد الرّحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص 250.

إن أهميّة الجانب التّأليفي تكمن في ارتباطه بتيسير النّحو وما تداخل معها من مصطلحات كالإصلاح والتّجديد وغيرها. وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ حبرا كثيرا قد سال في تأليف كتب تبني أصحابها فكرة التّيسير قديما وحديثا، إلاّ أنّها كانت تنظيرية و«لم تصل إلى نتائج تطبيقية، بل اكتفت بالنّقد وأبقت على أبواب النّحو التّقليدية كما هي ولم تقترح بديلا»⁽¹⁾، إلى أن أصدر تمام حسان كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها سنة 1973م، والذي «يقف وحيدا في مجال تطبيق النّظرية اللّغوية الحديثة على اللّغة العربية، وهو قراءة جديدة للتّراث اللّغوي العربي من خلال نظرية من نظريات علم اللّغة الحديث، وهي نظرية السيّاق عند فيرث»⁽²⁾.

يرى عبد الرحمن العارف أنّ تمام حسان قد «قدّم - لأول مرّة - نظرية متكاملة جعل منها كما يقول بعض المعاصرين^(*) هندسة جديدة لفهم النّحو العربي، وتعرف هذه النّظرية بنظرية القرائن النّحوية (Theory of Gramatical Clues)، تلك النّظرية التي حفلت بها مؤلّفات الدّكتور تمام، واحتفى بها في مقالاته ومحاضراته، وفصلها تلاميذه في رسائل الماجستير والدّكتوراه، حيث اتّخذوا من كلّ قرينة موضوعا مستقلاّ، مكوّنين بذلك مدرسة نحوية عرفت باسم مدرسة القرائن النّحوية»⁽³⁾. وفيما يأتي تفصيل لماهية هذه النّظرية ومقوماتها.

(1) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص 180.

(2) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص 219-220.

(*) منهم: محمد عيد. (تأثير الدّرس اللّغوي الحديث في النّحو العربي). الكتاب التّذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلّية دار العلوم. مطبعة عبير. القاهرة. 1993م. ص 351.

(3) عبد الرحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص 270.

ثالثاً - آليات تيسير الدرس النحوي عند تَمَام حَسَّان:

I- في ضوء نظرية تضافر القرائن كبديل عن نظرية العامل:

ينطلق تَمَام حَسَّان في إلغائه لنظرية العامل واقتراحه لنظرية تضافر القرائن كبديل لها من تأثره - كما يقول - بأذكي محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي، والتي جاء بها عبد القاهر الجرجاني في كتابه: دلائل الإعجاز، من خلال نظرية النظم، تحت جزئية التعليق، هذا الأخير الذي عدّه تَمَام حَسَّان الفكرة المركزية في النحو العربي، لأنّ فهمه على وجهه كاف وحده للقضاء على نظرية العامل، لأنّ التعليق يُحدّد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسّر العلاقات بينها على صورة أفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي من خلال قرائن التعليق النحوي المعنوية واللفظية؛ أي أنّ التعليق هو الإطار الضّروري لما يسمّيه النّحاة الإعراب⁽¹⁾. وقبل التفصيل في هذه القرائن تجدر الإشارة إلى ماهية القرينة.

1- تعريف القرينة: لغة على وزن فعيلة، بمعنى المفاعلة، مأخوذ من المقارنة،

وقرن الشيء بالشيء، أي: شدّه إليه ووصله به، وقارنته قرانا بمعنى صاحبتة. أمّا اصطلاحاً فالقرينة أمر يشير إلى المطلوب، وهي حالية أو معنوية أو لفظية⁽²⁾.

إنّ المعنى الاصطلاحي للقرائن قريب من المعنى اللغوي؛ فالثاني منهما مأخوذ من مادة (قَرَنَ) الذي يدلّ على: الوصل، الجمع، الشّد، الرّبط، المصاحبة، التّلازم، والالتقاء، فيقال: قرن الشيء بالشيء: جمعه، وقرن الأسارى: شدّهم وربطهم، وقارنه قرانا ومقارنة: صاحبه، والقرينة: الزّوجة لأنّها تقارن زوجها وتلازمه⁽³⁾. والمعنى الاصطلاحي للقرائن وثيق الصّلة بهذه المعاني؛ إذ يعني مدى ارتباط الكلمات ببعضها داخل الجملة أو داخل

(1) ينظر: تَمَام حَسَّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص186 وما بعدها.

(2) ينظر: محمد الرّازي. مختار الصّحاح. رتبّه: محمود خاطر. ط1. دار الفكر. لبنان. 2001م. ص441. الشّريف الجرجاني. التّعريفات. ص280.

(3) ينظر: مجمع اللّغة العربية. المعجم الوسيط. ج1+2. مادة (قرن). ص784.

السياق، بترجيح معنى دون غيره على ضوء قرينة لفظية أو معنوية دالة على المعنى المرّجّح⁽¹⁾.

2- القرائن النحوية بين التّأصيل والتّجديد:

تجدر الإشارة إلى أصالة القرائن في الدرس النحوي؛ ذلك أنّ مصطلح القرينة حاضر في تراثنا العربي، فمن النّحاة المتقدّمين من أشار إليه بمصطلحات تدلّ على معناه، نحو: الرّابط، الدليل، الأمانة والدلالة⁽²⁾. ومنهم من ورد مصطلح القرينة عنده صريحا⁽³⁾.

من هنا يمكن القول إنّ لنظرية القرائن جذورا في التّراث اللّغوي العربي، فالمتأمّل في أبواب النّحو يجد للقرائن أثرا معنويا على سبيل التّلميح، أو أثرا لفظيا على سبيل التّصريح، ومن ذلك على سبيل التّمثيل لا الحصر:

تنبّه سيبويه إلى أهمّية السياق في تحديد المعاني، ولمّح إلى فكرة القرائن دون أن يصرّح بالمصطلح، ويظهر ذلك من خلال قوله: «يقول الرّجل: أتاني رجلٌ، يريد واحداً في العدد لا اثنين فيقال: ما أتاك رجلٌ؛ أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول: أتاني رجلٌ لا امرأة فيقال: ما أتاك رجلٌ؛ أي امرأة أنتك. ويقول: أتاني اليوم رجلٌ؛ أي في قوّته ونفاذه، فتقول: ما أتاك رجلٌ؛ أي أتاك الضّعفاء. فإذا قال: ما أتاك أحدٌ صار نفيا [عاماً] لهذا كلّه، فإنّما مجراه في الكلام هذا»⁽⁴⁾.

إنّ الجملة المكرّرة لفظيا في الكلام لا تؤدّي نفس المعنى؛ فالسياق يلعب دروا هاماً في ترجيح دلالة دون أخرى «جملة (ما أتاك رجلٌ) تحتل حسب السياق الذي ترد فيه

(1) ينظر: خالد بسندي. (نظرية القرائن في التّحليل اللّغوي). مجلّة اتّحاد الجامعات العربية. مج4. ع2. جامعة الملك سعود. قسم اللّغة العربية. الرياض. المملكة العربية السّعودية. 2007م. ص284.

(2) للاستزادة ينظر: كوليزار كاكل عزيز. القرينة في اللّغة العربية. ط1. دار الدّجلة. الأردن. 2009. ص20-21.

(3) ينظر: ابن هشام. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ج2. تح: محمد محي الدّين عبد الحميد. دار الطّلائع. 2004م. ص187. وشرح قطر النّدى وبل الصّدّي. تح: محمد محي الدّين عبد الحميد. المكتبة العصرية.

لبنان. 2004م. ص209.

(4) سيبويه. الكتاب. ج1. ص55.

أن تدلّ على العدد؛ أي ما أتاك رجل واحد بل أكثر. أو تدلّ على الجنس؛ أي ما أتاك رجل ذكر بل امرأة. أو تدلّ على الحالة؛ أي ما أتاك رجل قوي بل ضعيف. فالسياق هو الذي يرشّحها لهذا المعنى أو ذاك»⁽¹⁾.

صرّح جلال الدين السيوطي بمصطلح القرينة - بصيغة المفرد والجمع - في أكثر من موضع، منها عند حديثه عن تقدير المحذوف في قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ فصلت 14 إذ يقول: «فإمّا المعنى لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة بقرينة السياق»⁽²⁾.

لمّح ابن جنّي لمصطلح القرينة في باب: الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية، إذ يقول: «اعلم أنّ كلّ واحد من هذه الدلائل معدّ مراعي مؤنّر، إلّا أنّها في القوّة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواها الدلالة اللفظية، ثمّ تليها الصناعية، ثمّ تليها المعنوية، فمنه جميع الأفعال، ففي كلّ واحد منها الأدلّة الثلاثة، ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه»⁽³⁾.

يشير ابن خلدون إلى مصطلح القرائن في معرض حديثه عن التحليل الإعرابي عند النحاة إذا خيف اللبس في حال عجز الحركات الإعرابية على التفريق بين الفاعل والمفعول به «اعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن أخرى تدلّ على خصوصيات المقاصد»⁽⁴⁾.

(1) خالد بسندي. (نظرية القرائن في التحليل اللغوي). ص 292.

(2) السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج 2. تح: عبد العال سالم مكرم. دار البحوث العلمية. بيروت. ص 13.

(3) ابن جنّي. الخصائص. ص 69.

(4) ابن خلدون. المقدّمة. ص 509.

انطلاقاً ممّا سبق ذكره يمكن القول إنّ البذور الأولى لنظرية القرائن مبنوثة في التّراث اللّغوي العربي، وجذورها متأصّلة في نظرية النّظم لعبد القاهر الجرجاني، إلّا أنّ تمام حسّان أرسى أسسها وبيّن معالمها، بعد أن نهل من هذا المنبع الأصيل. كما أنّه اقتفى أثر أستاذه فيرث الذي أقام نظريته على فكرة السّياق، التي نجد لها هي الأخرى حضوراً عند علماء اللّغة قديماً من خلال إدراكهم لأثر السّياق في فهم الحدث اللّغوي، إلّا أنّ توسّع فيرث في معالجة الظّروف اللّغوية لتحديد المعنى، محاولة منه إثبات صدق المقولة بأنّ المعنى وظيفته السّياق، ضمن لهذا الأخير أن يكون نظرية لغوية متكاملة، أصبحت أساس المدرسة اللّغوية الاجتماعية. وبهذا استطاع تمام حسّان بذكائه اللّغوي أن يربط بين فكرة التّعليق النّحوي عند عبد القاهر الجرجاني وبين نظرية السّياق عند فيرث، وانتهى هذا التّأثير عنده بالمنهج الوصفي الوظيفي، الذي تبناه، وبنى عليه فكرة القرائن⁽¹⁾.

3- قراءة في أوصاف النّظرية: تعدّدت تسميات ما أتى به تمام حسّان بتعدّد الدّارسين له، فصاحبها يقول إنّ «القرائن النّحوية هي الإعراب والمطابقة والرّبط والتّضام والبنية والتّغمة»⁽²⁾، ويشير إلى ذلك تلميذه عبد الرّحمن حسن العارف الذي يقول: «أمّا أستاذنا الدّكتور تمام فقد قدّم - لأول مرّة- نظرية متكاملة تُعرف بنظرية القرائن النّحوية (Theory of Grammatical Clues)»⁽³⁾.

يطلق جميل حمداوي مصطلح منهج القرائن لاعتماده على القرائن اللفظية والمعنوية؛ ويرى أنّه منهج وصفي يهدف إلى تحديد المباني والوظائف النّحوية، كما يسمّى أيضاً

(1) للاستزادة ينظر: خالد بسندي. (نظرية القرائن في التّحليل اللّغوي). ص 287.

(2) تمام حسّان. التمهيد في اكتساب اللّغة العربية لغير النّاطقين بها. ص 30.

(3) عبد الرحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر. ص 270.

بنظرية التعلّيق⁽¹⁾. وتجدر الإشارة إلى أنّ جميل حمداوي استوحى التسمية الأخيرة ممّا أطلق عليه تمام حسّان بقرائن التعلّيق⁽²⁾.

يرى أحمد علم الدّين الجندي أيضا أنّ تمام حسّان قد «أبرز دور القرائن التي غمطها النّحاة حقّها بسبب انشغالهم بقريئة واحدة من بينها علامة الإعراب، وأسماها نظرية القرائن النّحوية (The Signs Theory)، وهذه النّظرية ملكت على الأستاذ نفسه ونفيسه»⁽³⁾. ويؤثر أحمد علم الدّين الجندي إضافة مصطلح تضافر على الاسم الذي أطلقه تمام حسّان، فيقول: «ونظرية تضافر القرائن النّحوية فكرة محكمة الوضع، متكاملة الجوانب»⁽⁴⁾، الأمر الذي اقتنع به مصطفى حميدة الذي يقول: «إني مقتنع تماما باتّخاذ نظرية تضافر القرائن منها في دراسة الجملة»⁽⁵⁾.

توكّد صالحة حاج يعقوب أنّنا إذا قارنا تمام حسّان بالآخرين في ردّ العامل فإنّنا نجد أنّه يأتي بمنهج نعدّه بديلا للقول بالعامل والإعراب قائم على تضافر القرائن، وتبدأ الباحثة في كشف حقيقة القرائن المعنوية واللفظية، لاتّخاذها منها وصفا علميا لدراسة اللّغة بعيدا عن فكرة العامل والإعراب⁽⁶⁾.

(1) جميل حمداوي. (منهج القرائن وأثره في التّحصيل المدرسي). المجلة التّربوية. مج10. ع40. مجلس النّشر العلمي. الكويت. 1996م. ص176.

(2) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص191.

(3) أحمد علم الدّين الجندي. (من قضايا الفكر الأصولي وأثره في تيسير النّحو العربي). تمام حسّان رائدا لغويا. ص44.

(4) أحمد علم الدّين الجندي. (من قضايا الفكر الأصولي وأثره في تيسير النّحو العربي). تمام حسّان رائدا لغويا. ص44.

(5) مصطفى حميدة. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية. ط1. الشركة المصرية العالمية للنّشر لونجمان. مصر. 1997م. ص87.

(6) ينظر: صالحة حاج يعقوب. (المقام والقريئة الحالية ودورها في المعنى). قسم اللّغة العربية وآدابها. الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. على الرّابط: Niknajah@iiu.my. محرّك البحث: google. ص1-5.

يلاحظ ممّا سبق أنّ وصف الدّارسين لما أتى به تمام حسّان ينشطر بين كونه نظرية أو منهجا؛ وهذا الأخير هو «مجموعة منظّمة من العمليات لبلوغ هدف»⁽¹⁾، في حين أنّ النظرية في الحقل اللّغوي هي «نظام استنتاجات، وتُعرف بالقواعد الكلّية أو قواعد التّوجيه اللّغوي، وهي التي تحكم أفراد الظّاهرة اللّغوية عامّة والنّحوية خاصّة»⁽²⁾.

أسال تمام حسّان حبرا كثيرا احتفاءً بنظرية تضافر القرائن النّحوية في مؤلّفاته ومقالاته ومحاضراته، وفصلها طلابه في رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه، حيث عكف كلّ واحد على دراسة قرينة من القرائن، الأمر الذي دفع ببعض الدّارسين إلى وصفها بمدرسة القرائن النّحوية⁽³⁾. وهو وصف تغلب فيه الذاتية على الموضوعية، ناهيك عن غياب الإجماع على ذلك.

إنّ نظرية تضافر القرائن النّحوية هي التّسمية المرّجحة؛ ذلك أنّ هذه القرائن مبنوثة في التراث اللّغوي العربي، وبصمة تمام حسّان تكمن في فكرة تضافرها، على عكس نظرية العامل التي تقوم على قرينة واحدة وهي الحركة الإعرابية.

4- مضمون نظرية القرائن النّحوية:

إنّ انطلاق تمام حسّان من فكرة التّعليق^(*) كفكرة مركزية في النّحو يُعدّ اعترافا بحسن صنيع عبد القاهر الجرجاني، وهذا تأكيد لرجحان كفة من أقرّ للرجل بعبقرية لغويّة منقطعة النّظير، لصدق جهده وخصوبة فكره وعمق فلسفته اللّغوية، ناهيك عن تفتّنه

(1) موريس أنجرس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية. تر: بوزيد صحراوي وغيره. ط2. دار القصبية. الجزائر. 1990م. ص98.

(2) فصيح مقران. المدخل الجامع في أصول نظرية النّحو العربي. ط1. دار الوسام العربي. الجزائر. 2011م. ص286.

(3) للاستزادة ينظر: محمد عيد. (تأثير الدرس اللّغوي الحديث في النّحو العربي). الكتاب التّذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلّية دار العلوم. ص352.

(*) يشير تمام حسّان إلى أنّ ابن مضاء القرطبي يستعمل اصطلاح التّعليق بمعنى قريب ممّا يقصده. ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. هامش ص: 189.

إلى أنّ اللّغة مجموعة من العلاقات وليست مجموعة من الألفاظ، ويظهر ذلك في قوله: «اعلم أنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللّغة، لم توضع لتصرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضمَّ بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد»⁽¹⁾، وهذا - كما يقول تمام حسّان - «أخطر ما تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق، فلم يكن النّظم ولا البناء ولا التّرتيب وإنّما كان التّعليق، وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النّحوية بواسطة ما يسمّى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ولا شك أنّ أصعب هذه القرائن من حيث إمكان الكشف عنها هي قرينة التّعليق لأنّها قرينة معنوية خالصة تحتاج إلى تأمل في بعض الأحيان، والتّأمّل فيها يقود في الأغلب إلى متاهات الأفكار الظّنيّة التي لا تتصل اتّصالاً مباشراً بالتّفكير النّحوي [كما] أنّ الكشف عن هذه القرينة هو الغاية الكبرى من التّحليل الإعرابي، وهي أم القرائن النّحوية جميعاً»⁽²⁾.

يرى تمام حسّان أنّ نجاح عملية التّعليق يثمر عنه وضوح المعنى الوظيفي على مستوى النّظام الصّوتي والصّرفي والنّحوي، ممّا يمكّن من إعراب الجملة دون الحاجة إلى المعنى المعجمي للكلمة المفردة أو للمقام الذي يمثل القرينة الاجتماعية الكبرى، ويعلّل تمام حسّان صدق ما ذهب إليه بإمكانية إعراب كلمات لا معنى لها، ولكنّها مصنوعة ومرصوفة وفق شروط اللّغة العربية وتراكيبها. وبآلية التّمثيل بنصّ مختلق على مثال اللّغة العربية من قبيل النّثر، يحاول إقناع القارئ بإمكانية إعراب كلماته بالاستناد على المعنى الوظيفي رغم كونها فارغة من المعنى الدّلالي أو المعجمي: (حَنَكَفَ المُسْتَعَصُّ بِسَحَاقَتِهِ فِي الكَمَطِ...)⁽³⁾، إذ تعرب كما يأتي:

حَنَكَفَ: فعل ماضٍ مبني على الفتح الظّاهر على آخره.

المُسْتَعَصُّ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضّمّة الظّاهرة على آخره.

(1) عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. تع: محمود محمد شاكر. ط3. دار المدني. القاهرة. 1992م. ص539.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص182-188.

(3) ينظر: تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص226-227.

بِسَحَاقَتِهِ: الباء حرف جر. سَحَاقَةٌ اسم مجرور بالباء وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف. الهاء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

في: حرف جر. الكَمَظِ: اسم مجرور بفي وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

يسوق تمام حسان مثالا آخر للتأكيد على الصلة الوثيقة بين الإعراب وبين المعنى الوظيفي دون المعنى المعجمي من خلال إعراب بيت شعري من بحر الكامل على مثال اللغة العربية مستوفٍ مطالبها الشكلية، ولكن كلماته مفرغة من المعنى المعجمي⁽¹⁾:

قَاصَ التَّجِينُ شِحَالَهُ بِتَرِيْسِهِ فَآخِي فَلَمْ يَسْتَفْ بِطَاسِيَةِ الْبَرْنِ

قَاصَ: فعل ماض مبني على الفتح الظاهر على آخره.

المُسْتَعَصُ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

شِحَالٌ: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

هُ: مضاف إليه مبني على الضم في محل جر.

ي: حرف جر مبني على الكسر لا محل له من الإعراب.

تَرِيْسٍ: اسم مجرور بالباء وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

هِ: مضاف إليه مبني على الضم في محل جر.

الْفَآخِي: نعت (لتَرِيْسٍ) مجرور وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة على الياء منع من ظهورها الثقل.

فَ: حرف عطف مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

لَمْ: حرف نفي وجزم وقلب مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.

يَسْتَفْ: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره (هو).

ي: حرف جر مبني على الكسر لا محلّ له من الإعراب.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص183-184.

طَاسِيَّة: اسم مجرور بالباء وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.
الْبَرْن: مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة على آخره منع من ظهورها
اشتغال المحل بسكون الرّوي.

يعلّق أحمد سليمان ياقوت على إعراب تمام حسّان للبيت السابق بما يأتي⁽¹⁾:

- لا يمكن إعراب (قاص) فعل ماض دون معرفة معناها، لإمكانية كونها اسم فاعل من
قصا يقصو أي تباعد.

- لا يمكن إعراب (التّجّين) فاعلا دون إدراك الحدث الذي أسند إليه، لإمكانية أن يكون
مضافا إلى قاص.

- لا يمكن الحكم على (شحاله) بأنّها كلمة واحدة منصوبة على المفعولية مضافة إلى
الضمير بعدها، لإمكانية أن تكون ثلاث كلمات (شحا+ ل+ ه).

- لا يمكن الحكم على أنّ (الباء) جارة ومعنى تريس مجهول، ثم إذا كانت (بتريس) جارا
ومجرورا، فبأيّ فعل يتعلّقان دون معرفة معنى الفعل؟ أليس ممكنا أن تكون الباء من
أصل الكلمة؟

- لا يمكن الحكم على أنّ (الفاخي) صفة، و(تريس) موصوف دون معرفة معنييهما؛
لأنّ الصّفة جزء من ماهيات الموصوف.

يرى سليمان أحمد ياقوت أنّ ما قيل عن الشّطر الأوّل يقال عن الشّطر الثاني، لأنّ
المعنى الوظيفي لا يُدرك إلّا بإدراك المعنى المعجمي، ووظيفة اللّغة الاجتماعية تنفي
كونها قوالب شكلية مجردة يُصبّ فيها أيّ كلام فيستقيم الإعراب. وعليه فهذا الأخير لا
يُعرف معزولا عن المعاني المعجمية⁽²⁾. وهذا ما يؤكّده عبد القاهر الجرجاني الذي
استوحى منه تمام حسّان قرائن التّعليق، إذ يقول: «ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى

(1) للاستزادة ينظر: أحمد سليمان ياقوت. ظاهرة الإعراب في النّحو العربي. دار المعرفة الجامعية. 1994م. ص80
وما بعدها.

(2) ينظر: أحمد سليمان ياقوت. ظاهرة الإعراب في النّحو العربي. دار المعرفة الجامعية. 1994م. ص83.

ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، ولو فرضنا أن تتخلع من هذه الألفاظ دلالتها، لما كان شيء منها أحقّ بالتقديم من شيء، ولا تُصوّر أن يجب فيها ترتيب ونظم، واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك: أنّ اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الكلم تترتب في النطق، بسبب ترتيب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتا وأصداء حروف لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ونظم وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»⁽¹⁾.

إنّ ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني يؤكّده أيضا ابن قتيبة، إذ يقول: «وللعرب الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين: كالفاعل والمفعول، لا يفرّق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان أن يكون الفعل لكل واحد منهما إلّا بالإعراب، ولو أنّ قائلًا قال: هذا قاتلٌ أخي، وقال آخر: هذا قاتلٌ أخي بالإضافة، لدلّ بالتّنين على أنّه لم يقتله، وبحدف التّنين على أنّه قتله... أفما ترى الإعراب كيف فرّق بينهما؟»⁽²⁾.

خُصّ أحمد سليمان ياقوت إلى أنّ «قرائن التّعليق التي وضعها الدكتور تمام حسان بمنأى عن المعاني المعجمية بعيدة كلّ البعد عن مفهوم التّعليق عند عبد القاهر الجرجاني، ولعلّ هذه القرائن أيضا لا تغني عن العامل الذي يتّصل اتّصالا مباشرا بواقع النّص اللّغوي ولا ينعزل عن السّياق المعنوي للنّص، وإن كان يعيبه في بعض الأحيان التّأويل البعيد، هذا إلى أنّ هذه القرائن - قرائن التّعليق - من الكثرة بحيث يبدو العامل - بمقارنتها به - شيئا سهلا ميسورا»⁽³⁾.

(1) عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 49-50-55.

(2) ابن قتيبة. تأويل مشكل القرآن. تح: أحمد صقر. ط الحلبي. 1945م. ص 11-12.

(3) أحمد سليمان ياقوت. ظاهرة الإعراب في النّحو العربي. ص 84.

إنّ ما ذهب إليه أحمد سليمان ياقوت وغيره من القدامى في أهمية المعاني المعجمية لإدراك المعاني الوظيفية حقيقة لا يمكن نفيها، وما غاية تمام حسّان من وراء ما ساقه من نثر أو شعر كنسق نطقي من صور بنائية عربية لا معنى لها من الناحية المعجمية إلاّ لتأكيد أنّ «هذه الكلمات الهرائية تحمل في طيّها معنى وظيفيا. فالكلمة الأولى في [النّصين] تؤدّي وظيفة الفعل الماضي لسببين: الأوّل أنّها جاءت على صيغته، والثاني أنّها وقعت موقعه، وتقوم الكلمة الثانية بدور آخر، والثالثة بوظيفة الثالثة، وهلم جرا، فالإعراب إذاً فرع المعنى الوظيفي، لا المعنى المعجمي، ولا المعنى الدّلالي»⁽¹⁾. وبدلّ تمام حسّان على صدق ذلك بقوله: «لو كان الإعراب فرع المعنى الدّلالي ما استطعنا أن نعرب قول المجنون بن جندب:

مَخْكَوْمَةَ الْعَيْنَيْنِ مِغْطَاءَ الْقَفَا كَأَنَّ مَا قُدَّتْ عَلَى مَتْنِ الصَّفَا
تَمْشِي عَلَى مَتْنِ شِرَاكِ أَعْجَفَا كَأَنَّ مَا تَنْشُرُ فِيهِ مُصْحَفَا

فإنّ أبا العلاء العمّاني لم يستطع تفسير ذلك، ولم يستطع ذلك أبو عبيدة ولا الأصمعي ولا أبو زيد، وقال أبو زيد إنّه كلام مجنون ولا يعرف كلام المجانين إلاّ مجنون»⁽²⁾.

وعليه، فإنّ ما قدّمه أحمد سليمان ياقوت من تعليق على إعراب تمام حسّان لبيته الشعري المفرغ من المعنى المعجمي فيه نظر؛ ذلك أنّ اقتراح الأوّل لبدائل إعرابية عمّا أتى به الثّاني، يعدّ اعترافا ضمّنيا لمبدأ الأخير منهما، وأنّ هذه الكلمات الهرائية محمّلة بمعان وظيفية تيسّر إعرابها على نحو معيّن. وأمّا الاختلاف بين الإعرابين فمرده إلى أنّ إعراب تمام حسّان جاء على ضوء ما يطابق ضبط الشّاهد الشعري بشكل معيّن، في

(1) تمام حسّان. مناهج البحث في اللّغة. ص 227.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 184.

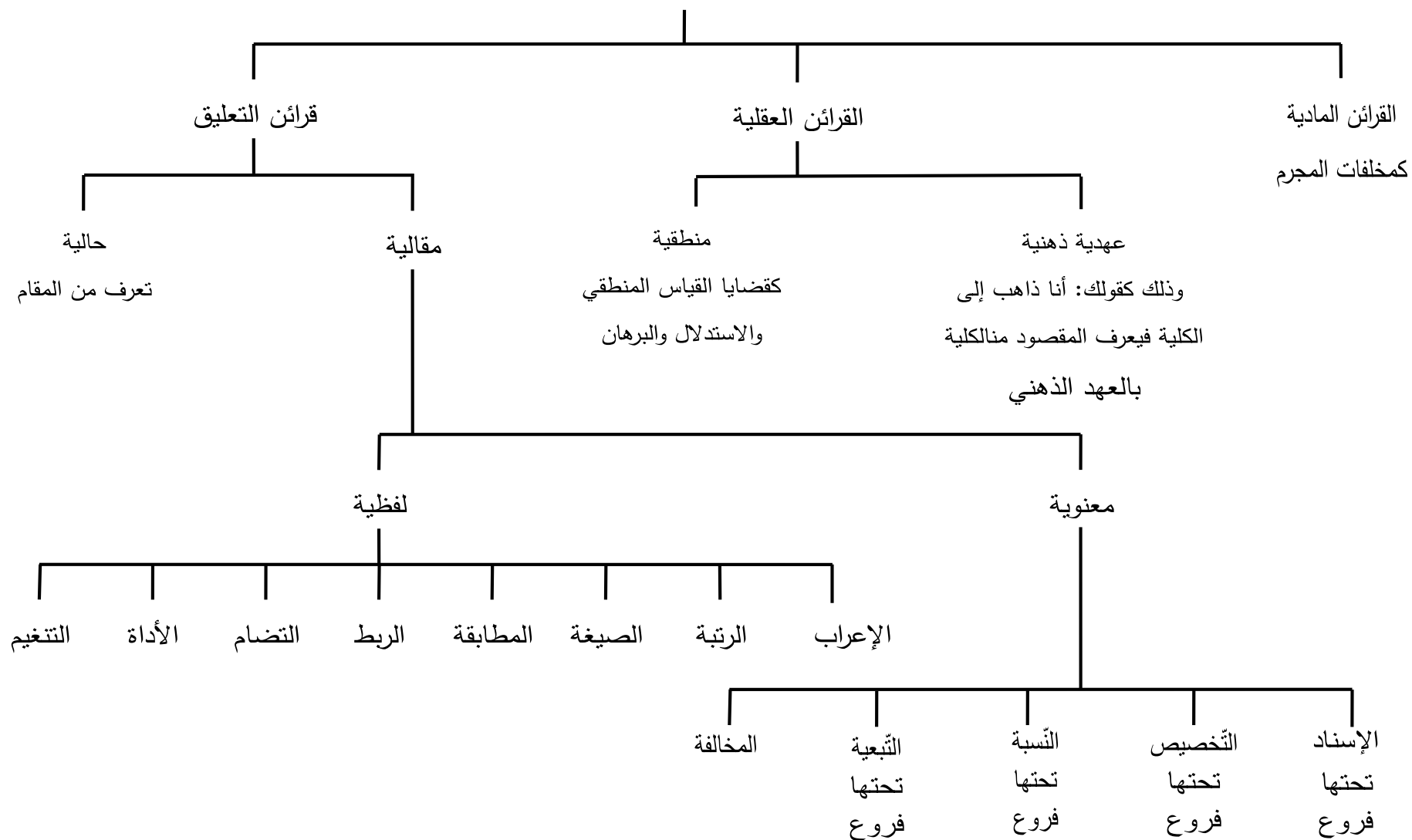
حين أنّ أحمد سليمان ياقوت قد تصرّف في هذا الضبط الشكلي ممّا أدّى إلى تغيير بناء الصيغ الذي يؤدّي لا محالة إلى تغيير المحل الإعرابي.

5- أنواع القرائن النحوية:

قبل التفصيل في ماهية كلّ قرينة نحوية على حدة، تجدر الإشارة إلى مشجّر لخص فيه تمام حسان القرائن النحوية⁽¹⁾:

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 190.

القرائن



من خلال هذا المشجّر يتضح أنّ قرائن التعلّيق النحوي عند تمام حسان تقسم إلى قسمين رئيسيين هما (1):

أ- **قرائن حالية:** تعرف من المقام، هذا الأخير الذي يعدّ «المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال» (2). ويرى تمام حسان أنّ المقام «يضمّ المتكلم والسامع والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر» (3).

من باب اعتراف تمام حسان بقصب السبق لعلمائنا الأجلاء في هذا المضمار يقول: «كان من رأي البلاغيين أنّ لكلّ مقام مقالا؛ لأنّ صورة المقال تختلف بحسب المقام. وبهذا المعنى يصبح للعلم الجديد الذي يأتي من امتزاج النحو والمعاني مضمون، لأنّه يصبح شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها. ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدّمين ألف سنة تقريبا لأنّ الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميّزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللّغة» (4).

ب- **قرائن مقالية:** تعرف من المقال. وتنقسم هذه الأخيرة بحسب ارتباطها بالمعنى أو بالمبنى إلى قسمين هما:

(1) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 191 وما بعدها.

(2) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 337.

(3) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 352.

(4) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 337.

القسم الأول: القرائن المعنوية وتلخصها «العلاقة التي تربط بين عنصر من عناصر الجملة وبين بقية العناصر، ويرجع إدراك هذه القرائن المعنوية في العادة إلى وضوح قرينة السياق»⁽¹⁾. وهي كما يأتي⁽²⁾:

1- قرينة الإسناد: هي العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد المسند والمسند إليه؛ ففي الجملة الاسمية تساعد على التّفريق بين المبتدأ والخبر، وفي الجملة الفعلية بين الفعل المبني للمعلوم وفاعله أو الفعل المبني للمجهول ونائب فاعله، وفي الجملة الوصفية بين الوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله وبعض الخوالب بضمائمها.

لَمَحَ النَّحَاةُ قَرِينَةَ الْإِسْنَادِ بَيْنَ طَرَفِي الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ وَالْوَصْفِيَّةِ، كَمَا كَانُوا يَلْمَحُونَهُ بَيْنَ الْمَعَانِي النَّحْوِيَّةِ دَاخِلِ الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْذُ الْبِدَايَاتِ الْأُولَى لِلتَّأْلِيفِ النَّحْوِيِّ؛ فَقَدْ أَفْرَدَ سَيَبُويَه بَابًا لِلْمَسْنَدِ وَالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «وَهُمَا مَا لَا يَسْتَعْنِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنِ الْآخِرِ»⁽³⁾. وتيسيرا لفهم ذلك يمثّل تمام حسّان بإعراب مفعولي جملة: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ؛ فَمَنْ تَعَرَّبَ مَفْعُولًا أَوَّلًا رَغْمَ تَأَخُّرِهَا، وَالْحِكْمَةَ تَعَرَّبَ مَفْعُولًا ثَانِيًا رَغْمَ تَقَدُّمِهَا، وَيَشِيرُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ بِإِدْرَاكِ أَنَّ (مَنْ) هِيَ الْآخِذُ، وَ(الْحِكْمَةَ) هِيَ الْمَأْخُودُ؛ أَيَّ أَنَّ مِرَاعَاةَ الْآخِذِيَّةِ وَالْمَأْخُودِيَّةِ هُوَ الْإِعْتِبَارُ الْمِرَاعَى فِي التّفْرِيقِ بَيْنَ الْمَفْعُولَيْنِ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ قَرِينَةِ الْإِسْنَادِ، وَعَلَيْهِ يَمْكُنُ الْقَوْلُ إِنَّ نَمْطِيَّةَ اللَّغَةِ هِيَ السَّيِّدَةُ فِي فَهْمِ الْقَرِينَةِ مَهْمَا كَانَ نَوْعُهَا. وَقَدْ حَرَصَ تَمَّامٌ حَسَّانٌ مِنْ بَابِ التَّأَكِيدِ عَلَى أَمْهِمِيَّةِ عِلَاقَةِ الْإِسْنَادِ بَعْدَهَا قَرِينَةَ مَعْنَوِيَّةَ تَمَيِّزِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَسْنَدِ فِي الْجُمْلَةِ فِي ظَلِّ ظَاهِرَةٍ كَبْرَى تَحْكُمُ اسْتِخْدَامَ الْقَرَائِنِ جَمِيعًا هِيَ ظَاهِرَةٌ تَضَافِرُ الْقَرَائِنِ. الْأَمْرُ الَّذِي يَسَانِدُهُ فِيهِ مِصْطَفَى حَمِيدَةَ وَعَبْدُ الْجِبَارِ تَوَامَةً فَالْأَوَّلُ يَرَى أَنَّ «الْإِسْنَادَ هُوَ أَهَمُّ عِلَاقَةٍ فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ نَوَاةُ الْجُمْلَةِ وَمَحْوَرُ كُلِّ الْعِلَاقَاتِ الْآخَرَى، لِأَنَّ فِي اسْتِطَاعَتِهِ وَحْدَهُ تَكْوِينَ جُمْلَةٍ تَامَّةٍ ذَاتِ مَعْنَى دَلَالِيٍّ مُتَكَامِلٍ

(1) تمام حسّان. البيان في روائع القرآن. ج.1. ص.11.

(2) ينظر: تمام حسّان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص.191 وما بعدها.

(3) سيبيويه. الكتاب. ج.1. ص.23.

هي الجملة البسيطة، والعلاقة بين طرفي الإسناد علاقة وثيقة لا تحتاج إلى واسطة»⁽¹⁾. والثاني يؤكد أنّ «الإسناد في اللغة العربية بوصفه قرينة معنوية، يكفي فيه إنشاء علاقة ذهنية بين مسند إليه ومسند، دون حاجة إلى التصريح بهذه العلاقة نطقاً أو كتابة»⁽²⁾.

2- قرينة التخصيص: إذا كان «التخصيص في اللغة الأفراد، ومنه الخاصة، [وهو] تمييز بعض الجمل بالحكم»⁽³⁾، فهو في الاصطلاح «بيان ما لم يرد بالعام لبيان ما أريد به، ويدخل فيه العام الذي أريد به الخصوص»⁽⁴⁾. ويرى تمام حسان أنّ التخصيص علاقة سياقية معنوية كبرى؛ ويرجع سرّ تسميتها إلى أنّها قرينة تتفرّع عنها قرائن معنوية أخصّ منها، وهذه الفروع تعدّ قيوداً على علاقة الإسناد؛ إذ يعبر كلّ منها عن جهة خاصة في فهم معنى الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة، ويظهر ذلك فيما يأتي⁽⁵⁾:

| القرينة المعنوية | المعنى الذي تدل عليه |
|--|--|
| أ- التعدية | المفعول به |
| ب- الغائية (وهي تشمل غائية العلة وغائية المدى) | المفعول لأجله والمضارع بعد اللام وكى والفاء ولن وإذن |
| ت- المعية | المفعول معه والمضارع بعد الواو |
| ث- الظرفية | المفعول فيه |
| ج- التحديد والتوكيد | المفعول المطلق |
| ح- الملابسة | الحال |
| خ- التفسير | التمييز |
| د- الإخراج | الاستثناء |
| ذ- المخالفة | الاختصاص وبعض المعاني الأخرى |

(1) مصطفى حميدة. نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية. ص 164.

(2) عبد الجبار تومة. القرائن المعنوية في النحو العربي (دكتوراه). جامعة الجزائر. معهد الآداب واللغة العربية. 1994-1995م. ص 69.

(3) محمد سعد. مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة. دط. منشأة المعارف. الإسكندرية. ص 11.

(4) بلقاسم بن محمد بن عودة. (تيسير النحو عند تمام حسان في ضوء نظرية تضافر القرائن). مجلة الباحث. ع 2. مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التّراث والحداثة. جامعة ابن خلدون. تيارت. 2011م. ص 189.

(5) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 194 وما بعدها.

بآلية التمثيل يشرح تمام حسان قرينة التخصيص على ضوء ما تتفرّع إليه من قرائن معنوية أخصّ منها وهي (1):

أ- **التعدية:** يرى تمام حسان أنّ إسناد الضرب إلى المسند إليه كان في كلّ مثال ممّا يأتي مخصّصاً بوقوعه على عمرو؛ أي أنّ الوقوع على عمرو كان قيّداً في إسناد الضرب إلى من أسند إليه في نحو: "ضرب زيد عمراً" أو "يضرب زيد عمراً" أو "زيد ضرب عمراً" أو "زيد يضرب عمراً" أو "أضرب زيد عمراً" أو "فليضرب زيد عمراً" أو "اضرب عمراً" أو "ضرباً عمراً"، وكان أيضاً جهة في الضرب حالت بينه وبين أن يفهم على إطلاقه، فطوّعه تمام حسان من جهة وقوعه على عمرو، وهذا هو المعنى الذي قصده بقوله إنّ المفعول به هنا يعدّ تعبيراً عن الجهة، وأنّ التعدية تخصيص لعلاقة الإسناد التي بين الضرب وبين من أسند إليه. وإذا كانت التعدية معنى أحد مشتقات مادة ما فهي معنى لبقية المشتقات من هذه المادة كما يتّضح في مشتقات الضرب التي أوردها تمام حسان سابقاً؛ إذا أنّ التعدية في الفعل والصفة والمصدر على السواء، كما أنّ الجهة هنا قيد في الحدث لا في الزمن.

ب- **الغائية:** هي قرينة معنوية دالّة على المفعول لأجله أو على معنى المضارع بعد الأدوات المذكورة ومقيّدة للإسناد، وهي قرينة نصب المضارع بعد الفاء واللام وكي وحتّى، نحو: أتيت رغبة في لقاءك أو كي ألقاك أو لألقاك أو حتّى ألقاك، فإنك أسندت الإتيان إلى نفسك مقيداً بسبب خاص، وهذا القيد وهو الغائية يعدّ جهة في فهم الإتيان، لأنّ هذا الإتيان دون سبب أعم منه وهو مسبّب، فالإتيان هنا مفهوم من جهة كونه مسبباً عن الرّغبة في اللقاء.

(1) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 195 وما بعدها.

ت- المعية: يرى تمام حسان أن المعية قرينة معنوية تستفاد منها المصاحبة على غير طريق العطف أو الملايسة الحالية، وأن اصطلاح المعية مقصود على قرينة المفعول معه والمضارع بعد الواو، نحو (1):

"لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبِ اللَّبْنَ" ومع أن معنى الواو هنا، هو نفسه معنى الواو التي في المفعول معه، كما يتشابه المعنى هنا، والمعنى هناك، ولهذا أثر النحاة التفرقة بين معنيين متشابهين بسبب الاختلاف في التضام بين الواو، وما يتبعها فالذي يضم الواو في المعية اسم منصوب، والذي يضم الواو في المصاحبة فعل مضارع منصوب، ومن هنا يتضح أن نصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع نصب المفعول معه بعد الواو ذاتها.

ث- الظرفية: وهي قرينة معنوية على إرادة معنى المفعول فيه، والظروف في اللغة العربية قسم مستقل من أقسام الكلم، وبعض ما ينتمي إلى الأقسام الأخرى من الكلم ينقل إلى معنى الظرف، فيستعمل كما يستعمل الظرف مفعولاً فيه، ويسمى معظمه متصرفاً وذلك كالمصدر، وصيغتي الزمان والمكان، وبعض حروف الجر كمد ومنذ وبعض الضمائر الإشارية كهنا وثم وبعض المبهمات نحو: كم والأعداد والجهات وأسماء الأوقات المبهمة، وأسماء العلاقات المفتقرة إلى الإضافة كقبل وبعد وتحت وفوق، وأسماء الأوقات المحددة المعينة كالآن وأمس. وكل هذه الكلمات ليست ظروفًا، ولكنها تشترك مع الظروف في أنها تنقل إلى الظرفية، فتفيد معنى المفعول فيه، فتخصّص زمان الحدث ومكانه على معنى الاقتران، والظرفية هنا غير الظرفية التي يفيدها حرف الجر (في) أو ما يأتي بمعناها، لأن الظرفية هنا للتخصيص؛ أي لتقييد زمن الإسناد أو مكانه، والظرفية هناك لنسبة الحدث إلى ظرف يحتويه، فالمعنيان من القرائن المعنوية، وهما على ما

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص196.

بينهما من تشابه لا ينبغي عدّهما معنى واحداً، لما بينهما من اختلاف المبنى، كما يتضح في المقابلات الآتية⁽¹⁾:

| | | |
|---|----------------------|-------|
| 1. صَحَوْتُ إِذْ تَطَلَّعَ الشَّمْسُ | ظرف | تخصيص |
| 2. صَحَوْتُ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ | حرف | نسبة |
| 3. أَصْحُو مَتَى تَطَلَّعَ الشَّمْسُ | ظرف | تخصيص |
| 4. صَحَوْتُ وَقْتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ | مبهم منقول إلى الظرف | نسبة |
| 5. أَصْحُو فِي وَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ | حرف | نسبة |

فظرية الظرف وما نقل إليه بمعنى الاقتران الزماني أو المكاني، أمّا ظرفية الحرف فهي على معنى الاحتواء الزماني أو المكاني. والذي يراه تمام حسان أنّ هناك طائفتين ممّا يستعمل مفعولاً معه؛ إحداهما الظروف الجامدة التي يرى النحاة أنها تضاف إلى الجمل، وهي الجديرة باسم الظرف عند تقسيم الكلام، وهذه ظرفيتها ظرفية اقتران حدثين، فإذا قلت: "حَضَرَ زَيْدٌ إِذْ حَضَرَ عَمْرُو"، فإنّ (إذ) تقرن بين الحضورين. والطائفة الأخرى هي ما ينقل إلى معنى الظرف ممّا ليس ظرفاً، وهذا قد يدلّ على ظرفية احتواء حدث واحد، فإذا قلت: "جَاءَ زَيْدٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ" فذلك معناه أنّ اليوم هو ظرف المجيء، ولا دلالة هنا على الاقتران، ويضيف تمام حسان أنّ الظروف الدالة على الاقتران يبقى لها معناها عند استعمالها أدوات شرط، وتحوّل عن هذا المعنى إلى معنى الاحتواء عند استعمالها أدوات استفهام، وأمّا حرف الجر (في) فهو أصل معنى الاحتواء، وتكون ظروف الاحتواء بمعناه، ومن هنا شاع في تحديد معنى الظرف أنّه بمعنى (في).

ج- التّحديد والتّوكيد: هي القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطلق، ويرى تمام حسان أنّ المقصود بها تعزيز المعنى الذي يفيد الحدث في الفعل وذلك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته، لأنّ المصدر هو اسم الحدث، وإيراده بعد الفعل تعزيز

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص197.

لعنصر الحدث ومعنى الفعل، وتكون التّوقية بواسطة ذكره مفردا منونا على سبيل التّأكيد نحو: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء 146، فتكليما مفعول مطلق أكد الحدث كَلَّمَ، أو مضافا لمعين أو موصوفا لإفادة النّوع نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ القمر 42، فأخذ عزيز مفعول مطلق مضاف حدّد نوع الأخذ، أو مميّزا لعدد، فيكون العدد نفسه مفعولا مطلقا، والمصدر تمييزا، نحو قوله جلّ وعلا: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة 14، وقد يكون المصدر اسم مرة أو مثنى اسم مرة، فيفيد العدد أيضا(1).

ح- الملابس للهيات: هي قرينة معنوية على إفادة معنى الحال بواسطة الاسم المنصوب أو الجملة مع الواو ودونها. فإذا قلت: "جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا" فالمعنى جاء زيد ملبسا لحال الركوب، وسبيل البيان في هذه العلاقة أنّ الحال تبين هيئة صاحبها وقت وقوع الفعل، وهذا البيان ضروري في فهم الجملة، لأنّ المعنى المستفاد منها هو معنى واحدا لا عدّة معان(2)، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ النساء 93. وكذلك إذا قلت: "جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يَرْكَبُ" فالحال هنا عبّر عنها بالجملة والواو، «وتسمى هذه الواو واو الحال وواو الابتداء، وقدّرها سيبويه والأقدمون بإذ ولا يريدون أنها بمعناها إذ لا يرادف الحرف الاسم بل إنها وما بعدها قيد للعامل السابق»(3).

يعقب تمام حسان على ذلك فيرى أنّ(4):

1- تقدير سيبويه والأقدمين لهذه الواو المعبرة عن الملابس بـ(إذ) يبرّر ما يراه أنّ معنى ظرفية الظرف أقرب إلى الاقتران، ومعنى ظرفية الحرف أقرب إلى الاحتواء.

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 198.

(2) ينظر: مصطفى حميدة. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية. ص 171.

(3) الأشموني. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج 2. تح: حسن حمد. ط 2. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. 2010م. ص 36.

(4) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 198- 200.

2- القول: "إذ لا يرادف الحرف الاسم" مبني على التقسيم التقليدي للكلم وفيه أن الظرف من الأسماء، أما بحسب فهم تمام حسان للمشكلة، فيرى أن الأولى للعبارة أن تكون "إذ لا يرادف الحرف الظرف"، وفي هذا تبرير آخر لما زعمه سابقا من المغايرة بين ظرفية الظرف وظرفية الحرف.

3- القول: "بل إنها وما بعدها قيد للعامل السابق" ينسجم تماما مع رأيه في أن كل المنصوبات تتدرج ضمن عنوان التخصيص.

خ- التفسير: والتفسير للذوات قرينة معنوية على باب التمييز، ويكون عند الحاجة إلى الإيضاح، ولا تكون هذه الحاجة إلا عند المبهم، والمبهم الذي يفسره التمييز إما أن يكون⁽¹⁾:

1. معنى الإسناد: نحو: طابَ مُحَمَّدٌ نَفْسًا، وقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ مريم 54،

فشيبا تمييز فسر الإبهام الوارد في علاقة الإسناد اشتعل الرأس.

2. معنى التعدية: نحو: زَرَعْتُ الْأَرْضَ شَجَرًا.

3. اسم مفرد دال على مقدار مبهم: اشْتَرَيْتُ مِثْرَيْنِ حَرِيرًا، وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ يوسف 03، فكوكبا تمييز أزال الإبهام المخيم على علاقة الإسناد.

لاشكّ - في اعتقاد تمام حسان - أن الإبهام عموم وأن التقييد تخصيص لهذا العموم،

ومادام التفسير يزيل الإبهام فهو تخصيص ويزيل العموم. وكون التمييز تخصيصا هو

ما يسعى تمام حسان إلى إثباته مع دعوى أن كل المنصوبات مخصصات لعموم الدلالة

في الإسناد أو في نطاق الإسناد، وهي من ثم دالة على جهة معينة في فهم علاقة

الإسناد. ومن هنا يصدق على الأسماء المنصوبة أنها تعبيرات عن الجهة.

د- الإخراج: وهو قرينة معنوية على إرادة باب المستثنى؛ فالمستثنى يخرج من علاقة

الإسناد حين نفهم هذه القرينة المعنوية من السياق، نحو: جاءَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، فالمجيء

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص199.

أسند إلى القوم، وأُخرج زيد من هذا الإسناد؛ إذ تتضافر (إِلَّا)، وهي قرينة لفظية مع معنى الإخراج وهو قرينة معنوية، ليفهم من كليهما ومعهما النصب وغيره من القرائن معنى الاستثناء، وكذلك تتضافر (أَوْ) مع الإخراج لنصب المضارع، فيكون نصبه على معنى نصب المستثنى. وفي الإخراج تقييد للإسناد وتخصيص له، ومن هنا ساغ لتَمَام حَسَان أن يضع المستثنى بين الأبواب المعبرة عن معنى الجهة، وأن يطلق على ما تفيده هذه القرائن المعنوية مجتمعة عنوانا شاملا هو التَّخصيص⁽¹⁾.

ذ- **المخالفة:** ويعدُّ تَمَام حَسَان المخالفة مظهرا من مظاهر تطبيق استخدام القيم الخلافية بجعلها قرائن معنوية على الإعرابات المختلفة. ومن قبيل عدّها قرينة معنوية أنه لا يحس ارتياحا إلى تفسير النّحاة لمعنى باب الاختصاص؛ إذ يجعلون الاسم المنصوب على الاختصاص مفعولا لفعل محذوف تقديره "أخصّ" أو "أعني" ومع أنّ تقدير "أخصّ" منسجم مع عدّ الاسم المختص من قبيل ما يدخل تحت عنوان التَّخصيص إلا أنّ ذلك يجعله يحسّ بعزوف تام عن هذا التقدير الذي ينقل مبدأ وجوب الاستتار من الضّمائر إلى الأفعال. والذي يبدو لتَمَام حَسَان هنا أنّ القيمة الخلافية المراعاة في نصب هذا الاسم هي المقابلة بينه وبين الخبر الواقع بعد مبتدأ مشابه لما قبل الاسم المنصوب هنا. ويمثّل بالجملتين الآتيتين⁽²⁾:

نَحْنُ الْعَرَبُ نُكْرِمُ الضَّيْفَ وَنُغِيثُ الْمُهْوَفَ

نَحْنُ الْعَرَبُ نُكْرِمُ الضَّيْفَ وَنُغِيثُ الْمُهْوَفَ

فالعربُ في الجملة الأولى خبر، وما بعده مستأنف، والعربُ في الجملة الثانية مختص وما بعده خبر. ولو اتحد المعنى لاتحد المبنى فأصبحت الحركة واحدة فيهما، ولكن المخالفة بينهما كانت قرينة معنوية تتضافر مع اختلاف الحركة لبيان أن هذا خبر، وهذا مختص، وقرينة المخالفة قد تكون مثلا هي التفسير لما يرد من تعدّد حركة المضارع في

(1) ينظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 199-200.

(2) ينظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 200-201.

نحو: "لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبِ اللَّبَنَ". وكذلك حركة المستثنى المنقطع في نحو: "مَا قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا حِمَارًا". ونصب الاسم بعد (مَا أَفْعَلَ) التّعجبية، وبعد الصّفة المشبهة.

يستدرك تمام حسّان فيشير إلى أنّ كون المخالفة من قبيل القيم الخلافية لا يجعلها على قدم المساواة؛ فالمخالفة قرينة معنوية فقط، في حين أنّ القيم الخلافية أعمّ من أن تكون معنوية فقط، فقد تكون بين المعنى والمعنى -كالمخالفة- فتكون معنوية، وقد تكون بين المبني والمبني فتكون لفظية.

3- قرينة النسبة: هي ثالث القرائن المعنوية الكبرى إلى جانب قرينتي الإسناد والتّخصيص، تنضوي تحتها قرائن معنوية فرعية، ويرى تمام حسّان أنّ النسبة قيد عام على علاقة الإسناد أو ما وقع في نطاقها، وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد نسبية، الأمر الذي يجعل الفرق واضحاً بين معنى النسبة ومعنى التّخصيص؛ فالأولى تفيد الإلحاق والثّاني يفيد التّضييق. والمعاني التي تدخل تحت عنوان النسبة وتتخذ قرائن في التحليل والإعراب، وفي فهم النص بصورة عامة هي⁽¹⁾:

أ- حروف الجر: يسمّيها تمام حسّان بحروف النسبة، لأنّها تقوم بربط ونسبة الكلمات بعضها إلى بعض. وهي في اصطلاح النّحاة القدمات أدوات تعليق، لقولهم العبارة المشهورة: "والجار والمجرور متعلّقان"، وهذا يعني حرصهم على معاني حروف الجرّ. وينطلق تمام حسّان من قول الأشموني في باب الاستثناء: «وإنّما لم تعمل - أي إلا - الجرّ، لأنّ عمل الجر بحروف تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء وتنسبها إليها، وإلا ليست كذلك، فإنّها لا تنسب إلى الاسم الذي بعدها شيئاً، بل تخرجه من هذه النسبة»⁽²⁾، فيركّز على كلمات مخصوصة من القول، وهي: تضيف، تنسب، تخرج، النسبة، ويرى

(1) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 201-202.

(2) الأشموني. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج 1. ص 503.

أنها وثيقة الصلة بقريئة الإخراج التي سبق الحديث عنها، وقريئة النسبة التي هي قيد الحديث، وقريئة الإضافة التالية في الحديث.

ب- الإضافة: يرى تمام حسان أنه يكفي لبيان قوة التعليق في معنى الإضافة أن النحاة لم يغفلوا النص على أن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة، غير أن هناك فرقا بين النسبة التي يفيدها حرف النسبة، والنسبة التي تفيدها الإضافة، فالنسبة مع حرف النسبة على حد تعبير تمام حسان تجعل علاقة الإسناد نسبية سواء كانت هذه العلاقة بين مبتدأ أو خبره أو فعل وفاعله أو غير ذلك، على حين تكون النسبة في الإضافة بين المتضايقين الواقعيين في نطاق الإسناد. ولكل حرف من حروف النسبة عدد من المعاني المتباينة، منها⁽¹⁾:

- | | | |
|------------------|------------------|-------------|
| 1. ابتداء الغاية | 2. انتهاء الغاية | 3. البعضية |
| 4. الظرفية | 5. التعليل | 6. المجاوزة |
| 7. الاستعانة | 8. الاستعلاء | 9. المصاحبة |
| 10. الإلصاق | 11. القسم | 12. التشبيه |
| 13. بيان الجنس | 14. التوكيد | 15. الملك |
| 16. الاستحقاق | 17. النسب | 18. العاقبة |
| 19. المقايسة | 20. التعويض | 21. التعجب |
| 22. الاستدراك | 23. التبليغ | 24. التبيين |
| 25. البعدية | 26. البدلية | 27. العندية |
| 28. التعدية | 29. الزيادة. | |

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص196.

يرى تمام حسّان أنّنا إذا أضفنا إلى هذه القرائن المعنوية قرينة الإضافة صارت هذه القرائن الداخلة تحت مفهوم النسبة ثلاثين قرينة معنوية، ومعنى النسبة واضح في كلّها على نحو ما يأتي⁽¹⁾:

| القريّة | النسبة |
|---------------|--|
| ابتداء الغاية | الطرف الأول: الحدث (ملايس الابتداء) الطرف الثاني: الغاية |
| البعضية | الطرف الأول: الحدث (ملايس البعض) الطرف الثاني: الكل |
| الظرفية | الطرف الأول: الحدث (المظروف) الطرف الثاني: ظرفه |
| التعليل | الطرف الأول: الحدث (المعلول) الطرف الثاني: العلة |
| المجاورة | الطرف الأول: الحدث (المجاوز) الطرف الثاني: المجاوز |

والأمر سيّان بالنسبة لما بقي من القرائن؛ فالتعليل بواسطة ما يفهم بالحرف من نسبة هو إيجاد علاقة نسبية بين المجرور وبين معنى الحدث الذي في علاقة الإسناد.

4- قرينة التبعية: قرينة معنوية عامّة «يفهم بها ارتباط التّابع بالمتبوع»⁽²⁾، فتساعد على إيضاح الجملة من خلال «نقلها لإدراك الفكر من المجرّم إلى المفصّل ومن العموم إلى الخصوص»⁽³⁾، ينضوي تحتها أربع قرائن معنوية فرعية، وهي: النّعت والعطف والتّوكيد والبدل؛ فأما النّعت فهو وصف للمنعوت ويكون مفرداً حقيقياً وسببياً وجملة وشبه جملة، ففي قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ التور 35، فكلمة (شجرة) نكرة تصدّق على كلّ أنواع الشّجر، إلّا أنّ كلمة (مباركة) نعت وصف هذه الشّجرة بالبركة وأخرجها من حيّز العموم إلى نطاق الخصوص. وأما العطف فمنه عطف البيان وليس يتمّ بواسطة الحرف وإتّما يفسّر التّابع فيه ما كان في متبوعه من إبهام، وعطف النّسق تتضافر فيه قرينة التّبعية وقرينة الأداة ومطابقة الحركة، وكلّ ما صحّ أن يكون عطف بيان صحّ أن

(1) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص204.

(2) تمام حسّان. (القرائن النّحوية واطراح العامل والإعرابين التّقديرية والمحلّي). مجلّة اللّسان العربي. مج11. ع1. 1974م. ص45.

(3) كوليزار كاكل عزيز. القرينة في اللّغة العربية. ص147.

يكون بدلا إلا عند امتناع إعادة بناء الجملة مع حذف المبدل منه وإقامة البديل مقامه فالتّابع للبيان لا للأبدال، وأمّا التّوكيد فمنه اللفظي بتكرار المؤكّد والمعنوي بألفاظ مخصوصة.

القسم الثاني: القرائن اللفظية يعرف تمام حسّان القرينة اللفظية بأنها «عنصر من عناصر الكلام يستدلّ به على الوظائف النحوية، فيمكن بالاسترشاد بها أن نقول هذا اللفظ فاعل، وذلك مفعول به أو غير ذلك»⁽¹⁾ وفي العربية من القرائن اللفظية ما يأتي⁽²⁾:

1- قرينة العلامة الإعرابية: تُعدّ العلامة الإعرابية «إسهاما من النّظام الصّوتي في بناء النّظام النحوي، ولكن يدخل فيها كذلك عند النّحاة تجريد ذهني لا يتّصل بالأصوات، وذلك ما أطلقوا عليه الإعراب التّقديري والإعراب المحلّي»⁽³⁾. وقد سمّاها القدماء من النّحاة نظرية العامل، وأولوها بأوفر حظ من الاهتمام لدورها الكبير في الدّلالة على المعاني النحوية، ويشير ابن جنّي إلى هذا الدّور في معرض حديثه عن ماهية الإعراب، إذ يقول: «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنّك إذا سمعت أكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً لاستبهم أحدهما من صاحبه»⁽⁴⁾. وهذا منطلق صائب، تبنّاه أغلب المحدثين ومنهم تمام حسّان الذي أثبت للعلامة الإعرابية دلالتها على المعاني النحوية إذا تضافرت مع غيرها من القرائن، معارضا بذلك إبراهيم أنيس الذي ألغاهما⁽⁵⁾، ومخالفا إبراهيم مصطفى الذي جعل الضّمة علما للإسناد، والكسرة علما للإضافة، ونفى عن الفتحة دلالتها عن أيّ من المعاني النحوية، مبرّرا ذلك بكونها الحركة الخفيفة المستحبّة عند

(1) تمام حسّان. البيان في روائع القرآن. ص 10.

(2) تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 205 وما بعدها.

(3) تمام حسّان. (وحدة البنية واختلاف النّمادج). مقالات في اللّغة والأدب. ج 1. ص 255.

(4) ابن جنّي. الخصائص. ج 1. ص 46.

(5) للاستزادة ينظر: إبراهيم أنيس. من أسرار اللّغة. ط 3. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. 1966م. ص 235.

العرب⁽¹⁾. ويصرّ تَمَام حَسَان على رأيه هذا في قوله: «ولا أكاد أملّ ترديد القول: إنّ العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون تضافر القرائن»⁽²⁾. وهذا عين الصّواب، ولا أدلّ على ذلك إلاّ قصور العلامة الإعرابية عن الدّلالة على المعاني النّحوية مع المبنيات والأسماء المنقوصة منها والمقصورة.

2- قرينة الرّتبة: إنّ حديث القدامى عن هذه القرينة مبثوث في ثنايا كتبهم، فابن جنّيعقد فصلا في التّقديم والتّأخير تحدّث فيه عن رتبة الكلم العربي، وأفرد بابا في نقض المراتب إذا عرض هناك عارض⁽³⁾.

في هذا الأمر يعترف تَمَام حَسَان بقصب السّبق للقدامى، ويعتقد - والاعتقاد إيمان - بأنّ عبد القاهر الجرجاني حين صاغ مصطلح (التّرتيب) قصد به إلى شيئين: أوّلهما ما يدرسه النّحاة تحت عنوان الرّتبة، وثانيهما ما يدرسه البلاغيون تحت عنوان التّقديم والتّأخير⁽⁴⁾.

يرى تَمَام حَسَان أنّ الرّتبة قرينة لفظية على المعنى تخضع لمطالب أمن اللّبس، وهي علاقة بين جزأين مرتّبين من أجزاء السّياق يدلّ موقع كلّ منهما من الآخر على معناه، والرّتبة أكثر ورودا مع المبنيات منها مع المعربات، ومع الأدوات والظّروف من المبنيات خاصّة، ويقرّ تَمَام حَسَان بوجود رحم موصولة بين الرّتبة النّحوية وبين الظّواهر الموقعية⁽⁵⁾؛ ذلك أنّ الأولى تحفظ الموقع، والثّانية هي تحقيق مطالب الموقع على رغم قواعد النّظام، والمشجّر الآتي يلخّص فيه تَمَام حَسَان الرّتبة⁽⁶⁾:

(1) للاستزادة ينظر: إبراهيم مصطفى. إحياء النّحو. ص 78.

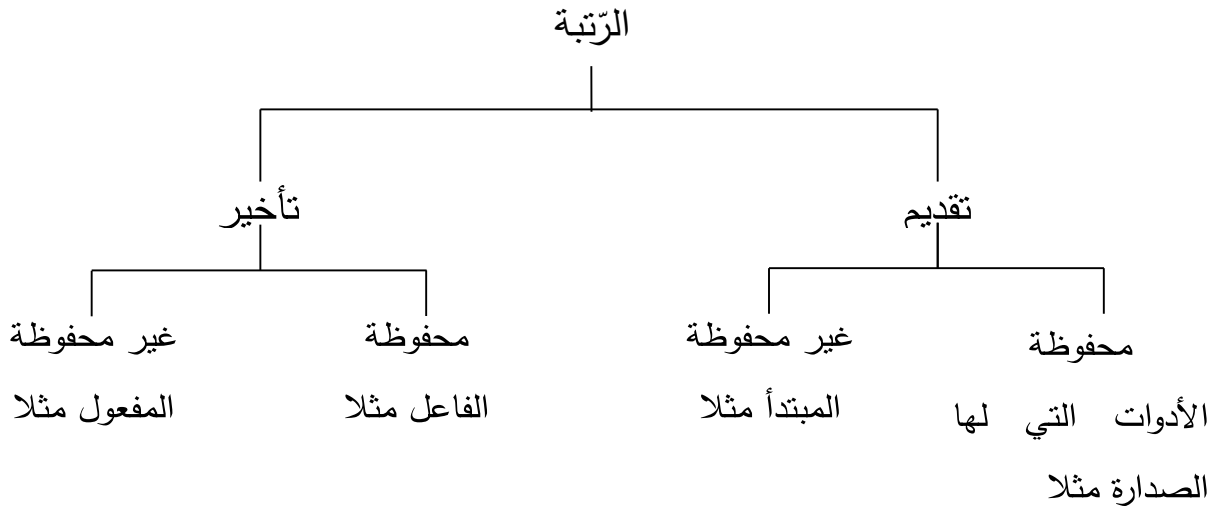
(2) تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 207.

(3) للاستزادة ينظر: ابن جنّي. الخصائص. ج 1. ص 253. ج 2. ص 260.

(4) ينظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 207.

(5) للاستزادة ينظر: حسين رفعت حسين. الموقعية في النّحو العربي (دراسة سياقية). ط 1. عالم الكتب. القاهرة. 2005م. ص 91 وما بعدها.

(6) ينظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 208.



من خلال هذا المشجر يتّضح أنّ الرّتبة عند تمام حسان نوعان محفوظة وغير محفوظة:

أ- رتبة محفوظة: أشار إليها ابن جنّي في قوله: «ولا يجوز تقديم الصّلة ولا شيء منها على الموصول، ولا الصّفة على الموصوف(*)»، ولا المبدل على المبدل منه، ولا عطف البيان على المعطوف عليه، ولا العطف الذي هو نسق على المعطوف عليه... ولا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف، ولا شيء ممّا اتّصل به»⁽¹⁾، وإلى نفس المعنى ذهب تمام حسان، الذي يرى أنّ الرّتبة المحفوظة قرينة من قرائن النّحو، ولا دخل للدراسات البلاغية فيها، ولا سبيل إلى تشويشها في الاستعمال المعاصر؛ إذ يُعدّ التصرف فيها إخلالاً بوظيفة القرينة ومدعاة للّبس، وكلّ ما ورد من ذلك في عصر الفصاحة فهو قليل ومن باب التّرخّص، نحو تقديم جملة الحال في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ هود 83، وتقديم المعطوف عليه في قول الشاعر:

أَلَا يَا نَخْلَةً فِي ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ⁽²⁾

(*) الموصوف هو تصويب الخطأ المطبعي الموصوف.

(1) ابن جنّي. الخصائص. ج2. ص 263-264.

(2) ينظر: تمام حسان. التمهيد في اكتساب اللّغة لغير الناطقين بها. ص 128.

ب- رتبة غير محفوظة: أشار إليها ابن جنّي في قوله: «اعلم أنّه لا تُنْقَضُ مرتبة إلاّ لأمر حادث، فتأمّله وابحث عنه... ومن ذلك وجوب تأخير المبتدأ إذا كان نكرة وكان الخبر عنه ظرفاً، نحو قولهم: عندك مال، وتحتك بساتان، فهذه الأسماء كلّها مرفوعة بالابتداء، ومواضعها التّقديم على الظّروف قبلها التي هي أخبار عنها، إلاّ أنّ مانعاً منع من ذلك؛ ألا ترى أنّك لو قلت: بساتان تحتك، ونحو ذلك لم يُستحسن، لا لأنّ المبتدأ ليس موضعه التّقديم، لكنّ لأمر حادث، وهو كون المبتدأ نكرة، ألا تراه لو كان معرفة لاستمرّ وتوجّب تقديمه، فنقول: البساتان تحتك، أفلا ترى أنّ ذلك إنّما فسد تقديمه لما ذكرناه من قبح تقديم المبتدأ نكرة»⁽¹⁾. ويستعمل تمام حسان أيضاً المصطلحات البلاغية في تعريفه للرتبة غير المحفوظة؛ فيرى أنّها تسمح بالتّقديم والتّأخير، ويرى أنّ جهود البلاغيين في هذا المجال محصورة في نطاقها. وقد يرتبط التّقديم بمعنى وقر في نفس الأديب أراد إبلاغه إلى قارئه أو سامعه، ومجال دراسة هذا النوع من التّقديم هو تحليل النّص المعين الذي اشتمل على ذلك. كما قد يكون التّقديم عادة تأصلت في طريقة تركيب الأديب للجملة، فيصطبغ أسلوبه بصبغتها، فيطبعها غير واع بها، ومجال دراسة هذا النوع من التّقديم هو البحث في أسلوب الأديب بحثاً يمتدّ إلى إنتاجه كلّه لا على نصّ بعينه. وكون الرتبة غير محفوظة لا يعني أنّه لا رتبة، وأنّه قد لا يعرض لها ما يدعو إلى وجوب حفظها؛ فالرتبة بين المبتدأ والخبر غير محفوظة، ولكنّ رتبة المبتدأ على رغم ذلك مقدّمة على رتبة الخبر. وحتى وإن تقدّم الخبر على المبتدأ فلا بدّ أن يُعدّ مقدّماً من تأخير، إذ الأصل أن يكون متأخراً، وعلى الرّغم من هذا الأصل قد يعرض للخبر ما يوجب تقديمه، وللمبتدأ ما يوجب تقديمه أيضاً، وفي هذه الحالة تحفظ رتبة المبتدأ للعارض الذي عرض له، كأن يكون له الصّدارة مثلاً. ومن هنا يمكن فالقول بحرية الرتبة نسبي⁽²⁾.

(1) ابن جنّي. الخصائص. ج1. ص257-258.

(2) ينظر: تمام حسان. التمهيد في اكتساب اللّغة لغير الناطقين بها. ص128-129.

3- قرينة مبنى الصيغة: لقد سبقت الإشارة إلى قرينة البنية التي ينضوي تحتها موضوع علم الصّرف العربي برمته، بما يشتمل عليه من دراسة للصيغة الصّرفية وتقليبها والميزان الصّرفي، وبنية الكلمة المفردة وما يكتنفها من جمود واشتقاق وتصرف⁽¹⁾.

تكون الصيغة قرينة لفظية على الباب النحوي، فصيغة الفاعل أو المبتدأ أو نائب الفاعل لا تكون إلاّ اسما، ولو جاءت فعلا لكانت بالنقل اسما محكيًا، نحو: ضَرَبَ فِعْلٌ مَاضٍ، إذ يصير (ضَرَبَ) مبتدأ، و(فِعْلٌ) خبر، و(مَاضٍ) نعت؛ لأنَّ ضَرَبَ في هذه الجملة حَكِيٌّ فُصِدَ لفظه، فصار اسما كالأسماء الأخرى، وبالتالي تحققت اسمية المبتدأ. ومن هنا يمكن القول إنّ معاني الصيغ الصّرفية وثيقة الصّلة بالعلاقات السياقية نحو: الفعل الثلاثي اللّازم الذي يهمز أو يضعّف يصير متعدّيًا⁽²⁾، مثل:

جَلَسَ التِّلْمِيذُ ← أَجْلَسَ الأُسْتَاذُ التِّلْمِيذَ ← جَلَسَ الأُسْتَاذُ التِّلْمِيذَ.

4- قرينة التّضام: من أهمّ القرائن اللفظية التي تُعين على تحديد مواقع الكلمات بين أقسام الكلام، وهي أن تستدعي الكلمة كلمة أخرى في السياق؛ أي أنه يتعلّق بالسياق فيتعرّض موضوعه للتركيب الكلامي نفسه، على خلاف بقية القرائن اللفظية التي تتعلّق بمكوّنات السياق ويتعرّض موضوعها في الغالب للأجزاء التحليلية من التركيب الكلامي، وتبرز أهميّة التّضام في كونه يصوّر أسلوب تآلف الكلمات في اللّغة ثمّ استخدام صور التآلف في إعطاء المعنى العام للتركيب الكلامي⁽³⁾.

يرى تمام حسان أنّ التّضام يفهم على وجهين هما⁽⁴⁾:

1- التّوارد: ويعني أنّ التّضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف طريقة منها

عن الأخرى تقديمًا وتأخيرًا وفصلاً ووصلاً وغيرها.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص39 وما بعدها.

(2) للاستزادة ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص210.

(3) للاستزادة ينظر: فاضل مصطفى السّاقى. أقسام الكلام العربي من حيث الشّكل والوظيفة. ص 196.

(4) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص216-217.

2- التلازم والتنافر: أي أنّ المقصود بالتّضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر فيسمى هنا التّلازم، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا التّنافر أو التّنافي، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر فإن هذا الآخر قد يدلّ عليه بمبنى وجودي على سبيل الذّكر، أو يدلّ عليه بمبنى عدمي على سبيل التّقدير بسبب الاستتار أو الحذف. ولا يكاد يخلو باب من أبواب النّحو العربي من ظاهرة التّضام، إما في صورتها الإيجابية كالاقتدار والاختصاص والتّوارد، وإما في صورتها السّلبية كالتّنافي أو التّنافر، فالافتقار والاختصاص والتّنافي من ظواهر استعمال العناصر التّركيبية، والتّوارد والتّنافر من ظواهر استعمال الكلمات المعجمية⁽¹⁾.

فأمّا الافتقار فمعناه أن لفظاً ما لا يستقل بالإفادة ولا يوقف عليه في الكلام غالباً، وإنّما يتطلب في حيّزه لفظاً آخر لا غنى له عنه. ويترتّب عليه ألاّ يستغنى بحرف الجر عن المجرور، ولا بحرف العطف عن المعطوف⁽²⁾.

وكذلك يفتقر المحذوف إلى دليل الحذف أو إلى العوض، وتفتقر جملة الصّلة والتّعت والحال والخبر إلى ضمير يعود إلى مرجع مذكور أو متصيّد أو مدلول عليه بالسياق. وتفتقر المبهمات إلى ما يخصصها من وصف أو تمييز أو إضافة، ويفتقر الظرف والمجرور إلى ما يتعلّقان به، وكلّ فعل لا بدّ له من فاعل، ولا بدّ للمبتدأ من خبر⁽³⁾.

وأما الاختصاص فمعناه أن يدخل الحرف على مدخول بعينه، وإن كان ذلك له بسبب لفظه لا بمعناه. فمعنى (إنّ) مثلاً هو التّوكيد وتدخل على المبتدأ، ومعنى (لم) التّفي وتدخل على المضارع على حين تدخل (ما) على الجملة الاسمية. ومن الاختصاص أيضاً إضافة (إذا) إلى الجملة الفعلية، ووقوع (أنّ) في خبر أفعال المقاربة إن كانت تفتقر إلى الخبر، وتختصّ (كاد) و(عسى) بأن يكون الخبر بعدهما فعلاً

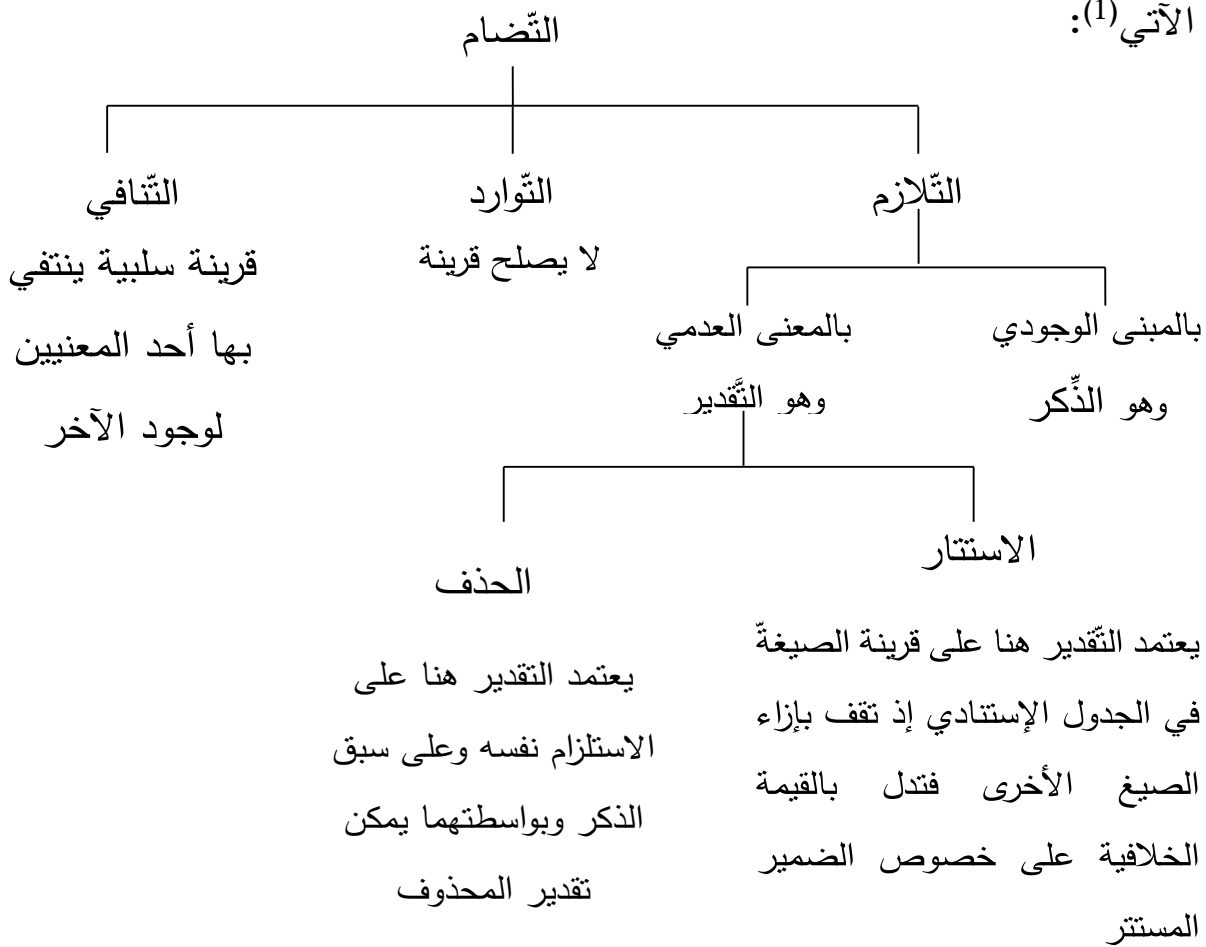
(1) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 154.

(2) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 80.

(3) تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 80-81.

مضارعا مقترنا بأن، ويمكن توضيح العلاقة بين القرائن الداخلة تحت التّضام في المخطّط

الآتي (1):



والتّنافي أيضا من ظواهر استعمال العناصر التّركيبية، ولو أنّ العنصر المنفي قد يكون بابا من الأبواب، وقواعد ذلك عند النّحاة قواعد سلبية لا تخلو من لا النّافية كقولهم: لا تدخل الجوازم على الأسماء، لا يدخل الحرف على الحرف. والتّنافي قرينة لفظية سلبية على المعنى، يمكن بواسطتها أن نستبعد من المعنى أحد المتنافيين عند وجود الآخر. فإذا وجدنا (أل) استبعدنا معنى الإضافة المحضة، وإذا وجدنا المضمّر استبعدنا نعتة (2).

سبق القول إنّ التّلازم إمّا بالدّكر أو بالتّقدير، والأكثر في أمن اللبس أن يكون نتيجة الدّكر، فيكون هذا الأخير قرينة على المعنى المراد، ويتم على طريق الافتقار أحيانا،

(1) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 221- 222 .

(2) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 155.

كما في تلازم الموصول صلته، كما يتم أحيانا أخرى عن طريق الاختيار فتذكر الضميمة إذا لم تكن القرائن الأخرى على تقديرها تستتر أو تحذف عند وجود القرينة الدالة عليها قصد الإيجاز، يقول ابن مالك:

وَبَعْدَ فِعْلٍ فَاعِلٍ فَإِنْ ظَهَرَ فَهُوَ وَإِلَّا فَضَمِيرٌ اسْتَتَرَ (1)

فيكون الاستتار بقرينة في الماضي وهي وضع صورة الفعل الذي استتر فيه الضمير بإزاء صور الأفعال الأخرى ذوات الضمائر المتصلة فتكون المقابلة أساسا لفهم خصوص الضمير المستتر بواسطة صورة فعله دون الحاجة إلى ذكر الضمير. كما يكون الاستتار أيضا في ضمير الفاعل ونائب الفاعل واسم كان، وإذا استتر الضمير في المضارع فإن حرف المضارعة قرينة تقدره، وهو في الأمر في صورة واحدة هي المخاطب المفرد، فوقوفها بإزاء بقية الصور يدل من طريق القيمة الخلفية على خصوص الضمير المستتر، فتعين مجموعة قرائن، كحروف المضارعة مثلا على تحديد معنى الضمير المستتر (2).

أما الذكر والحذف فيكونان في جميع أقسام الكلم شريطة أن يكون الحذف دائما مع وجود قرينة دالة على المحذوف، كما تحذف الجمل الفرعية كجملة جواب الشرط عند أمن اللبس، بل وقد تحذف جزئيا نحو:

قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلْمَى وَإِنَّ فَقِيْرًا مُعْدَمًا وَإِنَّ (3)

(1) ابن مالك. متن ألفية ابن مالك. تع: عبد اللطيف بن محمد الخطيب. ص 15.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها مبناها. ص 117 - 220.

(3) الأشموني. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج 3. ص 270.

إذا دلت القرائن على جملة الخبر، فأمن اللبس مع حذفها، فمن الممكن أن تحذف، نحو الجواب على قوله: من الذي حفظ الدرس؟ بقولك (على) أي على حفظ الدرس. فالذكر قرينة لفظية، والحذف يكون بقرينة لفظية، ويقدر المحذوف بقرينة الاستلزام⁽¹⁾.

من أمثلة الحذف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ النساء 90. حذفت الواو الداخلة مع جملة الحال ومعها (قد)⁽²⁾.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوَدَّعًا﴾ مريم 23. حذف حرف العطف السابق للفعل الماضي.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة 48. حذف الضمير فيه؛ وتقدير الكلام: لا تجزي فيه.

وقوله: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يوسف 82. أي أهل القرية وأصحاب العير، فحذف المضاف والقرينة على حذفه عقلية لعدم صحة سؤال البيوت والإبل. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ البقرة 285. حذف المفعول به. أي سمعنا قولك وأطعنا أمرك. وقوله: ﴿قَالَ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لظَالِمُونَ﴾ يوسف 79. حذف المضاف إليه. أي؛ إننا إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده لظالمون.

يتفرّع عن التّضام، الفصل أو عدم الفصل بين المتلازمين، فمن الفصل مثلا ما يحدث من⁽³⁾:

1- الفصل بضمير الفصل بين المبتدأ والخبر، وبين جزئي الجملة المنسوخة.

2- الفصل بكان الزائدة بين (ما) والتعجب.

(1) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 211.

(2) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 159-167.

(3) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 223.

- 3- الفصل بما الكافية بين (إن) واسمها.
- 4- الفصل بإن الزائدة بين (ما النافية) ومنفيها.
- 5- الفصل بما بين (ليت) ومدخولها.
- 6- الفصل بالقسم والظرف والمجرور بين (إذا) والمضارع.

أما عدم الفصل فيتضح من منعه في الحالات الآتية:

- 1- منع الفصل بين (لا) ومدخولها.
- 2- منع الفصل بين الصفة والموصوف.
- 3- منع الفصل بين العاطف والمعطوف.
- 4- منع الفصل بين النواصب (إلا إذا) والمضارع.
- 5- منع الفصل بين الموصول وصلته.
- 6- منع الفصل بين الجار والمجرور إلا ما شذ من الفصل بكان الزائدة.

من الأمثلة القرآنية للفصل قوله عز وجل: ﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الأعراف 137. فصل بين الموصوف وصفته بما عطف عليه، إذ المقصود: مشارق الأرض التي باركنا فيها ومغاربها⁽¹⁾.

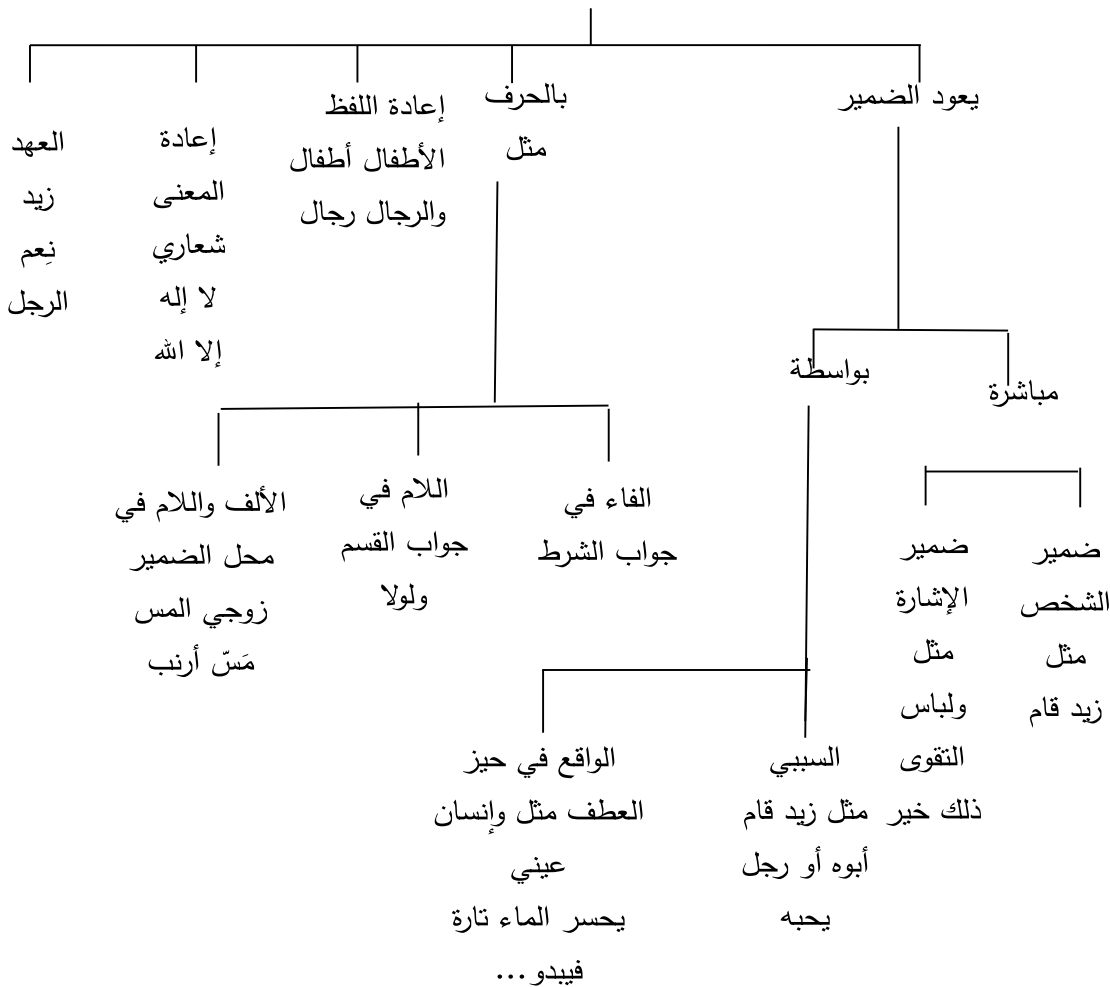
وقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ سبأ 03. أي؛ بلى وربّي عالم الغيب لتأتينكم، فصل بالجواب بين الموصوف وصفته لضرورة تأخير الصفة بسبب ما يتعلّق بها ممّا يأتي بعدها مباشرة، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ 03، ممّا يعد تفسيراً لقوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾.

(1) تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 177.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الرَّعد 43. أي كفى بالله ومن عنده علم الكتاب الشهادة بيني وبينكم، ففصل بالتمييز وما يتعلّق به من ظرفية بين المتعاطفين.

5- قرينة الرّبط: هو قرينة لفظية على اتّصال أحد المترابطين بالآخر إذ يتمّ بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه وبين الشرط وجوابه وبين القسم وجوابه.

يكون الرّبط بالضمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة، كما يفهم منه الرّبط، أو بالحرف أو بإعادة المعنى أو باسم الإشارة أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر. وبآلية التشجير يوضّح تمام حسان ذلك فيما يأتي (1): الرّبط



(1) تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص214.

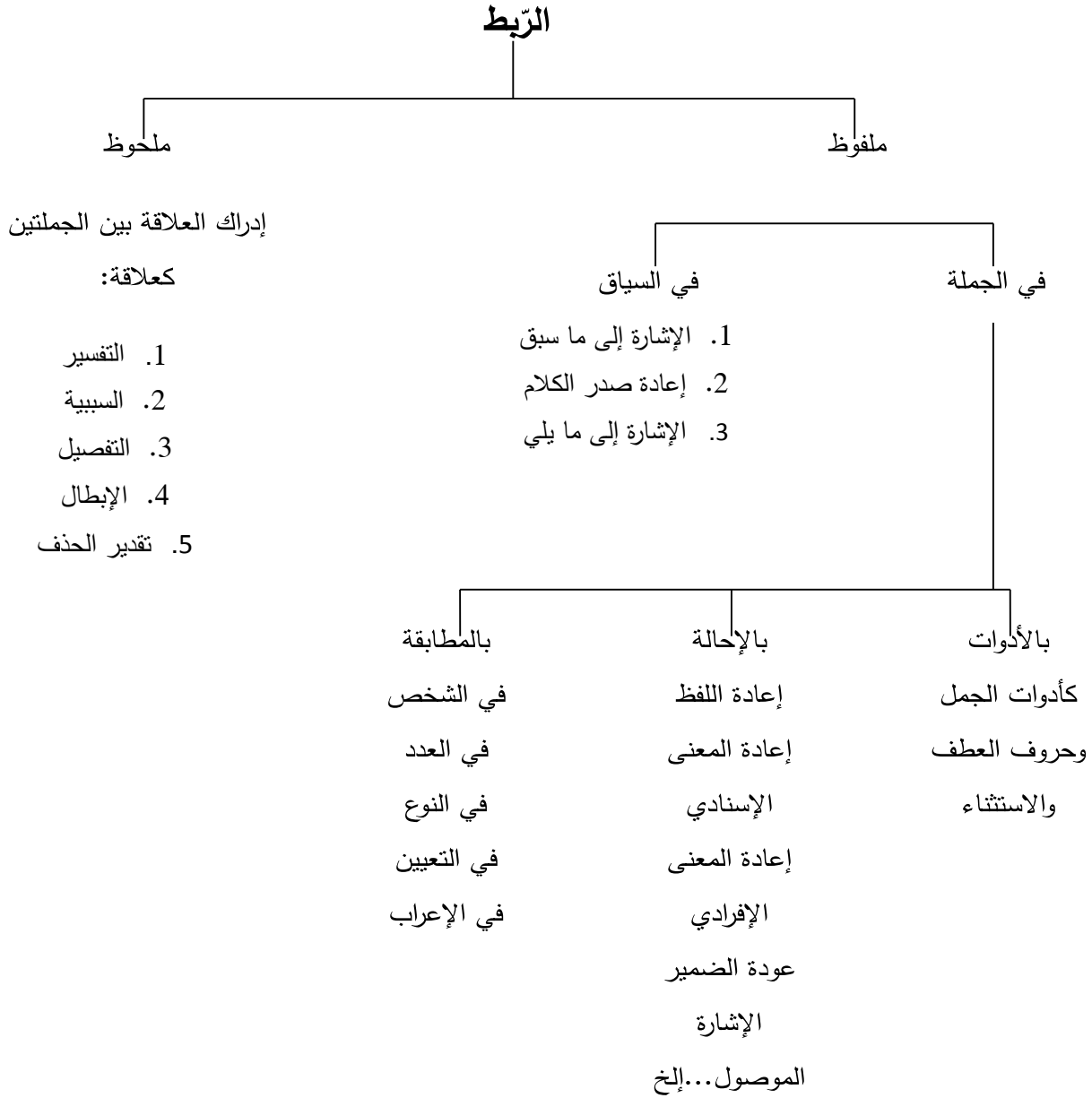
تكمّن وظيفة الرّبط في إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية، والأصل في الرّبط أن يكون بإعادة اللفظ، لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضمانا للوصول إليه، والقرآن الكريم أكبر برهان على صحّة هذا الكلام، ومن ذلك (1):

قول جلّ وعلا: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَّنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُلْحِقُونَ﴾ النحل 116. هنا نجد أن لفظ الكذب أعيد ثلاث مرات بدلا من لتفتروه ويفترونه. وقوله تعالى أيضا: ﴿إِنِّي آتَيْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ طه 10. إذ تكرر ذكر النار بدلا من عليها. كما نلاحظ إعادة ذكر لفظ الجلالة بدلا من "ثم هو" في نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ العنكبوت 19-20.

وقد يغني عن إعادة اللفظ إعادة المعنى، الذي يتضح في باب المبتدأ والخبر كما في قوله تعالى: ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُواهُمْ مِنْ الْأَرْضِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس 10، وقوله أيضا: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ إبراهيم 23. وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ الأحزاب 44. وإنما صلح ذلك لربط الخبر بالمبتدأ، لأنّ الخبر هو عين المبتدأ في المعنى، فلما كان السلام هو التّحية، وكانت التّحية هي السلام، عدّ ذلك قريبا في أهميته من إعادة الذكر، فصلح لربط الخبر بالمبتدأ. يتحقّق الرّبط نحويا بالأداة والإحالة والمطابقة، كما يتحقّق خارج الجملة بإدراك علاقات الجمل بعضها ببعض، كما يتّضح في المشجّر الآتي (2):

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 109-113.

(2) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 88-89.



إن الأصل في الإحالة أن يتكرر اللفظ بذاته فيحيل إلى ذكره الذي سبق كما قد تكون بإعادة المعنى، وإعادة المعنى الإسنادي بالمبتدأ أو الخبر.

من أمثلة إعادة المعنى الإفرادي قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة 14. إذ جاء ضمير المخاطبين متقدماً، ثم جاء وصفهم بالإيمان متأخراً فكأنه جلّ وعلا يقول: "يشف صدوركم".

إن الأصل في الإحالة بالضمير أن يكون المرجع إما متقدماً لفظاً ورتبة نحو: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ هود 42، وإما أن يكون متقدماً لفظاً لا رتبة، أو متقدماً في الرتبة دون اللفظ نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ طه 67. أو متأخراً لفظاً ورتبة نحو: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام 21.

وقد تربط الإشارة الخبر بالمبتدأ، بوضع ضمير الفصل، ففي قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ الأعراف 26، إذ تمّ الربط بالإشارة حتى كأنّ العبارة: "ولباس التقوى هو خير" (1).

من أمثلة الربط بالموصول قوله تعالى: ﴿لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الأنعام 7. أي لقالوا: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنعام 25. فالعدول عن الضمير المتصل إلى ضمير الموصول كأنه لإرادة ذمهم بالكفر (2).

من أمثلة الربط ب(ال) قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ النساء 1. أي أرحامكم. وقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾

(1) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 91- 92 .

(2) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 123.

الأعراف 46. أي "على أعرافه" أي على أعراف الحجاب وهو السور الفاصل بين الجنة والنار (1).

فأداة التعريف هي إما عهدية في قوة الإشارة، وإما جنسية نسبية في قوة ضمير الشخص؛ أي أنّ ضمير الشخص المقدر في هذه الحالة قد يتراوح بين التكلم والخطاب والغيبة والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، فإذا أخذنا جملة مثل: رماه بحجر فأصابه في الرأس، فإن لهذا الضمير المقدر احتمالات متعددة نحو (2):

| | |
|---|--------------------|
| رَمَانِي بِحَجَرٍ فَأَصَابَنِي فِي الرَّأْسِ | أَي فِي رَأْسِي |
| رَمَانَا بِأَحْجَارٍ فَأَصَابَنَا فِي الرَّأْسِ | أَي فِي رُؤُوسِنَا |
| رَمَاكَ بِحَجَرٍ فَأَصَابَكَ فِي الرَّأْسِ | أَي فِي رَأْسِكَ |
| رَمَاهَا بِحَجَرٍ فَأَصَابَهَا فِي الرَّأْسِ | أَي فِي رَأْسِهَا |

مرجع ذلك إلى أنّ كلّ إنسان له رأس، فلفظ الرأس يدلّ على جنس نسبيّ يضاف إليه ضمير صاحبه، فإذا عدل به عن الإضافة إلى التعريف بالأداة صارت (ال) جنسية وصلحت للربط، كما يصلح الضمير. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ غافر 18. أي إذ قلوبهم عند حناجرهم.

للمطابقة خمسة محاور هي: المطابقة في التكلم والخطاب والغيبة، المطابقة في الأفراد والتثنية والجمع، المطابقة في التذكير والتأنيث، المطابقة في التعريف والتذكير، والمطابقة في الإعراب.

(1) تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 130.

(2) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 94-97.

يرد على الرّبط بالضّمائر ظاهرتا الالتفات والتّغليب، والمقصود بالأولى: تغيير مجرى الإحالة من المطابقة إلى الاختلاف، إذ يمكن تغيير مجرى الغيبة إلى الخطاب أو العكس، ومن الجمع إلى الأفراد وغيرها.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ يونس 22. فهنا تغيّر الخطاب الذي في (كنتم) إلى الغيبة التي في (بهم)، فجاء هذا التحوّل دلالة على الانتقال من الرّخاء إلى الشّدة لأقوام غائبين مرارا وتكرارا، من هنا انقلب الضّمير من الخطاب إلى الغيبة.

أما التّغليب فيقع في الأسماء والأوصاف، كأن تقول: الرّجل والمرأة مسئولان عن تربية النّسء، فتغلب التذكير على التّأنيث لأنك لم تقل مسئولتان. وفي حقل المفردات نصادف كلمات مثل الأبوان بتغليب الأب على الأم، كما نجد الوالدان بتغليب الأم على الأب من الجانب المعجمي وتغليب الأب من الجانب النحوي، لأنّ تاء التّأنيث لم تلحق الوالدة أي أنّنا لم نقل الوالدتان⁽¹⁾.

هناك نوع آخر من الرّبط يقع في النّص المتّصل، قد يرد في مطلع الكلام لفظ أو ألفاظ يطول الكلام بعدها دون أن تأتي مكملاته فيحسن عندئذ أن يعاد صدر الكلام للتذكير بما ورد في صدره قبل أن يطول فتضعف الرّابطة بين الصّدر والتّكملة. يقول عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا﴾ البقرة 89. ف ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ طال الكلام بعدها بقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فأعيدت ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ لتوثيق العلاقة بين أول الكلام وآخره.

(1) ينظر تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 97-99.

قد تحذف الرابطة بحسب مقتضى الحال، كحذف حرف العطف مثلاً بين الجمل في مواقف الفزع أو مطلق الانفعال، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ المائدة 116-117.

أما أمثلة ربط الجملة بالجملة بروابط ملحوظة ففي نحو هذه الآيات (1):

علاقة التفسير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة 6.

علاقة التعليل في قولهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ البقرة 8-9.

علاقة الاستدراك في قوله جلّ وعلا: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ البقرة 14.

علاقة السببية في قوله أيضاً: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ فُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ البقرة 17-18.

6- قرينة المطابقة: هي قرينة لفظية على المعنى الواحد المراد، وتكون في: العلامة الإعرابية، والشخص (التكلم والخطاب والغيبة)، والعدد (الإفراد والتثنية والجمع)، والنوع (التذكير والتأنيث) والتعيين (التعريف والتتكير).

فالعلامة الإعرابية تكون للأسماء والصفات وللعمل المضارع، فيتطابق بها الاسمان والاسم والصفة، والمضارعان المتعاطفان.

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص 99.

وأما الشّخص فإنّه تتمايز الضّمائر بحسبه بين التّكلم والخطاب والغيبة، ومن ثمّ تتّضح المقابلات بحسبه في إسناد الأفعال، وإذا كان الفعل مسندا إلى الاسم الظاهر، فهذا الاسم في قوة ضمير الغائب، أما إذا كان الفعل نواة جملة خبرية مبتدؤها ضمير، فإنّ الفعل أن يطابق من حيث الشّخص ما تقدمه من ضمير.

وأما العدد فإنّه يميّز بين الاسم والاسم، وبين الصّفة والصّفة، وبين الضمير والضمير.

وأما النّوع فإنّه يكون أساسا للأسماء والصّفات والضمائر، وتتطابق الأفعال مع هذه الأقسام عند إسنادها إليها أو إلى ضمائر العائدة إليها كما تتطابق هذه الأقسام في ذلك في مواضع التّطابق.

وأما التّعريف والتّنكير، فلا يكونان إلا للأسماء، فإذا ألحقت (أل) بالصّفة كانت (أل) موصولة، والصّفة الصّريحة صلّتها، وتكون (أل) في هذه الحالة من قبيل الضّمائر الموصولة لا أداة للتّعريف، ومع ذلك تتطابق بها الأسماء مع الصّفات، وأما غير ذلك من أقسام الكلم، فلا يقبل (أل). وبالمطابقة تتوتّق الصّلة بين أجزاء التّركيب التي تتطلّبها، ودونها تتفكّك العرى وتصبح الكلمات المتراسة منعزلا بعضها عن بعض، ويصبح المعنى بعيدا. ومثال ذلك ما يأتي (1):

1. تركيب صحيح المطابقة نحو: الرّجلان الفاضلان يقومان.
2. مع إزالة المطابقة في الإعراب نحو: الرّجلان الفاضلين يقومان.
3. مع إزالة المطابقة في الشّخص نحو: الرّجلان الفاضلان تقومان.
4. مع إزالة المطابقة في العدد نحو: الرّجلان الفاضل يقومون .
5. مع إزالة المطابقة في النّوع نحو: الرّجلان الفاضلتان يقومان.
6. مع إزالة المطابقة في التّعيين نحو: الرّجلان فاضلان يقومان.

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص211-213.

7. مع إزالة المطابقة في جميع ذلك نحو: الرجلان فاضلات أقوم.

فإزالة المطابقة من جهة واحدة أو من جهات متعدّدة، يزيل المعنى المقصود، كما أنّ وجود هذه المطابقة يعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين.

7- قرينة الأداة: وهي قرينة لفظية هامة مستخدمة في التعليق. وتكون الأدوات

على نوعين (1):

1- الأدوات الداخلة على الجمل.

2- الأدوات الداخلة على المفردات.

فأمّا الأدوات الداخلة على الجمل فترتبتها الصّدارة، في حين أنّ الأدوات الداخلة على المفردات فترتبتها دائماً التّقدم.

ومثال أدوات الجمل التّواسخ جميعاً وأدوات النّفي والتّأكيد والاستفهام والنّهي والتّمني والتّرجي والعرض والتّحضيض والقسم والشّروط والتّعجب والنّداء، ومثال الأدوات الداخلة على المفردات حروف الجرّ والعطف والاستثناء والمعية والتّحقيق والتّعجب والابتداء والتّواصب والجوازم التي تجزم فعلاً واحداً. ولكلّ أداة من هذه الأدوات ضمانتها الخاصّة، فهي تتطلّب بعدها شيئاً بعينه فتكون قرينة متعدّدة جوانب الدّلالة، حيث تدلّ بمعناها الوظيفي وبموقعها وبتضامّها مع الكلمات الأخرى، وبما قد يكون متّفقا مع وجودها من علامات إعرابية على ضمانتها.

من الأمثلة التي نضربها هنا للتعليق بقرينة الأداة ما يمكن أن يستفاد مثلاً من واو المعية من التّفريق بين المفعول به وبين المفعول معه، نحو: فهمت الشّرح في مقابل فهمت والشّرح.

(1) تمام حسان. اللّغة العربيّة معناها ومبناها . ص224-225 .

وكذلك غنيت زيدا أغنية في مقابل غنيت وزيدا أغنية، إذ يكون التفريق بينهما بأمرين هما: القيمة الخلافية الناتجة من مقابلة التعدية بالمعية، والقيمة الخلافية الناتجة من مقابلة وجود الواو وعدمه.

لما كانت الواو هي مطية المعية هنا، فلا يفهم معنى المعية بغير الواو اجتمع فيها أمر التفريق بين المعنيين، فصارت قرينة دالة على المفعول معه، وأصبح عدمها قرينة المفعول به.

تدخل على الجمل أدوات وحروف، ولكل أداة وحرف معنى، به يختلف عن بقية الأدوات والحروف، وفيما يأتي عرض لمعاني الأدوات ومعاني الحروف بدءًا بمعاني الأدوات⁽¹⁾:

(إنّ-أنّ-إن- اللام-لام- لام الابتداء واللام المزلقة) تفيد التوكيد، (نعم- إي- بلى) تفيد الإيجاب، (ما- لم- لمّا- إن- لا- لن- ليس- لات- كلاً) تفيد النفي، (الهمزة- هل- كم- كيف- ما- من- أي- أيّ- أتى- أين- أيّان) تفيد الاستفهام، (إنّ- إذ- إذا- إذما- ما- من- أي- أيما- أينما- حيثما- لو- لولا) تفيد الشرط، (هل- هلا- ألا- لولا- لوما) تفيد التّحضيض، (ألا- أما) تفيد العرض (ليت- لو) تفيد التمني. (اللام+المضارع) تفيد الأمر، (لا) تفيد النهي، (الهمزة- يا- أيا- هيا- أي) تفيد النداء، (الباء- التاء- اللام- الميم- الواو) تفيد القسم، (ما- وا- وي- ويكأنّ) تفيد التعجب (لعلّ) تفيد الترجي، (اللام) تفيد الاستغاثة.

وانتهاءً عند حروف المعاني⁽²⁾:

(أنّ- أن- ما- لو- إذ- كي- اللام، وتضمّر أنّ بعد الواو والفاء و أو وحتى ولام الجحود) تفيد المصدرية، (الواو- ثمّ- الفاء- أم- حتّى- لكنّ- لا) تفيد العطف، (إلا-

(1) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص70-74.

(2) ينظر: تمام حسان. الخلاصة النحوية. ص75-79.

غير- ليس- عدا- خلا- حاشا- سوى) تفيد الاستثناء (ألا- ضمير الشأن، نحو: هو الله أحد) تفيد الاستفتاح. (إنّ- أنّ- كأنّ- ليت- لعلّ- لكنّ- وتخفّف إنّ وأنّ بإسكان النّون فيبقى لها معناها ولا ينصب ما في حيزها) إنّ وأخواتها، (أنّ- لن- إذا- كي) نواصب المضارع، (لم- لمّا- ألمّ- لام الأمر- لا النّاهية) جوازم المضارع، (لكنّ- لكنّ- إلّا) تفيد الاستدراك، (بل- لكن في بداية الكلام) تفيد الإضراب. (واو المعية) للمفعول معه. (الواو الحال) تفيد الملابس. (من- إلى- عن- على- في- الباء- اللام- الواو- التاء- الكاف- منذ- حتى- خلا- عدا- حاشا) تفيد جر الاسم. (اللام- الواو- أل- إنّ- أنّ- أنّ- في- لا- من- ما- الباء) تفيد التأكيد. (الكاف- كأن- كما) تفيد التشبيه. (إذ- اللام) تفيد التعليل. (في) تفيد الظرفية، (الهمزة - التّشديد) تفيد التّعدية. (منّ نحو: اشتريت ثوبا من قطن) تفيد التّفسير.

8- قرينة التّغيم: لقد سبقت الإشارة إليها في المبحث الأخير من الفصل الأوّل، والتّغيم أو النّعمة قرينة لفظية، تمثّل الإطار الصّوتي الذي تقال به الجملة في السّياق. والصّيغة التّغيمية، منحى نغمي خاص بالجملة، يعين على الكشف عن معناها النحوي، فالهيكل التّغيمي الذي تأتي به مثلا الجملة الاستفهامية وجملة العرض، غير الهيكل التّغيمي لجملة الإثبات، وهنّ يختلفن من حيث التّغيم عن الجملة المؤكّدة، فكلّ جملة صيغة تنغيمية خاصّة، فاؤها وعينها ولامها وزوائدها وملحقاتها نغمات معينة بعضها مرتفع وبعضها منخفض وبعضها يتفق مع النّبر وبعضها لا يتّفق معه، وبعضها صاعد من مستوى أسفل وبعضها هابط من مستوى أعلى.

والتّغيم رفع الصوت وخفضه بحسب المعنى أثناء الكلام، ولكلّ نغمة في الكلام معناها الخاص، ولو أخذنا منطوقا مثل "يا سلام" وحاولنا التّعبير بها عن معنى التّأثر ثم السّخرية وغيرها لوجدنا اختلاف النغمة بين كل معنى، فنغمة التّأثر تختلف عن نغمة

السخرية والغزل والتأكيد وغيرها؛ أي أن النغمة الخاصة المرتبطة بموقع معين من الكلام يتحكم المعنى في ورودها⁽¹⁾.

والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، إلا أنه أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة لأنه يستعمل نغمات أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة وعلامة التعجب وعلامة الاستفهام وغيرها⁽²⁾.

وللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل، تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية المختصرة، نحو: لا! نعم! يا سلام! لأنها تقال بنغمات متعددة، ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعان مثل: الحزن والفرح والشك والتحقير وغيرها، حيث تكون النغمة هي السبب في اختلاف هذه المعاني، كون هذه الجملة لم تتعرض لتغيير في بنيتها، ولم يضاف إليها أو يحذف منها شيء ولم يتغير فيها إلا التنغيم.

يمكن وصف النظام التنغيمي للعربية الفصحى بواسطة تقسيمه من وجهتين:

1- شكل نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر في الكلام. ومن خلالها ينقسم نظام تنغيم الفصحى إلى لحنين هما:

أ. ينتهي بنغمة هابطة على آخر مقطع وقع عليه النبر.

ب. ينتهي بنغمة صاعدة على المقطع المذكور.

2- المدى الذي بين أعلى نغمة وأخفضها في الصوت سعة وضيقا. ومن خلالها ينقسم النظام التنغيمي للفصحى -كما سبق ذكره- إلى ثلاثة أقسام هي: الواسع والمتوسط والضيق⁽³⁾.

يرى تمام حسان أننا لو قارنا بين العبارتين: هل جاء زيد؟ متى جاء زيد؟ لوجدنا اختلافا في النغمة الأخيرة في الجملتين، إذ في عبارة "متى جاء زيد؟" نجد أنها تنتهي

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 230-231.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 226-229.

(3) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 229-231.

بنغمة صاعدة معبّرة إما عن الدهشة أو التّعالي. والنعمة هابطة في عبارة "هل جاء زيد؟". وإذا وقفنا قبل تمام المعنى، نقف على نغمة مسطّحة لا هي بالصّاعدة ولا بالهابطة، ومن أمثلة ذلك الوقف عند كلّ فاصلة مكتوبة في هذه الآيات: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ القيامة 7-10، فالوقف على البصر والقمر أولاً والقمر ثانياً، وقف على معنى لم يتم، فتظلّ نغمة الكلام مسطّحة دون صعود أو هبوط، أمّا الوقف عند "المفر"، فالنعمة فيه هابطة لأنّه وقف عند تمام معنى الاستفهام بغير الأداة، أي الاستفهام بالظرف.

وفي كلّ من هذه الأشكال للحن التّغيمي العربي، يمكن أن يكون الكلام عادياً أو مؤكّداً. ويأتي التأكيد من زيادة نسبية في الهواء المسلّط على الأوتار الصوتية عند النطق بالمقطع الذي وقع عليه النّبر، فتأتي النتيجة في صورة نبر أقوى، ومدى تغيمي أوسع.

يرى تمام حسان أنّ قرينة النّعمة قرينة هامة في الكلام المنطوق على خلاف الكلام المكتوب، فعندما تتخذ الفصحى وسيلة للتعبير الشعري أو الخطابي أو المسرحي أو السينمائي تبدو قيمتها في أجلى صورها؛ فقد تحذف أداة الاستفهام فتحمل النّعمة عبء هذا المعنى، كأن تحكي قصّة تطاول أحد الأشخاص على رجل حليم، وتصل منها إلى نقطة من نقاط تمام المعنى، فيسأل السّامع متعجباً: ولم يغضب؟ وهو يعني: أو لم يغضب؟ فيحذف الهمزة ويعتمد على النّعمة في أداء المعنى، وقد جاء حذف الهمزة في قوله تعالى بلسان موسى⁽¹⁾: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الشعراء 22.

6- جواز الترخّص في القرائن النّحوية عند أمن اللّبس: يتفرّع عن تضافر القرائن،

مبدأ الرّخصة النّحوية أي الترخّص؛ والمقصود به هو إهدار بعض القرائن عند أمن اللّبس⁽²⁾. والمقصود باللّبس، تعدّد احتمالات الدّلالة على المعنى دون مرجّح. ولا يتم

(1) ينظر: تمام حسان . مقالات في اللغة والأدب. ج.1. ص 259.

(2) ينظر: تمام حسان. مقالات في اللغة والأدب. ج.1. ص 262-263. البيان في روائع القرآن. ج.1. ص 12.

أمن اللبس إلا عندما تتضافر القرائن الدالة على المعنى، فينكشف المعنى المراد دون أن يختلط به أي معنى آخر. والقرائن المقصودة هنا هي: الإعراب، الرتبة، الربط، التّضام، البنية، السّياق، وفيما يأتي شواهد من القرآن الكريم عن التّرخّص في هذه القرائن اللفظية(1):

أ- التّرخّص في العلامة الإعرابية: إنّ الحكم بمبدأ الرّخصة النّحوية في العلامة الإعرابية دليل على عجزها منفردة لإيضاح المعنى، وبالتالي ضرورة تضافرها مع غيرها من القرائن للوصول إلى ذلك، والتّرخّص في هذه القرينة بطريقتين هما:

أ-1- حذف الحركة الإعرابية ووضع السّكون موضعها، نحو قول عنتر بن شدّاد:
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيْعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَعَى وَأَعِْفُ عِنْدَ الْمُغْنَمِ(2)

ففي هذا الشّاهد الشعري جرّد الشّاعر راء الفعل المضارع (يُخْبِرُكَ) من حركة الرّفع وأبدلها سكونا دونما سبب للتّسكين، وقد يسّر إهدار العلامة الإعرابية قرينة الرّتبة.

أ-2- إبدال حركة إعرابية بأخرى: نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ المائدة 69. برفع (الصابئون) وهي معطوفة على اسم إنّ المنصوب، لأن اللبس مأمون بواو العطف(3).

ومن التّرخّص في الإعراب ما يسميه النّحاة إعراب الجواز وتعلّق المعنى بالبيدييات دون الحركات نحو: جُحْرُ ضَبِّ خَرِبٍ، وَخَرَقَ الثَّوْبُ الْمِسْمَارَ(4).

(1) ينظر: تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 57 وما بعدها.

(2) الرّوزني. شرح المعلّقات السّبع. دط. مكتبة المعارف. بيروت. دت. ص 123.

(3) ينظر: تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 57.

(4) ينظر: تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص 177.

إنّ استدلال تمام حسان بهذه العبارات على الترخّص في العلامة الإعرابية لقي نقدًا، بأنّها أمثلة شاذة ولا يقاس عليها، فهي «لا تتدرج ضمن قواعد اللّغة، لأنّها ليست مطّردة ولا يجوز القياس عليها، فهذا النوع يمثّل خروجًا عن القاعدة؛ فاللّغة لا تترخّص في قرائن الجملة جزافًا بل يكون ذلك في موقعيات خاصّة، وبحيث لا يمثّل هذا الترخّص قاعدة عامّة يمكن النّسج على منوالها»⁽¹⁾.

يقول عز وجل: ﴿لَكِنَّ الرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء 162، وقعت كلمة المقيمين تالية للواو وبين المؤمنين والمؤتون، فلم يجز فيها إلّا العطف على رغم الترخّص في الإعراب.

وقوله أيضا: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ طه 63. لا يتقدّم خبر إنّ على اسمها إلّا أن يكون ظرفًا أو جازًا ومجرورًا وليس قوله "لساحران" من هذا القبيل، فعلم أنّ هذان اسم إنّ، فجاء الترخّص في الإعراب لأمن اللبس، ولإيجاد نوع من المناسبة الصوتية بين اسم إنّ وخبرها⁽²⁾.

ب- الترخّص في الرتبة: يكون الترخّص في الرتبة في عدم حفظها والاعتراف بوجود رتبة غير محفوظة في النّحو، وكذلك عندما تغني عنها القرائن الأخرى في نحو قول: عليك ورحمة الله السّلام، فالذي أغنى عن رتبة المتعاطفين هنا: ما بينهما من شهرة التعاطف على نسق خاص، حتى أصبحا كالمثّل، وحفظ الرتبة بين حرف العطف والمعطوف، وتوسّط المعطوف بين الخبر المقدّم والمبتدأ المؤخّر، ممّا جعله لا يزال في حيز الجملة⁽³⁾.

(1) دليّة مزوز. الأحكام النحوية بين النّحاة وعلماء الدّلالة "دراسة تحليلية نقدية". ط1. عالم الكتب الحديث. الأردن. 2010م. ص 279.

(2) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 252.

(3) ينظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها و مبناها. ص 236.

إن الترخّص في الرتبة، هو تشويش الرتبة المحفوظة، وقد جاء من هذا القبيل تقديم جملة الحال على عاملها في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ هود38. أي سخروا وهو يصنع⁽¹⁾.

وقوله أيضا: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ هود42. أي ناداه وهي تجري بهم، ففي الحالتين تقدمت جملة الحال على عاملها، وهو ما لم تعترف به قواعد النحاة⁽²⁾.

أيضا قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي﴾ طه29-30؛ أي واجعل هارون أخي وزيرا لي من أهلي، ولكن وضع التركيب على هذا النحو، يجعل من بمعنى دون، أي؛ اجعله معينا على أهلي، وهو غير معني المقصود، أما لو فرضنا للتركيب أن يكون "واجعل من أهلي وزيرا لي" أو "واجعل لي من أهلي وزيرا" فإنّ الأسلوب القرآني بالنسبة للفرض الأول لا يجعل في موقع الفاصلة، حرف جر وضميرا متصلا به في العادة وبالنسبة للثاني يكون في التركيب إهدار لمطالب الفاصلة، وتعليق الجار والمجرور في الفرض الأول يختلف عنه في الثاني⁽³⁾.

ت- الترخّص في الربط: يعدّ عود الضمير من الروابط الهامة في الجملة، ولكن الارتباط قد يتمّ بقرائن أخرى، فيصبح المعنى واضحا دون حاجة إلى الضمير الرابط، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ البقرة48 أي فيه، فترخّص في الرابط دونه؛ أي بقرائن أخرى⁽⁴⁾.

(1) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 227-228.

(2) ينظر: تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 112.

(3) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 228-229.

(4) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 230.

والمقصود بالترخص في الربط، عدم ذكر المرجع لدلالة السياق عليه، كقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ النحل 61(1).

وقوله أيضا: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ التوبة 92. وفي هذه الآية ترخص بحذف الرباط، وهو الفاء العاطفة على أحد تقديرين هما(2):

التقدير الأول: إذا ما أتوك قلت فتولوا.

التقدير الثاني: إذا ما أتوك فقلت تولوا.

أما الترخص في عود الضمير إلى أقرب مذكور، فنجده في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ، إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نُبِينَا﴾ يوسف 7-8 فمقول القول هنا من شأنه أن يصدر من الإخوة، لا من السائلين، والسائلون أقرب إلى الواو في قالوا. ومن شواهد الترخص بحذف الضمير قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة 40؛ أي بها. أما الترخص في المطابقة فنحو قوله عز وجل: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ النمل 55. فجاءت المطابقة للمبتدأ دون الموصوف وهو أحق نحويا، لأمن اللبس طبعاً، ومن ذلك أيضاً، وصف النكرة بالموصوف بعد تخصيصها بالنكرة كما في قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ غافر 34. فحين اكتسبت النكرة التخصيص عند وصفها بنكرة أخرى اقتربت بتخصيصها من المعرفة، فحُسب الترخص في مطابقتها، وصح وصفها بالموصول. وأما الربط بواسطة تعليق الظرف والمجرور، فيمكن عند أمن اللبس أن يترخص فيه أيضاً، حتى إننا لنقف أمام الجملة وكأننا أمام عبارة ملبسة حتى نعثر على قرينة المعنى، من ذلك تعليق الجار والمجرور نحو قوله جلّ وعلا: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الأحزاب 16.

(1) ينظر: تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 60.

(2) ينظر: تمام حسان. مقالات في اللغة والأدب. ج 2. ص 207.

فالجار والمجرور من الموت صالح أن يتعلّق بالمصدر الفرار، كما يصلح للتعلّق بالفعل فررتم، لكن المصدر خال من الزمن والزمن أحد عنصري معنى الفعل، فلما جاءت (إذا) بعد ذلك دلّ على أنّ الجار والمجرور متعلّقان بالفعل دون المصدر، فلما أمن اللبس جاز الترخّص (1).

ث- الترخّص في التّضام: ويكون في إهدار قرينة التّضام تحدياً للقاعدة، ولكن المعنى مع الرّخصة واضح واللبس مأمون أيضاً، لأنّ بقية القرائن تجبر وترمّم ما وقع من إهدار لإحداهما (2).

يتحقّق الترخّص في الافتقار في صورة الحذف، وفي الاختصاص بإهماله وفي التّوارد بالمفارقة المعجمية بين ألفاظ السّياق. فمن الحذف قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ الحاقة 1-3. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ جملة تعجبية تفسّر ما قبلها من قوله ما الحاقة الذي حذف منه فعل التّعجب. ومن الزيادة قوله جل وعلا: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ الصافات 103-105، فهنا واو وأن إحداهما زائدة، والتّقدير كالاتي: "فلما أسلما تله للجبين وناديناه"، أو "فلما أسلما وتله للجبين ناديناها".

ومن أمثلة الترخّص في الاختصاص قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الهمة 1-2 فالترخص هنا أن توصف النكرة بالمعرفة. والذي برّر هذا الترخّص، أن النكرة (هزمة) وصفت بنكرة أخرى (لمزة) فقربها هذا من المعرفة، أمّا الترخّص في التّوارد، فيتّضح في قوله تعالى: ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ التين 2 أي؛ سيناء (3).

ج- الترخّص في البنية: يتمّ بتغيير هيكل البنية أو بحذف بعض حروفها أو بزيادة حرف أو أكثر أو تغيير حرف منها، فمن تغيير هيكل بنية الكلمة قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 245 .

(2) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 245 .

(3) ينظر: تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 60.

مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ﴿يونس 35﴾، إذ تحول الفعل يهتدي إلى صورة أخرى وهي يهدي. وأما الترخّص في البنية بحذف حروفها، فيكون بحذف ياء المتكلم، أو ياء المنقوص المقترن بآل أو الفعل المعتل الآخر بالياء أو الواو، كما في الآيات: يقول الله تعالى ﴿أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة 186. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ هود 63. ﴿قَالَ إِنْ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ الحجر 68-69.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ الحج 25. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الحج 54. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ القمر 6.

وأما زيادة حرف على بنية الكلمة فقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ الصافات 130. وأما إبدال حرف مكان حرف قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران 96.

وقد يكون الترخّص بإيجاد صورة للبنية بعيدة عن الشائع من الاستعمال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ نوح 22، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ص 5. وكذلك: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ النبأ 28.

كما ترخّص القرآن في بنية كلمة سينا فسمّاها سينين، وفي اسم إلياس فسمّاها إلياسين وفي ميكائيل فسمّاها ميكال وفي مكّة فسمّاها بكّة، وترخّص في المبالغة من الكبر فقال كَبَّارٌ ومن العجب فقال عَجَابٌ وفي المصدر من الكذب فقال كَذَّابًا⁽¹⁾.

ح- الترخّص في السياق: يقصد بالسياق، ما هو أطول من الجملة الواحدة؛ أي جملة مطوّلة وقد تكون هذه الأخيرة ملبسة، فإذا دلّت قرينة أخرى قبلها أو بعدها على

(1) ينظر: تمام حسان. مقالات في اللغة والأدب. ج2. ص 206-207.

معناها زال اللبس منها، ويأتي اللبس في تركيب جملة ما من تشابه التراكيب والمعاني وتعددها، فالمصدر المضاف مثلا يحتمل الإضافة إلى الفاعل أو المفعول، وتتعدد المعاني الوظيفية للأداة الواحدة، فلا ندري أحيانا أي معانيها هو المقصود، فلننظر مثلا إلى وسائل إزالة اللبس في الشواهد الآتية⁽¹⁾:

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران 18. ليس في النحو ما يحول دون عطف الملائكة على الضمير، ولو قد وقع ذلك لكانوا آلهة مع الله. فلما ختمت الآية بقوله: "لا إله إلا هو" دلّ ذلك على عطف (الملائكة) على لفظ الجلالة. وقد جاءت الرخصة هنا بعدم تكرار الفعل (شهد) مع الملائكة.

ويقول أيضا: ﴿طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذَكْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى﴾ طه 1-3. إنّ دلالة (إلا) على الاستثناء، يتطلب وجود مستثنى منه في الجملة على سبيل الذكر أو التقدير، وهذه الجملة لا تصلح للاستثناء لعدم وجود المستثنى منه. ولا يستقيم معنى الجملة إلا على الاستدراك، وذلك بأن تكون (إلا) بمعنى (لكن)، فالرخصة هنا كانت بعدم ذكر (لكن) وقرينة المعنى هي عدم صلاحية السياق للاستثناء.

قد يدلّ السياق بالقرينة على المعنى المعجمي للكلمة المفردة، فلقد درج الناس على فهم (الأولى والآخرة) بمعنى (الدنيا) و(الآخرة)، والأمر كذلك في بعض الآيات القرآنية، ولكن هناك نصوصا قرآنية، يدل فيها هذا للتعبير على أنّ الأولى هي المذكورة أولا أو الواقعة أولا، وأن الآخرة هي التي تأتي في الذكر أو الوقوع بعد ذلك، نحو الشواهد الآتية، يقول الله تعالى: ﴿رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ القصص 68-70. أي؛ له الحمد حين يخلق وله الحمد حين يعلم. ﴿ثُمَّ

(1) تمام حسان. مقالات في اللغة والأدب. ج2. ص 206-207.

دَنَا فَتَدَلَّى ﴿النَّجْمِ 8﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿النَّجْمِ 13﴾ ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ ﴿النَّجْمِ 25﴾ المقصود بلفظ (الله) التعجب. كقولنا: "الله أنت!"

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾، فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ، فَحَشَرَ فَنَادَىٰ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ النازعات 20-25. أي؛ نكال التكذيب وإدعاء الألوهية.

﴿وَالضُّحَىٰ﴾، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ، وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ الضحى 1-4. الآخرة هي نزول الوحي بعد انقطاع، والأولى كانت في غار حراء، ثم انقطع الوحي ثم عاد.

وبالسياق نعلم الفرق بين لفظي الرحمان والرحيم، فرحمة الرحمان تعني رحمة المهيم، ورحمة الرحيم تعني رحمة الرؤوف. وفيما يأتي شواهد للرحمتين⁽¹⁾:

1- الرحمان: المهيم: يقول الله تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ الملك 3. ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾ مريم 18. ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ مريم 26. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ مريم 44. ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ مريم 75. ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ مريم 85. ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ طه 5. ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ طه 108 ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ 38. ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ الأنبياء 42. ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء 112. ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ الفرقان 26. ما سبق من شواهد تدل على أن الرحمان هو المهيم.

2- الرحيم: الرؤوف: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة 37. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة 128. ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة 160. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة 143. ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة 117. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ

(1) ينظر: تمام حسان. مقالات في اللغة والأدب. ج2. ص213-229.

رَحِيمٌ ﴿النحل7. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر10. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة182. ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنعام145. ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ هود90.

وقد يوصف الرَّحِيمُ بالعزیز إذا كان ذلك في مقام نصره لعباده أو توكلهم عليه أو تنزيل الكتاب وذلك كما يأتي⁽¹⁾:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الدخان42. ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الروم5. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الشعراء217. ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ يس5. وفي كل هذا نجد السياق نفسه قرينة على المعنى.

ومن صور الترخّص عند أمن اللبس، حذف ما لا يستغني عنه المعنى اعتماداً على دلالة السياق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ المعارج 19-21، فقوله: جزوعاً ومنوعاً منصوبان في محل خبر كان مقدّرة، أي؛ كان جزوعاً وكان منوعاً. ودليل الحذف أنّ نصب الاسمين لا يكون على تقدير آخر.

ويضاف إلى هذه القرائن أيضاً، قرينة الأداة وقرينة المطابقة ومبنى الصيغة وقرينة النعمة. ويتضح الترخّص في كل واحدة منها كما يأتي⁽²⁾:

خ- الترخّص في الأداة: يبقى النداء مفهوماً بواسطة قرائن أخيرغم سقوط حرف النداء، ويسقط حرف العطف ويبقى العطف مفهوماً بقرينة النعمة كقولك: "يستمر الامتحان في الأيام الآتية: السبت- الأحد- الاثنين- الثلاثاء". وتغني نعمة الكلام عن حرف العطف. وقد تسقط (رُبّ) ويفهم معناها لإغناء الواو عنها أي؛ أن قرينة التّضام (بين الواو ورُبّ) قد أغنت عن قرينة الأداة، وقد ينزع الخافض ويبقى المعنى مفهوماً. ومن

(1) ينظر: تمام حسان. مقالات في اللغة والأدب. ج2. ص213.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص239.

الترخّص في الأداة أيضا دلالة (هل) على التعجّب في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ الفجر 5(1).

د- الترخّص في المطابقة: وتكون في الشّخص؛ أي أن يدلّ ضمير الموصول على الغيبة، فيعود إليه من الصّلة رابط في صورة ضمير الغائب، ولكن الموصول إذا كان خبر ضمير متكلّم أو مخاطب، فقد سمع عن العرب ترك المطابقة بين العائد والموصول كقوله: "أنا الذي سمتن أمي حيدرة"، أما الترخّص في المطابقة في النّوع، فمنها أنّ الصفات التي لا يوصف بها إلا المؤنث يترك تأنيثها لعدم توهم أنّها لمذكر ومن ذلك حائض ومرضع، وقد تحذف التاء عند أمن اللبس "كإقام الصّلاة". إضافة إلى أن بعض الصفات على وزن فعيل تصدق على المذكر والمؤنث كجريح. والعقل لا يطابق فاعله المؤنث إذا فصل بينهما نحو: أتى القاضي بنت الفاضل. والترخّص في المطابقة في العدد يتضح في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ البقرة 41. فانفكت المطابقة بين (الواو) وبين (كافر) دون أن يتأثر المعنى، لأنّ القرائن الأخرى ضمنت هذا المعنى(2).

ذ- الترخّص في مبنى الصّيغة: نحو: "الحمد لله العلي الأجل" والمقصود الأجلّ ومن ذلك أيضا، مجيء الحال جامدة والتّيابة عن المفعول المطلق بغير صيغة المصدر أو بمصدر فعل غير فعله، وكلّ ضرورة شعرية هي ترخّص في قرينة ما وإغناء غيرها عنها، وكثير من ذلك يندرج تحت عنوان الصّيغة(3).

ر- الترخّص في النّغمة: قد تسقط قرينة النّغمة لوضوح الكلام دونها ففي قراءة قوله تعالى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ المائدة 116. نقف بنغمة

(1) ينظر: تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص 177.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 237-238.

(3) للاستزادة تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 237.

التّرتيل العادي، لا بنغمة الاستفهام، ولا نحسّ غرابية في هذا، كما يحسّها، لو سمع منا جملة "هل رأيت محمدا" بنغمة التّقرير التي في "قد رأيت محمدا" مثلا(1).

7- أمن اللّبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية:

إن المقصود باللبس، هو تعدد احتمالات المعنى دون مرجح، إذ لا يستطيع من يتلقى الكلام أن يقطع بأن المقصود واحد بعينه من هذه المعاني المحتملة. ويرجع تعدد احتمالات المعنى إلى عدم التوازي بين المعاني التي تسعى اللغة إلى التعبير عنها والمباني التي تشتمل عليها اللغة لأداء هذا التعبير. فالمعاني لا حدود لها ولا يمكن إحصاؤها، ولكن المباني محدودة العدد. ومن هنا كان من الضروري أن يتعدد المعنى للمبنى الواحد حين يكون هذا المبنى خارج النص، فإذا اشتمل عليه نص ما أصبح بحاجة إلى قرينة تشير إلى أن المقصود به في بيئة النص هو أحد تلك المعاني التي كانت له حال إفراده. ونجد في النصوص استعمال القرائن الدالة على المعنى المقصود عندما يعرض القصور في دلالة المبنى على هذا المعنى(2).

فإذا قلت لصاحبك: "زرت فلانا ساعة ثم غادرت غاضبا" لم يدر صاحبك من منكما كان هذا الغاضب، فهذا من قبيل اللبس، لأنّه لا توجد قرينة في هذه العبارة تعين على معرفة المعنى المقصود، فإن غابت القرينة يلبس المعنى. وقد أحصى تمام حسان وسائل أمن اللبس التي يستخدمها النحو العربي فيما يأتي(3):

أ- العلامة الإعرابية: وتشمل الحركة والحرف، فبعض الكلمات يعرب بالحركات وبعضها يعرب بالحروف، وقد تكون الحركة ظاهرة أو مقدرة أو ملحوظة في المحل الإعرابي، وقد يكون الحرف أصليا أو نائبا عن الحركة.

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص240.

(2) ينظر: تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص185.

(3) ينظر: تمام حسان. أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية. ص127-128.

اهتمّ النّحاة بالعلامة الإعرابية والحركة خاصّة، فأطالوا الكلام عنهما، وقالوا بأنّ الحركة تدلّ على الباب، فالضمّة مثلاً تدلّ على الإسناد والكسرة تدلّ على الإضافة، والفتحة تدلّ على الفضلة، غير أنّ تمام حسّان يبطل هذا الزعم قائلاً بأنّ الضمة إنّ دلتّ على الإسناد، فإنّها علامة على عدد من الأبواب كالمبتدأ أو الخبر والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر إنّ والتّابع المرفوع، ولكلّ من هذه الأبواب معنى وظيفي مختلف عن معاني بقية الأبواب، ولو كانت الضمة وحيدة في الدلالة على أحد هذه الأبواب، لمّا صحّ لها أن تدلّ في الوقت ذاته على بقية الأبواب، لأنّ العلامة الواحدة لا تدلّ على أكثر من معنى. والفتحة كذلك تدلّ على عدد من الأبواب النحوية منها: المفعول به والمفعول معه والمفعول فيه والمفعول لأجله والمفعول المطلق والحال والمستثنى والتمييز والمختص والتّابع المنصوب، ولو كانت الفتحة وحيدة في الدلالة على أحد هذه الأبواب، ما دلتّ على غيره، لأنّ العلامة الشكلية، لا يُدلّ بها على وظيفتين لغويتين في الوقت ذاته. والكسرة تدلّ على الجرّ بالحرف وبالإضافة وبالتّبعية، إلا أنّها لا تدلّ وحدها على أيّ باب بمفرده من هذه الأبواب. لذا ينبغي أن يكون إلى جانب العلامة الإعرابية ضمائم أخرى تعينها على تحديد معنى الباب النحوي الخاص، ومن هذه الضّمائم:

ب- الرتبة: فالرتبة النّحوية إما محفوظة أو غير محفوظة.

والرتبة محفوظة بين الضمير ومرجعه الذي يجب أن يكون متقدّماً لفظاً ورتبة، ومحافظة بين اسم الإشارة وتابعه المشار إليه المقترن بأل، ومحافظة بين الاسم الموصول وصلته، وبين أداة الاستثناء والمستثنى، وبين الحرف ومجروره، وبين المضاف والمضاف إليه، وبين (ما) التعجبية ومعمولها، وبين حرف النداء والمنادى، وبين التّواصب والمنصوبات، وبين الجوازم والمجزومات، وبين أدوات الشرط وجملته، وبين الشرط والجزاء، وبين القسم وجوابه.

ومن الرّتب التي تتخلف أحياناً، الرّتبة بين المبتدأ والخبر، فلكلّ منهما إمكانية أن يتقدّم أو يتأخّر في مواضع محدّدة، والرّتبة بين المفعولين وبين الفعل، ولا رتبة بين الفاعل

والمفعول، إلا حيث لا تكون هناك علامة أخرى تحدّد وظيفتها في النص، مثل أن تكون الحركة مقدّرة فيهما كضرب أخي صديقي، فالفاعل هنا متقدم، والمفعول متأخر، ولا يكونان إلا كذلك.

ففي الأمثلة التي تحتفظ فيها الرتبة، إنّما يكون لعدم كفاية العلامة الإعرابية لتحديد معنى الباب ووظيفته، لذا يجب توقّر ضميمة أخرى تتح معها على رفع اللبس وأمنه، ومن هذه الضمائم⁽¹⁾:

ت- الأداة: تحدد الأبواب العامّة، كما تعين العلامة الإعرابية على تحديد الباب الخاص. فأما دلالتها على الأبواب العامّة فواضحة في أنّ للشرط أدواته، وللاستفهام أدواته، وهذه الأدوات إما أن يقترن وجودها بعلامة إعرابية معينة، وإما أن لا يقترن. فأدوات الاستفهام مثلا، لا تصاحب علامة إعرابية معينة، ولكن أدوات الشرط والتوكيد والجر تأتي مصاحبة لهذه العلامة، فتكون في مصاحبتها للعلامة ذات دلالة تعين على أمن اللبس، ومنأمثلة دلالة الأداة من الناحية الإعرابية على المفعول معه، الفرق الواضح في المعنى بين "فهمت والشرح" و"فهمت الشرح" فهو فرق ما بين المفعول معه والمفعول به. وواضح أيضا أنّ الفرق في الشكّل هو فرق ما بين وجود الواو في الحالة الأولى وعدم وجودها في الحالة الثانية، والمعنى في الحالة الأولى: "فهمت مع الشرح" أي؛ لم أفهم من مجرد القراءة، فاستعنت بمن يشرح لي، أما المعنى في الحالة الثانية، فهو "فهمت كلام الشارح" فغطت الأداة هنا عجز العلامة الإعرابية، لأنّ الفتحة بمفردها في الجملتين لم تستطع التفرّيق بين المعنيين.

ث- البنية: وليس الفرق بين الفاعل ونائب الفاعل راجعا إلى اختلاف العلامة الإعرابية بينهما فهي واحدة فيهما، وإنّما يرجع إلى اختلاف البنية الصرفية بين فعليهما، حيث بني فعل الفاعل للمعلوم، وبني فعل نائبه للمجهول. والعلم يمنع من الصرف إذا

(1) ينظر: تمام حسان. أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية. ص128.

كان مؤنثا أو موازنا للفعل أو مزيدا بألف ونون، فيكون الشّكل الصّرفي في الحالتين معتبرا في إعرابه، وكذلك إذا كان الاسم بألف التّأنيث الممدودة نحو (حساء)، أمّا إذا كانت الألف أصلا كما في (أبناء) فالاسم مصرف، وصيغ منتهى الجمع ممنوعة من الصرف، ومن هذا القبيل أيضا أن حذف لام الكلمة في الناقص المجزوم علامة إعرابية على الجزم؛ أي أنّ إجراء صرفيا اتّخذ للدّلالة على معنى نحوي.

ومن القرائن التي يرتفع بها الغموض، ويؤمن بها اللبس⁽¹⁾:

ج- **المعنى النحوي العام:** فهو في عمومه، ما عبّر عن وظيفة نحوية في السياق، وهذه الوظيفة إمّا أن تكون:

- خاصة بمعنى الجملة في عمومه، كالنفي والاستفهام.
- خاصة بالعلاقة بين بايين من أبواب الجملة، كالإضافة التي هي علاقة بين المضاف والمضاف إليه.
- خاصة بباب نحوي واحد كالابتداء والإخبار.

إنّ الفرق بين القسمين الأوّل والثّاني، هو أنّ الأوّل يعبّر عنه بالأداة كأدوات النفي والاستفهام، ويسمّي تمام حسن هذا القسم بمعنى الجملة أو وظيفة الجملة. والثّاني، ويسميه معنى العلاقة أو وظيفة العلاقة. وهو إمّا أن يعبّر عنه بها كما في الاستثناء أو المعية، وإمّا أن يعبّر عنه بعلامة إعرابية أو رتبة أو غير ذلك، كالذي يحدث في التعبير عن القسم الثالث، الذي يسمّيه تمام حسن معنى الباب أو وظيفة الباب.

وهنا يتّضح أنّ المعنى النحوي العام سواء أكان جملة أم معنى علاقة، هو ممّا يراعى في بيان المعنى النحوي الخاص وظيفته الباب، وبذلك يساهم في أمن اللبس.

(1) ينظر: تمام حسن. أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية. ص 130-131.

ويتشابه البابان صرفياً بصيغة المصدر، ونحوياً بالفتحة، نحو: "جريت هرباً" حتى
لتصلح الكلمة (هرباً) لواحد من المعنيين أو لآخر فتعرب إما نائباً عن المفعول المطلق
وإما مفعولاً لأجله، بحسب معنى التوكيد أو السببية.

ح- التّطابق: هو وسيلة من وسائل أمن اللبس ورفع الغموض ويكون التّطابق فيما
يأتي (1):

1- الشّخص (التّكلم والخطاب والغيبة)

2- العدد (الإفراد والتثنية والجمع)

3- النّوع (التذكير والتأنيث)

4- التّعيين (التعريف والتّكثير)

فعبارة "الرجلان الفاضلان يقومان"، فمن ناحية الشّخص، فإنّ الغيبة منصّبة على
الجملة من أولها إلى آخرها، والاسم الظاهر يلقي معاملة ضمير الغائب، ومن ثمّ انعكس
ذلك على المضارع، فبدأً بالياء وهي علامة الغائب. وأمّا من ناحية العدد فالتثنية موجودة
في جميع كلمات الجملة. وأمّا النّوع فقد ربط التذكير بين الموصوف وصفته في الجملة،
كما دلّت الياء في بداية الفعل على إسناد الفعل إلى مذكر لأنّه لو أسند إلى المثنى
المؤنث الغائب لبدئ بالياء. والتّعيين يظهر في الرّبط بين الموصوف وصفته في الجملة.

8- نظرية القرائن النّحوية كبديل عن نظرية العامل في ميزان النّقد: فيما سيأتى آراء

في نظرية تضافر القرائن النّحوية بين مؤيد ومعارض نذكر منها على سبيل التّمثيل لا
الحصر:

(1) ينظر: تمام حسان. أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية. ص 130-133 .

أ- المؤيدون:

كثير من الدارسين يرى أن «إصلاح منهج الدراسات النحوية لن يتم إلا إذا خلصنا الدرس النحوي مما علق به من شوائب جرّها عليه منهج دخيل، وهو منهج الفلسفة الذي حمل معه فكرة العامل»⁽¹⁾، وتتمام حسان واحد من هؤلاء، وقد سار على نهجه البعض نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر مصطفى حميدة الذي يقول أننا «لو سلّمنا بفرضية العامل النحوي التي تصوّرها نحاة العربية، وجعلنا ذلك العامل الوهمي هو الجوهر الموجد لاختلاف المعاني النحوية في عملية الحدث الكلامي، فكانت تحكم المتكلمين عوامل مضبوطة لا تخطئ لأصبح المتكلمون سواءً في الأداء»⁽²⁾. ويؤكد أن «المتكلم والسامع هما العامل النحوي المؤثر فيما يتعلّق بالمعاني، وأن الجماعة اللغوية هي العامل المؤثر فيما يتعلّق بالمباني»⁽³⁾. وكما سبقت الإشارة إليه مصطفى حميدة مفتتحة تماما باتخاذ نظرية تضافر القرائن منهجا في دراسة الجملة «ذلك لأنها أول دراسة في تاريخ النحو العربي كلّها تقيم منهجا على أساس فكرة التعليق، فحوّلت الدرس النحوي بهذا من منهجه اللفظي المتمثّل في الإعراب القائم على فكرة العامل، إلى منهج قرائن التعليق، الذي يضع المعنى في المقام الأول»⁽⁴⁾.

يذهب بلقاسم بن محمد بن عودة مذهب مصطفى حميدة فيرى أن «نظرية تضافر القرائن تعدّ أهم المحاولات لفهم النظام اللغوي للعربية، وأبعدها أثرا، ذلك لأنها من أبداع الدراسات في مسيرة النظرية النحوية العربية»⁽⁵⁾.

(1) مهدي المخزومي. في النحو العربي نقد وتوجيه. ط1. المكتبة العصرية. بيروت. 1964م. ص14.

(2) مصطفى حميدة. نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية. ص53.

(3) مصطفى حميدة. نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية. ص56.

(4) مصطفى حميدة. نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية. ص67.

(5) بلقاسم بن محمد بن عودة. (تيسير النحو عند تمام حسان في ضوء نظرية تضافر القرائن). مجلة الباحث. ع2.

يتبنّى عبد الجبّار توأمة أفكار تمام حسّان تنظييراً وتطبيقاً عند حديثه عن معنى التّعديّة واللّزوم في العربيّة، وهو مبحث نحويّ متّصل بوظيفة الفعل في التّركيب⁽¹⁾. كما يرى أنّ «الإسناد في اللّغة العربيّة بوصفه قرينة معنويّة، يكفي فيه إنشاء علاقة ذهنيّة بين موضوع ومحمول أو مسند إليه ومسند، دون حاجة إلى التّصريح بهذه العلاقة نطقاً أو كتابة»⁽²⁾.

يرى نائل محمد إسماعيل أنّ فكرة التّضافر تغني عن القول بالعامل فعلماء العربيّة الأجلّاء على عظم جهدهم وصدق سعيهم لتيسير قضايا النّحو، إلّا أنّهم «لم يوقّفوا في ثورتهم الحادّة على نظرية العامل النّحوي؛ ذلك أنّهم لم يحسنوا تفسيره وتقدير أثره، فلم تكن نظرية العامل إلّا وسيلة توسّل بها النّحاة إلى تفسير ظاهرة الإعراب، وقد اقترح تمام حسّان فكرة منطقيّة وشاملة تُفسّر في ضوئها التّراكيب النّحويّة، وتحرّر من سيطرة سلطان العامل النّحويّ الذي قيّد التّفكير، وحدّ من الانطلاق في فضاء النّحو الواسع، تلكم الفكرة هي أنّ المعنى النّحوي لا يستعين بقرينة واحدة مهما كان خطرهما وإنّما تتعاون القرائن المختلفة وتتضافر على بيان المعنى»⁽³⁾.

يدعم خليل أحمد عمّاية تمام حسّان الذي يرى أنّ «تضافر هذه القرائن يغني عن القول بفكرة العامل النّحويّ الذي قال به النّحاة، والذي يرى أنّه جاء لتوضيح قرينة لفظيّة واحدة، وهو قاصر عن تفسير الظواهر النّحويّة السّياقيّة، فتأتي فكرة القرائن لتوزّع اهتمامها بالقسطاس بين القرائن النّحويّة اللفظيّة والمعنويّة لتوصل إلى وضوح المعنى

(1) للاستزادة ينظر: عبد الجبّار توأمة. التّعديّة والنّضمين. ديوان المطبوعات الجامعيّة. الجزائر. 1994م. ص2 وما بعدها.

(2) عبد الجبار توأمة. القرائن المعنويّة في النّحو العربي (دكتوراه). جامعة الجزائر. معهد الآداب واللّغة العربيّة. 1994-1995. ص69.

(3) نائل محمد إسماعيل. (حركات الإعراب بين الوظيفة والجمال - دراسة وصفية تحليلية-). مجلة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة. مج20. ع1. يناير 2012. غرّة. ص283-284.

وأمن اللبس وتنفي التفسير الظني والمنطقي لظواهر السياق، وتصرف عن الجدل في متاهات العامل وأصالته أو ضعفه أو قوّته، وتبعد عن التأويل والتعليل»⁽¹⁾.

يرى خالد خليل هادي «أنّ كتابات تمام حسّان المختلفة غطّت قطاعات واسعة في وصف ظواهر اللّغة العربية، وهو أمر أثبتته الدّارسون، الذين أشاروا إلى أنّ كتاب [اللّغة العربية] معناها ومبناها يقف وحيدا في مجال تطبيق النّظرية اللّغوية الحديثة، وأعني الإطار العام والتّحليلي للبنوية الوصفية، فهو كتاب يدعو إلى بناء جديد للنحو العربي؛ أي أنّ منجز تمام حسّان يتّصف بالشّمول والإحاطة لمعظم الجوانب اللّسانية للّغة العربية. [وإنّ فضل تمام حسّان لا يقتصر على تمثّل ما سمّاه المنهج الوصفي، بل يتجاوزه إلى محاولة إدخال التّراث النحوي العربي في حوار مع اللّسانيات»⁽²⁾.

ينتصر أحمد علم الدّين الجندي لصنيع تمام حسّان فيقول: «ونظرية تضافر القرائن النّحوية فكرة محكمة الوضع، متكاملة الجوانب، هزّت الدّراسات الأصولية في النحو هزّاً عنيفا، وفُسّرت بها بعض القراءات التي خرجت عن سنن العربية، وكذلك الحديث النّبوي الشّريف. وحسب الأستاذ أنّه التقط هذه الفكرة من ثنايا التّراث العربي، فكانت أجراً محاولة عرفت في العصر الحديث. لقد كانت رؤية للنّظام العربي كلّها صاغها في قالب جديد ومنهج رائد، وحسبها من شرف المحاولة والريادة أن يطلق عليها اسم مدرسة القرائن النّحوية، لتضع بذلك لبنة في صرح تيسير أصول النحو العربي. والأستاذ لا يكتب حول فكر مطروق، وإذا عرض له -عن غير قصد- ابتكر له تنسيقا ووضعها في قالب بديع ومصطلح محكم»⁽³⁾.

(1) خليل أحمد عمارة. في التّحليل اللّغوي (منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التّوكيد اللّغوي والنّفي اللّغوي وأسلوب الاستفهام). ط1. مكتبة المنار. الأردن. 1987م. ص86-87.

(2) خالد خليل هادي وغيره. (تمام حسّان في معيار النّقد اللّساني). ص253.

(3) أحمد علم الدّين الجندي. (من قضايا الفكر الأصولي وأثره في تيسير النحو العربي). ضمن كتاب: تمام حسّان رائدا لغويا. ص44.

يبرّر محمد خليفة الدّناع تحامّل تمام حسان على من عقّدوا النّحو، فيقول: «ولكنّه تحامّل دافعه الغيرة على لغة القرآن والعرب، ومحفّزه الخشية من أن يلبس بهذه اللّغة ما ينفر أهلها منها، فهو لا يقبل التّعقيد في التّعقيد [فقد] عالج نظرية العامل علاج العالم المدقّق والباحث الموثّق، فحاول البحث عن ضمام تتعلّق بقرائن الإسناد والرّتبة والسّياق في مسائل كثر حولها التّأويل المبنيّ على الافتراض»⁽¹⁾.

ب- المعارضون:

يشير عبده الرّاجحي إلى اقتراح تمام حسان نظرية القرائن النّحوية كبديل عن نظرية العامل فيقول: «وعلى كثرة ما كتب عن مسألة العامل فإنّ ما قدّمه أستاذنا قد يكون أكثر ما كتب تماسكا؛ لأنّه يعرضه في إطار منهجه في التّحليل وفق القرائن، ومن ثمّ نسلكه في اتّجاه التّحيّز إلى البنائية لأنّه استوعب معظم ما قدّمته فروعها المختلفة، ومن هنا أيضا قد يكون من حقّنا أن نخالف أستاذنا الجليل؛ وذلك لأنّه في عرضه للقرائن جعل العلامة الإعرابية قرينة منها، ثمّ جعل العامل هو الإطار النظريّ المعبر عن العلامة الإعرابية، وهنا موطن الخلاف؛ لأنّنا نرى المنهج الذي نتحيّز له ونرتضيه على خلاف ذلك؛ إذ نفهم أنّ النّحاة العرب لم يسجنوا العامل في العلامة الإعرابية ولم يقصروه على التّعبير عنها أو تفسير وجودها، وإنّما العامل هو المظلّة الكبرى في النّحو العربي، يتحرّك لتحليل الظّاهرة بجميع جوانبها، ومنها العلامة، ومنها بقية القرائن في ظلّ هذه المظلّة»⁽²⁾. يذهب عبد الصّبور شاهين إلى أنّ العامل ضرورة تصنيفية تختصر كثيرا من الأنواع التي تتجم عن الاتّكال على الوظيفة في تفسير التّغيّرات الشّكلية التي تحكم أجزاء الجملة العربية دون سائر اللّغات الأجنبيّة⁽³⁾.

(1) محمد خليفة الدّناع. (الأستاذ الدكتور تمام حسان مؤصّلا للتراث اللّغوي). ضمن كتاب: تمام حسان رائدا لغويا. ص327.

(2) عبده الرّاجحي. (النّظريات اللّغوية المعاصرة وموقفها من العربية). ضمن كتاب: تمام حسان رائدا لغويا. ص252.

(3) ينظر: عبد الصّبور شاهين. في التّطوّر اللّغوي. مكتبة الشّباب. الإسكندرية. 1989م. ص175.

يجهر وليد عاطف الأنصاري برفضه لنظرية تضافر القرائن، فيقول: « لا أوافق الدكتور تمام حسّان في نظريته هذه، لأنّها في ما أرى تفتقر إلى الاطراد والدقة »⁽¹⁾.

يعدُّ عبد المجيد عيساني محاولة تمام حسّان في كتابه: اللّغة العربية معناها ومبناها من محاولات التّجديد الفاشلة التي ظهرت على السّاحة اللّغوية؛ ويرى أنّ تمام حسّان أراد أن يبرهن أنّ له نظرية جديدة تتبني على تضافر القرائن، ويقول: «إلاّ أنّ الكاتب وفيما أقدم عليه إن كان يظنّ بذلك تيسيرا فلا نتصوّر ذلك حاصلا في كتابه، إلاّ إذا أراد الكاتب تغييرا لطبيعة النّحو وأساسه ولكن بعيدا عن أيّ تيسير وتبسيط. إن عملية التّجديد إذ لم ترتبط بعملية التّيسير في هذا العمل النّحوي، فلا يعني ذلك التّجديد شيئا»⁽²⁾.

II - في ضوء التّفريق بين الزّمن النّحوي والزّمن الصّرفي:

يقصد تمام حسّان باصطلاح الزّمن، الزّمن النحوي، وهو وظيفة في السّياق، يؤدّيها الفعل أو الصّفة، أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم، كالمصادر. والزّمن بهذا، يختلف عمّا يفهم منه في الصّرف، إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السّياق، فلا يستفاد من الصّفة التي تفيد موصوفا بالحدث، ولا يستفاد من المصدر الذي يفيد الحدث دون الزّمن. وحين يستفاد الزّمن الصّرفي من صيغة للفعل، يبدو قاطعا في دلالة كلّ صيغة على معناها الزّمني، على النّحو الآتي⁽³⁾:

- صيغة فَعَلَ وقبيلها ← تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي
- صيغة يَفْعَلُ وقبيلها ← تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال
- صيغة اِفْعَلْ وقبيلها ← تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال

يرى تمام حسّان أنّ معنى الزّمن النّحوي يختلف عن معنى الزّمن الصّرفي، من حيث إنّ الأوّل، وظيفة السّياق تحدّدتها الضّمائم والقرائن، وإنّ الثّاني وظيفة الصيغة

(1) وليد عاطف الأنصاري. نظرية العامل في النّحو العربي عرضا ونقدا. ص 150.

(2) عبد المجيد عيساني. النّحو العربي بين الأصالة والتّجديد. ص 212-213.

(3) ينظر: تمام حسّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 240-242.

الصرفية. والدليل على أن الزمن النحوي وظيفه السياق، أن الأوصاف الخمسة والمصدر، لا ينسب إليها الزمن في حالة الأفراد، ولكنها إذا دخلت إلى السياق، استعانت بقرائن مختلفة على الانتساب إلى زمن بعينه⁽¹⁾.

يؤكد تمام حسن على أن النحاة لم يفرقوا بين معاني الزمن الصرفي والزمن النحوي، ومن ثم لم يتضح في أذهانهم أن الزمن النحوي وظيفه السياق، ومن ثم يمكن أن ينتسب إلى الأوصاف والمصادر في السياق، وأن بعض ما نسبوه من الكلمات إلى الأفعال مثل: ليس وعسى، خالٍ من معنى الزمن، ومن ثم لا يكون فعلاً⁽²⁾.

نظر النحاة في الزمن النحوي، فأروا أن الأزمنة الثلاثة: ماضٍ وحاضر ومستقبل، ولكن الزمن عندهم، ارتبط بالصيغة المفردة ارتباطاً تاماً، حتى قالوا: "إن الفعل دالٌّ على الحدث بلفظه وعلى الزمن بصيغته" وكأن المضي عندهم ارتبط بالبناء على الفتح، وقبول ضمائر الرفع المتصلة، وينسبون المضي إلى (نعم وبئس وما أفعله) و(هيهات) لتحقق البناء على الفتح فيها، وينسبونه إلى (ليس) لهذا، ولقبولها ضمائر الرفع المتصلة على الرغم مما يبدو في معاني هذه الكلمات من بعد عن معنى الزمن، وارتباط (العبارات) التي هي فيها بمعنى (اللحظة) فإن وجدوا أن السياق أدى إلى معنى زمني غير الذي نسبوه إلى الصيغة، نسبوا المعاني الزمنية إلى الأدوات، كنسبة (القلب) إلى (لم) ونسبة الدلالة على ما يستقبل من الزمان إلى (إذا). وهكذا حسبوا الدلالة الزمنية للنحو العربي في هذا النطاق الضيق، بسبب انشغالهم بالمفردات وبناء النحو عليها⁽³⁾.

يرى تمام حسن أن النحاة لم يحسنوا النظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي، إذ كان عليهم أن يدركوا طبيعة الفرق بين مقررات النظام ومطالب السياق، ثم أن ينسبوا الزمن الصرفي إلى النظام الصرفي، وينسبوا الزمن النحوي إلى مطالب السياق؛ أي

(1) ينظر: تمام حسن. اجتهادات لغوية. ص 104.

(2) ينظر: تمام حسن. اجتهادات لغوية. ص 140.

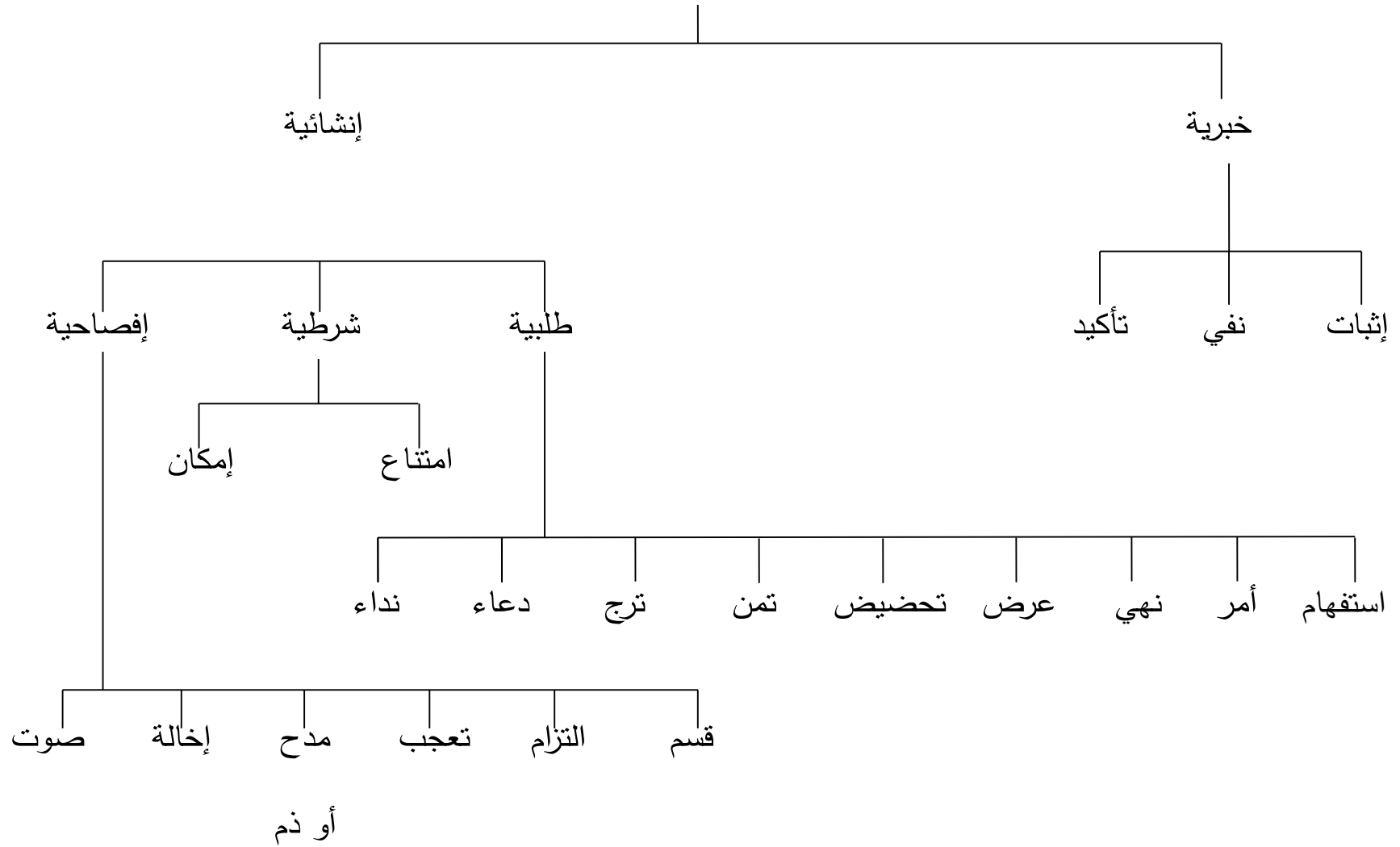
(3) ينظر: تمام حسن. مقالات في اللغة والأدب. ج 1. ص 246-247.

الظواهر الموقعية، ومادام الزمن النحوي وظيفته في السياق يؤدّيها الفعل والصفة وغيرهما، فلا بدّ أن تلعب القرائن الحالية والمقالية دورها كاملا في تحديد هذا الزمن.

وإذا كان الزمن النحوي وظيفته في السياق، فينبغي أن ننظر في هذا الأخير لنكشف عن الزمن، كما يمكن أن ننظر إلى أنواع مباني الجملة العربية، التي تنقسم إلى خبرية وإنشائية، وتحت كلّ منهما تفرّعات، على نحو ما يتّضح فيما يأتي⁽¹⁾:

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 243- 244 .

الجملة



يشير تَمَام حَسَان إلى أنّ الجملة المثبتة لصيغتي (فَعَلَ) و(يفعل) تحتفظ بزمنهما الذي أعطاه إياهما النّظام الصرفي، فيظلّ (فَعَلَ) ماضيا ويظل (يفعل) حالا أو استقبالا، بحسب ما يضافه من الأدوات كالتسين وسوف، ثم بحسب ما يعرض للزّمن في هاتين الصيغتين من معاني الجهة التي تفصح عنها اصطلاحات: البعد والقرب والانقطاع والاتصال والتجّدّد والانتهاء والاستمرار والمقاربة والشّروع والعادة والبساطة؛ أي عدم الجهة، فيكون معنى الجهة هنا معنى عدميا. ويتبيّن ذلك في (1):

| الزمن | الجهة | صيغة فَعَلَ | صيغة يفعل |
|-----------|-----------------|-------------|-----------|
| الماضي | البعيد المنقطع | كان فعل | |
| الماضي | القريب المنقطع | كان قد فعل | |
| الماضي | المتجدد | كان يفعل | |
| الماضي | المنتهي بالحاضر | قد فعل | |
| الماضي | المتصل بالحاضر | مازال يفعل | |
| الماضي | المستمر | ظل يفعل | |
| الماضي | البسيط | فعل | |
| الماضي | المقارب | كاد يفعل | |
| الماضي | الشروعي | طفق يفعل | |
| الحال | العادي | | يفعل |
| الحال | التجديدي | | يفعل |
| الحال | الاستمراري | | يفعل |
| الاستقبال | البسيط | | يفعل |
| الاستقبال | القريب | | سيفعل |
| الاستقبال | البعيد | | سوف يفعل |
| الاستقبال | الاستمراري | | سيظل يفعل |

يذهب تَمَام حَسَان إلى أنّ الاختلاف بين زمن وآخر، هو في الواقع اختلاف في الجهة (Aspect) لا في المضي والحال والاستقبال، فهناك تسع جهات مختلفة للماضي

وثلاث للحال وأربع للاستقبال، وبذلك يكون زمن الجملة الخبرية المثبتة في اللغة العربية يقع في ست عشرة صورة، يظلّ (فَعَلَ) فيها على مضيه دائماً، ويدلّ (يَفْعُلُ) فيها على الحال أو الاستقبال دائماً، وبحسب القرينة أو الضميمة. كما أنّ تعبيرات الجهة في معنى الزمن هنا، تأتي من الأدوات سواء أكانت حرفية كالسّين وقد، أم نواسخ ككان وكاد، أو يكون الزمن مصحوباً بعدم الجهة، كما في بعض حالات ورود فَعَلَ ويفعل. أما في الجملة الخبرية المؤكّدة، فيظلّ الفعلان على معناهما الزمني والصرفي، ولكن أدوات التوكيد تطرأ على الجملة على النحو الآتي⁽¹⁾:

| الزمن | الجهة | صيغة فَعَلَ | صيغة يفعل |
|----------|-----------------|----------------|----------------|
| الماضي | البعيد المنقطع | لقد كان فعل | |
| الماضي | القريب المنقطع | إنه كان قد فعل | |
| الماضي | المتجدد | لقد كان يفعل | |
| الماضي | المنتهي بالحاضر | لقد فعل | |
| الماضي | المتصل بالحاضر | إنه مازال يفعل | |
| الماضي | المستمر | لقد ظلّ يفعل | |
| الماضي | البسيط | إنه فعل | |
| الماضي | المقارب | لقد كاد يفعل | |
| الماضي | الشروعي | لقد طفق يفعل | |
| الماضي | العادي | | إنّه يفعل |
| الحال | التجددي | | إنّه يفعل |
| الحال | الاستمراري | | إنّه يفعل |
| المستقبل | البسيط | | ليفعلن |
| المستقبل | القريب | | ليفعلن |
| المستقبل | البعيد | | لسوف يفعل |
| المستقبل | الاستمرار | | لسوف يظلّ يفعل |

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص246.

يرى تمام حسان أنّ تأكيد الإثبات، يمكن أن يتم باللام فقط أو باللام مع (قد) قبل الفعل أو بوضع إنّ واسمها الضمير قبل الفعل المراد تأكيده، أو باللام قبل الفعل ونون التوكيد بعده. كما أنّ الجملة الخبرية المؤكدة والجملة الخبرية المثبتة لا فرق بينهما من حيث الزمن، وإنّما الفرق في التأكيد وعدمه. أما صيغة (الفعل)، فتظلّ دائماً للماضي، وأما صيغة يفعل فإنّها تظلّ دائماً وسيلة للتعبير عن الحال أو الاستقبال، بحسب ما تعين عليه القرائن وأما الجملة الخبرية المنفية، فإنّ الغالب فيها هو استعمال المضارع للدلالة على الماضي لأنّه هو الذي يضام أكثر أدوات النفي (لم- لَمّا- ليس- ما- لا- لن) فكلّ هذه الأدوات تأتي لنفي المضارع، ولا ينفي صيغة (فَعَلَ) منها إلّا ما، وإذا دخلت (لا) على (فَعَلَ) لم تكن للنفي وإنّما تكون للدعاء كما يمكن أن يرى من الفرق في المعنى بين: "فلا نامت أعين الجبناء" وكذلك بين قولنا: "لا فض فوك"، فإذا عرفنا ذلك يسّر تصوّر أنّ نفي الماضي لا يكون لصيغة (فَعَلَ) إلّا في حالة واحدة فقط هي نفي (قد فعل) الذي يكون (ما فَعَلَ). وأمّا فيما عدا ذلك، فنفي الماضي يتم دائماً بواسطة إدخال الأداة على صيغة (يفعل) كما يتّضح بالآلية الجدولة فيما يأتي⁽¹⁾:

| الزمن | الجهة | فَعَلَ | يفعل |
|--------|-----------------|--------|---|
| الماضي | البعيد المنقطع | | لم يكن فعل |
| الماضي | القريب المنقطع | | لم يكن قد فعل |
| الماضي | المتجدّد | | ما كان يفعل لميكن يفعل أو كان لا يفعل |
| الماضي | المنتهي بالحاضر | ما فعل | |
| الماضي | المتصل بالحاضر | | لما يفعل |
| الماضي | المستمر | | لم يفعل |
| الماضي | البسيط | | لم يفعل |
| الماضي | المقارب | | لم يكذب يفعل |
| الماضي | الشّروعي | ما فعل | |
| الحال | العادي | | ليس يفعل |

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 247-248.

| | | |
|----------|------------|--------------|
| الحال | التجدّدي | ما يفعل |
| الحال | الاستمراري | ما يفعل |
| المستقبل | البسيط | لا يفعل |
| المستقبل | القريب | لن يفعل |
| المستقبل | البعيد | ما كان ليفعل |
| المستقبل | الاستمراري | لن يفعل |

يؤكد تمام حسّان على أنّ الزّمن وظيفية في السّياق لا ترتبط بصيغة معينة دائماً، بل تختار الصّيغة التي تتوافر لها الضّمائم والقرائن التي تعين على تحميلها معنى الزّمن المعين المراد في السّياق، فلا يهمّ - إن كان الزّمن الماضي آتياً من صيغة (فَعَلَ) أو صيغة (يَفْعُلُ) ما دام يمكن التّفريق بالضّمائم والقرائن بين الأزمنة المختلفة - أن نختار من بين الصيغتين أصلحهما للدّلالة على المعنى الزّمني المراد في سياق بعينه. لذا، فإنّ الجملة الخبرية المثبتة والمؤكّدة لا فرق فيها بين دلالة الصيغة على الزّمن في نظام الحرف وبين هذه الدّلالة في السّياق. أمّا في الجملة الخبرية المنفية، فاتّضح أن أكثر ما يكون نفي الماضي إنّما يكون بواسطة المضارع.

إنّ الجملة الاستفهامية هي الوحيدة بين الجمل الانشائية التي تتوافق فيها دلالة الصّيغة صرفياً ونحوياً على طول الخطّ، فيدلّ فيها فَعَلَ على الماضي، ويدلّ يفعل على الحال أو الاستقبال بحسب الضّمائم والقرائن على نحو ما يبدو في الاستفهام في حيّز الإثبات على نحو ما ضبطه تمام حسّان بألية الجدولة فيما يأتي(1):

| الزمن | الجهة | صيغة فَعَلَ | يفعل |
|--------|-----------------|----------------|------|
| الماضي | البعيد المنقطع | هل كان فعل؟ | |
| الماضي | القريب المنقطع | هل كان قد فعل؟ | |
| الماضي | المتجدّد | هل كان يفعل؟ | |
| الماضي | المنتهي بالحاضر | أقد فعل؟ | |

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 248 - 249.

| | | | |
|-------------|---------------|----------------|-----------|
| | أما زال يفعل؟ | المتصل بالحاضر | الماضي |
| | هل ظل يفعل؟ | المستمر | الماضي |
| | هل فعل؟ | البسيط | الماضي |
| | هل كاد يفعل؟ | المقارب | الماضي |
| | هل طفق يفعل؟ | الشروعي | الماضي |
| هل يفعل؟ | | العادي | الحال |
| هل يفعل؟ | | التجددي | الحال |
| هل يفعل؟ | | الاستمراري | الحال |
| هل يفعل؟ | | البسيط | الاستقبال |
| أسيفعل؟ | | القريب | الاستقبال |
| أسوف يفعل؟ | | البعيد | الاستقبال |
| أسيظل يفعل؟ | | الاستمراري | الاستقبال |

بنيت الجملة الاستفهامية هنا على الإثبات؛ فقد اتخذت الجملة المثبتة نقطة ابتداء لها فكثر فيها استعمال (هل) لأنها تدخل على الفعل، وقلّ فيها استعمال الهمزة لأنها تدخل على الأداة كالسين وقد وما. ومن الاستفهام ما يبني على جملة النفي، فيكون للإنكار ونحوه، وتكون الأداة فيه هي الهمزة كما يوضحه تمام حسان بألية الجدولة فيما يأتي⁽¹⁾:

| الزمن | الجهة | فَعَل | يفعل |
|--------|-----------------|-----------|----------------|
| الماضي | البعيد المنقطع | | ألم يكن فعل |
| الماضي | القريب المنقطع | | ألم يكن قد فعل |
| الماضي | المتجدد | | ألم يكن يفعل |
| الماضي | المنتهي بالحاضر | أما فَعَل | |
| الماضي | المتصل بالحاضر | | ألما يفعل |
| الماضي | المستمر | | ألم يفعل |
| الماضي | البسيط | | ألم يفعل |

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 249-250.

| | | | |
|---------------|--|------------|-----------|
| ألم يكذب يفعل | | المقارب | الماضي |
| أليس يفعل | | الشروعي | الماضي |
| أما يفعل | | العادي | الحال |
| أما يفعل | | التجديدي | الحال |
| أما يفعل | | الاستمراري | الحال |
| ألا يفعل | | البسيط | الاستقبال |
| ألن يفعل | | القريب | الاستقبال |
| ألن يفعل | | البعيد | الاستقبال |
| ألن يفعل | | الاستمراري | الاستقبال |

يرى تمام حسان أنّ الاستفهام سواء من جملة الإثبات أو جملة النفي يتم بوضع الأداة قبلها، ويبقى كلّ من الجملتين بعد أن توضع الأداة على حاله التي كان عليها قبل وضع الأداة، وذلك من حيث الدلالة الزمنية وتوزيع الصيغ عليها.

وجمل الإنشاء فيما عدا الاستفهام قاصرة على إفادة الحال أو الاستقبال بحسب القرائن، ولا دلالة على الماضي، فالحال أو الاستقبال هما معنى الأمر بالصيغة، والأمر باللام والنهي والعرض والتّحضيض والتّمني والترجي والدّعاء والشّروط. ورغم انعدام الماضي في معنى هذه الجمل، إلّا أنّنا نجد صيغة فعل تستعمل باطراد لتدلّ على الحال أو الاستعمال في التّحضيض نحو: "هلا فعلت"، وفي التّمني نحو: "تمنيت أنّ لو قد حدث كذا" غير أنّ (فعل) بعد ليت ربّما دلّ على زمن ماضٍ، نحو: "ليته فعل كذا"، كما يدلّ (فعل) (عسى) في التّرجي على الحال أو الاستقبال، ويدلّ (فعل) أيضا في الدّعاء على الحال أو الاستقبال نحو: "رحم الله فلانا"، كما يدلّ (فعل) في جملة الشّروط على الحال أو الاستقبال بحسب القرينة، نحو: "إن قام زيد الآن قمت، إن قام زيد غدا قمت، إن يقوم زيد الآن أقم، إن يقوم زيد غدا أقم. ويوضّح تمام حسان ذلك في الجدول الآتي⁽¹⁾:

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 250-252.

| نوع الجملة | الزمن | الجهة | فعل | يفعل | افعل |
|--------------|-----------|------------|-------------------|------------------|-------------|
| أمر | الحال | كلّ الجهات | | | افعل (الآن) |
| بالصيغة | الاستقبال | كلّ الجهات | | | افعل (غدا) |
| الأمر باللام | الحال | كلّ الجهات | | ليفعل (الآن) | |
| | الاستقبال | كلّ الجهات | | ليفعل (غدا) | |
| النهي | الحال | كلّ الجهات | | لا تفعل (الآن) | |
| | الاستقبال | كلّ الجهات | | لا تفعل (غدا) | |
| العرض | الحال | كلّ الجهات | | ألا تفعل (غدا) | |
| | الاستقبال | كلّ الجهات | | ألا تفعل (غدا) | |
| التحضيض | الحال | كلّ الجهات | هلاً فعلت (الآن) | | |
| | الاستقبال | كلّ الجهات | هلاً فعلت (غدا) | | |
| التمني | الحال | كلّ الجهات | تمنيت أن | أتمنأن ... | |
| | الاستقبال | كلّ الجهات | تمنيت أن | أتمنى أن ... | |
| الترجي | الحال | كلّ الجهات | عساه يفعل (الآن) | لعله يفعل (الآن) | |
| | الاستقبال | كلّ الجهات | عساه يفعل (غدا) | لعله يفعل (غدا) | |
| الدعاء | الحال | كلّ الجهات | رحمه الله | يرحمه الله | اللهم رحمه |
| | الاستقبال | كلّ الجهات | رحمه الله | يرحمه الله | اللهم ارحمه |
| الشّروط | الحال | كلّ الجهات | إن قام زيد (الآن) | إن يقيم زيد الآن | |
| | الاستقبال | كلّ الجهات | إن قام زيد (غدا) | إن يقيم زيد غدا | |

يرى تمام حسّان أنّ معنى الماضيّ، قد يطرأ على التحضيض والتمني بواسطة التّواسخ، فيكون الزمن هنا وظيفة النّاسخ أكثر ممّا هو وظيفة سياق التحضيض أو التّمني وذلك نحو: هلاً كنت قد فعلت!

ينفي تمام حسّان عن الصّفات والمصادر الدّلالة الصّرفية على الزمن، كما يدلّ الفعل؛ أي أنّ النّظام الزمني في الصّرف يأخذ في اعتباره الأفعال دون الصّفات والمصادر، أما في الاستعمال، فإنّ القرائن الحالية والمقالية تضيف إلى الصّفات والمصادر معاني جديدة لم تكن لها في الصّرف، إذ يمكن للصّفات والمصادر أن تكون أحياناً من قبيل

المسند إليه وأحيانا أخرى من قبيل المسند، وقد تأتي من قبيل المتعدّي، وتارة من قبيل المفعول به الذي يتعدّى المتعدّي إليه، وأحيانا حالا أو نعتا، وهي رغم هذا التقلب، تبقى الصفات صفات والمصادر مصادر.

يؤكد تمام حسان على أنّ الأزمنة في اللغة العربية الفصحى ثلاثة، ولكنها تتفرّع عند اعتبار الجهة إلى ستة عشر زمنا نحويا⁽¹⁾.

تظهر الفروق الزمنية الدقيقة في الجمل الخبرية الثلاث (الإثبات والنفي والتأكيد) وتظهر كذلك في جملة الاستفهام من الجمل الإنشائية. فهذه الجمل تشتمل على الزمن الماضي معبرا عنه بصيغة فعل أو صيغة يفعل، كما تشتمل على الحال والاستقبال، كما أنّ استعمال صيغة يفعل للدلالة على الماضي مقصور على أسلوب النفي سواء أكان هذا النفي في الخبر أم في الاستفهام، وتستعمل أيضا بمعنى الحال أو الاستقبال ويكون في التّحضيض والتّمني والتّرجي والدّعاء والشرط.

يشير تمام حسان إلى أنّ تعبيرات الجهة تأتي بواسطة إضافة الأدوات الحرفية والنّواسخ إلى الأفعال، مثل قد، السين، سوف، اللام، ونون التّوكيد وما ولا ولم ولما ولن وإنّ وأخواتها وكان وأخواتها وكاد وأخواتها، فهذه كلّها عناصر لإفادة الجهة المحدّدة لمعنى الزمن.

أما الظروف الزمانية وما دلّ على معناها من الأسماء ونحوها، فهي تخصّص الزمن النحوي عن طريق معنى الاحتواء للحدث الواحد، أو معنى الاقتران للحدثين، وذلك عندما يعبر بالصيغة الواحدة عن أزمنة مختلفة كالحال والاستقبال فيدل (الآن) مثلا على الحال.

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص256.

يؤكد تمام حسان على أنّ فهم الزّمن النحوي لا يمكن دون اعتبار فكرة الجهة، التي تُعدُّ نوعاً من تخصيص الدلالة في الفعل ونحوه⁽¹⁾، فالجهة تقوم بوظيفة تخصيص المعنى، وهذا المعنى المخصّص إما أن يكون الحدث وإما أن يكون الزمن، فأما مخصّصات الحدث فهي المنصوبات، أما مخصّصات الزّمن فهي النواسخ والأدوات والظروف والمجرورات وبهذه المزوجة بين الزمن والجهة يصبح الزّمن وظيفية السّياق بعد أن جعله النّحاة وظيفية الصيغة، وهكذا يمكن لنا أن نفرق بالزّمن بين تركيب مثل: كان فعل وكان قد فعل وكان يفعل وقد فعل ومازال يفعل وظل يفعل وفعل وكاد يفعل وطفق يفعل ويفعل وسوف يفعل وسيفعل ويفعل وسيظل يفعل⁽²⁾.

إنّ الجهات التي تفيد تخصيص معنى الحدث دون نظر إلى إسناده يتم التعبير عنها بواسطة عناصر صرفية في المبنى كالتّضعيف، لإفادة المبالغة نحو: كَسَّرَ، والتّكرار لإفادة معناه نحو: زَلَّزَلَ. وفيما يأتي طائفة من هذه التعبيرات عن الجهة⁽³⁾:

| المثال | المبنى | الجهة |
|---------|--------------|-------------|
| أكرم | الهمزة | التّعدية |
| كرم | التّضعيف | التّعدية |
| زلزل | تكرار المبنى | تكرار الحدث |
| تقاتلا | تاء التفاعل | المشاركة |
| استخرج | السين والتاء | الطلب |
| انكسر | نون الانفعال | المطاوعة |
| اختر | تاء الافتعال | الأتخاذ |
| تشجع | تاء التّفعل | التّكاف |
| اقتتلوا | تاء الافتعال | التّبادل |

(1) ينظر: تمام حسان. (تعليم النّحو بين النّظرية والتّطبيق). مقالات في اللغة والأدب. ج.1. ص80.

(2) ينظر: تمام حسان. (وحدة البنية واختلاف التّمادج). مقالات في اللغة والأدب. ج.1. ص268.

(3) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص258-259.

يرى تمام حسّان أنّ جهات تقييد علاقة الإسناد ليست مسلّطة على الزّمن، ولا على الحدث في إفادتها التّقييد وإنّما هي قيود في الإسناد، ويوضّح ذلك بآلية التّمثيل على النحو الآتي(1):

| المثال | الباب | المبنى | الجهة |
|----------------------|----------------|-----------------------------------|------------------|
| ضرب زيد عمرا | المفعول به | الاسم المنصوب مطلقا | التّعديّة |
| جئت رغبة في رؤيتك | المفعول لأجله | المصدر المنصوب | السّببية |
| سرت و النيل | المفعول معه | الاسم المنصوب بعد الواو | المعية |
| جلست حيث جلس زيد | المفعول فيه | ظرف المكان | الظرفية المكانية |
| قمت قياما | المفعول المطلق | المصدر المنصوب | التّقوية |
| جئت ماشيا | الحال | الوصف المنصوب | الملايسة |
| قام الناس إلا زيدا | المستثنى | الاسم إلا ونحوها | الإخراج |
| اشتريت قنطارا قطنا | التّمييز | الاسم الجامد منصوبا أو مجرورا بمن | التّفسير |
| نحن العرب نكرم الضيف | المختص | الاسم المنصوب بعد ضمير المتكلم | الخلاف |
| مشيت على الرصيف | حرف النسبة | على | الاستعلاء |
| ضربته بالعصا | حرف النسبة | الباء | الواسطة |
| عدّ عن ذا | حرف النسبة | عن | المجاورة |

وبآلية تلخيص ما ورد مفصّلا بآلية الجدولة يشير تمام حسّان إلى أنّ الجهات تقع في ثلاثة أنواع هي(2):

- 1- جهات في فهم معنى الزّمن ومنها ظروف الزّمان وبعض الأدوات والنّواسخ.
- 2- جهات في فهم معنى الحدث ومنها المعاني المنسوبة إلى حروف الزّيادة في الصّيغ.
- 3- جهات في فهم معنى علاقة الإسناد ومنها ظروف المكان والمنصوبات وحروف الجر.

يرى امحمد المّلاخ أنّ التّقسيم الذي افترضه تمام حسّان بين الزّمن الصّرفي والزّمن النّحوي «لا يستند إلى أسس نظرية واضحة، كما أنّ حدود التّوافق أو اللاتّوافق بين الزّمنين ملتبسة في

(1) ينظر: تمام حسّان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 259- 260 .

(2) ينظر: تمام حسّان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 259- 260 .

التصوّر الذي يقترحه. [و] أنّه بالإمكان اشتقاق هذا التّمييز داخل أجهزة نظرية تمثيلية في إطار نظريات تبني التّفاعّل بين مستويات النّحو ووجائمه بطريقة نسقية (المستوى الصّرفي - تركيبى والمستوى التّركيبى أو الدّلالى)«(1).

(1) امحمد الملاح. الزّمن في اللّغة العربيّة بنياته التّركيبية والدّلالية. دار الأمان. الرباط. ص47.

الفصل الرَّابِع:

جهد تمام حسن وآليات تيسيره للدرسين

المعجمي والدّاللي

تدرس مفردات لغة ما من حيث المبنى والمعنى، وتحلّل بالتركيز على دلالتها المعجمية لتصنّف استعدادا لعمل معجم في إطار علم يسمّى: علم المعاجم بشقيه النظري والتطبيقي؛ وهو فرع من فروع علم اللّغة المعاصر⁽¹⁾. وهو سليل العلم الذي يدرس المستوى الدلالي مركزا على المعنى. وقد تعدّدت تسميات هذا العلم، ويورد تَمَام حَسَان بعضا منها نحو: علم الدلالة، علم المعنى، وعلم السيمانتيك؛ وهو فرع من فروع الدّراسات التي تناولها بالبحث أنواع من العلماء، تختلف موضوعاتهم؛ كالفلاسفة، وعلماء النفس، واللّغويين وغيرهم. ورغم تعدّد التّسميات وتوّع وجهات النّظر إلّا أنّ علم الدلالة استطاع أن يشقّ طريقه في التطوّر، خاصّة علم الدلالة الوصفي الذي يدرس المعنى الثّابت في مرحلة معيّنة من مراحل تاريخ اللّغة، وهو القسم الثّاني لعلم الدلالة التاريخي الذي يدرس المعنى المتغيّر من عصر إلى عصر⁽²⁾.

إنّ الموضوع الأساس لعلم الدلالة هو المعنى، «ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنّسبة للغة حتّى قال بعضهم إنّه بدون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة، وعرّف بعضهم اللّغة بأنّها: معنى موضوع في صوت»⁽³⁾.

أولى تَمَام حَسَان المعنى عناية فائقة، فقد أرففه بالمبنى، وخصّه بالدّراسة في كتابه اللّغة العربية معناها ومبناها - كما سبقت الإشارة إليه - والذي «يقف وحيدا في مجال تطبيق النظرية اللّغوية الحديثة على اللّغة العربية، [و] هو محاولة التّطبيق الوحيدة التي أسفر عنها الاتّجاه الوصفي»⁽⁴⁾، وفيه يظهر تأثر مؤلّفه بنظرية السّياق التي وطّد معالمها

(1) للاستزادة ينظر: حلمي خليل. مقدّمة لدراسة التّراث المعجمي العربي. ط1. دار التّهضة العربية. بيروت. 1997. ص13.

(2) ينظر: تَمَام حَسَان. مناهج البحث في اللّغة. ص274.

(3) أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ط5. عالم الكتب. 1998. ص05.

(4) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة النبوي. ص219.

أستاذه فيرث، انطلاقاً من حديثه عن اجتماعية اللغة وإشادته بالمعنى⁽¹⁾. وهذا ما صرّح به تَمَام حَسَان نفسه في أكثر من موضع، وأكّده حليلة عمايرة - وغيرها من الدارسين - كما سبق ذكره بشيء من الإيجاز، وسيأتي تفصيله بعد الحديث عن منهج تَمَام حَسَان في المعجم وتأثره بنظرية بلومفيلد.

أولاً- المعجم عند تَمَام حَسَان:

رغم أنّ تَمَام حَسَان لم يذكر تأثره بنظرية بلومفيلد في عدّ المعجم ممثلاً للشذوذ، وحداته المعجمية قائمة من الشّواذ الأساسية، إلاّ أنّ طرحه المتكرّر للسؤال الآتي: المعجم، أنظام هو أم رصيد من المفردات؟ يَنبَغ عن تبنيّه الأفكار سالفة الذكر في بادئ الأمر، وهذا ما صرّح به في كتابه: اللغة العربية معناها ومبناها، من خلال النّظر في مدى تحقّق الأمور الثلاثة في المعجم كما هي محقّقة في باقي أنظمة اللغة، واستنتج ما يأتي:

- غياب العلاقات العضوية والقيم الخلافية بين كلمات المعجم.
- عدم صلاحية المعجم لأن يوضع في شكل جدول.
- إمكانية اقتراض المعجم للكلمات المفردة من لغة إلى أخرى؛ كاستعارة السّكر من السنسكريتية والدينار من الإغريقية وغيرها⁽²⁾.

تجدد الإشارة إلى أنّ تَمَام حَسَان عدل عن هذه الأفكار بعد ذلك في مختلف مؤلّفاته؛ ليتبنّى فكرة أنّ محتويات المعجم مترابطة بعلاقات وثيقة يقوم المعنى على أساس

(1) ينظر: حليلة عمايرة. الاتجاهات النّحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة). ط1. دار وائل. الأردن. 2006م. ص44-45.

(2) للاستزادة يُنظر: تَمَام حَسَان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص312 وما بعدها.

الاعتراف بها، مبرراً تغيير نظرتة إلى طبيعة المعجم من كونه رصيذا من المفردات إلى كونه نظاما من أنظمة اللّغة بالعلاقات المبيّنة فيما يأتي(1):

- ترابط المفردات عن طريق أصول الاشتقاق.
- التّمايز بواسطة الصّيغة الصّرفية للكلمات.
- بيان معاني الكلمات بواسطة هذين المحورين.
- النّظر إلى أصل وضع الكلمات لبيان الأصلي وغير الأصلي من المعاني.
- أثر المسموع في بيان الأصلي من غيره.
- أثر الحقول المعجمية في تكوين السّياق.
- المناسبة المعجمية بين ألفاظ من حقل وأخرى من حقل آخر.
- أثر فكرة النّقل في مرونة النّظام المعجمي.

وبعد التّفصيل في بيان هذه العلاقات، يؤكّد تَمَام حَسَان أنّ المعجم نظام على غرار باقي الأنظمة الأخرى، يقوم على علاقات جامعة وأخرى فارقة، وتبدو هذه الأخيرة بنوعيتها من خلال الحقول المعجمية والاستصحاب للأصل والعدول عنه. وأنّ نفي النّظام عن المعجم من شأنه أن يصعّب على مستعمله إيجاد معنى كلمة لصعوبة تحديد مكانها بين مداخل ألفاظه(2).

ثانيا - المعجم بين اللّغة والكلام:

ينطلق تَمَام حَسَان من أنّ اللّغة نظام أكبر ممّا يندرج تحتها من أنظمة فرعية: النّظام الصّوتي، النّظام الصّرفي، النّظام النّحوي، النّظام الدلالي، النّظام المعجمي. وبعدها نظاما أكبر لا بدّ أن تكون صامتة؛ لأنّ النّظام لا ينطق ولكن الذي ينطق هو الكلام في إطار هذا النّظام. والمعجم جزء من اللّغة لا من الكلام، ومحتوياته الكلمات

(1) يُنظر: تَمَام حَسَان. اجتهادات لغوية. ص338.

(2) للاستزادة يُنظر: تَمَام حَسَان. مقالات في اللّغة والأدب. ج2. ص87. حصاد السّنين من حقول العربية. ص32.

المختزنة في ذهن المجتمع أو المقيدة بين جلدي المعجم، وهي ذات طبيعة صامتة في كلتا الحالتين، ومن هنا يكون المعجم صامتا صمت اللّغة، ويكون ذلك منسجما مع كونه جزءا من اللّغة، وحين يتكلم الفرد فإنّه يغرف من هذا المنبع الصّامت، فيُصير الكلمات الصّامتة ألفاظا منطوقة، ويصوغها بحسب الأنظمة اللّغوية⁽¹⁾. وعلى هذا الأساس يتضح أنّ تَمَام حَسَّان قد اقتنع بفكرة أنّ المعجم نظام وليس قائمة، وأنّ ما هو ذهني (كلام) لا يمكنه أن يدرك في شكل نظام، وهذا خلافا لما يراه كثير من الباحثين، الذين يعدّون المعجم ما يمتلكه الفرد من معان ذهنية اتفقت عليها الجماعة اللّسانية.

يخالف محمد صلاح الدّين الشّريف تَمَام حَسَّان في عدّه للمعجم من اللّغة لا من الكلام، قائلا: «إنّ المعجم عندي من الكلام لا من اللّغة... وهو لا يكون نظاما لأنّه من الكلام»⁽²⁾.

والرأي ما رآه تَمَام حَسَّان بعد عدوله عن فكرة كون المعجم قائمة من المفردات، وعدّه نظاما لغويا صامتا صمت اللّغة لا ينطق، ولكن الذي ينطق هو الكلام في إطار هذا النّظام، لأنّ «كلمات المعجم العربي ليست جزءا من الكلام، ونعني بالكلام التراكيب الشّخصية المستقلّة، التي يستمدّها الفرد من اللّغة»⁽³⁾.

ثالثا - تأثر تَمَام حَسَّان بنظرية بلومفيلد في المعجم:

إنّ رياح الفكر اللّغوي الحديث هبّت أيضا على المعجم كما هبّت على النّحو كما سبق ذكره، ويظهر ذلك في تأثر تَمَام حَسَّان في موقفه الأوّل من المعجم بنظرية اللّساني الأمريكي ليونار بلومفيلد في كتابه اللّغة (Language) الصّادر سنة 1933م. فهذا الأخير هو أوّل من عدّ المعجم - مقارنة ببقية نظم اللّغة الصّوتية والصّرفية والنّحوية - ممثّلا للشّدوذ والاستعمالات

(1) للاستزادة يُنظر: تَمَام حَسَّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 316 وما بعدها.

(2) أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ط 5. عالم الكتب. 1998. ص 05.

(3) محمد رشاد الحمزاوي. من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا. ط 1. دار الغرب الإسلامي. 1986. ص 157.

الخاصة في اللغة. فقد تحدّث عمّا هو قياسي، وما هو شاذ من صيغ لغة ما؛ فالقياسي هو ما استطاع متكلم اللغة أن يستعمله أو أن يعرفه دون أن يكون قد سمعه من قبل مثل صيغ اسم الفاعل واسم المفعول في العربية، وذلك لخضوعه لقاعدة تسهل على المتكلم القياس على غيره من مكونات الجدول الذي ينتمي إليه، وهذه خاصية غالبية في تكوين الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية. أمّا الشاذ فهو ما لا يمكن لمكلم اللغة نفسه أن يستعمله أو أن يعرفه إلا إذا سمعه من غيره من متكلمي اللغة ذاتها، وذلك لعدم خضوعه للقاعدة فلا يمكن للمكلم أن يستعمله قياساً على نظائره لأنّه لا نظير له، أو لأنّه ذو نظائر قليلة تشدّد عن القاعدة العامّة، وهذه خاصية المفردات أو وحدات المعجم؛ فكلّ وحدة معجمية شذوذ، والمعجم هو قائمة من الشواذ الأساسية؛ أي أنّه مجموعة من الاستعمالات الخاصة لأنّ الدلالات التي تُقيد بها عناصر القائمة، أي الوحدات المكوّنة لها، قد أسندت إليها بحكم العرف الاعتباطي؛ لأنّ الدال وهو الوجه الممثل للشكل أو للصيغة في الدليل اللغوي، مجرد رمز لغوي يرجع إلى ما يوجد خارج اللغة؛ أي أنّ إسناد الدلالة إلى الوحدة المعجمية يكون بحكم عرف اعتباطي، وهذا ملمح من ملامح تأثر بلومفيلد وغيره كهاريس باعتباطية الدليل اللغوي عند دي سوسير⁽¹⁾، هذا الأخير الذي ينظر إلى المعجم على أنّه قائمة من المفردات تفتقد لسمة النسقية، بدليل أنّ الكلمة لا تتوافر على معنى خاص، لأنّ معانيها تتعدّد وتتنوّع بتنوّع الاستعمالات؛ فكلمة عين تعني عين الماء وعين الحسود ومجازاً عين اللهوغيرها من المعاني التي يكون فيها السياق هو الحكم الفاصل⁽²⁾. ويرى بلومفيلد أيضاً أنّ المعجم ذيل للنحو، فهو تابع له، غير مستقل، وليس بذي بنية أو نظام خاصين به داخل بنية اللغة أو نظامها⁽³⁾.

(1) يُنظر: إبراهيم بن مراد. مقدّمة لنظرية المعجم. ص10 وما بعدها.

(2) يُنظر: حسن حمائز. التّظهير المعجمي والتّثمية المعجمية في اللّسانيات المعاصرة مفاهيم ونماذج تمثيلية. ط1. عالم الكتب الحديث. الأردن. 2012م. ص11.

(3) يُنظر: Bloomfield. Language. P273-277 نقلاً عن: إبراهيم بن مراد. مقدّمة لنظرية المعجم. ص10 وما بعدها.

رابعاً - علاقة المعجم بالعلوم الأخرى عند تَمَام حَسَان:

I-علاقة المعجم بالجراماتيكا: يجمع علم الجراماتيكا القواعد الفونولوجية والمورفولوجية والتركيبية والدلالية، ويرى تَمَام حَسَان أن المعجم والجراماتيكا متداخلان ومتكاملان، وتكاملهما ناتج عن كونهما طريقتان لتناول المعنى من جهتي نظر مختلفتين؛ فالمعجم قَمّة الجراماتيكا وتاجها، فجزء معنى (راح) أنّها ليست (لاح)، ولا (ناح)، ولا (فاح)، ولا (ساح)، وهذا الجزء السَلبي الخلافي من المعنى. فإدراك كون الكلمة اسماً أو فعلاً أو ضميراً أو حرفاً هو أحد عناصر الوضوح الصّرفي. ويؤكد تَمَام حَسَان العلاقة الكامنة بين المعجم وعلم الصّرف، فيرى أنّ الأجدى أن يعدل الصّرفيون عن طريقتهم إلى طريقة المعجميين في جعل دراسة الاشتقاق في إطار علم الصّرف حسبة لوجه علم المعجم، فيصبح الاشتقاق دراسة صرفية مسوقة لخدمة المعجم⁽¹⁾. ويرى أنّ النّحو أكثر الدّراسات الجراماتيكية أهميّة؛ لأنّه يدرس الكلام التّام كوحدة مترابطة، فإذا انتهت الدراسات الجراماتيكية للمعنى، بدأت دراسة المعجم للكلمة، ثم تبدأ دراسة المعنى الدلالي الاجتماعي في ماجرياته^(*) الخاصّة⁽²⁾.

إنّ ربط تَمَام حَسَان للمعجم بالجراماتيكا هو صدى لتأثره بأفكار كاتز (Katz) وفودور (Fodor) الرائدة، التي قادت إلى دمج مناهج علم الدلالة عامّة مع مناهج النّحو «داخل إطار القواعد التحويلية، وتوسّعت اهتمامات هذا العلم لتشمل التراكيب وتحليل الجمل ببيان علاقات كلماتها بعضها ببعض، وإظهار كيفية ارتباط الجمل منطقياً بالجمل الأخرى»⁽³⁾.

(1) ينظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 169.

(*) الماجريات مصطلح فيرثي يعني الطّروف المحيطة بالنّص.

(2) يُنظر: تَمَام حَسَان. مناهج البحث في اللّغة. ص 267-268.

(3) أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ص 06.

II- علاقة المعجم بعلم المعاني: يشير تَمَام حَسَان إلى أنّ علاقة المعجم بعلم المعاني

تكمّن في أنّ التّفريق بين الحقيقة والمجاز من موضوعات الثّاني منهما، والمناسبة المعجمية منشأ الحقيقة، في حين أنّ المفارقة المعجمية منشأ المجاز، وشرطه وجود العلاقة والقرينة⁽¹⁾.

III- علاقة المعجم بعلم البيان: يذهب تَمَام حَسَان إلى أنّ معنى لفظ البيان

هو الشّرح والإيضاح، وعليه فهو يذكّرنا بأنّ عمل المعاجم هو بيان دلالة الألفاظ واختلاف هذه الدّلالة بحسب الاستعمال. وعلم البيان وهو فرع من فروع علم البلاغة يصلح أن يكون أساساً نظرياً لبناء علم خاص بدراسة المعجم نظرياً وعملياً يسمى علم المعجم؛ أمّا نظرياً فإنّ هذا العلم يمكن أن يشرح لنا كيفية وضع الكلمات وهي رموز للمعاني، فيتناول الاشتقاق والتّعريب والنّحت والتّوليد وغير ذلك من الأمور التي يبنّيها فقه اللّغة، والتي يمكن للكلمة العربية أن تبنى على أساسها، ويشرح القيمة العرفية لدلالة الكلمة مبيناً الفرق بين العرف الخاص والعرف العام في معنى الكلمات، ويشرح لنا طبيعة المعنى المعجمي وتعدّده واحتماله، والفرق بين بينه وبين المعنى الوظيفي والمعنى الدلالي، ويشرح المقصود بالكلمة انطلاقاً من حدودها الشّكلية كتحديد بداية الكلمة العربية ونهايتها، ومتى تعدّ كلمة مستقلة أو جزء كلمة، وما هي الدّلالات الاستعمالية لهذه الكلمة بين الحقيقة والمجاز، مع تبيان وجود المعنى المعجمي في المعجم وتبرير ذلك، ويتناول مباحث نظرية بيانية أخرى لا غنى للمعجم عنها.

أمّا عملياً فيشرح لنا أفضل منهج لوضع المعاجم بالتركيز على الغاية الأساسية من كتابة المعاجم، وما يتوقّعه مستعمل المعجم في كشفه عن كلمة، وهنا يتطرّق إلى الصّلة بين المعجم ومختلف العلوم: الصّوتيات، الصّرف، النّحو. ومن هنا يؤكّد على أنّ علم البيان أكثر صلة بالدراسة المعجمية منه بالقواعد التي تبحث في المعاني الوظيفية؛ ذلك أنّ مجال علم البيان كمجال المعاجم يتلخّص في النّظر في العلاقة الكامنة بين الكلمة

(1) ينظر: تَمَام حَسَان. خواطر من تأمل لغة القرآن. ص93.

ومدلولها، فعلم البيان يتّجه إلى دراسة اللَّفظ في دلالاته على معناه العرفي، أو للدلالة على بعض معناه، ولهذا يعدّ تَمَام حَسَان علم البيان قَمّة علم المعجم، لكون الأوّل منهما النظرية الوحيدة التي تصلح نواة لغرس علم جديد في تربة الثقافة العربية يسمّى علم المعجم (Lexicology)، وهذا الأخير يتناول بالدراسة والتّحليل والنّقد والتّاريخ والمقارنة المناهج التي استخدمها المعجميون العرب في جمع معاجمهم، موصيا بأحسن ما وصلت إليها مختلف المناهج العلمية⁽¹⁾.

خُصّ تَمَام حَسَان إلى أنّ علم البيان العربي قَمّة علم المعاجم، ولكن محمد صلاح الدّين الشريف يرى أنّ «رأيه هذا يحتاج إلى مراجعة ونظر، ذلك أنّه لم يوضّح كما ينبغي التّوضيح كيف يمكن لعام البيان أن يتّأسر علما للمعجم. وقد اكتفى بعرض اقتراحه دون تطبيق، باستثناء ما ذكره من أمر تحوّل بعض الكلمات من معنى حقيقي إلى معنى مجازي... ولنا سبب آخر يجعلنا نتردّد في قبول فكرته، فالمجاز من نتائج التّركيب التّحوي. فإذا كان الأمر كذلك فهو أقرب إلى التّحو منه إلى المعجم. ولا أظنّ أنّ علم البيان المحتاج إلى التّحو... بقادر على تطوير علم في المعاجم»⁽²⁾.

إنّ الجدير بالذّكر هو أنّ تَمَام حَسَان لم يبّخس أيّ مستوى حقّه في علاقته بما قبله وما بعده من مستويات التّحليل اللّغوي، فقد سلّط الضّوء على علاقة المعجم بمختلف العلوم كالصّرف والنّحو والمعاني والبيان، وجعل الأخير منهم فرشا وقمّة لعلم المعاجم؛ وهو مصيب في ذلك لأنّ حسن استثمار آليات المجاز يساعد على التّوليد المصطلحي كما يرى خالد اليعبودي إذ يقول: «لا أظنّ أحداً يماري بعصرنا الرّاهن في تقرير فيض منبع المجاز، فبفضله تتمكّن اللّغة من تمثّل حقول مفهومية مستحدثة، فتعيد تنظيم مجالاتها الدلالية دون أدنى تغيير يلحق ببنيات ألفاظها... وممّا يُظهر ثراء الإجراء

(1) ينظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 19-20-319. الأصول. ص 349.

(2) محمد صلاح الدين الشريف. (النظام اللّغوي بين الشّكل والمعنى من خلال كتاب تَمَام حَسَان اللّغة العربية معناها ومبناها). مجلة حوليات الجامعة التونسية. ص 224-225.

المجازي في اشتقاق المعاني عرض دلالات الفعل "ضَرَبَ" الحقيقية منها والمجازية، فإذا تحدّد المعنى الوضعي لهذا الفعل في: الصّدم أو الإصابة بعصا أو غيرها، فإنّ معانيه المجازية ناهزت الأربعين معنى»⁽¹⁾.

يعدّ المجاز مبحثاً خصبا لعلم الدلالة عامّة، وعلم المعاجم خاصّة، «إذ فيه تتجلى مرونة النّظام اللّغوي وانفتاحه على كلّ تغير للمعنى، وهو ما يؤكّد من جانب آخر على مطاوعة اللّغة لأساليب التّعبير التي يفرضها الموقف، ويتمّ في صلب النّظام اللّغوي استحداث أنظمة إبلاغية جديدة تحافظ على نقل الرّسالة الإبلاغية، وهي غاية ما يرمي إليه أيّ نظام لغوي»⁽²⁾.

خامسا - مآخذ المعجم العربي في نظر تَمَام حَسَّان:

يعترف تَمَام حَسَّان بقصّب السّبق للعرب في النّشاط المعجمي؛ إذ أنّهم من أوّل الأمم اهتماما بالمعاجم، ولم يسبقهم إلّا الصّينيون، إلّا أنّه وبآلية نقد المعاجم العربية؛ يرى أنّها تعاني بعض نقاط الضّعف الآتية⁽³⁾:

- 1- بناء المداخل على ترتيب المواد الاشتقاقية وليس على ترتيب الكلمات، ممّا يفرض على مستعمل المعجم معرفة قواعد الصّرف والإملاء.
- 2- إهمال الإشارة إلى علاقة اللفظ بالاستعمال، فلا تنصّ على الغريب والدّخيل والمهجور.

3- الإغفال التّام لتطوّر الدلالة، وتطوّر بنية الكلمة.

(1) خالد اليعبودي. آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللّسانية الثّنائية والمتعدّدة اللّغات. ط1. دار ما بعد الحداثة. فاس. 2006م. ص 112-113.

(2) عبد الجليل منقور. علم الدلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربي. إتحاد الكتاب العربي. دمشق. 2001م. ص 75.

(3) يُنظر: تَمَام حَسَّان. مقالات في اللّغة والأدب. ج1. ص 467-468.

أ- وجود عيوب في شرح الكلمات في المعجم، أهمها: عدم ضبط بنية الكلمة بالشكل، فيترك المجال للتحريف.

ب- عدم النَّص على قيود التَّوارد المعجمية للكلمة.

ت- عدم بيان المعاني الاصطلاحية الفنيَّة للكلمة في مختلف الفروع غالباً.

ث- اتِّكال المعجم أحياناً على معلومات القارئ، فيشرح الكلمة بقوله مثلاً نبات معروف.

ج- إهمال المعجم للاستشهاد على المعنى، فيحرم القارئ من معرفة البيئة اللُّغوية للكلمة في السِّياق.

يرى حلمي خليل أنّ «أبرز ما لفت نظر المحدثين والمعاصرين هو المآخذ والعيوب التي أخذت تتردّد في كلّ دراسة حول المعاجم العربية، حتّى أصبحت من المعالم الثابتة في كلّ دراسة، ونسوا أنّ هذه المعاجم قد مضى على تأليف بعضها أكثر من عشرة قرون...[و] أن نحكم عليها بما وصلت إليه العلوم اللُّغوية والمعجمية اليوم من آراء ونظريات، فذاك ظلم لها ولواضعيها»⁽¹⁾. وعليه فإنّ ما قدّمه تَمَام حَسَان من نقد للمعاجم العربية لا يعدّ انتقاصاً من قيمة هذه الأخيرة، بقدر ما ينظر إليه بعين إلزام المحدثين بهذه الملاحظات، إذ توقّر لهم ما لم يتوقّر لغيرهم من القدماء.

سادساً - وظائف المعجم عند تَمَام حَسَان:

يرى تَمَام حَسَان أنّ وظيفة المعجم تتلخّص في إلزامية تقديم المعلومات الآتية⁽²⁾:

I - طريقة النُّطق: على المعجم أن يحدّد طريقة النُّطق والكتابة الأصواتية للكلمة

المراد الكشف عن معناها، لأنّ النُّظام الإملائي لا يصل إلى هذه الغاية، والمعاجم العربية

(1) حلمي خليل. مقدّمة لدراسة التّراث المعجمي العربي. ص 8-9.

(2) يُنظر: تَمَام حَسَان. اللُّغة العربية معناها ومبناها. ص 325 وما بعدها. مناهج البحث في اللُّغة. ص 268 وما بعدها.

استعانت لإيضاح طريقة النطق بوصف حركات الكلمة ومدّها وإعجام حروفها أو إهمالها، نحو: ربح البيت كمنع، فيعرف أنّ هذا الفعل من باب فعل يفعل بفتح العين.

II- الهجاء: على المعجم أن يحدّد كيفية كتابة الكلمة المراد الكشف عن معناها، فهجاء الكلمات غير مطّرد دائماً، نحو: "غزا" و"جزى"، فعل المعجم أن يقدّم العون لمن لا يعرف ما يختفي وراء هاتين الألفين من اعتبارات صرفية.

III- التّحديد الجراماطيقي: على المعجم أن يحدّد المبنى الصّرفي للكلمة المراد الكشف عن معناها ما إذا كانت اسماً أو صفة أو فعلاً؛ لأنّه لا يمكن الرّبط بين كلمة ما ومعناها المعجمي إلّا إذا عرف مبناها الصّرفي فيحدّد معناها الوظيفي أولاً، نحو: فاعل مثل قاتل، صيغة واحدة لاسم فاعل وللأمر من فاعل.

IV- الشّرح: على المعجم أن يشرح الكلمة المراد الكشف عن معناها، بذكر معانيها المتعدّدة التي يصلح كلّ واحد منها لسياق معيّن، ولا يتأتّى ذلك إلّا بوفاء المعجم بما يأتي:

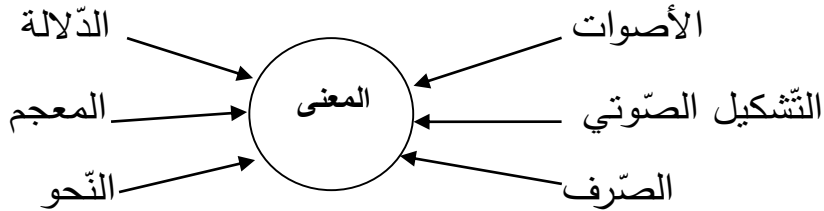
- أ- تسجيل التّطور الشكلي للكلمات عبر مختلف العصور، نحو: بكّة ومكّة.
- ب- تخصيص مدخل لكلّ مشتق من مشتقات المادة؛ لأنّ الاشتراك في حروف المادّة يعدّ صلة رحم بين الكلمات من حيث الشّكل ولا يعدّ بالضرورة صلة رحم من حيث المعنى، ويمثّل تمام حسان لذلك بالحلّ والحلّ والحلول.
- ت- شرح المعاني المختلفة المتعدّدة للكلمة الواحدة، ويشترط فيه الوضوح والبعد عن الشّرح بالمرادف؛ لأنّ اختلاف ظلال المعنى مطعن خطير في فكرة التّرادف، نحو: السيف والحسام والمهنة. مع ضرورة الإشارة إلى فروع العلم التي تستخدم فيها الكلمة استخداماً اصطلاحياً قبل البدء في شرح معناها الاصطلاحية، نحو: الفاعل الذي يفعل، وفي النّحو الاسم المرفوع الذي يسند إليه فعل متقدّم مبني للمعلوم، وفي الجريمة التي يجني الجناية، وفي الفلسفة المؤثّر.

ث- الاستشهاد على كل معنى من المعاني التي يوردها المعجم للكلمة، وذلك للكشف عن الطرق المختلفة لاستعمال الكلمة بعد معرفة معناها المفرد.

يفسّر المعجميون التّلازم (Collocation) على أنّه تجميع للكلمات يجعلها تلتصق حدّ التّكلس أو التّجمّد، كما يفسّرون التّضام على أنّه تجميع حرّ للكلمات، يمكن أن تتغيّر إحدى كلماته.

سابعاً - تشقيق المعنى عند تَمَام حَسَان:

تبني تَمَام حَسَان فكرة تشقيق المعنى، وعمد إلى تحليل كلّ شقّ باستقلالية، وانطلق من أنّ «كلّ دراسة للغة لا بدّ أن تتّجه إلى الكشف عن المعنى وكلّ نشاط في دراسة اللغة لا بدّ أن يتّجه إلى فحص المعنى والكشف عنه كشفاً واضحاً»⁽¹⁾. ويُشير إلى أنّ «كلّ دراسة لغوية لا بدّ أن تتّجه إلى المعنى؛ فالمعنى هو الهدف المركزي الذي تُصوّب إليه سهام الدّراسة من كلّ جانب على النحو المبين في الشكل الآتي:



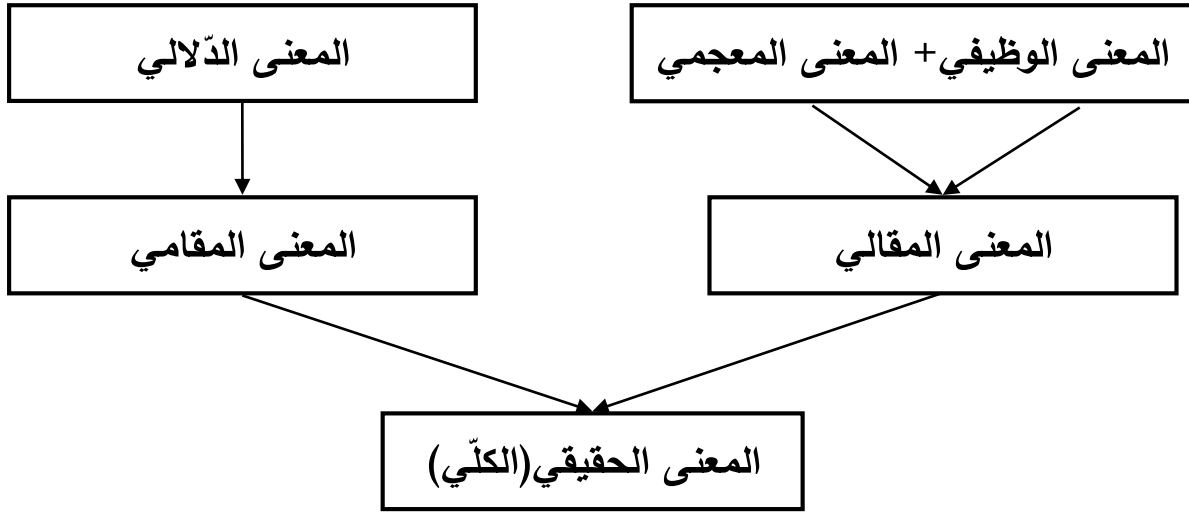
وهكذا يصبح المعنى مشفقاً، ويستقلّ كلّ فرع من فروع الدّراسات اللّغوية بقسط من هذا المعنى يوضّحه»⁽²⁾.

من خلال هذا الشّكل يُمكن القول إنّ الوصول إلى لبّ أيّ دراسة لغوية يستدعي التدرّج في مستويات التّحليل اللّغوي لأنّ «المعاني التي في هذه الأنظمة الثّلاث (الصّوتي والصّرفي والنّحوي) هي في حقيقتها وظائف تؤدّيها المباني التي تشمل عليها وتبني منها

(1) تَمَام حَسَان. (تشقيق المعنى). مقالات في اللّغة والأدب. ج1. ص329.

(2) تَمَام حَسَان. اللّغة بين المعيارية والوصفية. ص117 - 118.

هذه الأنظمة... [وقد] أطلق الباحثون على هذا المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة اسم المعنى الوظيفي (Functional meaning) واضعين إياه بإزاء المعنى المعجمي (Lexical meaning) الذي تدلّ عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم ثم المعنى الدلالي (Semantic meaning) أو المعنى المقامي (Contextual meaning) أي المعنى الذي لا يكتفي بتحليل تركيب المقال ولا بمعنى كلماته المفردة وإنما يراه فوق ذلك في ضوء المقام (Context of situation)»⁽¹⁾، والمشجّر الآتي يبيّن ذلك:



ويُمكن تلخيص ما سبق فيما يأتي:

- المعنى الوظيفي = المعنى الصّوتي + المعنى الصّرفي + المعنى النّحوي.

- المعنى المعجمي = معنى الكلمة المفردة في المعجم.

- المعنى الدلالي = المعنى المقامي المنطوق المرتبط بالجانب الاجتماعي والثقافي.

ما سبق ذكره هو قيض من فيض يُؤكّد تأثر تَمَام حَسَان بالتّراث اللّغوي العربي وبالفكر اللّغوي الحديث عامّة، ونظرية فيرث اللّغوية خاصّة، وتبنيّه صراحة لأفكاره تنظيراً

(1) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 39.

وتطبيقاً. فقد تجاوز التَّنْظِير لذلك إلى تجسيده تطبيقياً في كتابه اللُّغة العربية معناها ومبناها، إذ يقول: «وهذا التَّشْقِيق هو ما أسهمت به الدَّرَاسَات اللُّغوية الحديثة في محاولة الكشف عن المعنى اللُّغوي، وسنحاول في هذا الكتاب أن نطبِّقه على اللُّغة العربية الفصحى»⁽¹⁾. وقد انطلق في تنظيم قواعد اللُّغة العربية من مبانيها الأصلية وصولاً إلى معانيها، مستندا في ذلك إلى نظريات علم المعاني عامّة، وأفكار عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز خاصّة، إذ يقول: «النَّحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدَّعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمّى علم المعاني، حتى إنّه ليحسن في رأبي أن يكون علم المعاني قَمّة الدَّرَاسة النَّحوية... ولقد كانت مبادرة العلامة عبد القاهر رحمه الله بدراسة النَّظْم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي»⁽²⁾.

يرى تَمَام حَسَان أنّ منهج النَّحو هو ما يسلكه النَّحوي لدراسة العلاقات بين الأبواب بدل الكلمات فينظر إليها في ضوء علاقاتها النَّحوية، هذه الأخيرة التي تتضح حين تتحوّل الكلمات بالتحليل الإعرابي إلى أبواب؛ ففي إعراب (ضَرَبَ مُحَمَّدٌ عَلِيًّا) لا نقنع بكلمة ضَرَبَ كما هي، بل نسمّيها باسم باب نحوي هو الفعل الماضي، ومُحَمَّدٌ باب الفاعل، عَلِيًّا باب المفعول به؛ أي أنّ تَمَام حَسَان استبعد دلالة المعنى اللُّغوي من التحليل النَّحوي، ورأى أنّ لكلّ باب معنى وظيفيا مقتنيا في ذلك أثر بلومفيلد، مشيراً إلى أنّ النّحاة قديماً قد كانوا في منتهى الصّواب في قاعدة أنّ الإعراب فرع المعنى، ولكنهم طبّقوا لمفهوم المعنى تطبيقاً معيباً، حيث صرفوها إلى المعنى المعجمي أو الدلالي دون المعنى الوظيفي⁽³⁾.

(1) تَمَام حَسَان. اللُّغة العربية معناها ومبناها. ص 29.

(2) تَمَام حَسَان. اللُّغة العربية معناها ومبناها. ص 18.

(3) ينظر: تَمَام حَسَان. مناهج البحث في اللُّغة. ص 226-227.

رغم نقد تَمَام حَسَّان للقداامي إلا أنه يصرِّح بأصالة فكرة المعنى وارتباطه بالسياق، ويظهر ذلك في قوله: «وحيث قال البلاغيون: "لكلّ مقام مقال" و"لكلّ كلمة مع صاحبها مقام" وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كلّ اللغات لا في العربية الفصحى فقط وتصلحان للتطبيق في إطار كلّ الثقافات على حدّ سواء. ولم يكن "مالينوفسكي" وهو يصوغ مصطلحه الشّهير (Context of situation) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها»⁽¹⁾.

رغم تصريح تَمَام حَسَّان بأخذه لمصطلحي "المقام والمقال" من البلاغة العربية وجعله علم المعاني قَمّة الدّراسات النّحوية، يستدرك محمد صلاح الدّين الشّريف بقوله: «ولكنّ المقام، ليس إلا ترجمة لمصطلح مالينوفسكي، فهو من أوائل من دعا إلى دراسة الدّلالة في سياقها الاجتماعي... [و] يمكننا أن نعتقد أنّ تَمَام حَسَّان ينتسب إلى مدرسة لغوية ذات منحنى اجتماعي ما قد تكون المدرسة البريطانية وقد تكون مدرسة فيرث بالذّات»⁽²⁾. وهذا ما يؤكّده حلمي خليل بقوله: «هذا هو مفهوم المعنى عند تَمَام حَسَّان، وهو كما نرى مفهوم منتزع انتزاعاً مباشراً من نظرية السياق عند فيرث»⁽³⁾.

يؤكّد تَمَام حَسَّان وجود صدى لمفهوم المقام في سياق الموقف، رغم تفريقه بينهما قائلاً: «الفرق بين المقام وسياق الموقف أنّ المقال منفصل عن المقام ويقال بحسبه؛ إذ لكلّ مقام مقال، ولكن المقال جزء لا يتجزأ من سياق الموقف. ومع هذا لست أظنّ البلاغيين يحجمون عن إطلاق لفظ المقام ليدلّوا على واقعة تصادفهم لأنّها من نوع مقام ما. فمناطق التّباین إذن بين ما يقصده البلاغيون بمفهوم مقتضى الحال، وما يعنيه علم

(1) تَمَام حَسَّان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص382.

(2) محمد صلاح الدّين الشّريف. النّظام اللّغوي بين الشّكل والمعنى من خلال كتاب تَمَام حَسَّان "اللّغة العربية معناها ومبناها". ص200-201.

(3) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة النبوي. ص223-224.

الأسلوب بمصطلح سياق الموقف؛ وهو فرق ما بين السكون والحركة، أو بين المعيار والتطبيق»(1).

من هنا يمكن القول إنّ تَمَام حَسَان على وعي تامّ بالمفاهيم، ولا ينفى تأثره بزعماء نظرية السياق، إلاّ أنّه متمسك بنهله من التّراث العربي، مقرّ بغرفته من النّحو والبلاغة خاصّة، محاولاً خلق مزيج متجانس من الأصالة والمعاصرة.

ثامنا - المعنى بين الأفراد والتعدّد:

إذا قامت قرينة على المعنى فإنّ الأمر لا يعدو أن يكون إحدى الحالتين:

I - المعنى المفرد: هو أن يؤدّي النّص معنى واحدا فقط؛ ومن أمثلة دلالة القرينة

على المعنى الواحد ما يأتي:

- لا إله إلاّ الله لا شريك له

- يأتي البرد في الشّتاء و يأتي الحرّ في الصّيف

- لمصر تاريخ حافل بالأحداث العظام

- طلب العلم وسيلة للتّقدّم(2).

II - تعدّد احتمالات المعنى: من طبيعة المعنى المعجمي التعدّد والاحتمال،

وهما صفتان متلازمتان تؤدّي كلّ منهما إلى الأخرى؛ فإذا تعدّد معنى الكلمة المفردة

المنعزلة عن السياق تعدّدت احتمالات القصد وتعدّد احتمالات القصد يؤدّي إلى تعدّد

في المعنى، وتعدّد معنى الكلمة في المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدّخول في أكثر من

سياق، نحو ضربَ فمن معانيها:

(1) تَمَام حَسَان. (المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة). ص 29.

(2) يُنظر: تَمَام حَسَان. اجتهادات لغوية. ص 179-180.

- عاقب في: ضرب زيد عمرا
- ذكر في: ضرب الله مثلا
- أقام في: ضرب له قبة في الصحراء
- صاغ في: ضرب العملة
- حدّد في: ضرب له موعدا
- سعى في: ضرب في الأرض
- حسب في: ضرب رقما في رقم (1).

تاسعا - منافذ اللبس ووسائل أمنه في المعنى المعجمي والمعنى

الدلالي:

I - منافذ اللبس في المعنى المعجمي:

يرى تَمَام حَسَان أنّ المعنى المعجمي ليس معنى سياق ولا جملة ولكنّه معنى كلمة مفردة معزولة عن سياقها، ولما كانت الكلمة الواحدة صالحة للاستعمال بطرق متعدّدة في جمل مختلفة كان لا بدّ للمعنى المعجمي أن يتعدّد كما سبق ذكره في تغيير معنى الفعل (ضرب)؛ فالضرب الأوّل موجه، والثاني واعظ، والثالث واق، والرابع نافع، والخامس ملزم، والسادس متعب، والسابع حاسب. ومن هنا فالمعنى المعجمي للكلمة الواحدة قد تعدّد بحسب الجمل المختلفة التي استعملت فيها ممّا يفتح باب إمكانية الوقوع في اللبس على النحو الآتي:

- الخطأ في فهم المعنى المقصود وإحلال معنى آخر محلّه، كأن يفهم (ضرب في الأرض) بمعنى هوى بالعصا عليها ضربا، بدل فهم المعنى الصحيح وهو (سعة في الأرض).

(1) يُنظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 323-324.

- الخطأ في تحديد الكلمة صرفيا، لأحد السببين:
- أ- أن تكون الكلمة محايدة من الناحية الصرفية، صالحة لأن تمثل أكثر من صيغة واحدة، نحو: يزيد (اسم أو فعل).
- ب- التضمين الصرفي، كأن يقصد بالمصدر معناه أو معنى اسم المفعول، نحو: الفرق بين (هذا خلق الله = مخلوقه)، و(ضرب لنا مثلا ونسي خلقه = تكوينه).
- المشترك اللفظي، نحو: (عين) التي يقصد بها الباصرة والجارية والمخطوطة التي قبل الغين.
- أسماء الأضداد، نحو: (القرء) ومعناه الحيض والطهر⁽¹⁾.

II- وسائل أمن اللبس عند تعدد المعنى المعجمي:

- التّحديد الصّرفي للكلمة؛ بذكر صيغتها الصّرفية اسم فاعل أو اسم مفعول، أو بتحديد بنيتها الصّرفية، نحو: "دَعَمَهُمُ الْحَرُّ وَالْبُرْدُ كَمَنَعَ".
- شرح معنى الكلمة أو معانيها المختلفة الممكنة.
- اقتباس نصوص تزيد معنى الكلمة وضوحا في ذهن مستعمل المعجم⁽²⁾.

III- مسببات اللبس في المعنى الدلالي:

بآلية التمثيل للأمور التي تؤدي إلى اللبس على المستوى الدلالي، يلخص تمام حسان مسببات غموض الدلالة واللبس في فهمها، فيما يأتي⁽³⁾:

السبب الأول: أن يكون صاحب النص ومُنشئُه غير فاهم ما يقوله فهما تامًا متكاملًا. وأوضح دليل على ذلك فهم النّحاة لدور العلامة الإعرابية دون ربطه بدور الرتبة ودور الأداة وغيرها من وسائل أمن اللبس النّحوي، وعدم ربطهم لهذه الأمور في

(1) يُنظر: تمام حسان. (أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية). ص 133-134.

(2) يُنظر: تمام حسان. (أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية). ص 135.

(3) يُنظر: تمام حسان. (أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربية). ص 136 وما بعدها.

الفصل الرَّابِع: جهود تَمَام حَسَان وآليات تيسيره للدرسين المعجمي والدلالي

نظام كلّي جعلهم ينسبون كلّ تغيّر في المعنى في مستوياته المختلفة إلى تغيّر العلامة الإعرابية فأعطوها من الاهتمام أكثر من حقّها.

السبب الثاني: عدم تحديد دلالة اللفظ في الجملة؛ فيفتح مجال تأويل المعاني المتعدّدة لها، أين لا ينبغي أن تحتل أكثر من معنى واحد، لأنّ السّياق يحدّد دلالتها على معنى واحد من معانيها في المعجم دون غيره. فإذا لم تحتّم طبيعة السّياق هذا التّحديد فذلك منبع اللبس، نحو: المصطلح العلمي الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا حتّى خارج السّياق، وكثيرا ما يكون الاصطلاح العلمي محوّلًا عن عموم الدلالة المعجمية إلى محدودية الدلالة الاصطلاحية، والخطر هو الخلط بين هذين المستويين الذي يؤدّي إلى ضياع المعنى الاصطلاحي على حساب المعنى المعجمي.

السبب الثالث: إهمال المعنى العرفي أو إهداره بسبب فوضى في الفهم، ولبسا لا يمكن أن يستقيم معه نصّ، فالمعاني المعجمية معان عرفية، وينبغي لكلّ فرد أن يستخدم الكلمات بمعانيها العرفية؛ بمعنى أنّه لا يكفي أن يستعمل كلمة ما وهو يقصد بها معنى في نفسه هو غير المعنى الذي يعطيه المجتمع وينصّ عليه المعجم، لأنّ ذلك يخرب الطبيعة الاجتماعية للغة.

السبب الرَّابِع: إهمال التّحول الدلالي؛ أي عدم الأخذ بعين الاعتبار التّطور الدلالي للكلمات عبر العصور، كأن تكون الكلمة ذات معنى معجمي معيّن في عصر من العصور ثمّ يتحوّل هذا المعنى المعجمي إلى معنى معجمي آخر في عصر لاحق، نحو تحوّل معنى كلمة (السّيارة) من معنى القافلة إلى معنى مركبة النّقل المصنّعة، فاستعمال الكلمة بمعناها القديم الذي بطل دون معناها الجديد الذي يمثّل العرف الحاضر يسبب لبسا في الدلالة.

السَّبب الخامس: عدم وضوح المجازيات؛ أي الظروف المحيطة بالنص، نحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة 219، فالوصول إلى المعنى الكامل للآية يجب العلم بما يحيط بها من ظروف منها أنها تمثل مرحلة من مراحل سخط الإسلام على الخمر والميسر، ولكنها لا تمثل موقف الإسلام الأخير إزاءهما، وهذا ما يتضح من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة 90، فالجهل بظروف نزول الآية كلها يوقع في اللبس والفهم الخاطئ بأن الإسلام يفضل الامتناع عن الخمر ولكنه لا يحرمها.

السَّبب السادس: الخطأ في ترقيم الجملة بالوصل بدل الوقف أو العكس، نحو قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الماعون 4-5 التي تقرأ في نفس واحد، لأن الوقف على المُصَلِّين قبيح يؤدي إلى الوقوع في اللبس والخطأ في المعنى، كأن يتوعد الله عباده المصلين.

السَّبب السابع: قصد التعمية في المعنى، كأن تقف عند نص واضح الوظائف مكتمل المعاني المعجمية، ولكنه مشكل لظروف خارجة، نحو قول الشاعر:

خَاطَ لِي عَمْرُو قِبَاءَ لَيْتَ عَيْنِيهِ سَوَاءَ

فَأَسْأَلُ النَّاسَ جَمِيعًا أَمَدِيحُ أُمِّ هِجَاءَ

لا يمكن الوقوف على معنى هذين البيتين، أدعاء لعمره بأن يرد الله له بصر عينه العوراء نتيجة الرضا أم دعاء عليه بأن يذهب الله بعينه الأخرى نتيجة السخط، ومرد العجز عن تحديد المراد أن المعنى المقصود غُيب في القبر مع القائل.

السَّبب الثَّامِن: التَّلَاعِب بِالْأَلْفَاظ لِقِصْدِ الْأَلْغَاظِ، نَحْوُ التَّلَاعِبِ بِلَفْظِ الْقَلْبِ وَالْمَقْصُودِ بِهِ مَقْلُوبٌ نَوْمُكَ وَهُوَ كَمُونٌ:

يَا أَيُّهَا الْعَطَّارُ أَعْرَبْ لَنَا عَنِ اسْمِ شَيْءٍ قَلَّ فِي سُومِكَ
تَرَاهُ بِالْعَيْنَيْنِ فِي يَقْظَةٍ كَمَا يُرَى بِالْقَلْبِ فِي نَوْمِكَ

السَّبب التَّاسِع: الْمَبَالِغَةُ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَسَالِيبِ الْمَجَازِيَةِ الَّتِي تَذْهَبُ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِي الْمَتَعَارِفِ عَلَيْهِ جَمَلَةٌ وَتَفْصِيلًا مِمَّا يُوَدِّي إِلَى اللَّبْسِ وَالْغَمُوضِ، نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَأَمْطَرْتُ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقْتِ وَرَدًّا وَعَعَضْتُ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبُرْدِ

فكثرة المجازات أذهبت المعنى الحقيقي وجمال المجاز في الآن نفسه، لما في هذا البيت من غموض يجعله سامعه في لبس دائم.

السَّبب العَاشِر: الْإِخْلَالُ بِالْإِيْجَازِ وَالتَّزْيِيدُ بِالْإِطْنَابِ، فَمَنْ الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ صَدِيقَكَ قَدْ زَارَكَ بِالْأَمْسِ وَلَمْ تَقْدِّمْ لَهُ مَشْرُوبًا، ثُمَّ يَسْأَلُكَ سَائِلٌ هَلْ زَارَكَ صَدِيقَكَ بِالْأَمْسِ فَقَدِّمْتَ لَهُ قَهْوَةً، فَتَجِيبُ بِقَوْلِكَ: "لَا" رَدًّا عَلَى الشَّطْرِ الْأَخِيرِ مِنَ السُّؤَالِ، وَتَكْتَفِي بِهَذَا فِي الْإِجَابَةِ عَلَى الشَّطْرَيْنِ مَعًا بِوَسْطَةِ الْإِيْجَازِ الْمَسْبَبِ لِلْبَسِّ لِأَنَّ الْأَوَّلَى بِالْجَوَابِ أَنْ يَكُونَ: "زَارَنِي وَلَمْ يَشْرَبْ شَيْئًا". وَمِنَ الثَّانِي أَنْ تَقُولَ: "لَقَدْ زَرْتِ كُلَّ هَرَمٍ مِنَ الْأَهْرَامِ الَّتِي بَنَاهَا الْفِرَاعِنَةُ فِي مِصْرٍ"، فَهَذَا غَامُضٌ لِأَنَّهُ أَفَادَ وَجُودَ أَهْرَامٍ فِي غَيْرِ مِصْرٍ أَوْ بِنَاهَا فِي الْفِرَاعِنَةِ، وَعَدَّ ذَلِكَ مِنَ التَّزْيِيدِ الْإِطْنَابِيِّ لِغِيَابِ الدَّاعِي فِي الْأَسْلُوبِ لِلزِّيَادَةِ، لِأَنَّ الْأَهْرَامَ بِنَاهَا الْفِرَاعِنَةُ فِي مِصْرٍ.

IV- وسائل أمن اللبس في المعنى الدلالي:

يرى تَمَام حَسَان أنّ وسيلة أمن اللبس على المستوى الدلالي هي تجنّب العيوب سالفة الذكر، ومحاولة إيجاد نوع من المساواة والضبط الرياضي في الأسلوب العربي كما فعل أصحاب اللغات الأخرى بلغاتهم⁽¹⁾.

عاشرا- نظريات دراسة المعنى: أهمّها عند تَمَام حَسَان:

I- نظرية الحقول الدلالية:

ما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الدرس اللغوي العربي لم يعرف نظريا مصطلح الحقل الدلالي إلا بعد اطلاعه على الدراسات اللغوية الغربية الحديثة، على الرغم من أنّه قد عرف الحقول الدلالية تطبيقاً في معاجم المعاني، هذه الأخيرة التي كانت نواتها الأولى في شكل رسائل تصنّف المداخل المعجمية بحسب الموضوعات. ويلجأ إليها مستعملها ليس عندما يعسر عليه المعنى وإنما لإيجاد اللفظ الموافق للمعنى للتعبير عما يجول في خاطره بدقة وترتيب حول موضوع محدّد، وتجسّدت في أكمل صورها عند الثعالبي (ت 429هـ) في فقه اللغة وأسرار العربية، وابن سيده (ت 458هـ) في المخصّص⁽²⁾.

يجمع أغلب الدارسين على أنّ اللغويين العرب «لهم أثرٌ كبيرٌ في الدراسات الدلالية بحكم تعاملهم الكبير مع المعنى أو الدلالة، وهذه الطبيعة هي التي قادتهم في البدايات

(1) يُنظر: تَمَام حَسَان. (أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية). ص 140.

(2) للاستزادة ينظر: أحمد عزوز. أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. دمشق. 2002. ص 12 وما بعدها.

موقع اتحاد الكتاب العرب: <http://www.awu-dam.org>. محرك البحث: google.

الأولى للتأليف المعجمي إلى اللجوء للتأليف الموضوعي؛ أي ترتيب الكلمات حسب المعاني،... [و] هدف أصحاب معاجم المعاني هو تقديم المعنى تبعاً للمقاصد أصلاً»⁽¹⁾.

ارتبط الحديث عن الحقل الدلالي بترير (Trier) ودراسته التنظيمية لحقل الذكاء (الفكر) في مفردات اللغة الألمانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي. رغم أنَّ المصطلح لم يكن من إبداعه، لأنَّه كان يستعمل الحقل، الحقل المعجمي، الحقل اللساني للعلامات، الحقل المفهومي، الدائرة المفهومية. وما يؤكِّد نفي قصب السبق لترير في استعمال الحقل الدلالي بمعناه اللساني، وجود هذا المصطلح في عشرات المؤلفات^(*) قبل صدور كتابه سنة 1931م. ولكنَّه يعدُّ أوَّل من ترك بصماته في دراسة الحقول الدلالية، إذ الفضل في تجميع الأفكار الخاصة بها يعود إليه⁽²⁾، ويمكن تلخيص طريقة تحليله في الآتي:

- إنَّ معجم ألفاظ لغة ما مكوَّن من مجموعة كلمات متسلسلة (حقول دلالية).
- كلُّ مجموعة من هذه الكلمات تغطِّي مجالاً محدداً لحقل المفاهيم (حقول التصوِّرات).
- كلُّ حقل من هذه الحقول سواء أكان معجمياً أم تصوِّرياً يتكوَّن من وحدات متقاربة الدلالة، مثل تجاور حجارات الفسيفساء⁽³⁾.

ومعنى ذلك أنَّ كلَّ لغة تنتظم في حقول دلالية (Semantic fields)، وكلَّ حقل دلالي مكوَّن من: حقل تصوِّري (Conceptual field) وحقل معجمي (Lexical field). ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تعمل بها مع كلمات أخرى في نفس الحقل

(1) صلاح الدِّين زرال. الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتَّى نهاية القرن الرَّابِع الهجري. ط1. الدار العربية للعلوم. بيروت. 2008م. ص224.

(*) من الأوائل الذين استعملوا مصطلح الحقل الدلالي: سطور (STOR) في كتابه الذي صدر سنة 1910.

(2) للاستزادة ينظر: أحمد عزوز. أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. ص11.

(3) للاستزادة ينظر: أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ص79.

المعجمي لتمثيل الحقل الدلالي. وتكون كلمتان في نفس الحقل الدلالي إذا أدى تحليلهما إلى عناصر تصوّرية مشتركة⁽¹⁾.

تجدر الإشارة إلى أنّ تَمَام حَسَان يؤثر استعمال مصطلح الحقول المعجمية على الحقول الدلالية، رغم أنّ التسمية الثانية أعمّ وأشمل من الأولى؛ فالحقل المعجمي يعدّ القسم الثاني الذي يكوّن مع الحقل التّصوّري الحقل الدلالي. ويرى أنّ معجم أيّة لغة يقسّم إلى حقول من المعاني، وهذه الأخيرة مختلفة الطّابع؛ فبعضها يعود إلى العقل كتقسيم المفاهيم بين الإثبات والنّفي، وبعضها الآخر يعود إلى العرف والثّقافة الشعبيّة كحقول القرابة وأنواع النّشاط والحرف اليدوية⁽²⁾.

يلخّص تَمَام حَسَان المقصود بالحقول المعجمية في أنّ المفردات التي يشتمل عليها المعجم لا تحمل معنى واحداً، وإنّما تتنوّع دلالاتها بحسب تنوّع مواقع مدلولاتها في مجال المدركات. ويبسّر ذلك بآلية التّمثيل، نحو: إذا قال قائل: "رأيتُ" يتوقّع السّامع مفعول الرّؤية واحداً ممّا لا حصر له الأمور التي يقع عليها البصر. أمّا إذا قال: "رأيتُ الفضيحة"، تبيّن أنّ ثمة اختلافاً في الانتماء إلى حقول المفردات المعجمية يحول دون النّقاء هذه المفردات في سياق واحد، وهذا ما يعرف بالمفارقة المعجمية ونقيضها المناسبة المعجمية، هذه الأخيرة التي تعدّ جزءاً من مفهوم قرينة التّضام في نظام النّحو⁽³⁾، وتحيلنا إلى أنّ المعجم يحدّد عدداً من السّمات المعجمية التي تتّصف بها أو توصف من خلالها مداخل المعجم، فمثلاً الفعل (صلّى) لا يتّخذ فاعلاً من النّبات أو الحيوان، فإذا اكتفينا بالقواعد الكبرى والسّمات المعجمية فإنّها تمدّنا بالكلمات ذاتها لأنّها ليست أكثر من

(1) للاستزادة ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري. اللّسانيات واللّغة العربيّة. ط1. منشورات عويدات. بيروت لبنان. 1986. ص370.

(2) يُنظر: تَمَام حَسَان. البيان في روائع القرآن. ص543.

(3) ينظر: تَمَام حَسَان. حصاد السّنين من حقول العربيّة. ص24. مفاهيم ومواقف في اللّغة والقرآن. ص142.

مجموعة من القواعد، ومن ثمّ تحتاج إلى عنصر دلالي يعيننا على أن نختار المعاني المنسوبة إلى البنية السطحية⁽¹⁾.

ما يمكن استخلاصه هو أنّ تَمَام حَسَان في تفريقه بين المعنى المعجمي والمعنى الدلالي، يرى أنّ الأوّل منهما يكون في الكلمة المفردة فقط، أمّا إذا اكتنفها السياق فإنّها تفقد معناها المعجمي، لوجود قرائن مختلفة تعطي للكلمة حظوة تعدّد معانيها من سياق إلى آخر. والجدير بالذكر هو أنّ الكلمة إذا كانت في سياق معيّن فإنّها لا تفقد كلّ خصوصيات معناها المعجمي، وإنّما قرائن السياق ترجّح معنى دون غيره من المعاني.

II - نظرية النّظم:

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح النّظم قد طرق الأسماع منذ القرن الثّاني الهجري إمّا تلميحا أو تصرّحا، فقد تداوله العلماء في تناولهم القصد من النّحو؛ وأنّه ليس مقصورا على حركات الإعراب، بل يتعدّاه إلى تأليف الكلمات وارتباط الجمل، كما تناولوه في قضية اللفظ والمعنى التي يتوصّل بها إلى إعجاز القرآن الكريم⁽²⁾. وعلى سبيل التّمثيل لا الحصر نذكر:

قول سيبويه: «هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب»⁽³⁾. فيه إشارة إلى أنّ حسن ائتلاف نظم الكلام يؤدّي إلى صلاحه، وسوء نظمه يؤدّي إلى فساده.

أمّا الجاحظ فقد صرّح بلفظ النّظم في كتابه: نظم القرآن، الذي فرّق فيه بين نظم كلام الله ونظم سائر الكلم، متحدّثا عن شروط اللفظة المفردة، كخلوّها من تنافر الحروف

(1) للاستزادة ينظر: تَمَام حَسَان. (إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا). أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية. تونس. 13-1978/12/19. ص174.

(2) ينظر: عبد العاطي غريب علام. دراسات في البلاغة العربية. ج1. ط1. منشورات جامعة بنغازي. 1997. ص05.

(3) سيبويه. الكتاب. ج1. ص25.

وجريانها على ألسنة العرب⁽¹⁾. وفي البيان والتبيين يقول: «وأجود الشَّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدَّهان»⁽²⁾. ومن هنا يمكن القول إنَّ النَّظْم عند الجاحظ يتلخَّص في تلاحم أجزاء الكلام، وسهولة المخارج، وحسن السَّبك.

رغم شيوع مصطلح النَّظْم منذ القرن الثَّاني الهجري، إلَّا أنَّه لم يرق إلى مستوى النَّظرية، إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، مطلقا «دعوة صارخة إلى دراسة النَّحو على منهاج جديد يقوم على الحسِّ والدَّوق وحسن التَّخْيِر، بدلا من ذلك المنهاج التَّقليدي الذي يوجِّه العناية إلى الإعراب، وبيان الأوجه الممكنة من النَّاحية الإعرابية التي قد تفسد المعنى وتشوِّهه»⁽³⁾، فوضع أسس نظرية النَّظْم في كتابه دلائل الإعجاز، إذ يقول: «لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتَّى يعلِّق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك»⁽⁴⁾. وبآلية تفصيل المِجْمَل، يشرح تَمَام حَسَّان مراحل إنتاج الكلام عند عبد القاهر الجرجاني على النَّحو الآتي:

1- مرحلة النَّظْم: يشير تَمَام حَسَّان إلى أنَّ مقصود عبد القاهر الجرجاني من

النَّظْم، إنَّما هو نظم المعاني النَّحوية في النَّفس، ومنها:

- معاني أقسام الكلم كالحدث والزَّمن والاسمية وغيرها.
- معاني الصِّيغ كالطَّلَب والصِّيورة وغيرها.
- معاني أبواب النَّحو كالإسناد والتَّعدية وغيرها.
- معاني أساليب المِجْمَل كالخبر والإنشاء وغيرها.

(1) ينظر: صالح بلعيد. نظرية النَّظْم. ط3. دار هومه. الجزائر. 2009. ص93.

(2) الجاحظ. البيان والتبيين. ج. تح: عبد السَّلام هارون. دار الجيل. بيروت. ص67.

(3) درويش الجندي. نظرية عبد القاهر في النَّظْم. مكتبة نهضة مصر. 1960. ص122.

(4) عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ط3. ص55.

والنَّظْم أن يعمد المتكلم في مرحلة نفسية خالصة إلى اختيار ما يناسب غرضه من هذه المعاني؛ إذ يوردها على خاطره قبل أن يبني لها الكلمات (فكرة البناء)، أو يرتب هذه الكلمات (فكرة الترتيب)، أو يكوّن بينها العلاقات بالربط والمطابقة وغيرها (فكرة التعليق).
بآلية التمثيل لمرحلة النَّظْم، يحلّ تَمَام حَسَّان المعاني النَّحوية لجملة جاء الرَّجُل ركباً:

| | | |
|---------|--------|--|
| (ج ي ء) | ملايسة | $\left\{ \begin{array}{l} \text{حدث + زمن ماضي} \\ \text{حدث + وصف} \\ \text{إسناد [اسمية + رفع]} \end{array} \right.$ |
| (ر ك ب) | | |
| (ر ج ل) | | |

يرى تَمَام حَسَّان أن الشق الأيمن من تحليل هذا المثال يبيّن أن النَّظْم يشتمل على معانٍ نحوية هي الحدث والزمن الماضي والوصف بالحدث، وأن بين الحدثين ملايسة في الوقوع إذا وقعا معاً، وأن الحدثين قام بهما مسند إليه واحد يحدده معنيان هما الاسمية والرفع، وهذه المعاني النَّحوية ثابتة. أمّا الشق الأيسر منه فيبيّن أصول الاشتقاق، القابلة للاستبدال في نطاق مبدأ الترادف، كأن يستعمل (أتى) بدلا من (جاء) و(محمولا) بدلا من (راكبا)⁽¹⁾.

2- مرحلة البناء: بعد نظم المعاني النَّحوية المراد التعبير عنها في نفس المتكلم، تأتي مرحلة بناء طوائف المعاني مشكّلة في صورة مجموعات، تنتمي كلّ مجموعة منها إلى كلمة واحدة، كالجمع بين الحدث والزمن، مضاف إليهما الأصل الاشتقاقي الملائم لصياغة الفعل، وهكذا مع بقية كلمات الجملة على غير ترتيب. وبآلية التمثيل يشرح تَمَام حَسَّان ذلك:

على + ركب + حسان + ال + ه + فارس

(1) ينظر: تَمَام حَسَّان. (بين عبد القاهر الجرجاني ونعام تشومسكي النَّظْم والبنية العميقة). مقالات في اللّغة والأدب. ج2. ص334-336.

فهذه الكلمات يصدق عليها مفهوم البناء؛ إذ تتمثل فيها أبنية الحرف والفعل والاسم وأداة التعريف والضمير⁽¹⁾.

3- مرحلة الترتيب: كلمات المثال السابق توالى بصورة جزافية، لأن بنية الجملة لم تتحقق رغم تحقق أبنية الكلمات، إذ يجب ترتيب عناصرها وفق شروط قرينة الرتبة في صياغة الجملة العربية، لتصبح: ركب الفارس على حصانه؛ لأن رتبة الفعل "ركب" قبل رتبة الفاعل "الفارس"، ورتبة الحرف "على" قبل مدخوله "حصان"، ورتبة المضاف "حصان" قبل المضاف إليه "ه"⁽²⁾.

4- مرحلة التعليق: وفيها يتم توثيق الأواصر بين كلمات الجملة، مما يجعل المعنى الكلي للكلام واضحا بمساعدة القرائن السياقية. ويتحقق التعليق بالتضام والربط والمطابقة، وقد سبق التعريف بهذه القرائن اللفظية بشيء من التفصيل في المستوى التحوي. أما ما يخص المستوى المعجمي، فهو الجانب الثاني من التوارد، الذي يعد الصورة الثانية من صور التضام إلى جانب التلازم والتنافي⁽³⁾.

التوارد علاقة تقوم بين الكلمات في المعجم، فقد يكون بين الكلمتين علاقة ترادف، أو علاقة تضاد، أو غيرها من العلاقات الدلالية. فأما من الناحية الحقيقية فإن كل حقل من الأحداث يناسبه حقل آخر من المسميات، فالقول مثلا هو حدث يسند إلى حقل المسميات الناطقة، ومن هنا يصح "قال زيد" ولا يصح "قالت الصخرة"؛ أي أن من حق كل حدث أن يسند إلى من يصح منه على سبيل الحقيقة، لكن لو أن التعبير الحقيقي كان الممكن الوحيد في اللغة لضاقت على الإبداع الأدبي فرصته الثمينة في الترخّص

(1) ينظر: تَمَام حَسَان. (بين عبد القاهر الجرجاني ونعام تشومسكي النظم والبنية العميقة). مقالات في اللغة والأدب. ج2. ص335-337.

(2) ينظر: تَمَام حَسَان. (بين عبد القاهر الجرجاني ونعام تشومسكي النظم والبنية العميقة). مقالات في اللغة والأدب. ج2. ص335-338.

(3) ينظر: تَمَام حَسَان. (بين عبد القاهر الجرجاني ونعام تشومسكي النظم والبنية العميقة). مقالات في اللغة والأدب. ج2. ص336-338.

بالمجاز. والخروج من الاستعمال الحقيقي إلى الاستعمال المجازي محدود بما يطلق عليه في نطاق المعجم مصطلح قيود التوارد، فهي التي تجعل من الإحالة أن يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل مخاطبا النيل:

سَمِعْتُ فِي شَطِّكَ الْجَمِيلِ مَا قَالَتْ الرِّيحُ لِلنَّخِيلِ⁽¹⁾

هنا يأتي دور علم البيان لتبرير إسناد فعل القول لغير فاعله الحقيقي، فقالت الريح استعارة مكنية، حيث اخترع الشاعر علاقة المشابهة بين هزيم الريح والإنسان الناطق الذي يقول، مع وجود قرينة حالت دون إرادة المعنى الحقيقي، فامتنع اللبس أن يتسرّب إلى الفهم.

إن كثرة نقاط التقاطع بين فكرتي النظم والبنية العميقة جعلت تمام حسان ينتصر لعبد القاهر الجرجاني بعده مصدر إحياء وتأثر تشومسكي بأفكاره، فوالد هذا الأخير من رجال الدين اليهود الذين يعرفون العربية جيّدا، ناهيك عن صياغة نحو العبرية لأول مرّة في الأندلس الإسلامية على غرار نحو العربية، وعليه فليس من المستبعد أن يكون الأب قد ترجم لابنه نظرية النظم كما قررها عبد القاهر الجرجاني، فهذا العلم الشامخ له قصب السبق في تحديد الفروق الجوهرية بين العميق وغيره من عناصر الجملة، حين فرّق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق؛ فجعل النظم للمعاني في النفس وهو تماما البنية العميقة عند تشومسكي، وكلامه عن الترتيب والبناء والتعليق تذكير بقواعد التحويل؛ فالبناء هو البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات، والتعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات التي في السياق⁽²⁾.

يؤكد محمد عبد المطلب التقاطع بين أفكار صاحبي النظم والبنية العميقة، إذ يقول: «يكاد عبد القاهر وتشومسكي يتفقان على أنّ المتكلم يمتلك قدرة لغوية- أتيحت له عن

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. (التضام وقيود التوارد). المناهل. ع6. يوليو 1976. الرباط. ص111 وما بعدها.

(2) للاستزادة ينظر: تمام حسان. (تعليم النحو بين النظرية والتطبيق). مقالات في اللغة والأدب. ج1. ص78. (بين

عبد القاهر الجرجاني ونعام تشومسكي النظم والبنية العميقة). ج2. ص343.

طريق النَّحو- تسمح له بتوليد عبارات لا نهائية»⁽¹⁾. كما أنَّ حسام اللّحام يدعّم مذهب تَمَام حَسَّان، فيرى «أنّ مدار البحث في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة قائم على أنّ بنية السّطح انعكاس ضروري لبنية العمق»⁽²⁾. وعن مقصد تأليف الأخير منهما يقول المؤلّف: «واعلم أنّ غرضي في هذا الكتاب الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعتّه، أن أتوصّل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وكيف تنفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها وأنواعها، وأتتبع خاصّها ومُشاعها، وأبيّن أحوالها في كرم منصبها في العقل، وتمكّنها في نصابها، وقرب رحمتها منه، أو بعدها حين تنسب عنه»⁽³⁾. وبهذا يمكن الجزم بأسبقية الفكر الجرجاني على فكر تشومسكي في البنية العميقة منذ القرن الخامس الهجري.

III- النظرية السياقية:

من أهمّ النظريات التي أثّرت في الفكر اللّغوي العربي نظرية السياق؛ إذ كان أثرها بيّنا على كثير من علماء العربية في العصر الحديث، من بينهم: محمود السّعران، تَمَام حَسَّان وكمال بشر، فقد تتلمذوا على يد اللّغوي الإنجليزي جون فيرث صاحب النظرية السياقية، ممّا مكّنه من النّهل مباشرة من فكره، والأخذ من أصول الدّراسة العلمية الحديثة، ونقل ذلك إلى الدّرس العربي⁽⁴⁾.

يُعدّ جون ريبير فيرث القطب المؤسّس للمدرسة الاجتماعية الإنجليزية أو ما يُعرف بمدرسة لندن اللّغوية، إذ بعد إنشائه لأول قسم لعلم اللّغة في الجامعة البريطانية

(1) محمد عبد المطّلب. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني. ط1. لوجمان. مصر. 1995م. ص82.

(2) حسام اللّحام. أثر نظرية النّظم في الدّراسات الأسلوبية. ط1. دار فضاءات. الأردن. 2008م. ص160.

(3) عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة في علم البيان. تح: عبد الحميد هنداوي. ط1. دار الكتب العلمية. لبنان. 2001م. ص28.

(4) للاستزادة يُنظر: غنية تومي. السياق اللّغوي في الدّرس اللّساني الحديث. مجلّة المخبر "أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري". ع6. جامعة محمد خيضر. بسكرة الجزائر. 2010م. على الرّابط: lab.univ-biskra.dz. محرك البحث: google.

عام 1944م، خطى خطوة مهمة ومتقدّمة في عالم الدرس اللغوي بوضع نظرية لغوية عامّة جاءت محصّلة للدراسات اللغوية التي بدأت في بريطانيا منذ نهاية القرن الثامن عشر (ق18م) بكشف وليام جونز عن علاقة اللّغة السنسكريتية باللّغتين اليونانية واللاتينية، فشغف الكثيرون بدراسة اللّغات الشّرقيّة، ومنهم فيرث الذي تأثر بالأعمال اللّغوية القديمة، لا سيما زمن تواجده بالهند⁽¹⁾.

إنّ نقطة الانطلاق الحقيقية لفيرث تمثّلت في الإفادة من جهود العالم الأنثروبولوجي^(*) البولندي مالمينوفسكي، إلا أنّ الجدير بالذّكر هو وجود بعض الاختلاف في مفهوم السّياق بينهما؛ فالثّاني منهما يرى بأنّه محيط الكلام الطّبيعي الفعلي، وفي حين أنّه عند الأوّل منهما «حقل من العلاقات (Field of relations)، علاقات بين أشخاص يقومون بأدوارهم في المجتمع مستعملين في ذلك لغات مختلفة، ومرتبطين بحوادث متنوّعة»⁽²⁾. وكون فيرث عالما لغويّا مكّنه من تكوين نظرية لغوية⁽³⁾، حجر أساسها السّياق، إذ اقترن اسمه بها فعُرفت بنظرية فيرث اللّغوية، رغم أنّ عبد القاهر الجرجاني قد سبقه بحوالي ثمانية قرون إلى هذه النّظرية.

ومنه يُمكن القول: إذا كان فيرث قد بلور هذه النّظرية بعد تأمل ونظر، فإنّ أفلاطون وأرسطو قديما، وعلماء اللّغة العربية كعبد القاهر الجرجاني قد أدركوا أهمية السّياق ودوره

(1) يُنظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص131.

(*) أفضت به دراسته للأجناس البشرية إلى اهتمامه بالعروض باللّغة؛ فيرى أنّها «تعمل كأداة تواصل ضمن نشاط إنساني متعارف عليه، فهي ضرب من النشاط، وليست أداة تفكير... وما الكلمات إلا أدوات ولا يكمن معنى الأداة إلا من خلال استعمالها» أحمد مومن. اللّسانيات النّشأة والتّطور. ط2. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون الجزائر. 2005م. ص177.

(2) محمد سعد محمد. في علم الدلالة. ط1. مكتبة زهراء الشّرق. القاهرة. 2002م. ص40.

(3) يُنظر: ردة الله الطّاحي. دلالة السّياق. ط1. مطابع جامعة أم القرى. 1423هـ. ص189.

في الحدث اللغوي⁽¹⁾، ولخصوا ذلك في عبارة (لكلّ مقام مقال) التي تصدق على دراسة المعنى في كلّ اللغات لا في العربية فقط، ولكن الذين عرفوا هذا المفهوم سجّلوه في كتب لهم تحت اصطلاح المقام، ولكن كتبهم هذه لم تجد الدعاية على المستوى العالمي⁽²⁾، فلم يذع صيت هذه النظرية إلا على يد فيرث، الذي بلورها في شكل نظرية دلالية متكاملة الجوانب تهتمّ بدراسة المعنى، تندرج تحت «إطار علم الدلالة الوصفي»⁽³⁾.

يُحاول فيرث من خلالها إثبات صدق مقولة (المعنى وظيفة السياق)؛ فالمعنى عنده هو «مجموعة من العلاقات والخصائص اللغوية التي نستطيع التّعرف عليها في موقف معيّن يحدده لنا السياق»⁽⁴⁾، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرى «أنّ الكلمات تتحدّد دلالتها من خلال السياق، وأنّ هناك علاقة أكيدة بين نطق ما والموقف الاجتماعي الذي تمّ فيه هذا المعنى يوصف بأنه في تغيير غير مقيد»⁽⁵⁾.

يُمكن القول إنّ فيرث يرى أنّ الوصول إلى المعنى الدقيق للحدث اللغوي أو الكلامي يبدأ بالكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية المكوّنة له، ومحاولة تعييدها وفقا لخواصها التركيبية، وذلك بمراعاة ما يأتي:

1- اعتماد السياق في كلّ تحليل لغوي، مع ملاحظة كلّ ما يتّصل بهذا السياق وقت الكلام الفعلي.

(1) للاستزادة يُنظر: نادية رمضان النّجار. اللّغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. دار الوفاء. الإسكندرية. 2004م. ص205. حيدر جبار عيدان وغيره. جدلية السياق والدلالة في اللّغة العربية(النّص القرآني أنموذجا). مجلّة جدلية السياق. ع9. مركز دراسات الكوفة. ص36.

(2) يُنظر: تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص372.

(3) إبراهيم أصبان. السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة. مجلة الإحياء. المملكة المغربية. 25 دجنبر 2014م. على الزايط: www.alihyaa.ma. محرك البحث: google.

(4) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص133.

(5) سامي عياد حنا وغيره. معجم اللسانيات الحديثة(انكليزي-عربي). ص47-48.

2- وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس لضمان عدم الخلط بين لغة وأخرى أو بين لهجة وأخرى.

3- وجوب تحليل الكلام إلى وحداته الجزئية للكشف عما بينها من علاقات للوصول إلى المعنى الذي يتصل بمستويات التحليل اللغوي المترابطة⁽¹⁾.

1- أنواع السّياق:

ترتكز نظرية فيرث اللغوية على نوعين من السّياق هما:

1-1 - السّياق اللغوي: هو كلّ ما يتعلّق ببنية النّص؛ أي بالإطار الداخلي للغة، وما يحتويه من قرائن مقالية تساعد على كشف المعنى، وهذا الأمر يستدعي العودة إلى مستويات التحليل اللغوي: الصّوتي، الصّرفي، النّحوي، الدلالي⁽²⁾، فالكلمة يتحدّد معناها بعلاقتها مع الكلمات الأخرى داخل الجملة⁽³⁾. ومثال السّياق اللغوي في كلمة (صاحب) في الجدول الآتي⁽⁴⁾:

| | |
|--------------------|---------------|
| 1- صاحب الجلالة | لقب |
| 2- صاحب البيت | مالكه |
| 3- صاحبي | صديقي |
| 4- صاحب رسول الله | رفيقه أبو بكر |
| 5- صاحب المصلحة | المنتفع |
| 6- صاحب المصلحة | المستحق |
| 7- صاحب نصيب الأسد | المقتسم |

(1) للاستزادة يُنظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي. ص133.

(2) يُنظر: عبد القادر عبد الجليل. علم اللّسانيات الحديثة. ص542. للاستزادة يُنظر: خالد إسماعيل حسان. في اللّسانيات العربية المعاصرة. دار الكتب المصرية. القاهرة. 2008م. ص77 وما بعدها.

(3) للاستزادة يُنظر: خالد إسماعيل حسان. في اللّسانيات العربية المعاصرة. ص77 وما بعدها.

(4) للاستزادة يُنظر: رجب عبد الجوّاد إبراهيم. دراسات في الدلالة والمعجم. ص23.

1-2- سياق الحال: «ويُمثِّله العالم الخارج عن اللّغة بما له من صلة بالحدث اللّغوي. ويمثّل في الظّروف الاجتماعية والبيئة النفسيّة والثّقافية للمتكلّمين أو المشتركين في الكلام»⁽¹⁾.

ومثال سياق الحال في كلمة (يرحم) ⁽²⁾:

| | |
|---------------|---|
| 1- يرحمك الله | لتشميت العاطس، وطلب الرّحمة في الدّنيا. |
| 2- الله يرحمه | للتّرحّم بعد الموت، وطلب الرّحمة في الآخرة. |

2- نظرية السيّاق عند تَمَام حَسَان:

لقد احتلّ السيّاق جانبا مهمّا في مؤلّفات تَمَام حَسَان اللّغوية، فقد «أولى اهتماما بالغالمقام والسيّاق وأهمّيتهما في العملية اللّغوية عامّة والدّلالة خاصّة»⁽³⁾.

يُصرّح تَمَام حَسَان في كتابه اللّغة العربية معناها ومبناها بتبنيّه نظرية فيرث اللّغوية دون أن يُنكر فضل علمائنا الأوائل في دراسة المعنى، هذا الأخير الذي يُعدّ لبّ نظرية السيّاق، إذ يقول: «ما أسهمت به الدّراسات اللّغوية الحديثة في محاولة الكشف عن المعنى اللّغوي، سنُحاول في هذا الكتاب أن نطبّقه على اللّغة العربية الفصحى مع تسليط أضواء المنهج الحديث على النّتائج الباهرة المشرّفة التي توصل إليها علماءنا الأقدمون في حقل الكشف عن المعنى، مُعترفين طول الوقت بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدّراسات اللّغوية في الثّقافة العربية وهما سيبويه وعبد القاهر»⁽⁴⁾، فهما من القدماء الذين لهم الفضل في الاهتمام «بما سمّي بسياق الموقف، وإن لم يعرفوه بمفهومه الذي شاع وانتشر في منتصف القرن الماضي على يد اللّغوي جون فيرث، فلم يضعوا لنا حدّا له، واكتفوا

(1) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة النبوي. ص 135.

(2) للاستزادة يُنظر: رجب عبد الجوّاد إبراهيم. دراسات في الدّلالة والمعجم. ص 24.

(3) مصطفى غلفان. اللّسانيات العربية الحديثة (دراسة نقدية في المصادر والأسس النّظرية والمنهجية). ص 187.

(4) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 29.

ببعض المقولات التي تصلح أن تكون مقدّمات لجوانب مختلفة من هذه النظرية، فضلا عن اهتمامهم بالجانب التطبيقي له»⁽¹⁾.

إنّ تَمَام حَسَان في أكثر من موضع يُشيد بدراسة المعنى، هذا الأخير الذي يُعدّ جوهر نظرية السيّاق، إذ يقول: «للدراسات اللغوية الحديثة اهتمام خاص بدراسة المعنى، يُقوّيه ويُدعمه أنّ المعنى في نظر هذه الدراسات صدى من أصداء الاعتراف باللّغة كظاهرة اجتماعية، ولقد كانت العناية بهذا الجانب الاجتماعي للّغة سببا في اعتبار (المقال) عنصرا واحدا من عناصر الدلالة لا يكشف إلاّ عن جزء من المعنى الدلالي، وينقصه أن يستعين بالمقام الاجتماعي الذي ورد فيه المقال حتّى يُصبح المعنى مفهوما في إطار الثقافة الاجتماعية أو بعبارة أخرى ثقافة المجتمع»⁽²⁾.

يُشير تَمَام حَسَان إلى أنّ دلالة المقال (Speech event) منقوصة لا يمكن الوقوف عليها كاملة إلاّ بالاستعانة بالمقام (Context of situation) بمعطياته المختلفة كالظروف الاجتماعية والبيئة الثقافية وغيرها.

يستعين تَمَام حَسَان بالمصطلحات العربية للحديث عن السيّاق بنوعيه، فيورد مصطلح المقال للدلالة على السيّاق اللغوي، ويورد مصطلح المقام للدلالة على سيّاق الحال.

(1) عرفات فيصل المنّاع. السيّاق والمعنى دراسة في أساليب النّحو العربي. ط1. مؤسسة السيّاب. لندن. 2013. ص44.

(2) تمام حسان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص28.

2- 1 الظواهر السِّياقية عند تَمَام حَسَان:

استخلصها تَمَام حَسَان من التَّقابل بين القواعد الصَّوتية التي يقررها النَّظام وبين الظَّواهر الموقعية التي يفرضها السِّياق، وبآلية الجدولة يلخِّص أشهر الظَّواهر السِّياقية في العربية الفصحى وهي كالآتي⁽¹⁾:

| تفسيرها | الظاهرة الموقعية الناتجة | اتجاه الدُّوق العربي |
|---|--------------------------|--------------------------|
| الضَّدان هما الصَّوتان المتنافران في النَّطق | ظاهرة التَّأليف | 1- كراهية توالي الأضداد |
| الضَّدان هما الحركة وهي مظهر الاستمرار، والصَّمت وهو مظهر التَّوقُّف. | ظاهرة الوقف | 2- كراهية توالي الأضداد |
| الضَّدان قيمتان صوتيتان متنافرتان. | ظاهرة المناسبة | 3- كراهية توالي الأضداد |
| الضَّدان صوتان في تجاورهما ثقل في النَّطق. | ظاهرة الإعلال والإبدال | 4- كراهية توالي الأضداد |
| المثلان هما الصَّمت قبل النَّطق والسَّكون في أوَّله. | ظاهرة التَّوصُّل | 5- كراهية توالي الأمثال |
| المثلان أو المتقاربان صوتان مشتركان في أكثر خصائصهما. | ظاهرة الإدغام | 6- كراهية توالي الأمثال |
| المثلان هما الساكنان المتواليان. | ظاهرة التَّخَلُّص | 7- كراهية توالي الأمثال |
| الأمثال نونات أو تاءات أو غير ذلك. | ظاهرة الحذف | 8- كراهية توالي الأمثال |
| الأمثال هنا حركات متوالية. | ظاهرة الإسكان | 9- كراهية توالي الأمثال |
| توقياً لأمثال هنا بتوزيع الحرمة والمد على النَّطق. | ظاهرة الكميَّة | 10- كراهية توالي الأمثال |
| توقياً لأمثال هنا بتوزيع القوَّة والضعف بين الأصوات وبين الكلمات. | ظاهرة الإشباع والإضعاف | 11- كراهية توالي الأمثال |
| توقياً لأمثال يكون بتتويج المقاطع. | ظاهرة النَّبر | 12- كراهية توالي الأمثال |
| توقياً لأمثال يكون بتتويج النَّغمات. | ظاهرة التَّنغيم | 13- كراهية توالي الأمثال |

بآلية تفصيل المجمل يشرح تَمَام حَسَان الظَّواهر السِّياقية، وفيما يأتي تفصيل بعضها دون الآخر الذي سبقت الإشارة إليه:

(1) تَمَام حَسَان. اللُّغة العربية معناها ومبناها. ص 263- 264.

2-1. ظاهرة التآليف:

هي ظاهرة موقعية تقوم في اللغة العربية الفصحى من تجاوز الحروف في الكلمة على أساس فكرة تقارب المخارج وتباعدها. وقد استعان بها نقاد الأدب القدامى في الكشف عن التناظر اللفظي الناتج عن تقارب المخارج الصوتية، الذي بنوا على أساسه نقدم لكلمة (مستشزرات) ولعبارة "وليس قرب قبر حرب قبر"، ومرجع ذلك إلى الذوق العربي الذي يأبى التضاد أو التناظر، ويتضح هنا أنه كلما تباعدت مخارج الحروف حسن تأليفها، والأمر نفسه بالنسبة لكلمة (هعخع) التي تعني نباتا يرعاه الإبل، فكلما تقاربت مخارج الحروف ساء تأليفها وأصبحت كلمة غير فصيحة. وتبنى دراسة ظاهرة التآليف على المخارج والأحياز الصوتية الآتية⁽¹⁾:

- الحيز الأول (الشفتان):

1. الشفوي (ب م و).

2. الشفوي الأسنان (ف).

- الحيز الثاني (مقدم اللسان):

3. الأسنان (ث ذ ظ)

4. الأسنان اللثوي (ت د ض ط س ز ص)

5. اللثوي (ن ل ر).

6. الغاري (ج ش ي).

- الحيز الثالث (مؤخر اللسان والحلق):

7. الطبقي (ك=g)

8. اللهوي (الحلقومي خ غ ق).

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 266-269.

9. الحلقي (ع ح).

10. الحنجري (ء ه).

إنّ دراسة هذه الظاهرة الموقعية مؤسّس على الاعتبار العضوي المخرجي وثيق الصّلة بهذه الأحياز الثلاثة التي يشتمل كل منها على مخارج متعدّدة. ويُضاف إلى ذلك، اعتبار القيمة الصوتية من تفخيم وترقيق، كأن ندّعي مثلاً ندرة تجاور أحد المطبقات مع أحد الغاريات، فالتأليف مرتبط بدراسة المستعمل والمهجور من مواد اللّغة، وهو بهذا المعنى يرتبط بمعنى الكلمة العربية الفصحى.

2-1 ب. ظاهرة الوقف:

تعدّ ظاهرة الوقف واحدة من موقعيات السيّاق العربي، ترجع إلى كراهية توالي الأضداد أو كراهية التنافر، فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء، والصّمت قصد الوقف عند تمام المعنى هو نقيض الحركة تماماً، فبينه وبينها تنافر. وللوقف وسائل متعدّدة غير الإسكان، فله ما يأتي⁽¹⁾:

ب1- الرّوم: إضعاف صوت الحركة دون أن تخفّي تماماً على الأذن.

ب2- الإشمام: عدم النّطق بالضّمة ولكن مع الإشارة بالشفّتين إليها.

ب3- الإبدال: هو إبدال الألف من تتوين المنصوب، وتتوين إذاً، ومن نون التّوكيد

الخفيفة، وكذلك إبدال الهاء من تاء التّأنيث التي تلحق الأسماء.

ب4- الزّيادة: هي زيادة هاء السّكت بعد الفعل المعتل المحذوف الآخر نحو

أعطه، وكذلك بعد ما الاستفهامية، لحاجة الصيغة إليها.

(1) ينظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 270- 272 .

ب5- الحذف: هو حذف التَّنوين من آخر المنون مرفوعا كان أو مجرورا، ومن آخر المقصور مطلقا، وحذف إشباع الضمير في به وله، وحذف ياء المنقوص مع التَّنوين في الاسم المنقوص المنكَّر.

ب6- النِّقْل: تحويل حركة الحرف الأخير من الكلام إلى الساكن قبله، لبيان حركة الإعراب، أو التَّخلص من التَّقاء الساكنين، إلَّا إذا كان ما قبل الآخر ممنوعا تحريكه.

ب7- التَّشديد: خلاف تضعيف الحرف، وهو شبيهه بقلقلة بطيئة للحرف الموقوف عليه، إذ أنَّ تشديد الحرف الأخير المسكَّن للوقف، وسيلة من وسائل الإبلاغ السَّمعي، لإرادة التَّأكيد، أو أي معنى آخر مناسب. ويشترط في الحرف المشدَّد ألا يكون همزة نحو: بناء، أو حرف لين بعد حرف متحرِّك نحو: بَقِيَّ والقاضي، أو حرفا صحيحا مسبوqa بصحيح ساكن نحو: بَكْر.

2-1. ظاهرة المناسبة:

المناسبة (Vowel harmony) ظاهرة سياقية يلخّصها تَمَام حَسَان في كراهية الذوق العربي للتنافر، فالمعروف أنَّ الحركات القصار، الفتحة والضمّة والكسرة من قبيل صوتي واحد مع الحركات الطّوال على التّرتيب الألف والواو والياء، غير أنَّ هناك حالات أخرى، يتطلب فيها موقع ما حركة معينة بحكم القاعدة ولكنّها تتنافر مع ما يجاورها، فيتدخل السّياق ليفرض الحركة المناسبة.

سجّل النّحاة العرب تحت عنوان المناسبة، حركة واحدة هي الكسرة قبل ياء المتكلم نحو "هذا كتابي"، وبآلية التّجديد يضيف تَمَام حَسَان إلى ذلك عددا من حركات المناسبة في مواقع أخرى، ومنها ما يأتي⁽¹⁾:

ت1- بناء الماضي على الضمّ، لمناسبة واو الجماعة في نحو: ضربوا.

(1) ينظر : تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص273- 274.

ت2- تحريك عين المضارع المسند إلى واو الجماعة بالضمّ في جميع حالاته الإعرابية، نحو: يضربون ولن يضربوا ولم يضربوا.

ت3- تحريك لام فعل الأمر بالضمّ عند إسناده إلى الواو نحو: اِضْرِبُوهُ.

ت4- تحريك لام الفعل المضارع المسند إلى ياء المخاطبة بالكسر، لمناسبة الياء في جميع الحالات الإعرابية، نحو: تَضْرِبِينَ ولتَضْرِبِي ولم تَضْرِبِي.

ت5- تحريك لام فعل الأمر عند إسناده إلى ياء المخاطبة بكسرة، لمناسبة الياء، نحو: اِضْرِبِي.

ت6- تحريك أواخر هذه الأفعال جميعاً، بالفتحة عند إسنادها إلى ألف الإثنيين نحو: ضَرِبَا- يَضْرِبَان- لن يَضْرِبَا- لم يَضْرِبَا- اِضْرِبَا.

ت7- إذا كان الفعل معتل الآخر بالألف، فإنّ الفتحة التي على عين الكلمة -والتي تُعدّ الألف مدّاً لها- تبقى بعد حذف الألف في بعض تصريفات الفعل، لتكون قرينة على الألف المحذوفة ويسمّيها النّحاة حركة الدليل بقولهم: "والفتحة قبلها دليل عليها"، نحو: يحيي أصلها يحيياً.

2-1 ث. ظاهرة الإعلال: يتخذ الإبدال بوصفه ظاهرة موقعية في اللّغة العربية

الصّور الآتية(1):

ث1- إبدال الصحيح بالصحيح كإبدال الطاء من تاء الافتعال، إذا كانت فاؤه حرفاً مطبقاً، وهو الصاد والضاد والطاء والظاء، نحو: اصطبر، اضطر، اِطَّلَع، اظلم.

ث2- إبدال الصّحيح باللّين، كإبدال الهمزة بالواو والياء، في كساء أصلها كساو وصحائفها صحايف.

ث3- إبدال المدّ بالصّحيح، كجعل ثانية الهمزتين حين تكون ساكنة في الكلمة نفسها مدّاً لحركة أولاهما نحو: اَثَّرَ أصلها اَثَّرَ.

ث4- إبدال اللّين باللّين، كجعل الواو ياءً في: رضِيَّ أصلها رضِيَّ، وجعل الياء واوا في: تقوى أصلها تقوى.

(1) تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص274-276.

ث5- إبدال اللين بالمد كجعل الألف ياء في غَزَيْلٌ تصغير غزال.

ث6- إبدال المدّ بالمدّ، كجعل الألف ياءً مدّ في: دنانير جمع دينار، وجعلها واوا ممدودة في: بويح المبني للمجهول من بايع.

أما ظاهرة الإعلال، فموضوعها حرفا اللين وهما: الواو والياء، وتكون في هذين الحرفين بإحدى الطرق الثلاث⁽¹⁾:

ث7. القلب: إن الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قُلبتا ألفا كما في قال وباع، ولا تقلبان إذا سکن ما بعدهما أو كانتا عينا لَفَعَلَ كَحَوَّرَ، أو لَفَعَلَ كَعَوَّرَ الذي الوصف منه على وزن أفعَل، أو ما كان في آخره زيادة تختص بالأسماء كدوران.

ث2. النقل: إذا كانت الواو أو الياء عينا للفعل أو الاسم الجاري مجرى المضارع مسبوقه بساكن صحيح، نقلت حركتها إلى الساكن الصحيح قبلها نحو: يَبِيعُ أصلها يَبِيعُ وَمَبِيعٌ أصلها مَبِيعٌ، إلا إذا كان الفعل تعجبا نحو ما أَقُولُهُ.

ث3. الحذف: تحذف الواو والياء، كما في: غازٍ من يغزو وقاضٍ من يقضي، كما تحذف فاء الثلاثي في المضارع مفتوح حرف المضارعة نحو: يعد أصلها يُوْعِدُ، والأمر نحو: عد أصلها إُوْعِدْ، وكذا حذف الهمزة من المضارع، واسم الفاعل، واسم المفعول، نحو: يُكْرِمُ أصلها يُؤَكِّرِمُ، ومُكْرِمٌ أصلها مُؤَكِّرِمٌ، ومُكْرِمٌ أصلها مُؤَكِّرِمٌ.

2-1 ج. ظاهرة التوصل: تبتدئ من الناحية النظرية بعض الكلمات في اللغة العربية

بحرف ساكن، وينبغي على المتكلم أن يتوصل إلى النطق بهذا الساكن الذي بدأت به الكلمة بواسطة وسيلة صوتية ليست من بنية الكلمة، كهزمة الوصل في: ال التعريفية، أمر الثلاثي اضرب، أمر الخماسي انطلق، وأمر السداسي استخرج، ومصادر الخماسي والسداسي انطلق واستخرج، وغيرها من الكلمات المحفوظة. فإذا وقعت إحدى الكلمات

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 276- 278 .

المبدوءة بالسّاكن حسب نظام البنية في أول الكلام، نطقها المتكلم بهمزة الوصل، أما إذا وقعت وسط الكلام، فلن تكون هناك حاجة إلى الهمزة، لأنّ الحرف الأخير في الكلمة التي تلاها السّاكن، يتحمّل وظيفة الوصل بواسطة الحركة التي يشكل بها، فيحلّ محل الهمزة، وتحل حركته محلّ حركة الهمزة، فكلمة (المؤثّف) حين يبدأ بها الكلام تتحمّل الهمزة، غير أنّها تختفي في وسط الكلام في نحو: "قال المؤثّف"، ويحلّ لام قال وحركته محلّها ومحلّ حركتها. أضف إلى ذلك، الكلمة المُعرّفة بلام التّعريف، المبتدئة بالسّاكن مثل كلمة (الاستقلال)، فلام التّعريف السّاكنة الدّاخلة عليها، تصبح وسيلة للتّوصل إلى النّطق بالسّين، فتصبح أداة التّعريف متحركة، فتُنطق الكلمة على صورة (سِتْقَال).

2-1د. ظاهرة التّخلص: إنّ ظاهرة التّخلص من التّقاء السّاكنين في السّياق جزءًا من سليقة العربي، وعادة من عاداته النّطقية. وفي اللّغة العربية طريقة للتّخلص من كرهت التّقائهما بكسر السّاكن الأوّل إذا كان صحيحا، فهذه الكسرة، ليست جزءًا من بنية الكلمة ولا من هيكلها الحركي ولا هي حركة إعرابية، ولكنّها علامة على موقع معيّن التقى فيه ساكنان في وسط الكلام، ومن هنا يكون التّخلص من التّقاء السّاكنين ظاهرة موقعيّة من ظواهر السّياق، ففي نحو: "إعرض اقتراحك"، فالكلمة الثّانية تبدأ بحرف ساكن هو القاف والألف التي قبلها علامة إملائية على الوصل، ولا تنطق الألف هنا وإنّما ينتقل المتكلم من الضّاد إلى القاف بواسطة كسرة التّخلص. ويكون التّخلص من التّقاء السّاكنين كما في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ البيّنة¹، وفي نحو هذه العبارة: "لَمْ يَطْلُ ائْتِظَارِي"، (فيكن) كلمة مجزومة بالسّكون وأيضا (يطل) مجزومة بالسّكون، و(الذين) و(ائتظاري) مبدوءتان بساكن، لذا حقّ لهذه الحالة التّخلص من التّقاء السّاكنين بكسر أولهما.

تغتفر اللّغة العربية التّقاء السّاكنين عندما يكون الوقف بالسّكون على آخر الكلام، وبعده سكون الصّمت، وتفاذي فك المثلين المتحركين في وسط الكلام، ولهما أن يلتقيا

في الوقف نحو: قَبْلُ - عَيْنٌ - بَعْدُ - قَوْمٌ، كما يلتقيان إذا كان ثانيهما أوّل مثلين مدغمين، وقد يكون أولهما حرف لين مشكلا بالسكون، أو أن يكون حرف مدّ وبعدهما حرف مشدّد، نحو: الحاقّة- الطّامة- الصّاخة- الصّافات، وتصغيرها نحو: حويقة-طويمة - صويخة- صويقة.

هناك صورة أخرى من صور اغتفار التقاء الساكنين، دعت إليها ضرورة التفريق بين المعاني وهي كالاتي: "وَلَمَّا وَصَلَ الضَّيْفُ تَقَدَّمَ حَامِلًا الْعِلْمَ إِلَى الْمِنْصَّةِ" إذ يمكن لها أن تلتبس بعبارة: "وَلَمَّا وَصَلَ الضَّيْفُ تَقَدَّمَ حَامِلَ الْعِلْمِ إِلَى الْمِنْصَّةِ"، والذي يمنع اللبس، هو مد الألف في كلمة (حاملًا) فجاز التقاء الساكنين في هذا الموضع ونحوه.

2-1. ظاهرة الحذف: الحذف هو الفارق بين مقررات النّظام اللّغوي وبين مطالب

السّياق الكلامي، كتقرير نظام اللّغة مثلا أنّ المضارع المرفوع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة ينتهي بنون الرفع، وأنّ توكيد المضارع يجري بنون مشدّدة مركّبة من نون ساكنة ونون متحركة، ولو أنّ المضارع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة أكّد بالنّون الثّقيلة، لكان معنى ذلك أنّ النّظام اللّغوي قضى بتوالي ثلاث نونات: نون الرفع + (نون ساكنة + نون متحركة = نون مشدّدة) وهذا يصطدم بالدّوق العربي الذي يكره توالي الأمثال، فيتدخل الدّوق الاستعمالي لحذف نون الرفع وترك النّون الساكنة والمتحركة اللّتان تبدوان معا في صورة وحدة صوتية مشدّدة. أضف إلى ذلك يقرّر نظام اللّغة أنّ التّاء حرف من حروف المضارعة وأنّ التّفاعل إذا جاء على صورة المضارع المبدوء بالتّاء، فقد توالى فيه تاء المضارعة وتاء التّفاعل، فتدخل مطالب الاستعمال لحذف التّاء الثّانية، نحو: لا تتابزوا أصلها لا تتابزوا- لا تتازعوا أصلها لا تتازعوا- ولا

تباغضوا أصلها لا تتباغضوا. وعليه يرى تَمَام حَسَّان أنّ دراسة ظاهرة الحذف هي دراسة لحذف الحروف الصحيحة⁽¹⁾.

2-1. ظاهرة الإسكان: يلخّص تَمَام حَسَّان ماهية الإسكان كالحذف في الفرق ما بين مقررات النظام اللغوي ومطالب السياق الاستعمالي؛ وبآلية التمثيل يشرح ذلك أنّ النظام اللغوي يقرر أنّ الفتح يبنى عليه الفعل الماضي، وذلك أخذاً عن الماضي المسند إلى المفرد الغائب، ومن الضمائر التي يستند إليها الماضي ضمائر متصلة متحركة أو مبدوءة بحركة، ومن هنا فالصيغة القياسية (فَعَلَ) إذا أسندت إليها تاء متحركة، تصبح (فَعَلَتْ) وهذا يتعارض والدّوق الاستعمالي الذي يكره توالي أربعة متحركات، فثُسكن لام الفعل، ويصبح الفعل مبنياً على السكون بعد أن كان مبنياً على الفتح، ولهذا يرى تَمَام حَسَّان أنّ نظام اللّغة يقرّر الفتح للجميع بدليل: ضَرَبَ - ضَرَبَتْ - ضَرَبَا - ضَرَبْتَا، والاستعمال يوزّع الصيغ بين الفتح والإسكان، هذا الأخير الذي يتّضح في الإسنادات الآتية⁽²⁾:

1. إسناد الماضي إلى تاء المتكلم نحو: ضَرَبْتُ
2. إسناد الماضي إلى تاء المتكلم نحو: ضَرَبْنَا
3. إسناد الماضي إلى تاء المخاطب نحو: ضَرَبْتَ
4. إسناد الماضي إلى تاء المخاطبة نحو: ضَرَبْتِ
5. إسناد الماضي إلى ضمير المخاطبين نحو: ضَرَبْتُمَا
6. إسناد الماضي إلى ضمير المخاطبين نحو: ضَرَبْتُمْ
7. إسناد الماضي إلى ضمير المخاطبات نحو: ضَرَبْتُنَّ
8. إسناد الماضي إلى ضمير الغائبات نحو: ضَرَبْنَ

(1) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص298.

(2) ينظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص300.

2-1 ز. ظاهرة الكمية: يرى تَمَام حَسَان أَنَّ المقصود بالكمية اعتبار القيمتين الخلافتين (الطول والقصر)؛ فالطَّوْل في الحروف الصحيحة تشديد، والقصر إفراد، والطَّوْل في حروف العلة مدّ، والقصر حركة. والكمية تفرّق بين الصيغة والأخرى، وبين الكلمة وأختها، فالفرق بين فَعَلَ وفَعَّلَ فرق في الإفراد والتشديد، والفرق بين فَعَلَ وفَاعَلَ فرق في الحركة والمدّ والفرق بين لم ولام فرق في الحركة والمدّ أيضاً، وهذه القيم الخلاقية في الكمية لها عظيم الأهمية في المعنى.

وبألية التمثيل يبيّن تَمَام حَسَان ما يتّصل بالكمية كالكلمات المنتهية بحروف المدّ الألف أو الواو أو الياء، وتتلوها كلمات مبدوءة بالسّاكن نحو: "الفتى العربي" و"القاضي الفاضل" و"يدعو الله" فالألف في المثال الأوّل، تفقد كميتها وتصبح من ناحية المدّة في طول الفتحة، والياء في المثال الثّاني تفقد الكمية وتصبح في طول الكسرة والواو في المثال الثّالث تفقد طولها وتصبح في مقدار الضّمة.

يؤكد تَمَام حَسَان على وجود فرق بين كمية الحرف وبين المدّة التي يستغرقها نطق الصوت؛ فالكمية جزء من النّمطية اللّغوية، والمدّة هي الوقت الذي يستغرقه النطق، فهي جزء من تحليل الكلام. والكمية مقابلات وقيم خلافية ولكن المدّة تقاس بالنّوائي والوحدات الزّمنية الأكبر منها، والكمية أيضاً غير مرتبطة بمقاييس الزمان الفلسفي أما المدّة، فمرتبطة بالزّمان الفلسفي وقد يكون الحرف قصير الكمية، لكن مدّة نطقه تكون أطول من المشدّد.

2-1 س. ظاهرتا الإشباع والإضعاف: الإشباع عند تَمَام حَسَان تقوية النّطق بالصّوت وعكسه الإضعاف، وهما مرتبطان بالموقع في السّياق، ويمكن بحسب ظاهرتي

الإشباع والإضعاف رصد الحرف في مكانه من الدفعة الكلامية ثمانية مواقع بيانها كما يأتي(1):

- 1- بداية النطق كموقع الكاف من كتب
- 2- الوسط بين حركتين كموقع التاء من كتب
- 3- المشدد في الوسط كموقع اللام من علم
- 4- الساكن في الوسط كموقع العين من معلوم
- 5- المتحرك بعد ساكن في الوسط كموقع اللام من معلوم
- 6- الساكن قبل الآخر المسكن بالوقف كموقع الجيم من استخرجت
- 7- الساكن المفرد في آخر الكلام كموقع الباء من اضرب
- 8- الساكن المشدد في آخر الكلام كموقع اللام المشددة الساكنة بالوقف من استقل.

فإذا نُسب إلى الحروف في هذا المواقع إشباعاً، فإنَّ أضعف ما يكون الحرف إنَّما يكون وسطاً بين حركتين (الموقع 2)، وأقوى ما يكون إنَّما يكون ساكناً مشدداً في آخر الكلام (الموقع 8). ويمثِّل تَمَام حَسَان لظاهرتي الإشباع والإضعاف بإمكانية إرجاع تقسيم الضمائر بين الاتصال والانفصال إلى ذلك؛ فالضمير المتصل مضعف والمنفصل مشبع؛ ولهذا الأخير نطقان: نطق مشبع ونطق مضعف بحسب موقعه من الكلام، كما يبدو فيما يأتي(2):

| الإشباع | الإضعاف |
|----------------|---------------|
| الضمير المنفصل | الضمير المتصل |
| وهو | وهو |
| فهو | فهو |

(1) ينظر: تَمَام حَسَان، اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 200-202.

(2) ينظر: تَمَام حَسَان. اللّغة العربية معناها ومبناها. ص 302-304.

| | |
|-------|-----------|
| أهُوَ | لهُؤ |
| ذا | هذا |
| ذي | هذه - هذي |
| أولاء | هؤلاء |

يرى تَمَام حَسَان أنّ ظاهرتي الإشباع والإضعاف فسرتنا الاختلاف في صور بعض الظروف والأدوات كما يأتي:

| | |
|----|-----|
| مذ | منذ |
| كي | لكي |
| عل | لعل |

لكنَّ وإنَّ وأنَّ التَّقيلتان لكنَّ وإنَّ وأنَّ المخففتان
ويبدو الإشباع والإضعاف واضحا في المقابلات الآتية:

| | |
|----------------------|---------------------|
| رَبِّ | رَبِّ |
| يشفيني | يشفيني |
| لم يكن | لم يكن |
| يأمرُكم (بالتَّحريك) | يأمرُكم (بالاختلاس) |
| كتابي | كتابي |

2-2 طرق إيجاد الحدود الفاصلة بين الكلمات في السّياق:

يرى محمد رشاد الحمزاوي أنّ «تَمَام حَسَان من اللّسانيين العرب المعاصرين الذين اهتمّوا بالمعجمية والمعجم، في نطاق منهجية جديدة تستحق الاعتبار، واهتمّ بالكلمة

وتحديدها قديما وحديثا»⁽¹⁾، بوصفها وحدات لغوية لا أصواتية، وعدّها مادّة للمعجم، يدور حولها نشاطه؛ فالكلمة العربية عنده، هي «صيغة ذات وظيفة لغوية معيّنة في تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد، أو تحذف، أو تحشى، أو يغيّر موضعها، أو يستبدل بها غيرها، في السّياق؛ وترجع في مادتها غالبا إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد»⁽²⁾.

تجدر الإشارة إلى أنّ تَمَام حَسَان كان السّباق إلى تعريف الكلمة العربية بشهادة حلمي خليل الذي يقول: «أمّا علماء اللّغة المحدثون فلم يحاول أحد منهم وضع تعريف للكلمة فيما نشره من دراسات أو أبحاث في علم اللّغة. والتّعريف الوحيد - فيما نعلم - هو ما قدّمه تَمَام حَسَان في كتابه مناهج البحث في اللّغة»⁽³⁾.

بآلتي تفصيل المجمل والتّمثيل يشرح تَمَام حَسَان طرق إيجاد الحدود الفاصلة بين الكلمات العربية في السّياق، وهي التي تُعرف بالمفصل^(*) (Juncture)⁽⁴⁾:

2-2أ. الأفراد عن السّياق: مثل: "هُم" تصلح مستقلّة للأفراد في حالة الرّفْع، ولا تصلح لذلك في حالتي النّصب "إنّهم" والجرّ "بهم"، لأنّها ليست كلمة مستقلّة، وإنّما تعدّ ملحقة بكلمة هي جزء منها.

(1) محمد رشاد الحمزاوي. المعجمية: مقارنة نظرية ومطبّقة، مصطلحاتها ومفاهيمها. مركز النّشر الجامعي. تونس. 2004. ص 87.

(2) تَمَام حَسَان. مناهج البحث في اللّغة. ص 266.

(3) حلمي خليل. مقدّمة لدراسة التّراث المعجمي العربي. ص 48.

(*) عبارة عن سكتة خفيفة بين عدة كلمات بقصد تحديد مكان انتهاء الكلمة وبداية كلمة جديدة. للاستزادة ينظر: حلمي خليل. الكلمة: دراسة لغوية معجمية. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1998. ص 48. أحمد مختار عمر. دراسة الصّوت اللّغوي. ص 193.

(4) ينظر: تَمَام حَسَان. مناهج البحث في اللّغة. ص 262 وما بعدها.

2-2ب. الحذف من السِّيَاق: مثل: "هُمُ أَنْفُوا مِنْهُمْ"، يمكن حذف الضمير الأول

من الجملة لأنّه كلمة، ولا يمكن ذلك مع الضمير الثاني لأنّه جزء من كلمة.

2-2ت. الحشو في السِّيَاق: مثل: "كان المسلمون في القرن التّاسع الميلادي هم

أصحاب أكبر ملك في الدّنيا"، فضمير الرّفْع (هم) أمكن حشوه في الجملة لأنّه كلمة، في حين لا يمكن حشو ضمير النّصب بين المسلمين وأصحاب في مثل: "خاف العالم في القرن التّاسع الميلادي المسلمين أصحاب أكبر ملك في الدّنيا" لأنّه جزء من الكلمة.

2-2ث. الإبدال في السِّيَاق: مثل: "المسلمون أخيار؛ بل هم خير أمة أخرجت

للنّاس"، فهم ضمير رفع يمكن استبداله بالمسلمين، فنقول: "المسلمون أخيار؛ بل المسلمون خير أمة أخرجت للنّاس". والأمر خلاف ذلك في حالتي النّصب والجرّ، نحو: "يقع بيت محمد على شاطئ النّيل" و"يقع بيته على شاطئ النّيل"، ففي الجملة الأولى (بيت) و(محمد) كلمتان مستقلّتان، سدّ مسدّهما في الجملة الثانية كلمة واحدة هي (بيته)، والهاء جزء من كلمة لأنّه ضمير جرّ مضاف إلى البيت، لا يمكن ذكره دون ذكر (محمد) لضرورة ذكر من يعود عليه الضمير في السِّيَاق.

2-2ج. تغيير الموقع في السِّيَاق: مثل: "هم السّادة الأخيار" يمكن تغيير موقع

ضمير الرّفْع (هم)، فتصبح: "السّادة الأخيارهم"، على عكس: "منهم السّادة الأخيار"؛ إذ لا يمكن تغيير موقع الضمير وحده لأنّه ليس كلمة مستقلّة، وحرف الجرّ تبعاً له، وإذا غير موقع الضمير دون حرف الجرّ، فإنّ المعنى يتغيّر في: "من السّادة الأخيارهم"، وعليه يمكن القول: إنّ (هم) كلمة مستقلّة إذا كان ضمير رفع.

2-2ح. استخدام العلامات الموقعية في الكلام: مثل: واو العطف، فهي علامة

تدلّ على الموقع في السِّيَاق العربي، تعمل الفصل والوصل بين كلمتين مستقلّتين في

الآن نفسه؛ فهي أداة عطف تربط بينهما، وحدّ فاصل يعدّ دليلاً على نهاية كلمة سابقة وبدء كلمة لاحقة.

2-3 آليات الرّبط في السّياق عند تَمَام حَسَان:

يكون السّياق مترابطاً بواسطة ظواهر تكون حاضرة في طريقة تركيبه ووصفه، ولولاها لغابت عن الكلمات المتجاورة العلاقات المتبادلة التي تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في السّياق، وتنقسم الآليات التي تخلق هذا الترابط إلى ثلاثة أقسام هي⁽¹⁾:

2-3أ. التماسك السّياقي (Transitivity):

يرى تَمَام حَسَان أنّ التماسك السّياقي هو ترتيب الكلمات في سياق معين، وهذا التّرتيب وثيق الصّلة بترتيب الأبواب النّحوية؛ كأن يُأتى بالمبتدأ في صفحة، ثم بالخبر بعده بصفحات، فالذي يجعل هذا الخبر مترابطاً مع ذلك المبتدأ إنّما هو التماسك السّياقي، ولولا هذا الأخير لظل المبتدأ يتطلب خبره. وبآلية التّمثيل يشرح العلاقات المتشابكة بين: "ضَرَبَ مُحَمَّدٌ عَلِيًّا"؛ فمحمد فاعل للفعل ضرب، وعلي مفعول به وقع عليه فعل الفاعل، وضرب فعل في صيغة المفرد الغائب يتماسك مع محمد الذي يطلبه بهذه الصّورة، ونصب عليّ قضي برفع محمد وتعدي ضرب.

2-3ب. التّوافق السّياقي (Concord):

يعرّفه تَمَام حَسَان بأنّه المطابقة بين أجزاء معيّنة في سياق الجملة من حيث الأفراد والتّثنية والجمع والتذكير والتّأنيث والحضور والغيبة، وبآلية التّمثيل يوضّح ذلك، نحو:

(1) ينظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 237 وما بعدها.

| جملَة | جها ت التوافق السّياقي |
|------------|------------------------|
| أنتَ تقوم | مفرد - مذكّر - حاضر |
| هما يقومان | مثنى - مذكّر - غائب |
| هنّ يقمن | جمع - مؤنث - غائب |

ينبّه تَمَام حَسَان إلى أنّ التّوافق السّياقي لا يخصّ الجدول التّصريفّي فقط، بل هو عام في كلّ سياق لغوي، كالمطابقة بين الفعل والفاعل في الجملة الفعلية، أو بين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية.

2-3 ج. التأثير السّياقي (Regimen أو Governance):

يؤدي التماسك والتّوافق في السّياق إلى فرض علاقة متبادلة بين عناصر الجملة، الفعل والفاعل والمفعول، أو بين المبتدأ والخبر، لأن وظيفة الفاعل تتميز عن وظيفة المفعول، وهذا التمييز أدى إلى رفع الأوّل ونصب الثّاني، واختلاف الوظيفة النحوية يؤثر في الجملة، فالذي يجعل السّياق مترابطاً إنّما هو ظواهر فيه تفرّق بينه وبين نسق من الكلمات التي لها مجرد المجاورة بلا رابط، نحو: "محمد بل في قم على راكب قبائل". فهذه الكلمات مترابطة ينقصها التماسك والتّوافق والتأثير، وإذا توقّرت لها هذه العناصر تصبح سياقاً عربياً فصيحاً⁽¹⁾.

2-4 دلالة قرينة السّياق عند تَمَام حَسَان:

ينطلق تَمَام حَسَان من أنّ المقصود بالسّياق هو التّوالي، يمكن النّظر إليه من زاويتين هما⁽²⁾:

أ- توالي العناصر التي يتحقّق بها السّياق الكلامي (سياق النّص).

(1) ينظر: تَمَام حَسَان. مناهج البحث في اللّغة. ص 240-241.

(2) ينظر: تَمَام حَسَان. اجتهادات لغوية. ص 237.

ب- توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام (سياق الموقف).

فالأول منهما إما أن يكون قرينة نحوية أو معجمية أو دلالية، أما الثاني فيكون إما ذا دلالة واقعية أو ذهنية؛ فالواقعية مبناها على العرف أو أحداث التاريخ أو مواقع الجغرافيا أو العلاقات العملية في إطار الموقف الذي وقع فيه الكلام. أما الذهنية فتنشأ عن تداعي المعاني.

يعتمد تَمَام حَسَان آلية التمثيل بشواهد قرآنية لتيسير التمييز بين دلالات قرينة السياق، من خلال ما يأتي⁽¹⁾:

2-4. قرينة العلاقة النحوية:

يقول تعالى: ﴿طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ طه 1-3. عادة (إلا) تفيد الاستثناء غير أن هذا السياق لم يشتمل على مستثنى منه، وإنما جعل بين ما سبق (إلا) وما لحقها علاقة استدراك، فاتضح أنها بمعنى لكن، بفضل قرينة سياق النص.

ويقول أيضا: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس 32. في هذا السياق دخلت إن على الاسم، ولم يأت بعدها ما يصلح للشرط، فبقي لها إما أن تكون مخففة من النقيضة لاقترانها باللام في (لما) وزيادة (ما) بعد اللام، فيكون المعنى "وإنَّ كُلاًّ مِنْهُمْ لَمُحْضَرُونَ جَمِيعًا"، وإما أن تكون (إن) للنفي و(لما) بمعنى (إلا)، فلأن الحروف تتوب عن بعضها، كان تقدير النيباة عن (إلا) أخفّ وقعا من تقدير زيادة (ما) فيصبح المعنى "وَمَا كُلُّ إِلَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ" وهذا بقرينة السياق طبعاً.

(1) ينظر: تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص 238 وما بعدها.

2-4ب. العلاقات المعجمية:

لا يتحقّق المعنى بواسطة العلاقات النحوية فقط، فقد تتوفر كلّ الشّروط النحوية في تركيب ما، فيعرب إعراباً تامّاً، ولكنّه يكون صفرًا من المعنى، نحو: "تَأَلَّمَ الحَجْرُ فسَلَّمَ على البرهان"، فبين مفردات هذه الجملة مفارقة معجمية تحول دون الوقوف على المعنى. ومن هذا المنطلق يرى تَمَام حَسَان أنّ العلاقات المعجمية تؤدّي دور القرينة على المعنى، وبيسر فهم ذلك بآلية التمثيل من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ الأعراف26، في الآية مفارقة معجمية في "وَلِبَاسُ التَّقْوَى"، لأنّ التَّقْوَى لا لباس لها، وعليه يعلّق المعنى بالكشف عن علاقة معجمية مقبولة بين اللَّفْظَيْن، كأن نبحت عن معنى يمكن أن نفهم منه الإضافة التي بينهما، فنجد أنّ لفظ "لباس" لا يطلق على الملابس فقط، وإنّما يكون مصدرًا للفعل "لبس" أي "خالط"، وبهذا يستقيم المعنى.

2-4ت. الجانب الدلالي:

يرى تَمَام حَسَان أنّ كلّ نص يشتمل على قرينة تحدّد معنى من المعاني المحتملة، ولولاها ما أمّن اللبس. وبآلية التمثيل يسوق الكثير من الشواهد القرآنية نذكر منها: قوله جلّ وعلا: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام1، وقوله جلّ شأنه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الأعراف18؛ رغم ورود الفعل "يَعْدِلُونَ" في الآيتين على صورة واحدة، إلّا أنّ كلا التّصيين اشتمل على ما يحدّد معناه؛ ففي الآية الأولى أسند الفعل (يَعْدِلُونَ) إلى ضمير الذين كفروا وتعلّق به الجار والمجرور (بِرَبِّهِمْ)، ففهم منه أنّهم يجعلون لله عديلاً غيره. وفي الآية الثانية أسند الفعل (يَعْدِلُونَ) إلى أمة يهدون بالحقّ، ففهم من لفظ الحقّ معنى القسطاس.

تجدر الإشارة إلى أنّ قرينة السياق تمتد على مساحة واسعة من الرّكائز وهي: اللّغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية وتشمل الدلالات العرفية

والعقلية والطبيعية، كما تشتمل على المقام بعناصره الحسية والنفسية والاجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث، والعناصر الجغرافية والتاريخية⁽¹⁾. ومن الشواهد القرآنية على الركائز التي تقوم عليها قرينة السياق ما يأتي⁽²⁾:

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القلم 51. هذا من قبيل القرينة المتعلقة بالمبنى اللفظي، ويسمىها تَمَام حَسَان القرينة المبنوية، ويرى أن الدليل على أن (إن) مخففة من الثقيلة، وأن معنى السياق هو التأكيد وليس الشرط، كون الفعل (يكاد) مرفوعا غير مجزوم، ثم وجود اللام في خبر (إن) المخففة وعدم وجود ما يصلح للشرط.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ الكهف 58. فاعتماد السياق على قرينة نحوية علاقية يتلخص في أن التركيب يأذن أن يكون خبر المبتدأ إما (الغفور)، وإما (ذو الرحمة) على زعم (الغفور) صفة للمبتدأ، وإما جملة (لو يؤاخذهم) على زعم ما قبلها صفتين للمبتدأ.

﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ يونس 77. اعتمدت قرينة السياق على المعجم، فالمعنى المعجمي للفظ القول يقتضي مقولا محذوفا، إن لم يكن هذا المقول مذكورا، ويقدر تَمَام حَسَان المحذوف بقوله: "أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ هَذَا سِحْرٌ". وتأتي ضرورة التقدير من أن القول يفتقر إلى مقول، ولا تصلح جملة أَسِحْرٌ هَذَا؟ أن تكون هذا المقول لأن الاستفهام يدل على التردد وعدم الجزم، وعليه يقدر المحذوف خبرا مثبتا حتى ينسجم مع اتهامهم للحق ودعواهم أنه سحر.

في قوله: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يس 35. تعتمد قرينة السياق أيضا على المعنى المعجمي لترجيح كفة إعراب (ما) بين الموصولية والنافية؛ إذ

(1) ينظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص 221.

(2) ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن. ص 212-218.

يرى تَمَام حَسَان أَنَّ بعضهم يعربونها اسما موصولا، ويستدرك بقوله: ولكن إيراد "أفلا تشكرون" تعقيبا على "وما عملت أيديهم" يرجح دلالة (ما) على النفي، لأنَّ أكلهم من ثمر لم تعمله أيديهم يستوجب الشكر أكثر من أكلهم ممَّا عملت أيديهم.

وقوله جَلَّ وعلا: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ آل عمران 198. آية من قبيل اعتماد قرينة السياق على اللّغة أي؛ ما بين عناصر الكلام من مناسبة أو مفارقة في المعنى، إذ بإزاء المناسبة المعجمية بين البر والخير، يمنع أن تكون "ما" نافية، فكانت إذن موصولة، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة 196 فدلّ الجمع على أن "إذا" خالصة للظرفية مبرأة من الشرطية.

أما الظروف الحسية والنفسية المحيطة بالنص، فشواهدا القرآنية كثيرة منها ما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ﴾ الأعراف 48، فالرجال الذين خاطبهم أصحاب الأعراف كانت ظروفهم الحسية تجمع الغنى والكبرياء في الدنيا، أما حالهم في الآخرة فيجمع العذاب والهوان، لذا سألهم أصحاب الأعراف سخرية وتهكّما عمّا إذا كان الكبرياء والغنى في الدنيا قد أغنيا عنهم شيئا من الله، وبقريته السياق انتفت دلالة المعنى على النفي أي؛ "لم يُغن عنكم جمعكم"، بدليل "يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ" فمضمون النفي معلوم لهؤلاء الرجال، فلا حاجة لإيضاحه، كذلك بدليل مواصلة السؤال في الآية التالية لها: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ الأعراف 49.

أما الظروف النفسية كالحب والكراهية والغضب والرّضا وغيرها، ففي نحو قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ النساء 127.

فالظروف النفسية متكأ لقرينة السياق دالة علحذف حرف الجر قصداً، والتقدير "وترغبون في أن تتكوهن" أو "وترغبون عن أن تتكوهن"، وذلك حتى يعم التركيب حالتي الرغبة فيهن والرغبة عنهن مع استبقائهن من أجل مالهن⁽¹⁾.

وأما المحيط الاجتماعي، فمنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ التوبة 34، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته - رضوان الله عليهم - يعلمون المقصود بهذا الكلام، لأن السياق بالنسبة إليهم تركز دلالاته على الظروف الاجتماعية، التي يعرفونها ولا نعرفها إلا بالاطلاع على سبب نزول الآية.

كذلك الأمر في معرفة الحالفين في قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ التوبة 56. والمؤذنين في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ التوبة 61. والمعاهدين في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنُؤْتِيَنَّهُنَّ الْغَنَاءَ وَلَنَرْزُقَنَّهُنَّ مِنْ أَمْوَالِنَا إِنَّهُنَّ لَخَوَاتِمُ الصَّالِحِينَ﴾ التوبة 75. والمعوقين في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الأحزاب 18. فكل هذه الآيات كانت تدور حول المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه النبي وأصحابه، فكان معنى السياق واضحاً لهم؛ أي أنهم عرفوا المعنى من حاضرهم، بينما نحتاج نحن الآن إلى معرفة أسباب النزول.

أما العادات والتقاليد فقد تركز عليها قرينة السياق، نحو قوله جلّ وعلا: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ المائدة 103، فالكفار افتروا على الله الكذب بجعلهم هذه الإبل من تقاليد عبادتهم للطاغوت. وقوله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبُعَاءِ إِنَّ أَرْدَنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُعُوا عِزَّ الدُّنْيَا﴾ النور 33. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(1) تَمَام حَسَان. البيان في روائع القرآن. ص 218 - 220.

أَمْنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴿النساء19﴾، فما سبق إشارات إلى عادات وتقاليد كانت للعرب، فاتكأت قرينة السياق عليها.

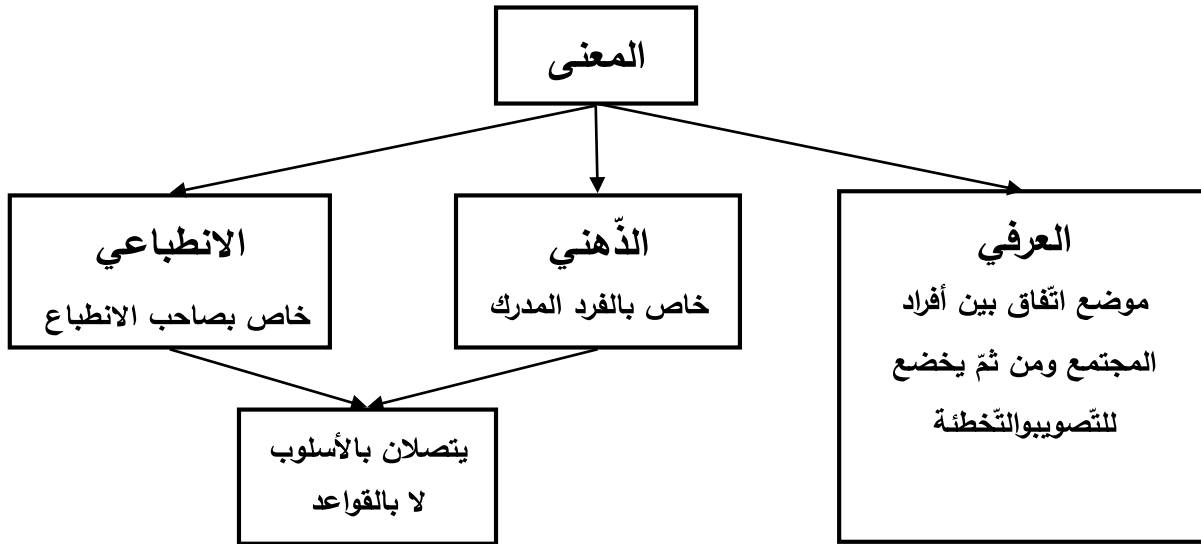
تعتمد قرينة السياق على الإشارة إلى المآثورات والتّاريخ التي يفتقر النص إلى معرفتها، كما في قوله عز وجل: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة259﴾، فالسياق يفتح نافذة التّاريخ من خلال أخبار وقصص الأوّلين(1).

2-5 ظلال المعاني في القرآن الكريم:

إنّ علاقة المعنى بظله علاقة وطيدة؛ فظلّ المعنى لا يمكن فهمه إلّا بعد إدراك المعنى، ويرى تمام حسّان أنّ وسائل الدّلالة على المعنى متعدّدة، إذ تشمل الألفاظ والأحداث والمواقف والانطباعات وغيرها من وسائل إدراك المعنى بأنواعه المبيّنة بآلية التّشجير فيما يأتي(2):

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسّان. البيان في روائع القرآن. ص 220- 221 .

(2) ينظر: تمام حسّان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 83.



تمهيدا لشرح ظلال المعاني يبسّر تَمَام حَسَّان إدراك الفرق بين أنواع المعنى الثلاثة، وهي (1):

أ- **المعنى العرفي**: يعتمد في الإدراك على القياس، والمعنى العرفي هو ما تدلّ عليه العناصر اللغوية من الأدوات والصيغ الصرفية والأسماء والأفعال ومفردات المعجم، وصور الجمل المختلفة، وكلّ ما يشتمل عليه العرف اللغوي من العناصر، وتنتضح ظلال المعنى للمعرب عند مزاولة إعراب الجملة؛ لأنّ مصطلحات الإعراب قد تغيب عنه إلّا بعد معرفته بهذه الظلال، ومن ثمّة صلاح المعنى العرفي بعد معرفة ظلّه للتّحديد لتوالي العناصر الدّالة عليه، إلّا مفردات المعجم فرغم طابعا العرفي إلّا أنّها تخضع للتّصنيف المعين على وضوح القواعد النّحوية دون التّحديد، وذلك من خلال بناء الجمل من عناصر معجمية. ويستدلّ على المعنى العرفي عامّة بسياقين هما:

1- **سياق النّص**: هو الجانب القولي بما فيه من عناصر التّركيب، وما تنتظم به من تصنيف وتأليف وعلاقات وقرائن.

(1) ينظر: تَمَام حَسَّان. حصاد السنين من حقول العربية. ص 164-165.

2- سياق الموقف: هو ما يصاحب المنطوق من أوضاع تداولية مساعدة على فهم ما يقال، توصف أحيانا بأنها عناصر الموقف، التي تتلخّص في أسباب النزول في القرآن الكريم، والمقام في شرح النصوص، كالقصيد التي لا يتحقّق فهمها إلا بعد معرفة مناسبة نظمها.

ب- المعنى الذهني: يعتمد في الإدراك على الاستنباط الذي يلخّصه لفظ إذن في تحليل الملابس لاستنباط الأدلة، فإذا وقعت جريمة قتل في مكان ما وذهب رجال البحث الجنائي إلى موقع الحادثة، فإنّ أوّل ما يطالبون به أن تبقى الأوضاع المادية على حالها، للتمكّن من الفهم الدقيق للظروف المصاحبة للحادثة، ويكون نجاحهم في كشف غموض ما مرهونا بإدراكهم الذهني للعلاقات بين ما يصادفهم من الأدلة وبين مدلولاتها الذهنية.

ج- المعنى الانطباعي: يعتمد على الارتداد أي ردّة الفعل، وقوامه ما يختلج النفس من انفعال مسبب للإحساس بالرّضا أو عدمه، فلو أنّك ألقيت التّحية إلى شخص ما، فلم تظفر منه بردّها رغم يقينك بسماعها، فإنّ ذلك يدلّ في رأيك على أنّه غير مقبل على الاستجابة لك.

بألية التّمثيل للمعنى الانطباعي يبيّن تَمَام حَسَان أنّ لهذا الأخير جانبان؛ فمن قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ﴾ الرَّحْمَن 39-41 يظهر الجانب البصري من المعنى الانطباعي؛ فمعرفة المجرمين بسيماهم تغني عن سؤالهم. ومن قوله جلّ وعلا: ﴿وَيَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا، وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا، كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر 19-22 يظهر الجانب السّمعي من المعنى الانطباعي، والذي

يتلخّص في ما يثيره الإيقاع، هذا الأخير الذي لا تخطئه الأذن الدوّاقة؛ إذ يبلغ في بعض المواقع درجة من الوضوح لا يغفل عنها إلا من لا إحساس له⁽¹⁾.

يميّز تَمَام حَسَان بين المعاني سالفة الذكر بآلية التّقابل المصطلحي فيرى أنّ الفرق بين المعنى العرفي وبين المعنيين الذّهني والانطباعي أنّ المعنيين الأخيرين فرديان لا عرفيان، يختلفان عن الأوّل من وجهة نظر ظروف الاستعمال؛ فمجال المعنى الذّهني هو أسلوب التّفكير، ومجال المعنى الانطباعي هو الإحساس الفردي. وإذا كان العرف اجتماعيا ومن قبيل الثّوابت فالأسلوب فردي ومن قبيل المتغيّرات، وإذا كان الالتزام بالقيّد على حرّية المتكلّم من مطالب العرف فالنّزوع للتحرّر من هذا القيد من مطالب الإبداع الأسلوبي⁽²⁾.

يوضّح تَمَام حَسَان ظلال المعاني على مستويات مختلفة، منها:

2-5-1 من ظلال المعنى على المستوى النّصي (نتيجة سياق الموقف):

بآلية التّمثيل لظلال المعنى على المستوى النّصي يورد تَمَام حَسَان ما يأتي⁽³⁾:

2-5-1أ. دلالة الاستفهام الإنكاري: إذا كان الاستفهام الإنكاري مبدوءاً بحرف

نفي، فإنّ ظلّ المعنى هو الإثبات أو الأمر، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ الضّحي6؛ أي لقد وجدك يتيما. والشّاهد على معنى الأمر قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ التّوبة13.

أمّا إذا كان الاستفهام الإنكاري بغير حرف النّفي، فإنّ ظلّ المعنى هو النّفي أو النّهي، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ الأنعام 114؛ أي لست أبتغي غيره.

(1) ينظر: تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص115.

(2) ينظر: تمام حسان. اجتهادات لغوية. ص114-116.

(3) للاستزادة ينظر: تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص85 وما بعدها.

والشاهد على معنى النهي قوله عز وجل: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
يونس99؛ أي لا تكرههم على الإيمان، لأنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة 206، ويمكن
صرف هذا الإنكار إلى معنى النفي ليكون ظلّ المعنى، ليس من شأنك أن تكره الناس.

2-5-1 ب. دلالة الحذف: يرى تَمَام حَسَان أن لا حذف إلا بدليل، وأنّ هذا الدليل

إذا تحقّق أصبح الحذف بذاته دالاً على ظلّ للمعنى، يدركه من أدرك الدليل على الحذف،
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ الحاقة 1-3، فالمفسّرون
لهذا النصّ لم يروا حذفاً، ومن ثمّ فهموا منه الاستفهام بواسطة (ما)، ولكنّ تَمَام حَسَان
يرى أنّ في ذلك مفارقة، هي اعتقاد اتجاه السؤال من الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم -
وليس العكس. أمّا ظلّ المعنى المقصود فهو التّعجب الذي يدلّ على حذف (أفعل) بعد
(ما) في ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ بدليل تقدير (أفعل) في الجملة التّعجبية التالية مباشرة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ
مَا الْحَاقَّةُ﴾، والتي تعني: وما أعظم درايتك بالحاقة! لأنك على علم بما يحدث في يوم
الدين عن طريق الوحي.

2-5-1 ت. دلالة الاستفهام على التّعجب: قد يكون التركيب استفهامياً وظلّ

المعنى تعجباً في مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ تُؤْبَ الكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المطففين 36؛ يرى
تَمَام حَسَان أنّ هذا التركيب الاستفهامي لا يدلّ على الاستفهام، وإنّما المقصود هو
التّعجب: ما أسوأ ثواب الكفّار!

2-5-1 ث. اختيار نوع اللفظ المفرد للدلالة على ظلّ من المعنى: في مثل قوله

عز وجل: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾
يوسف 23، وقوله: ﴿وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ﴾ يوسف 25؛ في هاتين الآيتين إشارة إلى
ثلاثة أشخاص هم: يوسف عليه السلام، امرأة العزيز، والعزيز نفسه، وأشدّ الثلاثة ضعفاً
يوسف، لأنه عبد لسيدّه العزيز، كما كانت امرأة العزيز في مقام سيّدته، إلا أنّ العبارة

القرآنية حوت ألفاظاً تدلّ في الآية الأولى على أنّ امرأة العزيز مجرد صاحبة البيت الذي يأوي إليه يوسف، وليست سيّدة عليه، وفي الآية الثانية تخضع لسلطان سيّد لها دون إشارة إلى العلاقة الزوجية بينهما.

2-5-2 من ظلال المعنى في ضوء العلاقة النحوية والقرينة (توسّع

أسلوبية): بالية التمثيل لظلال المعنى في ضوء العلاقة النحوية والقرينة يورد تَمَام حَسَان طائفة من المعاني المنسوبة إلى الجملة بأصل الوضع وما يكون لكلّ منها من ظلال، نحو (1):

- المعنى الأصلي خبر وظلّ المعنى أمر، في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَيَّنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة 228.

- المعنى الأصلي شرط وظلّ المعنى تمن، في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الزّمر 58.

- المعنى الأصلي نداء وظلّ المعنى تعجّب، في قوله تعالى: ﴿يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾ يوسف 19.

2-5-3 من ظلال المعنى في البلاغة: بالية التمثيل لظلال المعنى في البلاغة

يورد تَمَام حَسَان شواهد من المعاني المنسوبة إلى الجملة بأصل الوضع وما يكون لكلّ منها من ظلال، نحو (2):

- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ البقرة 16، فالمعنى الأصلي: الشراء، والمعنى الآخر: الاستبدال، أمّا العلاقة فهي: المشابهة، والقرينة هي: المفارقة المعجمية؛ فقد شبه الشراء بمطلق الاستبدال، ثم حذف المشبّه به، وأقيم المشبّه مقامه بما بينهما من وجه شبه، فلو حظ ما بين الشراء من جهة وبين الضلالة (التي هي ليست سلعة فتشتري) والهدى (الذي

(1) للاستزادة ينظر: تمام حسان. حصاد السنين من حقول العربية. ص 171 وما بعدها.

(2) للاستزادة ينظر: تمام حسان. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ص 93.

ليس ثَمنا فيدفع) من جهة أخرى(وتلك هي المفارقة المعجمية الحائلة دون إرادة المعنى الحقيقي)، ولَمَّا لم يكن الشراء صالحا في هذا القصد أصبح الاستبدال هو المقصود، ولَمَّا لم يكن الاستبدال مذكورا كان ظلًّا للمعنى.

- قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ هود 62؛ وظل المعنى ما يقصده قوم سيِّدنا صالح في أنك لم تعد الآن مرجوًّا، ونأسف أننا لم نعد نرجو فيك خيرا.

تجدر الإشارة إلى أن تَمَام حَسَّان على المستوى الدلالي «يفصل بين ما يسميه منهج المعجم الذي يدور حول الكلمة إيضاحا وشرحا ليجلو منها المعنى المعجمي والنطق والمعنى الوظيفي، وبين منهج الدلالة من حيث هو فرع من فروع علم اللُّغة يدرس المعنى»⁽¹⁾، وهو بذلك يخالف من يعدُّ علم المعاجم سليل علم الدلالة.

يرى محمد صلاح الدين الشَّريف أن تَمَام حَسَّان مصيب بعض الشَّيء في اعتماده على العامل الاجتماعي في الدلالة، وهو ما سمَّاه اقتباسا عن العرب والغرب بالمقام، إلا أن صعوبة البتِّ في هذا الأخير - أي المقام - وقلَّة ما نعرفه عنه، وانعدام المعطيات التجريبية الثابتة الصالحة لتكوين نظرية علمية مضبوطة عنه، جعل مشروع تَمَام حَسَّان في دراسة الدلالة بالمقام طموحا في غير محلِّه، ولم تكن أخطاؤه إلا أخطاء أصحاب المدرسة البريطانية الحاملة لرؤية المقام، مبرِّرا رأيه بأنَّ المقام أساسي في الكلام إلا أنه سياق يخرج عن اللُّغة، ولا يمكن حصره علميا⁽²⁾.

والرأي في صعوبة البتِّ في المقام، واستحالة الإحاطة بكلِّ مرجعيات السياق ما يراه صلاح الدين زرال إذ يقول: «ومع هذه الصَّعوبات فإننا نؤكِّد أن البحث في السياق يفترض مسبقا الإحاطة بالمرجعيات المعرفية ما استطاع، فمع إقرارنا أن المعرفة الإنسانية

(1) حلمي خليل. العربية وعلم اللُّغة النبوي. ص 205.

(2) للاستزادة ينظر: محمد صلاح الدين الشَّريف. (النظام اللُّغوي بين الشَّكل والمعنى من خلال كتاب تَمَام حَسَّان اللُّغة العربية معناها ومبناها). ص 227-228.

أقلّ من ذلك بكثير، إلاّ أنّه بالمقابل يجب التذكير بأنّ المعطيات تبقى دائماً نسبية وليست مطلقة»⁽¹⁾.

وعن مركزية المقام في علم الدلالة الوصفي عند تَمَام حَسَان، يقول حلمي خليل: «الواقع أنّ علم الدلالة الوصفي لا يقوم كلّهُ حول فكرة المقام، وإنّما نظرية فيرث من بين النظريات الوصفية التي تعطي للمقام هذه الأهمية البارزة في التحليل اللغوي. وفكرة المقام عند الدكتور تَمَام هي نفسها فكرة المقام عند فيرث بعناصرها المختلفة، الذي صاغ من فكرة السياق نظرية علمية قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء، ولكنّها بلا شك تختلف من حيث التنظير والتطبيق، ممّا جعل منها نظرية لغوية كاملة في دراسة المعنى بما له من صلة بالمبنى»⁽²⁾.

إنّ اعتقاد تَمَام حَسَان بفكرة المقام مَرَكزاً لعلم الدلالة الوصفي، وأساساً ينبني عليه الشقّ الاجتماعي من وجوه المعنى هو رأي صحيح، حتّى وإن كان سياقاً خارجاً عن اللّغة، فما يحويه من قرائن يربّح معنى دون غيره من المعاني. «وعلى الرّغم من أنّ علم الدلالة المعاصر يتناول جوانب أخرى غير نظرية السياق أو فكرة المقام، إلاّ أنّ نظرية السياق تشكّل بلا شكّ ركناً هاماً من أركان علم الدلالة الآن، لأنّ التحليل اللغوي للنصّ أو الكلام لا يعطينا إلاّ المعنى الحرفي، أو معنى ظاهر النصّ، وهو معنى فارغ تماماً من محتواه الاجتماعي والتاريخي»⁽³⁾، وعليه فلا بدّ من الاعتماد على ما يحيلنا إليه السياق من دلالات.

(1) صلاح الدين زرال. الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الزابع الهجري. ص 370.

(2) حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة النبوي. ص 240.

(3) حلمي خليل. الكلمة "دراسة لغوية معجمية". دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1998. ص 162.

خاتمة

من خلال ما تمّ عرضه من جهود تَمّ حَسَان، والتدرّج في مستويات التحليل اللغوي تمّ تقصّي الآليات التي توصلّ بها إلى تيسير الدرس اللغوي العربي، وأهم النتائج المتوصلّ إليها ما يأتي:

ترجيح مصطلح التيسير دون غيره من المصطلحات التي تتداخل معه باستبعاد بعضها، نحو: الإحياء، والإصلاح، والتعريب، والتطوّر، وجعل التيسير شاملاً لبعضها الآخر، نحو: التسهيل، والتبسيط، والإيضاح، وعدّ التجديد الذي يحمل معنى الإتيان بالجديد آلية من آليات التيسير عند تَمّ حَسَان.

طرق تَمّ حَسَان مختلف أبواب البحث في اللّغة العربية، متبنيًا تنظيرًا وتطبيقًا آليات مختلفة، تتوّعت بين آلية الرّسم وآلية الجدولة وآلية التجريب التي تتضوي تحتها آلية رفع بصمات الصّوت وآلية التّصوير بالأشعة، وآلية التّشجير، وآلية التّقابل المصطلحي الكامنة في القيم الخلافية؛ فكلّ نظام من أنظمة اللّغة العربية ينبني على طائفة من المقابلات أي أنواع التّخالف، وذلك للوصول إلى غايته المنشودة، وهي التيسير اللغوي في مختلف المستويات اللغوية التي تتمايز فيما بينها من ناحية، وتتكامل من ناحية أخرى. وعليه يمكن القول إنّ هذه العمليات والأدوات سُمّيت بالآليات لأنها ساهمت في الاختصار أو الاقتصاد، فيسرت فهم الدرس اللغوي العربي.

في المستوى الصوتي، وبآلية التّقابل المصطلحي فرّق تَمّ حَسَان بين الفونيتيك والفونولوجيا، وبين الكلام واللّغة كما أنّه ميّز بين الصّوت والحرف، وبين الصّحاح والعلل، وبين الصّفات التّصنيفية للأصوات اللغوية كالشّدة والرّخاوة، الجهر والهمس، الإطباق والتّغوير، والتّفخيم والترقيق، فكان ذلك التّقابل بمثابة التيسير من خلال مبدأ الدّقة الذي تعتمده اللسانيات كمبدأ يسهم في توضيح معالمها، ويدفعها أكثر نحو العلمية.

إنّ الاختلاف الكامن بين معطيات الدّرس الصّوتي القديم ممثلاً في سيبويه، وبين الدّرس الصّوتي الحديث ممثلاً في تَمَام حَسَّان، في نسبة الأصوات إلى المخارج نحو اختلافهم في الضّاد والواو غير المدّية، واختلافهم في ألقاب المخارج، قد يُفسّر بتطوّر الأصوات؛ فإنّ بعضها قد تغيّر نطقها - مثل الضّاد - فليس غريباً أن يعدّها الدّرس الصّوتي القديم من مخرج معيّن، ويعدّها الدّرس الصّوتي الحديث من مخرج آخر. كما قد يُفسّر باستفادة المحدثين من علم النّشريح واستعانتهم بأجهزة دراسة الصّوت كالأجهزة الفسيولوجية: البلاتوغراف والكيموغراف والأجهزة الصّوتية الفيزيائية: السيلوغراف، وهذا عين التّيسير طبعاً.

تبّى تَمَام حَسَّان مبدأ "الغاية تُبرّر الوسيلة"؛ فلوصول إلى غايته المنشودة وهي تيسير الدّرس الصّوتي، اتّخذ من آلية استعارة الرّموز الأجنبية لإثراء النّظام الأبجدي العربي وسيلة لذلك، مع يقينه الثّابت من أنّ هذا الحلّ لا يُقبل بصدر رحب، وقد وقف على هذه الحقيقة فعلاً.

يعدّ تَمَام حَسَّان أوّل من تنبّه إلى مقطع الوصل (ح ص) وهو مقطع قصير مغلق يكون في حالة الابتداء، نحو: (اسد) في اسْتَخْرَجَ، إذ لا يتحقّق في الاستعمال، وإنّما يُنظر إليه في صورة (ص ح ص)، كما أنّه تنبّه إلى مقطع الوقف (ص م ص ص)، نحو: خامّ في الخامّ. يعدّ تَمَام حَسَّان بحقّ أوّل من استنبط قواعد النّبر وموازن التّغيم في اللّغة العربية بشكل منظمّ ومقنّن، بتطبيق آلية التّنظير والتّعيد لتيسير دراسة ظواهر صوتية مطّردة ممارسة في اللّغة العربية.

أمّا في المستوى الصّرفي فقد اعتمد تَمَام حَسَّان في مسعاه التّيسيري على آليات تعدّدت وتوّعت بين آلية التّقابل المصطلحي في تفريقه بين معاني التّقسيم ومبانيه وبين معاني التّصريف ومبانيه، وعلى أساسها تمّ التّفريق بين الصّيغ: التّعريف والتّنكير، التّأنيث والتذكير، الإفراد والجمع، التّجرد والزيادة، الاسم والفعل. وبنفس الآلية ميّز تَمَام حَسَّان بين ثلاثة اصطلاحات يتّصل بعضها ببعض هي: الباب، المورفيم والعلامة؛ وخُصّ إلى أنّ الباب وسيلة تقسيمية يعبر عنه مورفيم معيّن. والمورفيم وحدة صرفية في نظام المورفيمات متكاملة الوظيفة، وكلّ نظام مورفيمي له

علاقة بنظام الأبواب. أمّا العلامة فتوجد في النطق، وهي العنصر الذي يعبر عن المورفيم تعبيراً شكلياً، والعلاقة بين العلامة والمورفيم أشبه ما تكون بعلاقة الصوت بالحرف. وهكذا كان هذا التنوع الذي استحدثته تمام حسّان في أبنية العربية وسيلة هامة لتيسير فهم الصّرف العربي.

كما اعتمد تمام حسّان على آليات النّقد والنّقض والتّجديد المنهجي في دراسته لأقسام الكلم التي اعتمد فيها على معياري المبنى والمعنى؛ فبالية النّقد والنّقض رفض التّقسيم الثلاثي القديم للكلم: اسم، وفعل وحرف، وذهب في كتابه: مناهج البحث في اللّغة مذهب إبراهيم أنيس بأنّ أقسام الكلام العربي أربعة هي: الاسم، والفعل، والضمير، والأداة. ثمّ أعاد النّظر في هذا التّقسيم الرّباعي معتمداً آلية التّجديد المنهجي ليجعله سباعياً في كتابه: اللّغة العربية معناها ومبناها، وهذه الأقسام هي: الاسم، والصفة، والفعل، والضمير، والخالفة، والظرف والأداة، موضّحاً أسس التّقسيم السّباعي من حيث المبنى والمعنى.

إنّ جهد تمام حسّان في تقسيم الكلم محمود، فحتّى من عارض تقسيمه السّباعي وانتصر للتّقسيم الثلاثي لم يستطع أن يبخره حقّه في الإبداع؛ فعزّ الدين مجدوب الذي نفى عن تمام حسّان فهمه للقداامي من جهة، واستعابه لمنهج اللّسانيات الحديثة ممثلاً في نظرية فيرث السّياقية من جهة أخرى، لم يستطع -على حدّ قوله- أن يغمطه حقّه في الحدس بمبدأ الجمع بين المعنى والمبنى المكمل لمبدأ ائتلاف الكلم، ورأى - مستدركا - أنّ انبهاره بنظريّة أستاذه هو الذي منعه من إبصار قيمة المبدأ الذي حدس به.

يؤكّد تمام حسّان بألية النّقد والنّقض للقديم وآلية التّجديد بإعطاء البديل أنّ أصل الاشتقاق ليس المصدر كما قال البصريون، ولا الفعل الماضي المجرد كما قال الكوفيون، وإنّما الأصول الثلاثة، وهي: فاء الكلمة وعينها ولامها، وعدّها أصل اشتقاق الكلمة وذوات رحمها، وينبّه إلى أنّ هذا الاعتبار يقتضي أنّ تكون كلّ كلمات اللّغة العربية مشتقة ما عدا الضّمائر والظروف والأدوات وبعض الخوالب. ولهذا يعدّ تمام حسّان الاشتقاق دراسة صرفية مسوقة لخدمة المعجم، ويرى أنّ الأجدى في دراسة مشكلة الاشتقاق - كما سماها - أن يعدّل الصّرفيون بها عن طريقهم إلى طريق

المعجميين. فإذا صحَّ إيجاد رابطة بين الكلمات فينبغي ألاَّ نجعل واحدة منها أصلاً للأخرى وإنما - على حدِّ قوله - نعود إلى صنيع المعجميين بالربط بين الكلمات بأصول المادة، فنجعل هذا الربط بالأصول الثلاثة أساساً منهجنا في دراسة الاشتقاق؛ فكلٌّ من المصدر والفعل الماضي مشتقٌّ منها.

في المستوى النحوي ينطلق تمام حسان من أن علم المعاني هو قمة الدراسة النحوية، وقد تنوعت آليات نقده للنحو العربي لتعدّد زوايا النظر إليه من مختلف الجوانب: الجانب المنهجي، الجانب التقعيدي، الجانب التعليمي والجانب التأليفي.

تتقاطع أغلب الدراسات مع ما ذهب إليه تمام حسان في مسألة أصالة النشأة الأولى للنحو العربي، وهي حجر الأساس إذا ما قورنت بمسألة الاختلاف في بداية التأثير، التي لا اختلاف في كونها بعد النشأة بزمن يضمن نضج النحو العربي وتطوره، فأثبت تمام حسان أصالة الفكر اللغوي عامة والنحوي خاصة، ولم يمسس بأيّ أسّ من أسس عروبه في مرحلة النشأة الأولى، فبعد أن وظّف آلية استقرار النحو العربي وتقصّى من خلالها مكامن تأثره بالمنطق والفلسفة اليونانية إمّا مباشرة أو عن طريق السريانية، وبعد عرضه لجملة من المقدمات خلّص إلى نتيجة أنّ النحو العربي مرّ بمرحلتين:

1- أولاهما تتمثل في مرحلة الميلاد والنشأة الأولى، أي القرن الأوّل والثاني، وكان النحو فيها عربياً خالصاً معتمداً المنهج الاستقرائي، خالياً من المنطق الصوري الأرسطي. وما حواه من أفكار منطقية لا تخرج عن نطاق ما هو طبيعي مادي لا يخلو منه أيُّ تفكير أو ثقافة.

2- ثانيهما تتمثل في مرحلة التطور، أي بعد القرن الثاني، وفيها لم يستطع النحاة العرب أن يتخلّصوا من قبضة أرسطو السحرية، ولا من نفوذ منطق الصوري القياسي خاصة بعد عصر الترجمة، فاستفحل تأثر النحو العربي فيها بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي عامة ومقولاته العشر خاصة، وبصورة واضحة لا يمكن إنكارها. وقد تجاوز تمام حسان التّظهير لهذه المسألة،

ورصدها تطبيقياً من خلال ذكره لمجالات تأثر النحاة بالفكر اليوناني بعد القرن الثاني؛ أي أن هذا الأثر جاء والنحو هيكل بنيوي كامل، ومن شأن البنية أن تكون جامعة مانعة، ومن هنا اقتصر التأثير على الشروح والجدل في المسائل، وهو تأثير لا يعني المتقدمين ولا يعني نشأة النحو على أية حال.

دعم تمام حسّان التنظير بالتطبيق في مسعاه التيسيري للنحو، وتبني فكرة إعادة عرض النحو في صورته المتكاملة لبناء هيكل نظري ضخم، التزم النحاة بمضمونه وإن لم يعنوا بصياغته، وذلك وفق آليات تنوّعت بين النقد ونقد النقد والنقض والتجديد المنهجي وإجمال المفصل وتفصيل المجمل وتوضيح الغامض وتيسير العسير، حسب اجتهاده الشخصي أو على ضوء الدراسات اللسانية الحديثة.

لم يبلغ تمام حسّان العامل النحوي إلغاءً مطلقاً، وإنما جعله قرينة واحدة وهي الإعراب على خلاف النحاة القدامى الذين جعلوه نظرية كاملة سموها نظرية العامل. ويردّد تمام حسّان دون ملل أنّ العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى، ولا قيمة لها دون غيرها من القرائن، وأنّ ما أثير حول العامل النحوي من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدت إليها النظرة السطحية، وهو بهذا لا ينفي القيمة الدلالية للحركة الإعرابية، فهي فونيم في الكلمة كغيرها من الفونيمات له قيمته وأثره في الإفصاح عمّا في النفس من معنى، فيكون تغييرها محققاً لما في نفس المتكلّم من معنى يريد الإبانة والإفصاح عنه.

يعدّ تمام حسّان السبّاق لإدخال مصطلح الإفصاح إلى الدرس اللغوي العربي، فهو أول من أدرك الوظيفة التأثيرية الانفعالية لاستعمال اللغة للتعبير عن موقف نفسي ذاتي.

يؤكد تمام حسّان عدم صلاحية القياس النحوي منهجاً للبحث اللغويّ منضماً بذلك إلى كمال بشر ومحمد عيد وغيرهم من طائفة مؤيدي رفض ابن مضاء القرطبي للقياس. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ تمام حسّان يؤكّد على أنّ اعتراف المنهج الوصفي بفكرة الصّوغ القياسي لا يُعدّ خيانة،

فهو لم يعترف بها كفكرة منهجية وإنما لاحظها ووصفها كنشاط لغويّ، دون تقييم وإصدار أحكام، لأنّ المنهج الوصفي يتّخذ الاستقراء والوصف بدل القياس والمعيّار آليات علمية لدراسة اللّغة. وعليه فإنّ تيسير النّحو يتمّ بآلية تطبيق المنهج المناسب لمعاينة الوقائع كما هي، لا كما يجب أن تكون؛ أي بالاستناد إلى منهج اللّسانيات الحديثة المرتكز على الوصف القائم على التّحليل والاستقراء وهما آليتان بديلتان عن آليتي القياس والتّقييد.

أبرز تمام حسنّ ما لمنهج النّحاة وما عليه فيما يتصل بفكرة الصّواب والخطأ أو المستوى الصّوابي، بالنّظر إلى اللّغة على أنّها جهاز عرفي أوجدها المجتمع لقضاء حاجاته، فهي آداته التي لا بد أن تخضع للاعتبارات الاجتماعية. ويعترف النّحاة في أخذها- أي اللّغة- بمبدأي السّماع والقياس. ويرى تمام حسنّ أنّ القياس إن جاز الاعتراف بفائدته في حياة اللّغة وفي استخدامها عملياً، فلا يمكن قبوله كفكرة منهجية في بحوث اللّغة لأنّه فردي وليس اجتماعياً، أمّا السّماع- في نظره- فهو الفيصل في الصّواب والخطأ، ومن هذا المنطلق يحكم تمام حسنّ على أنّ تحكيم النّحاة قواعدهم وأصولهم فيما سُمع عن العرب خطأ منهجي في جملته وتفصيله، وليس من حقّ النّحوي غير الفصيح أن يخطئ الأعرابي الفصيح إلّا إذا وجد السّماع ضده.

يرى تمام حسنّ أنّ النّظر إلى منهج النّحاة القداماء من حيث الرواية والرواة لا يخلو من النّقد، فهو وثيق الصّلة بما اصطلح عليه الأولون بالسّليقة التي يُقصد بها الخليقة، وخليقة الإنسان- في نظر تمام حسنّ- أن يتواصل بواسطة لغة يكتسبها في الطّفولة بأقلّ توجيه مُتعمّد من محيط الأسرة الصغيرة والكبيرة، وهذا هو الأساس الذي يبنّي عليه معنى السّليقة؛ أي أنّ تعلّم الطّفّل لغة أمّه ومجمّعه هو السّليقة عند تمام حسنّ، فقد كان العربي يكتسب لغته الفصحى من خلال الممارسة والاستعمال دون أن يدرك ما لها من نظام نحوي أو صرفي، وكان يسمّى هذا النوع من الاكتساب السّليقة. ويرى تمام حسنّ أنّ الأقدمين أخطأوا فهمها وظنّوها جِبِلَّةً وخليقة، وهذه الأخيرة- أي الخليقة- هي انطباع الإنسان على اتّخاذ لغة ما تعين السّليقة التي هي اكتساب لغة بعينها، وعملية الاكتساب في ديمومة مادامت الحياة الاجتماعية مستمرة، ومادامت اللّغة في تطوّر. ويبرّر

تمام حسان حكمه على الأقدمين، بتخطئة افتراضهم أنّ العربي كان عبداً للغة العربية مسلوب الإرادة من تحويل نطقه بها، مما أدى إلى الخطأ في منهج البحث في النحو.

ناقش تمام حسان توثيق الروايات التي اعتمد عليها النحاة، فأشار إلى كثير من حالات التزييف والوضع التي سجلها تاريخ النحاة عن طريق السماع المباشر، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى ابن دريد الذي كان وضاعاً بشهادة نفطويه والأزهري، وتاريخ الرواة عن طريق الرواية والسماع غير المباشر، كما هو حال خلف الأحمر في البصرة، وحماد الزاوية في الكوفة، الأمر الذي يفتح باب الطعن في بعض شواهد النحو، واتهام أصالتها وصحتها، وهو ليس بالهين لأنّ ما مسّ بعضه ينعكس على الكلّ، ولا يسلم منه إلا ما قام على صحته دليل.

تعددت آليات تيسير الدرس النحوي عند تمام حسان في ضوء نظرية تضافر القرائن كبديل عن نظرية العامل، هذه النظرية التي تقوم على فكرة التعليق كفكرة مركزية في النحو؛ لأنّ نجاح عملية التعليق يثمر عنه وضوح المعنى الوظيفي على مستوى النظام الصوتي والصرفي والنحوي، وهذا يُعدّ اعترافاً بحسن صنيع عبد القاهر الجرجاني، وتأكيداً لرجحان كفة من أقرّ للرجل بعقريّة لغويّة منقطعة النظير، لصدق جهده وخصوبة فكره وعمق فلسفته اللغوية، ناهيك عن تقطّنه إلى أنّ اللغة مجموعة من العلاقات وليست مجموعة من الألفاظ.

خُصّ البحث إلى وجود جذور لنظرية القرائن في التراث العربي، فالمتمأمل في أبواب النحو يجد لها أثراً معنوياً على سبيل التلميح، أو أثراً لفظياً على سبيل التصريح، ومن هنا يمكن القول إنّ البذور الأولى لنظرية القرائن ماثورة في التراث اللغوي العربي، وجذورها متأصلة في نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، إلا أنّ تمام حسان أرسى أسسها وبيّن معالمها، بعد أن نهل من هذا المنبع الأصيل، كما أنّه اقتفى أثر أستاذه فيرث الذي أقام نظريته على فكرة السياق، والتي نجد لها حضوراً عند علماء اللغة قديماً من خلال إدراكهم لأثر السياق في فهم الحدث اللغوي، إلا أنّ توسّع فيرث في معالجة الظروف اللغوية لتحديد المعنى، محاولة منه إثبات صدق المقولة بأنّ المعنى وظيفته السياق، ضمن لهذا الأخير أن يكون نظرية لغوية متكاملة، أصبحت أساس

المدرسة اللغوية الاجتماعية. وبهذا استطاع تمام حسّان بذكائه اللغوي أن يربط بين فكرة التعليق النحوي عند عبد القاهر الجرجاني وبين نظرية السياق عند فيرث، وانتهى هذا التأثير عنده إلى المنهج الوصفي الوظيفي، الذي تبناه، وبنى عليه فكرة تضافر القرائن.

إنّ نظرية تضافر القرائن النحوية هي التسمية المرجّحة للتّجديد المنهجي لما جاء به تمام حسّان؛ ذلك أنّ هذه القرائن مبنوثة في التراث اللغوي العربي، وبصمة تمام حسّان تكمن في فكرة تضافرها، على عكس نظرية العامل التي تقوم على قرينة واحدة هي الحركة الإعرابية.

إنّ ما قدّمه أحمد سليمان ياقوت من تعليق على إعراب تمام حسّان لبيته الشعري المفرغ من المعنى المعجمي فيه نظر؛ ذلك أنّ اقتراح الأول لبدائل إعرابية لما أتى به الثاني، يعدّ اعترافاً ضمنياً لمبدأ الأخير منهما، بأنّ هذه الكلمات الهراثية محمّلة بمعان وظيفية تيسر إعرابها على نحو معيّن. وأمّا الاختلاف بين الإعرابين فمرده إلى أنّ إعراب تمام حسّان جاء على ضوء ما يطابق ضبط الشاهد الشعري بشكل معيّن، في حين أنّ أحمد سليمان ياقوت قد تصرّف في هذا الضبط الشكلي ممّا أدّى إلى تغيير بناء الصيغ الذي يؤدي لا محالة إلى تغيير المحل الإعرابي.

فرّق تمام حسّان بين الزّمن الصّرفي البسيط والزّمن النّحوي المعتمد على السياق، فحاز الرّيادة بذلك؛ فبالية التّفريق والتّركيز على القيم الخلافية في الظواهر الموقعية يسّر هذه المفاهيم، مشيراً إلى أنّ الزّمن هو المكوّن الثّاني - إلى جانب الحدث - لصيغة الفعل؛ وبآليتي التّمثيل والجدولة يوضّح ذلك؛ فصيغة (فَعَلَ) ونحوها تدلّ على المضيّ، وتدلّ (يَفْعَلُ) و(أَفْعَلُ) وما كان على قبيلهما على الحال أو الاستقبال. ويؤكّد تمام حسّان على أنّ الزّمن الذي تدلّ عليه صيغة الفعل عند الأفراد هو زمن صرفي؛ وأنّ الصّيغة بمفردها مفهوم صرفي صرف، أمّا إذا وضعت في السياق فإنّ الزّمن النّحوي يطغى على الزّمن الصّرفي.

يؤكّد تمام حسّان على أنّ التّقويم لمنهج النّحاة لا لقيمة عملهم، وهو طعن في أصول المنهج لا في النّحاة أنفسهم، وأنّ الناظر في النّحو العربي على الصّورة التي دونه بها سيبويه ليجد صرحاً

عاليا من الفكر يعجب المرء أن يتمّ بناؤه في حقبة يسيرة مع شدة الحاجة إلى الأدوات؛ وأولى هذه الأدوات المنهج السليم.

يشير تمام حسان إلى أنّ غاية النّحاة العرب تبرّر وسيلتهم؛ فحرصهم على حماية النصّ القرآني من اللّحن ألزمهم بتحديد زمان معيّن، ومكان محدّد، ودفعهم إلى اختيار اللّغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم دون لغة التّخاطب العادية ليستخرجوا منها النّحو، ملتصقا لهم أعدارا يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- للنّحاة العرب قصب السّبق؛ فقد كانوا طلائع في الإبداع، وعذر الطليعة أنّه لم يتهيأ لها الاستفادة ممّا سبق، فحسبها أن أنارت الطّريق ومهدتها دون أن تكون عالة على حكمة موروثه.
- نسبة القصور إلى النّحاة لا تستقيم على إطلاقها؛ لأنّهم لم يعتمدوا النّصوص المنطوقة، بل استنبطوا قواعدهم من مادّة مكتوبة لا تفرّق سطورها بين لهجة وأخرى، ومع ذلك فقد لاحظوا اختلاف أشكال الفصحى على السنة القبائل من النّاحية التركيبيّة.
- إنّ المنهج الحديث المسلّط على عملهم لم يكن معروفا آنذاك، وعليه لا يُعقل لوّمهم لأنّهم خالفوا مقاييس وطرق منهجية لم يكن لها وجود في زمانهم، وإلا كانت الأحكام غير عادلة.
- إنّ التّسليم بما سبق ذكره يجعلنا ندين لنحائنا الأقدمين بالاعتذار، وملتصقا لهم العذر - كما يقول تمام حسان - ونعترف لهم بالجميل؛ لأنّ صنيعهم كان منسجما تمام الانسجام مع الظروف التي صادفتهم.

في المستوى المعجمي تأثر تمام حسان أوّل الأمر بنظرية بلومفيلد؛ الذي يرى أنّ المعجم ذيل للنّحو، فهو تابع له، غير مستقلّ، وليس بذي بنية أو نظام خاصين به داخل اللّغة. وهو بذلك يعدّ المعجم ممثّلا للشّدوذ والاستعمالات الخاصّة في اللّغة، مقارنة ببقية نظم اللّغة الصّوتية والصّرفية والنّحوية. ولكنّ تمام حسان عدل بعد ذلك عن هذه الأفكار، ليتبنّى فكرة أنّ محتويات المعجم مترابطة بعلاقات وثيقة يقوم المعنى على أساس الاعتراف بها في إطار نظام على غرار سائر أنظمة اللّغة. والمعجم عنده جزء من اللّغة لا من الكلام، ومحتوياته الكلمات المخترنة في

ذهن المجتمع أو المقيدة بين جلدتي المعجم، وهي ذات طبيعة صامته في كلتا الحالتين. وهو الرأي الأرجح على نقيض ما ذهب إليه محمد صلاح الدين الشريف.

يخالف تمام حسّان من يعدّ علم المعاجم سليل علم الدلالة؛ إذ أنّه في المستوى الدلالي يفصل بين ما يسمّيه منهج المعجم الذي يدور حول الكلمة إيضاحا وشرحا، ليجلو منها المعنى المعجمي والنطق والمعنى الوظيفي، وبين منهج الدلالة من حيث هو فرع من فروع علم اللّغة يدرس المعنى.

يعترف تمام حسّان بقصّب السبق للعرب في النّشاط المعجمي، إلّا أنّه يرفع راية آية نقد المعاجم العربية، فيرى أنّها تعاني بعض نقاط الضّعف، وما قدّمه من نقد لا يعدّ انتقاصا من قيمتها، بقدر ما ينظر إليه بعين إلزام المحدثين بهذه الملاحظات، إذ توفّر لهم ما لم يتوفّر لغيرهم من القدماء.

يرى تمام حسّان أنّ وظيفة المعجم تتلخّص في إلزامية أن يقدّم لمستعمله معلومات عن الكلمة المراد الكشف عن معناها، نحو: طريقة النطق والكتابة الأصواتية لها، كيفية كتابتها، مبناها الصّرفي، وشرحها بذكر معانيها المتعدّدة التي يصلح كلّ واحد منها لسياق معيّن.

يؤكد تمام حسّان علاقة المعجم بغيره من العلوم الأخرى، نحو: الجراماتيكا؛ هذا العلم الذي يجمع القواعد الفونولوجية والمورفولوجية والتّركيبية والدلالية، فيرى أنّ المعجم قمة الجراماتيكا وتاجها، وأنّ علاقة المعجم بعلم المعاني تكمن في أنّ التّفريق بين الحقيقة والمجاز من موضوعات الثّاني منهما، والمناسبة المعجمية منشأ الحقيقة، في حين أنّ المفارقة المعجمية منشأ المجاز، وشرطه وجود العلاقة والقرينة. وأنّ علم البيان العربي قمة علم المعاجم؛ إذ يصلح أن يكون أساسا نظريا وعمليا لهذا الأخير.

في المستوى الدلالي تبنّى تمام حسّان فكرة تشقيق المعنى، وعمد إلى تحليل كلّ شقّ باستقلالية، على النّحو الآتي:

- المعنى الوظيفي = المعنى الصّوتي + المعنى الصّرفي + المعنى النّحوي.

- المعنى المعجمي = معنى الكلمة المفردة في المعجم.

- المعنى الدّلالي = المعنى المقامي المنطوق المرتبط بالجانب الاجتماعي والثّقافي.

ينظر تَمّام حَسّان إلى المعنى من زاويتين هما: المعنى المفرد و تعدد احتمالات المعنى. ويسلّط الضّوء على منافذ اللّبس ووسائل أمنه في المعنى المعجمي والمعنى الدّلالي. وبآليتي تفصيل المجمل والتّمثيل يشرح تَمّام حَسّان طرق إيجاد الحدود الفاصلة بين الكلمات العربية في السّياق، وهي: الإفراد عن السّياق، الحذف منه، الحشو فيه، الإبدال فيه، واستخدام العلامات الموقعية في الكلام.

من أهم نظريات دراسة المعنى عند تَمّام حَسّان:

نظرية الحقول الدّلالية، ويؤثر استعمال مصطلح الحقول المعجمية، والتّسمية الأولى أعمّ وأشمل من الثّانية؛ فالحقول المعجمي يعدّ القسم الثّاني الذي يكوّن مع الحقول التّصوّري الحقول الدّلالي، هذا الأخير الذي يتلخّص في أنّ المفردات التي يشتمل عليها المعجم لا تحمل معنى واحدا، وإنّما تتنوّع دلالاتها بحسب تنوّع مواقع مدلولاتها في مجال المدركات.

نظرية النّظم، وتعدّ المعين العربي الذي نهل منه تَمّام حَسّان، وبآليتي تفصيل المجمل والتّمثيل يشرح مراحل إنتاج الكلام عند صاحب النّظرية، وهي: مرحلة النّظم، مرحلة البناء، مرحلة التّرتيب، مرحلة التّعليق. واستخلص تَمّام حَسّان أنّ عبد القاهر الجرجاني جعل النّظم للمعاني في النّفس وهو تماما البنية العميقة عند تشومسكي، وكلامه عن التّرتيب والبناء والتّعليق تذكير بقواعد التّحويل؛ فالبناء هو البنية السّطحية الحاصلة بعد التّرتيب بواسطة الكلمات، والتّعليق هو الجانب الدّلالي من هذه الكلمات التي في السّياق. وبعدها انتصر لعبد القاهر الجرجاني بعدّه مصدر إحياء وتأثر تشومسكي بأفكاره.

النظرية السياقية، وتعد المعين الغربي الذي نهل منه تمام حسّان من خلال أستاذه فيرث صاحب هذه النظرية اللغوية التي تركز على نوعين من السياق هما: السياق اللغوي، وهو كلّ ما يتعلّق ببنية النصّ. وسياق الحال، ويُمثّله العالم الخارج عن اللّغة بما له من صلة بالحدث اللّغوي. ويُصرّح تمام حسّان في كتابه اللّغة العربية معناها ومبناها بتبنيّه نظرية فيرث اللّغوية دون أن يُنكر فضل علمائنا الأوائل في دراسة المعنى الذي يُعدّ لبّ وصلب نظرية السياق، ويسلّط الضوء على بعض الظواهر السياقية في العربية الفصحى.

يرى تمام حسّان أنّ للمعاني ظلالاً، وبآلية التمثيل من القرآن الكريم يؤكّد أنّ ظلّ المعنى لا يمكن فهمه إلّا بعد إدراك المعنى، ويرى أنّ وسائل الدلالة على المعنى متعدّدة؛ إذ تشمل الألفاظ والأحداث والمواقف والانطباعات وغيرها من وسائل إدراك المعنى بأنواعه: المعنى العرفي بسياقيه: سياق النصّ وسياق الموقف، المعنى الذهني والمعنى الانطباعي. ويوضّح تمام حسّان ظلال المعاني على مستويات مختلفة، منها: المستوى النّصي (نتيجة سياق الموقف)، العلاقة النّحوية والقربنة (توسّع أسلوبية)، والبلاغة.

وخلاصة القول: إنّ تمام حسّان في مسعاه التّيسيري للدّرس اللّغوي العربي لم يكن مستلباً بالحدائيبين، ولم ينكر فضل التّراثيين ولا أسبقيتهم، وجمع بين الجيد من الحسينيين: التّراث والحدائيب؛ فقد كان مؤصّلاً للتّراث اللّغوي؛ إذ عرف منه وأشاد بجهود القدامى المحمودّة في الدّرس اللّغوي، إلّا أنّه لم ينظر إلى معطياته الموروثة على أنّها مسلّمات ثابتة، بل إنّها ستظلّ بحاجة إلى مراجعة وإعادة نظر حتّى تستطيع أن تواكب الجديد، وإلّا تحوّلت إلى متن جامد يشلّ حركة التّفكير، ونهل من النظريات اللّسانية الحديثة؛ وهو بذلك لم يتنكّر لجهود الأوّلين، بل اعترف بفضلهم وحسن صنيعهم، ولكّنه ألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على التّراث اللّغوي العربي عماده المنهج الوصفي؛ مجسّداً في نظرية تضافر القرائن اللّغوية، التي أسأل فيها صاحبها حبراً كثيراً احتفاءً بها في مؤلّفاته ومقالاته ومحاضراته، وفصلها طلابه في رسائل الماجستير وأطروحات الدّكتوراه؛ حيث

عكف كل واحد بدراسة قرينة من القرائن، الأمر الذي دفع ببعض الدارسين إلى وصفها بمدرسة القرائن النحوية.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في الإجابة على إشكالية البحث، وما تفرّع عنها من تساؤلات، فإن أصبت فمن الله - جلّ وعلا- وإن أخطأت فمن نفسي، ولكن إن فات هذا العمل الكمال، فإنّه لم يفته الاجتهاد والتّحدّي. وفي هذا المقام أقترح أن تُخصّص أبحاث جامعية أخرى توازن بين موضوعات الأصالة و موضوعات المعاصرة، وترصد أصداء الدّراسات اللّسانية الحديثة في التّراث اللّغوي العربي.

وأختم بحثي بما قاله العسقلاني لعماد الدّين الأصفهاني:

﴿إني رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتابا في يومه، إلّا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر﴾.

الملاحق

ملحق الأعلام



أولاً - التعريف بصاحب المدونة تمام حسّان (1918م-2011م):

اسمه الكامل تمام حسّان عمر محمد داود، عُرف بأمير ومجدّد الدّراسات اللّغوية الحديثة. وُلد في اليوم السّابع والعشرين من شهر يناير سنة 1918م، بقرية الكرنك، محافظة قنا بصعيد مصر. ينتمي إلى الجيل الذهبي، من علماء الأُمَّة الذين أُتيح لهم التّكوين الدّيني والعلمي الرّصين والمبكر؛ فقد حفظ القرآن الكريم وجوّده على رواية حفص وهو في سنّ الحادية عشر، إذ تمّ له ذلك سنة 1929م. وفي سنة 1930م غادر قريته في الكرنك ليلتحق بمعهد القاهرة الدّيني الأزهري، وفيه تحصّل على الشّهادة الابتدائية سنة 1934م، وعلى الشّهادة الثّانوية سنة 1939م، ليلتحق في نفس السنّة بمدرسة دار العلوم العليا سابقاً، كآلية دار العلوم بجامعة القاهرة حالياً، أين حصل على دبلوم يُعادل اللّيسانس في اللّغة العربية سنة 1943م، وبعد عامين أمضاها في دار العلوم لدراسة التّربية وعلم النّفس حصل على إجازة التّدريس، وكان الأوّل على دفعة 1945م، ليُعيّن بعد تخرّجه معلّماً بمدرسة النّقراشي النّمونجية التي ما طال مكوثه بها؛ فسرعان ما اختارته دار العلوم معيدا بها، وأوفدته في بعثة دراسية إلى جامعة لندن عام 1946م، أين تعلّم اللّغة الإنجليزيّة بإتقان بعد سنة واحدة من التحاقه بالجامعة، إذ انتظم في الدّراسة بمعهد الدّراسات الشّرقية والإفريقية، وحصل فيها على شهادة الماجستير في علم اللّغة العام، فرع الأصوات اللّغوية، وذلك سنة 1949م، في موضوعه الموسوم:

دراسة صوتية للهجة الكرنك في صعيد مصر.

The Phonetics of EL Karnak Dialect(Upper Egypt)

بعد ثلاث سنوات، وفي الفرع اللغوي نفسه تحصل على درجة الدكتوراه سنة 1952م في موضوع:

دراسة صوتية وفونولوجية للهجة عدن في جنوب بلاد العرب.

The Phonetics & Phonology of an Aden of Arabic (South Arabia)

سافر من أجل موضوعه الميداني إلى عدن ليقيم بها ستة أشهر من شهر ماي إلى شهر نوفمبر سنة 1951م. وبعد شهر واحد من حصوله على الدكتوراه عاد إلى مصر ليُعيّن في أغسطس 1952م أستاذا مساعدا بكلية دار العلوم قسم فقه اللغة سابقا وقسم اللغة والدراسات السامية والشرقية حاليا.

أرسلته كلية دار العلوم إلى أمريكا عام 1957م، لاختيار أجهزة حديثة لمخبر الأصوات اللغوية، والتدريب على استخدام هذه الأجهزة وكيفية استخراج النتائج منها. وخلال شهر من الزمن في جامعة ميتشجان (Michigan) تسنى له اختيار جهازي الأوسيلوغراف (Osillograph)، والسبكتروغراف (Spectrograph)، وهما جهازان أهدتهما مؤسسة فولبرايت (Fullbreght) الأمريكية للكلية التي تمتلك جهاز الكيموغراف (Kymograph) من قبل، فسخرت الأجهزة الالكترونية الثلاثة لتحليل الأصوات لإنشاء معمل لغوي متكامل.

رُقي إلى درجة أستاذ مساعد سنة 1959م، لينتقل من قسم فقه اللغة إلى قسم النحو والصرف والعروض مضطرا، مما دفعه سنة 1961م إلى الموافقة على انتدابه للعمل مستشارا ثقافيا بسفارة الجمهورية العربية المتحدة في العاصمة النيجيرية، أين مكث خمس سنوات، وأثناء ذلك تقدّم بإنتاجه العلمي إلى كلية دار العلوم للحصول على درجة أستاذ كرسي في النحو والصرف سنة 1964م. وبعد سنة عاد إلى مصر وشغل منصب رئيس قسم النحو والصرف ووكيل كلية دار العلوم لمدة عامين. أعير بعدها إلى جامعة الخرطوم

سنة 1967م، وهناك كلفته الجامعة بإنشاء قسم للدراسات اللغوية، وعهدت إليه برئاسته. وفي سنة 1970م عاد إلى منصبه سلفي الذكر، ليعين بعد عامين عميدا للكلية، وكلف مع العمادة بأمانة اللجنة الدائمة للغة العربية (وهي لجنة ترقيات الأساتذة تابعة للمجلس الأعلى للجامعات المصرية) طيلة ثلاث سنوات من 1970م إلى 1973م.

أنشأ الجمعية اللغوية المصرية وترأسها خلال سنة 1972م، وظل على كرسيها إلى أن سافر إلى المغرب نهاية 1973م، معارا إلى جامعة محمد الخامس بالرباط، وظل بها بعد أن أحيل على التقاعد المبكر -حسب طلبه- سنة 1978م، ليعود إلى مصر في صيف 1979م، لينتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة يوم الاثنين 14 أبريل 1988م، واكتفى -إلى جانب كونه أستاذا في معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة الملك عبد العزيز سابقا وأم القرى حاليا- بعمله في المعهد، إذ كلف بإنشاء قسم جديد هو: قسم التخصص اللغوي التربوي، يتخرج فيه معلّمو اللغة العربية لغير الناطقين بها، وكان على كرسي رئاسة القسم إلى أن قدّم استقالته سنة 1994م، ليتمّ تعيينه نائبا لرئيس وحدة البحوث والمناهج بالمعهد. وواصل عطاءه العلمي بالمعهد إلى أن انتهى عقده بالجامعة بسبب بلوغه السنّ النظامية. ليعود بعد سنّة عشر عاما قضاها بمكّة المكرمة ليستقرّ بمصر مع عائلته، إلى أن وافاه الأجل -رحمه الله- عن عمر يناهز 93 سنة، وذلك يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر أكتوبر سنة 2011م، بعد مرض لم يطل استدعى عملية جراحية في المخ.

ثانياً-تراجم بعض الأعلام الواردة في البحث:

- إبراهيم أنيس (1906م-1977م):

باحث لغوي مصري، ولد بالقاهرة، التحق بدار العلوم العليا، وتخرّج فيها حاصلاً على دبلومها العالي في سنة 1930م. وعمل مدرّساً في المدارس الثانوية. وفي جامعة لندن حصل على البكالوريوس سنة 1939م، ثم الدكتوراه سنة 1941م. ونال عضوية مجمع اللّغة العربية سنة 1961م. تزخر المجلات العربية ببحوثه ومقالاته اللّغوية، ومن مؤلفاته: الأصوات اللّغوية- من أسرار اللّغة العربية- موسيقى الشعر- في اللّهجات العربية- دلالة الألفاظ- مستقبل اللّغة العربية المشتركة.

- أرسطو بن نيقوماخوس (384ق.م - 322ق.م):

هو تلميذ أفلاطون وفيثاغورس، ولد ببلدة سطاغيرا، خالف اليونانيين في عبادة الأصنام، فاضطرّ ملكهم إلى حبسه، وقيل إنّه سقاه السمّ، توفي في جزيرة أوبا. مؤلفاته عبارة عن محاضرات فلسفية دونها تلاميذه وشنتها الزّمن، حتّى جمعها أندرونيقوس الروديسي، وأهمّ نظرياته عن: المعرفة- المقولات العشر- الفضائل العقلية- المدينة.

- الأزهري (282هـ - 370هـ):

هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر، ولد بهراة وهي من أشهر مدن خراسان سنة 282هـ، يكاد المؤرّخون يجمعون على أنّه توفي بمسقط رأسه سنة 370هـ. يعدّ تهذيب اللّغة قمّة تأليفه التي نذكر منها على سبيل التّمثيل: كتاب الأدوات- تفسير أسماء الله عزّ وجلّ- تفسير إصلاح المنطق لابن السكيت- تفسير السّبع الطّوال- تفسير شواهد غريب الحديث.

- برجشتراسر (BergsträsserGotthelf) (1886م-1933م):

هو قوتلهف برجشتراسر، ولد يوم: 05 أبريل 1886م، درس الفلسفة واللّسانيات، وفي سنة 1915م أصبح أستاذا دائما بجامعة إسطنبول، وبين سنتي 1914م و1918م درس اللّهجات العربية في سوريا وفلسطين، توفي يوم: 16 أوت 1933م. ومن أشهر مؤلفاته: التطور النحوي.

- تروبتسكوي نيكولاي سير جفيتش (Nikolay Sergeevitch Trubetskoy)

(1890م - 1938م):

هو عالم لساني روسي وُلد بموسكو، وتوفي بفيينا، هو المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي، ومن آرائه في هذا المجال أنّ الفونيمهو أصغر وحدة فونولوجية، وهو عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات له كتاب: مبادئ الفونولوجيا.

- تشومسكي (Avram Noam Chomsky) (1928م):

هو أفرام نعوم تشومسكي، ولد يوم: 07 ديسمبر 1928م، في مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، تتلمذ على يد أستاذ اللّغويات هاريس بجامعة بنسلفانيا، وعنوان رسالته للتّخرّج هو: دراسة التّركيب الصوتي للوحدات الصّرفية في اللّغة العبرية الحديثة، والتي كانت بمثابة محاولة أولى لبناء قواعد النّحو التّوليدي، حصل على درجة دكتوراه الفلسفة في اللّغويات سنة 1955م. من مؤلفاته: البنى التّركيبية - ملامح النّظرية التّركيبية - البنية المنطقية للنّظرية اللّسانية - اللّسانيات الديكارتية - الأنماط الصوتية في اللّغة الإنجليزيّة - اللّغة والفكر.

- جون روبيرت فيرث (John Rupert Firth) (1890م-1960م):

هو لغوي بريطاني متخصص في النّظريات السيّاقية، كان أستاذا للّسانيات العامة في جامعة لندن ما بين: 1944 - 1960. له كتاب: Paper in linguistics.

- جيرولد كاتز (Jerrold Katz) (1932م - 2002م):

هو فيلسوف ولساني أمريكي، ولد يوم: 14 جويلية 1932م بواشنطن، شغل منصب أستاذ فلسفة ولسانيات في جامعة نيويورك، وبهذه المدينة توفي يوم: 07 فيفري 2002م. من مؤلفاته: **فلسفة اللسان**.

- جيرري فودور (Jerry Fodor) (1935م):

هو فيلسوف وعالم نفس أمريكي، ولد في مدينة نيويورك، وتلقى تعليمه الجامعي في جامعة كولومبيا، ثم تخصص في جامعة برنستون وفيها حاز على الدكتوراه سنة 1960م. يدرّس الفلسفة وعلم النفس منذ سنة 1963م، من مؤلفاته: **لغة الفكر**.

- أبو الحسن الأخفش (؟ - 215هـ):

هو الأخفش سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي، لغوي، عروضي، كان من أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل، له منزلة عند البصريين والكوفيين، أخذ عن سيبويه والخليل بن أحمد، يزعم لنفسه أنه أعلم بالكتاب من صاحبه سيبويه، توفي سنة 225هـ، من مؤلفاته: **كتاب الأوسط في النحو - معاني القرآن - الاشتقاق - المقاييس في النحو**.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ - 170هـ):

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، درس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضا أستاذ سيبويه النحوي. ولد ومات في البصرة. من مؤلفاته أول معجم في العربية: **معجم العين - كتاب النغم - كتاب العروض - كتاب الشواهد - كتاب النقط والشكل - كتاب الإيقاع - كتاب معاني الحروف**.

- ديلاس أوليري (De Lacy O'leary) (1872م - 1957م):

هو مستشرق إيرلندي، وهو أستاذ بجامعة بريستول ويتقن العديد من اللغات الشرقية ومنها العربية، له كتاب: **الفكر العربي ومكانه في التاريخ**.

- الشَّريف الجرجاني (746هـ - 816هـ):

هو عالم الشرق الشَّريف أبو الحسن الحسيني الحنفي، ولد في جرجان، في الثامن من شعبان سنة أربعين وسبعمائة للهجرة، صرف همته منذ صغره إلى دراسة العربية وعلومها، ألف كتباً في النحو، وكثيراً من العلوم العقلية والنقلية، تزيد مصنّفاته عن الخمسين، وهي في مجملها كتب صغيرة أو رسائل قصيرة، أو شروح وحواش على متون مشهورة، بعضها بالعربية وبعضها بالفارسية، وافته المنية يوم الأربعاء، السادس من ربيع الثاني، سنة ست عشرة وثمانمائة، ودفن في قبر بناه لنفسه، بالقرب من الجامع العتيق المسمّى بمحلّة سواحان، داخل سور شيراز. من مؤلفاته: **الإشارات والتنبيهات - الأصول المنطقية - التعريفات**.

- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (148هـ - 180هـ):

هو أحسن تلاميذ الخليل مطلقاً، اللّغوي البصري إمام النّحاة، اسمه عمرو بن بحر بن قنبر، كُنيتُه أبو بشر، ولقبه سيبويه الذي يعني رائحة النّجاح: (سيب + ويه)، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب. والكتاب أحد أهم مؤلفاته في النّحو، ويعدّ أول كتاب منهجي ينسق ويدون قواعد اللّغة العربية، وعُرف بقرآن النّحو.

- أبو الفتح عثمان ابن جني (322 هـ - 392 هـ):

هو عالم نحوي كبير، ولد بالموصل ونشأ بها، تعلم النّحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلّي الأخفش، ويذكر ابن خلكان أن ابن جني قرأ الأدب في صباه على يد أبي علي الفارسي حيث توثّقت الصّلات بينهما، حتّى نبغ ابن جني بسبب صحبته، حتّى أنّ أستاذه أبا علي، كان يسأله في بعض المسائل، ويرجع إلى رأيه فيها. على الرّغم أنّ ابن

جني كان يتبع المذهب البصري في اللغة إلا أنه كان كثير النقل عن أناس ليسوا بصريين في النحو واللغة، من مؤلفاته: الخصائص - سر صناعة الإعراب - التمع في النحو.

-فردينان دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (1857م-1913م):

هو عالم لغويات سويسري أسس المدرسة البنيوية في اللسانيات في القرن العشرين. وهو من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث حيث اتجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية بعد اللغة ظاهرة اجتماعية وكانت اللغات تدرس دراسة تاريخية، وكان السبب في هذا التحول الخطير في دراسة اللغة هو اكتشاف اللغة السنسكريتية. ولد دي سوسير في جنيف، وكان مساهما كبيرا في تطوير العديد من نواحي اللسانيات في القرن العشرين. كان أول من عد اللسانيات فرعا من علم أشمل يدرس الإشارات الصوتية، اقترح دي سوسير تسميته (semiology) ويعرف حاليا بالسيميوستيك أو علم الإشارات. جمعت محاضراته في: دروس في اللسانيات العامة.

- عبد القاهر الجرجاني (400هـ - 471هـ):

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، فارسي الأصل، جرجاني الدار، وجرجان مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، كان شافعيًا، عالما، أشعريا، ذا نُسك ودين، توفي سنة إحدى- وقيل أربع- وسبعين وأربعمائة من الهجرة النبوية. من أشهر مؤلفاته: أسرار البلاغة- دلائل الإعجاز.

-كمال محمد علي بشر (1921م):

ولد بمحلة دياي مركز دسوق محافظة كفر الشيخ، حفظ القرآن وجوّده بالكتاب، والتحق بمعهد دسوق الديني. ولما أنهى المرحلة الابتدائية به انتقل إلى المعهد الثانوي الأزهرى بالإسكندرية لعامين، ومنه انتقل إلى معهد طنطا لينال منه الشهادة الثانوية. التحق بدار العلوم جامعة القاهرة ونال منها ليسانس اللغة العربية والدراسات الإسلامية (تقدير ممتاز - أول الفرقة) 1946م. حصل على دبلوم المعهد العالي للمعلمين في التربية وعلم النفس 1948م. بُعث إلى إنجلترا للتخصص

في علم اللّغة، ومن جامعة لندن حصل على درجة الماجستير في علم اللّغة المقارن 1953، وعلى درجة الدّكتوراه في علم اللّغة والأصوات 1956م. أمّا نشاطه في التّأليف فواسع ومتنوع، ومنه: قضايا لغوية - علم الأصوات - دراسات في علم اللّغة - علم اللّغة الاجتماعي - خاطرات مؤتلفات في اللّغة والثّقافة - اللّغة العربية بين الوهم وسوء الفهم - التّفكير اللّغوي بين القديم والجديد.

- ابن مضاء اللّخمي القرطبي (511هـ - 592هـ):

هو أبو العباس أحمد بن عبد الرّحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم بن مضاء بن مهذّب بن عمير اللّخمي القرطبي، نسبة إلى مسقط رأسه قرطبة، ينحدر من أسرة تشتهر بالفروسية والشّجاعة، ولد بقرطبة سنة 511هـ، ومات بإشبيلية في السّابع عشر من جمادى الثّانية سنة 592هـ، يكاد يتفق المؤرّخون على أنّه ألف كتباً ثلاثة، لم يظهر منها إلّا الأوّل، وهي: الردّ على النّحاة - المشرق في النّحو - تنزيه القرآن عمّا لا يليق بالبيان.

ملحق المصطلحات

ملحق المصطلحات

| المصطلح باللغة الإنجليزية: | المصطلح باللغة العربية: |
|----------------------------|-------------------------|
| monosyllabic word | أحادية المقطع |
| Friction | الاحتكاك/الرّخاوة |
| Infixes | أحشاء |
| Continuant | الاستمرار |
| Upper and Lower Teeth | الأسنان العليا والسفلى |
| Denti-alveolar | أسناني لثوي |
| Dental | أسناني |
| Vocoids | أصوات العلة |
| Moler | الأضراس |
| Velarization | الإطباق/التفخيم |
| Dental articulation | أطراف الثنايا |
| Suffixes | أعجاز |
| Organs of speech | أعضاء النطق |
| Accoustic | الأكوستيكي |
| Allophone | الألوفون |
| Plosive | الانفجار/الشدة |
| Nasale | الأنفي |
| Canines | الأنياب |
| Vocalcords/Vocalbonds | الأوتار الصوتية |
| Osillograph | الأوسيلوغراف |
| Blottalstop | البلعوم |
| Regimen/ Governance | التأثير السياقي |
| Pharyngalization | التحليق |
| Frequency | التردد |

ملحق المصطلحات

| | |
|-------------------------------|--|
| Kymography | التَّعْرِجَات الذَّبْدِيَّة/الكيموغرافيا |
| Palatalization | التَّغْوِير |
| Foregrounding | التَّقْدِيم والتَّأخِير |
| Rolled | التَّكْرَارِي |
| Collocation | التَّلَازِم |
| Transitivity | التَّمَاسِك السِّيَاقِي |
| Intonation | التَّنْغِيم |
| Concord | التَّوَافُق السِّيَاقِي |
| Lateral | الجَانِبِي |
| Back wall of Pharynx | الجِدَار الخَلْفِي للحَلَق |
| Predication Table | جَدول الإِسْنَاد |
| Conjugation Table | جَدول التَّصْرِيف |
| Aspect | الجَهَّة |
| Voice/Voicing | الجَهْر |
| Articulatory movements | حَرَكَات أَعْضَاء النُّطْق |
| Field of relations | حَقْل العِلَاقَات |
| Conceptual field | حَقْلانِصَوْرِي |
| Lexical field | حَقْل مَعْجَمِي |
| Semantic fields | حَقُول دَلَالِيَّة |
| Pharyngal | حَلْقِي |
| Glottal | حَنْجَرِي |
| Artificial Palate/Palatograph | الحَنْك الصَّنَاعِي/البَلاتوغرافيا |
| Pitch | الدَّرْجَة |
| Sound vibration | الدَّبْدِيَّة الصَّوْتِيَّة |
| Praat | الرَّاسِم الطَّيْفِي |

ملحق المصطلحات

| | |
|-----------------------|--------------------------------|
| Lateralincisor | الرّباعيات الجانبية |
| Electropalatograph | رسام الحنك الإلكتروني |
| Spectrograph | السبكتروغراف |
| Amplitude | سعة الذبذبة |
| Auditory | السّمعي |
| Semanteme | السيمانتيم/نواة المعنى المعجمي |
| Morphological Scatter | جدول الإصاق |
| Lips | الشفّتان |
| Labio-dental | شفوي أسناني |
| Bi-labial | شفوي |
| Consonants | الصّحاح |
| Prefixes | صدور |
| Correlations | الصّفات التّصنيفية |
| Affricate | صوت مرّكب |
| Sound | الصّوت |
| Soft palate | الطبّق/الحنك اللّين |
| Velar | طبقي |
| Velar Articulation | الطبقيّة |
| Blade of Tongue | طرف اللّسان |
| Prosodic features | الظواهر التّطريزية |
| Syntagmaticrelations | العلاقات السياقية |
| Vowels | العلل/ حروف العلة |
| Phonology | علم التّشكيل الصّوتي |
| Applied Linguistics | علم اللّغة التّطبيقي |
| Loudness | العلوّ |

ملحق المصطلحات

| | |
|--------------------------------------|----------------------------|
| Palate | الغار/الحنك |
| Platal | غاري |
| Nasal cavity | فتحة الأنف |
| Physiological | الфизиولوجي |
| Lower jaw | الفك الأسفل |
| Phoneme | الفونيم |
| Physical | الفيزيائي |
| Rontel incisor | القواطع الأمامية |
| Quality or Timbre | قيمة الصوت أو جرسه |
| International phonetic transcription | الكتابة الصوتية الدولية |
| Speech | الكلام |
| Monosyllabic word | كلمة أحادية المقطع |
| Polysyllabic word | كلمة متعددة المقاطع |
| Kymograph | الكيموغراف |
| Alveole | اللثة |
| Alveolar | لثوي |
| Epiglottis | لسان المزمار |
| Language | اللغة |
| Linguistics | اللغويات |
| Noise | اللفظ |
| Uvula | اللهاة |
| Uvalar | لهوي |
| Articulations | المخارج |
| Information | مساعد البحث |
| Semantics | المستوى الدلالي/علم المعنى |

ملحق المصطلحات

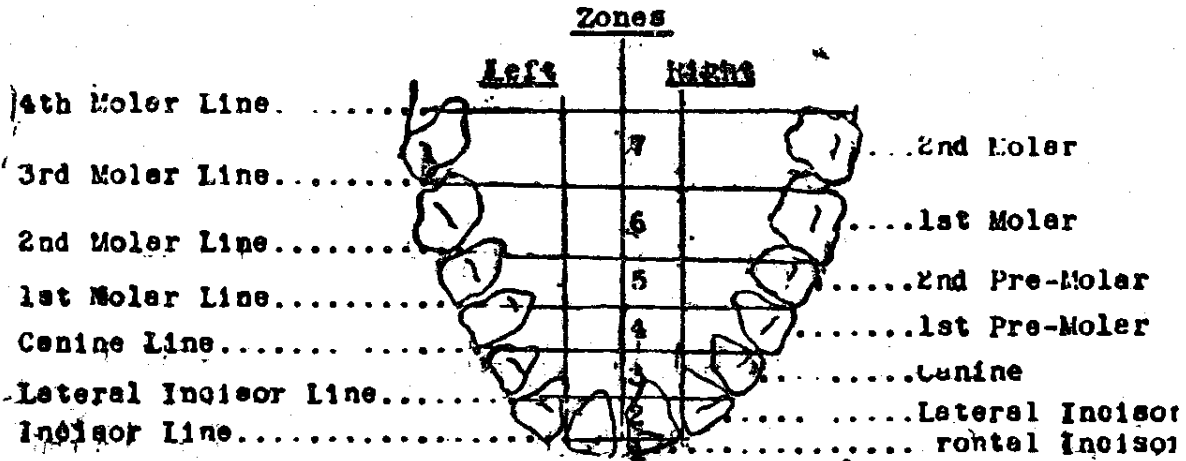
| | |
|--------------------------------------|--|
| Morphology | المستوى الصّرفي/علم بناء الكلمة |
| Phonetics | المستوى الصّوتي/علم الأصوات |
| Lexicology | المستوى المعجمي/علم المعجم |
| Syntax | المستوى النّحوي/علم التّراكيب/علم بناء الجملة |
| Idiomatic | مسكوك |
| Semantic meaning | المعنى الدّلالي |
| Lexical meaning | المعنى المعجمي |
| Contextual meaning | المعنى المقامي |
| Functional meaning | المعنى الوظيفي |
| Juncture | المفصل |
| Substitution counter | المقابل الاستبدالي |
| Speech event | المقال |
| Context of situation | المقام/سياق الحال |
| Front of Tongue | مقدّم اللّسان |
| Larynx in the front part of the neck | منطقة الحنجرة أمام الرّقبة |
| Morphology | منهج الصّرف |
| Desriptive linguistics | المنهج الوصفي |
| Method | المنهج |
| Sound wave | الموجة الصوتية |
| Post-alveola | مؤخّر اللّثة |
| Back of Tongue | مؤخّر اللّسان |
| BoundMorpheme | المورفيم المقيد |
| Morpheme | المورفيم /المبنى الصّرفي |

ملحق المصطلحات

| | |
|----------------------------|----------------------------------|
| FreeMorpheme | المورفيم الحرّ |
| ZeroMorpheme | المورفيم الصّفري/الدّالة العدمية |
| Primarystress | النّبر الأوّلي |
| Secondarystress | النّبر الثّانوي |
| Semi-Vowel | نصف حركة/ نصف علّي |
| Articulatory | النّطقي |
| System | النّظام |
| Theory of Gramatical Clues | نظرية القرائن التّحوية |
| Theory of the signs | نظرية القرائن |
| Paradigmatic/Syntagmatic | النّظمي/الاستبدالي |
| Aspiration | نفخة بسيطة |
| Post- Palatal | نهاية الحنك/الحنك الصّائب |
| Voiceless | الهمس |
| Glottal Stop | وقفة حنجرية |

ملحق صور البحث

The Palatogram Figure



| The Horizontal Lines | The Zones | The Grouped Zones |
|-------------------------|---|-------------------|
| 1. Incisor Line | Dental | Dental |
| 2. Lateral Incisor Line | Denti-Alveolar | |
| 3. Canine Line | Alveolar | Alveolar |
| 4. First Molar Line | Post-Alveolar | |
| 5. Second Molar Line | Pre-Palatal | Palatal |
| 6. Third Molar Line | Mid-Palatal | |
| 7. Fourth Molar Line | Post-Palatal | |
| The Vertical Lines | The Vertical Zones | |
| The Median Line | Right and Left zones: to speaker's right and left of the median line. | |
| The Right Line | Right Alveolar zone: to the right of the right line. | |
| The Left Line | Left Alveolar zone: to the left of the left line. | |

جدول الاصوات العربية

| صفات الأصوات | | | | | | | | | | | | مكان الصوت | |
|--------------|------|--------|-------|----------|------------|------|-------|------|------------|------|-------|------------|-------------|
| أصوات متوسطة | | | | صوت مركب | أصوات رخوة | | | | أصوات شداد | | | | |
| كلها مجهول | | | | مجهول | مهموس | | مجهول | | مهموس | | مجهول | | |
| رقيق | أفني | تكراري | جانبى | مرق | مرق | منجز | مرق | منجز | مرق | منجز | مرق | | منجز |
| w | m | | | | | | | | | | | b | شفوي |
| | ŋ | | | | f | | ⓧ | | | | | | شفوي أسناني |
| | ŋ | | | | θ | | ð | ð | | | | | أسناني |
| | ŋ | | | | s | ʃ | z | ⓧ | t | t | d | d | أسناني لتوي |
| | n | r | l | | | | | | | | | | لتوي |
| y | ɹ | | | ʃ | ʃ | | ⓧ | | | | | | عاري |
| | ŋ | | | | x | | ɣ | | k | | ⓧ | | طبق |
| | N | | | | | | | | q | | | | لهوي |
| | | | | | h | | ç | | | | | | حلقى |
| | | | | | | | h | | ç | | | | حظري |

الذميريات التي حول دائرة ليست من العربية الفصحى

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

المصادر والمراجع العربية:

1. إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. ط5. مكتبة الأنجلو. مصر. 1979م.
2. من أسرار اللغة. ط6. مكتبة الأنجلو المصرية. 1978م.
3. إبراهيم بن مراد. مقدّمة لنظرية المعجم. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1997م.
4. إبراهيم عمر سليمان زبيدة. حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث (دراسة تحليلية تقويمية). ط1. دار الكتب الوطنية. بنغازي ليبيا. 2004م.
5. إبراهيم مصطفى. إحياء النّحو. دار الآفاق العربية. 2003م.
6. ابن جنّي. الخصائص. ج1. ج2. تح: عبد الحكيم بن محمد. المكتبة التّوفيقية.
7. المنصف (شرح كتاب التّصريف للمازني). ج1. تح: إبراهيم مصطفى وغيره. ط1. إدارة إحياء التراث القديم. الإسكندرية. (دت).
8. ابن خلدون. المقدّمة (ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر). تح: خليل شحادة. در الفكر. بيروت لبنان. 2004م.
9. ابن فارس. الصّاحبي في فقه اللّغة. تح: السيّد أحمد صقر. طبعة دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. (دت).
10. ابن قتيبة. تأويل مشكل القرآن. تح: أحمد صقر. طبعة الحلبي. 1945م.
11. ابن مالك. متن ألفية ابن مالك. تع: عبد اللطيف بن محمد الخطيب. ط1. دار العروبة. الكويت. 2006م.
12. ابن مضاء القرطبي. الرّد على النّحاة. تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. ط1. دار الكتب العلمية. لبنان. 2007م.
13. ابن منظور. لسان العرب. ج1. دار المعارف. القاهرة.
14. ابن هشام. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ج2. تح: محمد محي الدّين عبد الحميد. دار الطّلائع. 2004م.
15. شرح قطر النّدى وبل الصّدى. تح: محمد محي الدّين عبد الحميد. المكتبة العصرية. لبنان. 2004م.

16. أبو بكر حسيني. الصوائت العربية قراءة في مصادر التراث اللغوي. ط1. دار الكتاب الحديث. القاهرة، 2014م.
17. أحمد سليمان ياقوت. ظاهرة الإعراب في النحو العربي. دار المعرفة الجامعية. 1994م.
18. أحمد مختار عمر. البحث اللغوي عند العرب (مع دراسة لقضية التأثير والتأثر). ط8. عالم الكتب. القاهرة. 2003م.
19. دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب. القاهرة. 1997م.
20. علم الدلالة. ط5. عالم الكتب. القاهرة. 1998م.
21. أحمد مومن. اللسانيات النشأة والتطور. ط2. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2005م.
22. إدريس مقبول. الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه. ط1. عالم الكتب الحديث. الأردن. 2006م.
23. الأزهري. تهذيب اللغة. تح: عبد السلام هارون. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة. 1964م.
24. الأشموني. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج2. تح: حسن حمد. دار ط2. الكتب العلمية. بيروت لبنان. 2010م.
25. امحمد الملاخ. الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية. ط1. دار الأمان. الرباط. 2009م.
26. برجشتراسر. التطور النحوي للغة العربية (محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929م). أخرج وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التّواب. ط2. مكتبة الخانجي. 1994م.
27. بكري عبد الكريم. أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي. ط1. دار الكتاب الحديث. الجزائر. 1999م.
28. تحسين عبد الرضا الوزان. الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث. ط1. دار دجلة، الأردن. 2011م.
29. تمام حسّان. اجتهادات لغوية. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2007م.

30. . الأصول " دراسة إستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو - فقه اللغة - البلاغة". عالم الكتب. القاهرة. 2009م.
31. . البيان في روائع القرآن "دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني". ط1. عالم الكتب. القاهرة. 1993م.
32. . التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها. شركة مكة للطباعة والنشر. 1984م.
33. . الفكر اللغوي الجديد. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2011م.
34. . اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. الدار البيضاء. 2001م.
35. . اللغة العربية معناها ومبناها. ط5. عالم الكتب. 2006م.
36. . اللغة بين المعيارية والوصفية. دار الثقافة. الدار البيضاء. 1980م.
37. . حصاد السنين من حقول العربية. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2012م.
38. . خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2006م.
39. . مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2010م.
40. . مقالات في اللغة والأدب. ج1. ج2. ط1. عالم الكتب. القاهرة. 2006م.
41. . الخلاصة النحوية. ط2. عالم الكتب. القاهرة. 2004م.
42. . الجاحظ. البيان والتبيين. ج1. تح: عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت. (دت).
43. . الحيوان. ج3. تح: عبد السلام هارون. ط2. مطبعة مصطفى بابي الحلبي. مصر. 1965م.
44. . جميل صليبا. المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية). ج1. الشركة العالمية للكتاب. بيروت لبنان. 1994م.
45. . حاتم صالح الضامن. الصّرف. دار الحكمة. الوصل. 1999م.
46. . حسام اللّحام. أثر نظرية النّظم في الدّراسات الأسلوبية. ط1. دار فضاءات. الأردن. 2008م.

47. حسن حمائز. التّظير المعجمي والتّتمية المعجمية في اللّسانيات المعاصرة مفاهيم ونماذج تمثيلية. ط1. عالم الكتب الحديث. الأردن. 2012م.
48. حسن منديل حسن العكيلي. الخلاف النّحوي في ضوء محاولات التّيسير الحديثة. دار الضيّاء. عمان الأردن. 2006.
49. محاولات التّيسير النّحوي الحديثة (دراسة وتصنيف وتطبيق). ط1. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. 2012م.
50. حسين رفعت حسين. الموقعية في النحو العربي (دراسة سياقية). تقديم: تمّام حسّان. ط1. عالم الكتب. 2005م.
51. حلمي خليل. العربية وعلم اللّغة البنيوي (دراسة في الفكر اللّغوي العربي الحديث). دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1996م.
52. الكلمة "دراسة لغوية معجمية". دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1998م.
53. مقدّمة لدراسة التّراث المعجمي العربي. ط1. دار النّهضة العربية. بيروت. 1997م.
54. حليلة عمّاية. الاتّجاهات النّحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة). ط1. دار وائل. الأردن. 2006م.
55. خالد إسماعيل حسان. في اللّسانيات العربية المعاصرة. دار الكتب المصرية. القاهرة. 2008م.
56. خالد الكندي. التّعليل النّحوي في الدّرس اللّغوي القديم والحديث. ط1. دار المسيرة. عمان. 2007م.
57. خالد اليعبودي. آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللّسانية النّثائية والمتعدّدة اللّغات. ط1. دار ما بعد الحداثة. فاس. 2006م.
58. خديجة الحديثي. أبنية الصّرف في كتاب سيبويه. ط1. مكتبة النّهضة. بغداد. 1965م.
59. خضر موسى محمد محمود. النّحو والنّحاة (المدارس والخصائص). ط1. عالم الكتب. 2003م.

60. خلف الأحمر. مقدّمة في النّحو. تح: عز الدين التّنوخي. مطبوعات إحياء التّراث القومي3. دمشق. 1961م.
61. خليل أحمد عمّاية. في التّحليل اللّغوي (منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التّوكيد اللّغوي والنّفي اللّغوي وأسلوب الاستفهام). ط1. مكتبة المنار. الأردن. 1987م.
62. الخليل بن أحمد الفراهيدي. الجمل في النّحو. تح: فخر الدّين قباوة. ط1. مؤسسة الرّسالة. سوريا. 1985م.
63. العين. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار الرّشيد. بغداد. 1980م.
64. العين. تح: مهدي المخزومي وغيره. ج1. (دط). سلسلة المعاجم والفهارس. (دت).
65. درويش الجندي. نظرية عبد القاهر في النّظم. مكتبة نهضة مصر. 1960م.
66. رجب عبد الجوّاد إبراهيم. دراسات في الدّلالة والمعجم. دار غريب. 2001م.
67. ردّة الله الطّليحي. دلالة السّيّاق. ط1. مطابع جامعة أم القرى. 1423هـ.
68. رمضان عبد التّوّاب. المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي. ط3. مكتبة الخانجي. القاهرة. 1997م.
69. زهير غازي زاهد. موضوعات في نظرية النّحو العربي (دراسة موازنة بين القديم والحديث). ط1. دار الرّمان. بغداد. 2010م.
70. الرّوزني. شرح المعلّقات السّبع. طبعة مكتبة المعارف. بيروت. (دت).
71. زينب عفيفي. فلسفة اللّغة عند الفارابي. دار قباء. القاهرة. 1997م.
72. سامي عياد حنا وغيره. معجم اللّسانيات الحديثة (إنكليزي-عربي). ط1. مكتبة لبنان. 1997م.
73. سعد عبد العزيز مصلوح. دراسة السّمع والكلام (صوتيات اللّغة من الإنتاج إلى الإدراك). ط2. عالم الكتب. القاهرة. 2005م.
74. في اللّسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات. ط2. عالم الكتب. القاهرة. 2015م.

75. سمير شريف استيتيه، الأصوات اللغوية (رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية). ط1. دار وائل. عمان. 2003م.
76. سيوييه. الكتاب. ج2. ط1. طبعة بولاق. المكتبة الكبرى الأميرية. القاهرة. 1316هـ.
77. الكتاب. ج1. ج4. تح: عبد السلام محمد هارون. ط5. مكتبة الخانجي. القاهرة. 2009م.
78. السيوطي. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. مج1-2. ط3. دار التراث. القاهرة. مصر. 2008م.
79. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج2. تح: عبد العال سالم مكرم. طبعة دار البحوث العلمية. بيروت. دت.
80. الشّريف الجرجاني. التّعريفات. تح: نصر الدّين تونسي. ط1. شركة ابن باديس للكتاب. الجزائر. 2009م.
81. شوقي ضيف. تجديد النّحو. ط3. دار المعارف. مصر. 1982م.
82. صالح بلعيد. نظرية النّظم. ط3. دار هومه. الجزائر. 2009م.
83. صبحي صالح. دراسات في فقه اللّغة. ط10. دار العلم للملايين. 1983م.
84. صلاح الدّين زرال. الظّاهرة الدّلالية عند علماء العربية القدامى حتّى نهاية القرن الرّابع الهجري. ط1. الدّار العربية للعلوم. بيروت. 2008م.
85. طلال علامة. تطوّر النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة. ط1. دار الفكر اللّبناني. 1993م.
86. عباس حسن. اللّغة والنّحو بين القديم والحديث. (دط). دار المعارف. مصر. 1966م.
87. عبد الجبّار توامة. التّعدية والتّضمين. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1994م.
88. عبد الجليل منقور. علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربي. إتحاد الكتاب العربي. دمشق. 2001م.
89. عبد الرّحمان الحاج صالح. بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية. ج1-2. موفم للنّشر. 2007م.

90. عبد الرّحمان العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّسانية المعاصرة في مصر (1932م-1985م). ط1. دار الكتاب الجديد المتّحدة. بيروت لبنان. 2013م.
91. . تمّام حسّان رائدا لغويا "كتاب تذكاري". ط1. عالم الكتب. 2002م.
92. عبد الرّحمان أيّوب. دراسات نقدية في النّحو العربي. (دط). مؤسسة الصّباح الكويت. (دت).
93. عبد الصّبور شاهين. المنهج الصّوتي للبنية العربية. بيروت. 1980م.
94. . في التّطوّر اللّغوي. مكتبة الشّباب. الإسكندرية. 1989م.
95. عبد العاطي غريب علام. دراسات في البلاغة العربية. ج1. ط1. منشورات جامعة بنغازي. 1997م.
96. عبد القادر الفاسي الفهري. اللّسانيات واللّغة العربية. ط1. منشورات عويدات. بيروت لبنان. 1986م.
97. عبد القادر المهيري. نظرات في التّراث اللّغوي العربي. ط1. دار الغرب الإسلامي. لبنان. 1993م.
98. عبد القادر عبد الجليل. علم اللّسانيات الحديثة (نظم التّحكّم وقواعد البيانات). ط1. دار صفاء. عمان. 2002م.
99. عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة في علم البيان. تح: عبد الحميد هنداوي. ط1. دار الكتب العلمية. لبنان. 2001م.
100. . العوامل المئة النّحوية في أصول العربية. تح: زهران البدرأوي. ط2. دار المعارف. مصر. 1988م.
101. . دلائل الإعجاز. تع: محمود محمد شاكر. ط3. دار المدني. القاهرة. 1992م.
102. عبد المجيد عيساني. النّحو العربي بين الأصالة والتّجديد (دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النّحوية). ط1. دار ابن حزم. لبنان. 2008م.
103. عبد المنعم النّاصر. شرح صوتيات سيوييه (دراسة حديثة في النّظام الصّوتي للعربية من خلال نصوص كتاب سيوييه). ط1. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. 2012م.

104. عبد الوارث مبروك سعيد. في إصلاح النّحو العربي (دراسة نقدية). ط1. دار القلم. الكويت. 1985م.
105. عرفات فيصل المنّاع. السّياق والمعنى دراسة في أساليب النّحو العربي. ط1. مؤسسة السّياب. لندن. 2013م.
106. عز الدّين مجدوب. المنوال النّحوي قراءة لسانية جديدة. ط1. دار محمد علي الحامي. الجمهورية التونسية. 1998م.
107. عصام نور الدّين. تاريخ النّحو (المدخل، النّشأة والتّأسيس). ط1. دار الفكر. لبنان. 1995م.
108. علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا). ط1. دار الفكر اللبناني. بيروت. 1992م.
109. علي عبد الواحد وافي. فقه اللّغة. ط8. دار نهضة مصر. القاهرة. (دت).
110. فاضل مصطفى السّاقي. أقسام الكلام العربي من حيث الشّكل والوظيفة. مكتبة الخانجي. القاهرة. 2008م.
111. فاطمة الهاشمي بكّوش. نشأة الدّرس اللّساني الحديث "دراسة في النّشاط اللّساني". ط1. إيتراك للنّشر والتّوزيع. 2004م.
112. فصيح مقران. المدخل الجامع في أصول نظرية النّحو العربي. ط1. دار الوسام العربي. الجزائر. 2011م.
113. الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ج1. ج2. ج4. دار العلم للجميع. بيروت لبنان. (دت).
114. كمال بشر. دراسات في علم اللّغة (القسم الثاني). ط2. دار المعارف. القاهرة. 1971م.
115. علم الأصوات. دار غريب. القاهرة. 2000م.
116. كوليزار كاكل عزيز. القرينة في اللّغة العربية. ط1. دار الدّجلة. الأردن. 2009م.
117. مجمع اللّغة العربية. المعجم الوسيط. ج1. ج2. إخ: إبراهيم مصطفى وغيره. ط2. الإدارة العامّة للمعجمات وإحياء التّراث. 1972م.

118. محمد الرّازي. مختار الصّحاح. رتبه: محمود خاطر. ط1. دار الفكر. لبنان. 2001م.
119. محمد بن مهدي ظافر العمراني. التحفة المهدية شرح العوامل النّحوية. ط1. دار الآثار. القاهرة. 2008م.
120. محمد حسن حسن جبل. الدّفاع عن القرآن الكريم (أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللّغة العربية). ط2. البربري للطباعة الحديثة. (دت).
121. محمد حسين الصّغير. نحو التّجديد في دراسات الجوّاري. مطبعة المجمع العراقي. العراق. 1990م.
122. محمد رشاد الحمزاوي. المعجمية: مقارنة نظرية ومطبقة، مصطلحاتها ومفاهيمها. مركز النّشر الجامعي. تونس. 2004م.
123. من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً. ط1. دار الغرب الإسلامي. 1986م.
124. محمد سعد محمد. في علم الدّلالة. ط1. مكتبة زهراء الشّرق. القاهرة. 2002م.
125. مباحث التّخصيص عند الأصوليين والنّحاة. (دط). منشأة المعارف. الإسكندرية. (دت).
126. محمد سمير اللّبدي. معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية. ط1. مؤسسة الرّسالة. بيروت. 1958م.
127. محمد صبري راضي. تجديد دماء اللّغة العربية. ط1. مكتبة الثّقافة الدّينية. القاهرة. 2006م.
128. محمد عبد المطّلب. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني. ط1. لونغمان. مصر. 1995م.
129. محمد علي عبد الكريم الرّديني. فصول في علم اللّغة العام. دار الهدى. الجزائر. 2007م.
130. محمد عيد. أصول النّحو العربي في نظر النّحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللّغة الحديث. ط4. عالم الكتب. 1989م.

131. محمود أحمد نحلة. مدخل إلى دراسة الجملة العربية. دار النهضة العربية. بيروت. 1988م.
132. محمود فهمي حجازي. علم اللّغة العربية (مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللّغات السّامية). (دط). دار غريب. (دت).
133. مصطفى حميدة. نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية. ط1. الشركة المصرية العالمية للنّشر لونغمان. مصر. 1997م.
134. مصطفى غلفان. اللّسانيات العربية الحديثة (دراسة نقدية في المصادر والأسس النقدية والمنهجية). جامعة الحسن الثّاني. عين الشّق. كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة. سلسلة رسائل وأطروحات رقم: 04. مطبعة فضالة. المغرب. (دت).
135. منصور بن محمد الغامدي. الصّوتيات العربية. مكتبة الثّوبة. الرّياض. 2000م.
136. مهدي المخزومي. في النّحو العربي "نقد وتوجيه". ط2. دار الرّائد العربي. بيروت لبنان. 1986م.
137. موريس أنجريس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانيّة: تدريبات علمية. تر: بوزيد صحراوي وغيره. ط2. دار القصبّة. الجزائر. 1990م.
138. نادية رمضان النّجار. اللّغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين. مراجعة: عبده الرّاجحي. دار الوفاء. الإسكندرية. 2004م.
139. نور الهدى لوشن. مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي. المكتبة الجامعية. الإسكندرية. 2000م.
140. هادي نهر. دراسات في اللّسانيات (ثمار التّجربة). عالم الكتب الحديث. الأردن. 2011م.
141. وليد عاطف الأنصاري. نظرية العامل في النّحو العربي عرضا ونقدا. ط2. دار الكتاب الثّقافي. الأردن. 2014م.

المقالات والمجلّات والمواقع الإلكترونيّة:

1. ابتسام عبد الكريم رمضان. (مؤشّرات العمل التّحوي بين القدماء والمحدثين). قسم اللّغة العربية. كلّية الآداب. جامعة عمر المختار. الجبل الأخضر. البيضاء. ليبيا.

2. إبراهيم أصبان. (السِّيَاق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة). مجلة الإحياء. المملكة المغربية. 25 دجنبر 2014م. على الرابط: www.alihyaa.ma. محرك البحث: google.
3. أحمد القرشي. (الخلاف بين سيوييه والخليل في الصوت والبنية). على الرابط: <https://uqu.edu.sa/majalat/>. محرك البحث: Ask.
4. أحمد عزوز. أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. دمشق. 2002. موقع اتحاد الكتاب العرب: <http://www.awu-dam.org>. محرك البحث: google.
5. الإخوان. (الدكتور تمام حسّان رمز من جيل العلماء الراسخين). الموسوعة الحرة ويكيبيديا. منشور يوم: 13-06-2009م.
6. إسماعيل ونوغي. (معوّقات تعلّم النحو العربي وجهود في التيسير). مجلة اللغة العربية. ع30. الجزائر. السداسي الأول 2013م.
7. بلقاسم بن محمد بن عودة. (تيسير النحو عند تمام حسّان في ضوء نظرية تضافر القرائن). مجلة الباحث. ع2. مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة. جامعة ابن خلدون. تيارت. 2011م.
8. بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن. (الموازنة بين نظرية العامل ونظرية تضافر القرائن في الدرس النحوي). خواطر نحوية. جامعة الطائف. مايو 2015م.
9. تمام حسّان. (أصول النحو وأصول النحاة). المناهل. ع10. 1 نوفمبر 1977م.
10. (إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا). أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية. تونس. 13-19/12/1978م.
11. (أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية). حوليات كلية دار العلوم. الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية مطبعة جامعة القاهرة. 1969م.
12. (التضام وقيود التوارد). المناهل. ع6. يوليو 1976م. الرابط.
13. (منهج النحاة العرب). حوليات دار العلوم. 1969م-1970م.
14. جابر قميحة. (أستاذي الحبيب الدكتور تمام حسّان). منشور يوم: 28-12-2011م على الساعة: 01:19مكة المكرمة. على الرابط: ikhwanonline.com. محرك البحث: google.

15. جميل حمداوي. (منهج القرائن وأثره في التّحصيل المدرسي). المجلة التّربوية. مج10. ع40. مجلس النّشر العلمي. الكويت. 1996م.
16. حازم سليمان الحلي. (تيسير النّحو إلى عصر ابن مضاء القرطبي). مجلّة اللّسان العربي. ع41. مكتب تنسيق التّعريب. الرّباط. 1996م.
17. حسن الحفظي. محاضرات في علم الصّرف. نادي البيان للأدب والفكر. الرّابط: NadyAlbayanLladabwalfikr/posts/244830905633469. محرّك البحث: google.
18. حيدر جبار عيدان وغيره. (جدلية السّياق والدّلالة في اللّغة العربية "النّص القرآني أنموذجاً"). مجلّة جدلية السّياق. ع9. مركز دراسات الكوفة. 2008م.
19. حيدر محمد جبر. (التّفكير المورفولوجي عند تمام حسان). مجلّة كلىة الآداب. جامعة بغداد. ع:102. الرّابط: <http://www.iasj.net/>. محرّك البحث: google.
20. حيدر محمد عيدان وضرغام علي محسن. (النّحو الوصفي بين الدّكتور مهدي المخزومي والدّكتور تّمّام حسان "دراسة في موارد الاتفاق والاختلاف"). كلىة الآداب. جامعة الكوفة. على الرّابط: <http://www.uokufa.edu.iq>. محرّك البحث: google.
21. خالد بن عبد الكريم بسندي. (محاولات التّجديد والتّيسير في النّحو العربي "المصطلح والمنهج: نقد ورؤية"). مجلة الخطاب الثقافي. ع03. الرّياض. 2008م.
22. . (نظرية القرائن في التّحليل اللّغوي). مجلّة اتّحاد الجامعات العربية. مج4. ع2. جامعة الملك سعود. قسم اللّغة العربية. الرّياض. المملكة العربية السّعودية. 2007م.
23. خالد خليل هادي وغيره. (تّمّام حسان في معيار النّقد اللّساني). مجلة الأستاذ. ع203. 2013م.
24. خالد فهمي. (تّمّام حسان - رحمه الله - سراج علماء العربية المعاصرين). تاريخ النّشر: 22-12-2011م. على الساعة: 16:13. مكة المكرمة. الرّابط: www.ikhwanonline.com. محرّك البحث: google.
25. خديجة إيكر. تتبّه سيبويه إلى الفرق بين الحروف الأصليّة أو بين الفونيم والألوفون. منتديات رُواء الأدب. فضاء اللّغة "الأصوات". تاريخ النّشر: 2012/01/15م. السّاعة: 01:16.

- على الرّابط: www.ruowaa.com. محرّك البحث: Ask. وملتقى إحياء علوم الدّين.الغرفة الصّوتية. التّعديل الأخير بواسطة: أ.د.خديجة إيكر يوم: 2012/01/25م. على السّاعة: 14:12. على الرّابط: almolltaqa/com. محرّك البحث: Ask.
26. ديوان أصدقاء المغرب. (الدّكتور تّمّام حسّان وأثره في البحث الأكاديمي المغربي). مقال منشور على الرّابط: fayade@yahoo.de. يوم 2010/03/10م. محرّك البحث: Ask.
27. زينب مديح جبارة التّعييمي. (جهود التّجديد والتّيسير عند شوقي ضيف وعبد الرّحمان أيوب). مجلّة واسط للعلوم الإنسانيّة. ع15.
28. سهيلة طه محمد البياتي. (المنهج الوصفي في كتاب "في النحو العربي نقد وتوجيه" للدّكتور مهدي المخزومي(ت1993)). مجلّة سرّ من رأى. مج4. ع11. السّنة الرّابعة آب 2008م.
29. صادق فوزي دبّاس. (جهود علماء العربيّة في تيسير النّحو وتجديده). مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التّربويّة. ع2/1. مج7. 2008م.
30. صالحه حاج يعقوب. (المقام والقرينة الحاليّة ودورهما في المعنى). قسم اللّغة العربيّة وآدابها. الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا. الرّابط: Niknajah@iiu.my. محرّك البحث: google.
31. صباح عباس السّالم وغيره. (جهود الدّكتور نعمة رحيم العزّاوي في تجديد النّحو وتيسيره). مجلة جامعة كربلاء. ع12. مج3. تشرين أول 2005.
32. صدّام الفايز. (الدّرس الصّوتي عند سيّبويه "عرض، مشكلات، تقييم"). على شبكة الألوكة. المجلس العلمي. شعبان 1430هـ. على السّاعة: 09:05. على الرّابط: majles.alukah.net/38007/. محرّك البحث: Ask.
33. عبد الرّحمان الحاج صالح. (أثر اللّسانيّات في النّهوض بمدرّسي اللّغة العربيّة). مجلّة اللّسانيّات. ع: 04. الجزائر. 1973م - 1974م.
34. عقيلة لعشبي. (أهميّة الرّبط بين علم النّحو والعلوم الأخرى لاستخلاص درس نحوي ميسّر). المجلس الأعلى للّغة العربيّة. مجلّة اللّغة العربيّة. ع: 28. السّداسي الأوّل 2012.

35. عيسى متقي زادة. (دراسة المحاولات التيسيرية في النحو العربي عند المحدثين). مجلة اللغة العربية وآدابها. جامعة إعدام المدرّسين. السنة السادسة. ع11. 2010-2011م.
36. غانم قدوري الحمد. (مخارج حروف العربية: عددها وترتيبها بين الدّرس القديم والدّرس الحديث "عرض ومناقشة"). مجلة الحكمة. ع38. محرّم 1430هـ. الرّابط: <http://vb/tafsir/net/tafsir19744/>. محرّك البحث: Ask.
37. غنية تومي. (السياق اللّغوي في الدّرس اللّساني الحديث). مجلة المخبر "أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري". ع6. جامعة محمد خيضر. بسكرة الجزائر. 2010م. الرّابط: lab.univ-biskra.dz. محرك البحث: google.
38. قسم اللّغة العربية بكلّية التّربية جامعة الأنبار. ندوة علمية بعنوان: (تّمّام حسان عمر مجدّد الدّراسات اللّغوية في العصر الحديث). يوم: 19-12-2013م. الرّابط: www.uonbar.edu.iq/News.Details.php?ID=261. محرّك البحث: google.
39. لحسن بلبشير. (الدّراسات اللّغوية بين الأصالة والمعاصرة). مجلة الأثر. ع8. جامعة ورقلة. الجزائر. ماي 2009م.
40. ليلي كادة. (مدارات مصطلح الإفصاح في الدّراسات التّراثية والمعاصرة). مجلة المخبر: أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري. ع2. جامعة محمد خيضر. بسكرة الجزائر. 2005م. الرّابط: lab.univ-biskra.dz. محرك البحث: google.
41. محمد أبو المكارم قنديل. (مزامع التّجديد في النحو العربي). مجلة كّلية الدّراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة. جامعة الأزهر. ع01. 1988م.
42. محمد الودغيري. (اللّساني وغير اللّساني قراءة في المصطلح). مقال منشور يوم: 03-03-2013م. على الساعة: 10.23 AM. منتدى اللّغة العربية على الشّبكة العالمية. الرّابط الإلكتروني: www.m-a-arabia.com محرّك البحث: google.
43. محمد بن إبراهيم الحمد. (فقه اللّغة "مفهومه-موضوعاته-قضاياها"). 2008م. الرّابط: <http://islamhouse.com>. محرّك البحث: google.
44. محمد خير الحلواني. (نظرة في كتاب الأصول). مجلة المناهل. ع23. المغرب. 1982م.

45. محمد صاري. (تيسير النّحو، موضة أم ضرورة؟). بحث منشور في أعمال ندوة تيسير النّحو. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. 2001م.
46. محمد صلاح الدين الشّريف. (النّظام اللّغوي بين الشّكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسّان: اللّغة العربية معناها ومبناها). مجلة حوليات الجامعة التّونسية. كلىة الآداب والعلوم الإنسانيّة. ع 17. 1979م.
47. محمد عبد العزيز عبد الدّائم الرّفاعي. (قراءة النّظرية اللّسانية في التّراث العربي بين المنظورين العربي والغربي "مراجعة وتعليق وتحليل"). الرّابط: <http://www.alarabiah.org>. محرّك البحث: Google.
48. محمد عويس. (رحيل أمير النّحو تمام حسّان). مجلة الوعي الإسلامي. ع 558. الكويت. ديسمبر - يناير 2012. الرّابط: www.alwaei.com/Site/index.php?cid=738. محرّك البحث: google.
49. محمد عيد. (تأثير الدّرس اللّغوي الحديث في النّحو العربي). الكتاب التّذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلىة دار العلوم. مطبعة عبير. القاهرة. 1993م.
50. مهين حاجي زاده. (دراسة آراء سيوييه الصّوتية في ضوء البحث اللّغوي الحديث). مجلة التّراث الأدبي. السّنة الثّانية. ع 18. 1388/11/5 هـ. الرّابط: www.sid.ir/fa/. محرّك البحث: Ask.
51. نائل محمد إسماعيل. (حركات الإعراب بين الوظيفة والجمال - دراسة وصفية تحليلية-). مجلة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة. مج 20. ع 1. غزّة. يناير 2012م.
52. يوسف جمل. في رحيل الأعلام و العلماء. منشور يوم: 25-10-2011م. على السّاعة: 01:30. الرّابط: www.dewan.co.il/News-5,N-4479.htm. محرّك البحث: google.

الرّسائل العلميّة والبحوث المخطوطة:

1. أمنة بن مالك. مصطلحات الدّراسة الصّوتية في التّراث العربي (دراسة وتقويم). رسالة دكتوراه دولة في فقه اللّغة. إش: خليل ابراهيم العطية. 1987م.

2. رضا زلّاقى. صفة القلقلة وحروفها بين وصف القدامى والمحدثين-دراسة مخبرية- (بحث مخطوط مقدّم لمركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربي(C.R.S.T.D.L.A). فرقة الصّوتيات). 2007م.
3. عبد الجبار توامة. القرائن المعنوية في النّحو العربي(رسالة دكتوراه). جامعة الجزائر. معهد الآداب واللّغة العربية. 1994م - 1995م.
4. عبد الرحمن العارف. اتّجاهات الدّراسات اللّغوية المعاصرة في مصر 1932م - 1985م. (رسالة دكتوراه في اللّغة). إشراف: تمام حسان. 1994م.
5. المنهج الوصفي وأثره في تيسير النّحو العربي. (بحث مخطوط مقدّم إلى المؤتمر الثاني للّغة والأدب). المنعقد في كلىة الآداب والعلوم. جامعة إربد الأهلية. في الفترة: 16-17 يوليو 2003م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Ferdinand De Saussure. Cours in general linguistics. Translated from the French by Baskine, William Collins. London.1974.
2. Loreto Todd. An introduction to linguistics.Ed8.Longman York press.1995.
3. New Oxford "learner's Pocket Dictionary".4 Edition. Oxford University Press. United Kingdom. 1993.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

| | |
|---------|--|
| أ- د | مقدّمة |
| 76-9 | الفصل التمهيدي: الكلمات المفتاحية قراءة في المفاهيم |
| 10 | توطئة |
| 10 | أولاً- الآليات |
| 22-10 | ثانيا- ماهية التيسير |
| 46-22 | ثالثا- حدود الدرس اللغوي العربي |
| 28-25 | I- المستوى الصوتي |
| 32-29 | II- المستوى الصرفي |
| 42-33 | III- المستوى النحوي أو التركيبي |
| 44-42 | IV- المستوى المعجمي |
| 46-45 | V- المستوى الدلالي |
| 76-47 | رابعا- فكر تمام حسّان روافده العلمية ومرجعياته الفكرية |
| 207-77 | الفصل الأول: جهود تمام حسّان وآليات تيسيره للدرس الصوتي |
| 80-78 | توطئة |
| 82-80 | أولاً- اللّغة والكلام |
| 83-82 | ثانيا- الحرف والصّوت |
| 87-83 | ثالثا- الفوناتيک والفونولوجيا |
| 175-88 | I- علم الأصوات |
| 207-175 | II- علم التشكيل الصوتي |
| 293-208 | الفصل الثاني: جهود تمام حسّان وآليات تيسيره للدرس الصرفي |
| 210-209 | توطئة |

فهرس المحتويات

| | |
|---------|---|
| 215-210 | أولاً- دعائم النّظام الصّرفي عند تّمّام حسان |
| 212-211 | I- مباني التّقسيم |
| 213-212 | II- مباني التّصريف |
| 215-213 | III-العلاقات العضوية بين مباني التّقسيم ومعانيه ومباني التّصريف ومعانيه |
| 218-215 | ثانيا: ماهية المورفيم |
| 246-219 | ثالثا: أقسام الكلم |
| 222-220 | I - أسس التّقسيم السّباعي من حيث المبنى |
| 247-222 | II - أسس التّقسيم السّباعي من حيث المعنى |
| 262-247 | رابعا: الصّيغة الصّرفية والميزان الصّرفي |
| 270-262 | خامسا: نظام الاشتقاق وأبعاده عند تّمّام حسان |
| 279-271 | سادسا: الملحقات الصّرفية أو اللّواصق |
| 276-275 | I- أنواع الملحقات الصّرفية |
| 279-276 | II- معاني الملحقات الصّرفية |
| 281-279 | سابعا: الجدول التّصريفي والتّوزيع الصّرفي |
| 293-282 | ثامنا: ظاهرة الإدغام |
| 416-294 | الفصل الثالث: جهود تّمّام حسان وآليات تيسيره للدرّس النّحوي |
| 295 | توطئة |
| 300-295 | أولاً- التّوفيق المعرفي عند تّمّام حسان |
| 333-300 | ثانيا- آليات نقد تّمّام حسان للدرّس النّحوي |
| 331-301 | I- الجانب المنهجي |
| 332-331 | II- الجانب التّقعيدي |

فهرس المحتويات

| | |
|---------|---|
| 333-332 | III- الجانب التّعليمي والجانب التّأليفي |
| 416-334 | ثالثا- آليات تيسير الدّرس النّحوي عند تّمّام حسان |
| 402-334 | I- في ضوء نظرية تضافر القرائن كبديل عن نظرية العامل |
| 416-402 | II- في ضوء التّفريق بين الرّمن النّحوي والرّمن الصّرفي |
| 481-417 | الفصل الرّابع: جهود تّمّام حسان وآليات تيسيره للدّرسين المعجميوالدّلالي |
| 419-418 | توطئة |
| 420-419 | أولا- المعجم عند تّمّام حسان |
| 421-420 | ثانيا- المعجم بين اللّغة والكلام |
| 422-421 | ثالثا- تأثر تّمّام حسان بنظرية بلومفيلد في المعجم |
| 426-423 | رابعا- علاقة المعجم بالعلوم الأخرى عند تّمّام حسان |
| 423 | I- علاقة المعجم بالجراماطيقا |
| 424 | II- علاقة المعجم بعلم المعاني |
| 426-425 | III- علاقة المعجم بعلم البيان |
| 427-426 | خامسا- مآخذ المعجم العربي في نظر تّمّام حسان |
| 433-427 | سادسا- وظائف المعجم عند تّمّام حسان |
| 427 | I- طريقة النّطق |
| 428 | II- الهجاء |
| 428 | III- التّحديد الجراماطيقي |
| 429-428 | IV- الشّرح |
| 433-429 | سابعا- تشقيق المعنى عند تّمّام حسان |
| 434-433 | ثامنا- المعنى بين الإفراد والتّعدّد |

فهرس المحتويات

| | |
|---------|--|
| 439-434 | تاسعا- منافذ اللبس ووسائل أمنه في المعنى المعجمي والمعنى الدلالي |
| 481-439 | عاشرا- نظريات دراسة المعنى |
| 442-439 | I-نظرية الحقول الدلالية |
| 447-442 | II- نظرية النظم |
| 481-447 | III- النظرية السياقية |
| 495-482 | خاتمة |
| 496 | الملاحق |
| 506-497 | ملحق الأعلام |
| 513-507 | ملحق المصطلحات |
| 516-514 | ملحق صور البحث |
| 533-517 | قائمة المصادر والمراجع |
| 537-534 | فهرس المحتويات |

الملخص:

موضوع بحثنا الموسوم بـ : "آليات تيسير الدرس اللغوي العربي في فكر تمام حسان" يتجلى في محاولة استنباط آليات إجرائية لقراءة فكر تمام حسان، المتعلق بمجال تيسير الدرس اللغوي العربي، انطلاقاً من نظريات ومناهج قديمة وحديثة، مع إبراز الجوانب التراثية – في هذا المجال – والتي بقيت عديمة التوظيف والاستغلال، بالإشارة إلى ما يجب القيام به للكشف عن تلك النظريات والآراء، لرسم منهج قويم يمكن من ربطها بقضايا اللسانيات الحديثة، خدمة للسان العربي، بمقتضيات روح العصر.

الكلمات المفتاحية: الآليات – التيسير – الدرس اللغوي العربي.

Résumé:

La présente thèse, ayant pour titre: "Mécanismes de faciliter l'études linguistiques à base d'idées de Tammam Hassan", aspire à mettre en relief un ensemble de mécanismes de procédure linguistique, permettant de déduire les moyens de faciliter l'études linguistiques des idées de Tammam Hassan, inhérentes aux différentes théories –dans le domaine– tant anciennes que contemporaines pour valorisation de ces "mécanismes" nous permettant l'actualisation des études linguistiques arabes.

Mots clés : Mécanismes -faciliter- le cour linguistique Arabe.

Abstract:

The present research titled: : "Mechanisms facilitating the Arabic linguistic lesson understanding in Tammam Hassan's spirit", starts with formulating the different mechanisms that help to read Tammam hassan's spirit. Tries to make the Arabic linguistic lesson easy by using many ancient and modern theories. These latters reveal the idea which are related to our neglected Arabic patrimony. Moreover, some people forget it totally, and the acknowledged patrimony should be revealed and linked to the linguistics by restructuring its form and content.

Key words: mechanisms- facilitating- Arabic linguistic lesson.